مركز تحقيق التراث

كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

الجزء الحادي والعشرون

تحقيق

عبد الكريم إبراهيم العزباوي   محمود محمد غنيم

إشراف

محمد أبو الفضل إبراهيم

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بيـــان

أسند تحقيق هذا الجزء إلى الأستاذين عبد الكريم إبراهيم العزباوى ومحمود محمد غنيم ، وقام بمراجعته الأستاذ الشيخ حسن عطية ، وروجعت التراجم والأخبار والأشعار على ما يقابلها من النسخ المخطوطة والمطبوعة ، والتى سبق وصفها والتعريف بها وذكر رموزها فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة ؛ وكان نصيب هذا الجزء من التراجم التى لم ترد فى طبعة بولاق ما يأتى :

عمرو بن براق ، الشنفرى ، الخليل بن عمرو ، علقمة بن عبدة ، أبو خراش الهذلى ، عبد الرحمن بن مسافع بن دارة ، مسعود بن خرشة ، بحر بن العلاء ، هدبة بن الخشرم ؛ عدا بعض الزيادات من الشعر والأخبار فى التراجم الأخرى .

هذا ، وقد بقى من هذا الكتاب جزءان ، يتم بهما الكتاب ، ويجرى العمل فيهما . والله الموفق

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار المنخل ونسبه

نسبه

هو المُنخَّل بنُ عمرو — ويقال: المُنخَّلُ بنُ مسعودٍ — بنِ أفلتَ بنِ عمرِو بنِ كعبِ ابن سُواءةَ بنِ غَنْمِ بنِ حبيبِ بنِ يشكُرَ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ . وذكر أبو محلِّم النسابة : أنه المنخَّلُ بنُ مسعودِ بنِ أفلتَ بنِ قَطَنِ بن سُوءةَ بنِ مالكِ بنِ ثعلبة بنِ حبيبِ بن غَنْم ابنِ حبيبِ بنِ كعبِ بنِ يشكُرَ. وقال ابنُ الأعرابىّ : هو المنخَّل بنُ الحارثِ بن قيسِ ابنِ عمرِو بن ثعلبةَ بنِ عَدِىٍّ بن جُشَمَ بنِ حبيبِ بنِ كعبِ بنِ يَشْكُرَ .

١٥٣ / ١٨

يتهمه النعمان بالمتجردة فيقتله

شاعر مُقِلٌّ من شعراء الجاهلية ، وكان النعمانُ بنُ المنذر قد اتّهمه بامرأته المتجرِّدة — وقيل : بل وجده معها ، وقيل : بل سُعِىَ به إليه فى أمرها فقتله ، وقيل : بل حبسه ، ثم غَمَض خبره ، فلم تُعلم له حقيقة إلى اليوم . فيقال : إنه دفنه حيًّا ، ويقال : إنه غرّقه . والعرب تضرب به المثل كما تضرب بالقارظ العَنَزِىّ[(١)] وأشباهه ممن هلك ولم يعلم له خبر .

وقال ذو الرُّمّة :

تُقارِب حتى تُطمِعَ التابعَ الصِّبا ... وليست بأدنى من إياب المنخَّلِ

وقال النَّمِر بنُ تَوْلَب :

وقَوْلى إذا ما أطلقوا عن بعيرهم ... تلاقونه حتى يئوبَ المنخَّلُ

أخبرنى محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ، قال : أخبرنى أحمدُ بنُ زهير قال : أخبرنى عبدُ الله ابنُ كريمٍ قال : أخبرنى أبو عمرٍو الشيبانىُّ قال :

تفصيل سبب قتله

كان سببَ قتل المنخَّل أنّ المتجرِّدةَ — واسمُها ماويّة وقيل : هند بنتُ المنذرِ ابنِ الأسود الكلبيّة — كانت عند ابن عم لها يقال له : حُلْم ، وهو الأسودُ بنُ المنذرِ

(١) هو يذكر بن عنزة ، أو عامر بن رهم ، وكلاهما من عنزة ، خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا .

ابنِ حارثةَ الكلبىُّ ، وكانت أجملَ أهل زمانها ، فرآها المنذرُ بنُ المنذرِ الملكُ اللّخمىّ فعشِقها ، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حُلم وامرأته المتجرّدة ، فقال المنذر لِحُلم : إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زمانا طويلا حتى لا يبقى فى رأسِه ولا لِحيته شعرة بيضاء إلا عرَفتْها ، فهل لك أن تطلّقَ امرأتَك المتجرّدة وأطلّقَ امرأتى سلمى ؟ قال : نعم ، فأخذ كلٌّ واحد منهما على صاحبه عهدا . قال : فطلّق المنذرامرأته سلمى ، وطلّق حُلم امرأتَه المتجرّدةَ ، فتزوّجها المنذر ولم يُطلِق لسلمى أن تتزوج حُلما ، وحجبها — وهى أمّ ابنه النعمانِ بنِ المنذر — فقال النابغة الذبيانى يذكر ذلك :

قد خادعوا حُلما عن حرّة خَرِدٍ حتى تبطّنها الخدّاع ذو الحُلُمِ

قال : ثم مات المنذر بن المنذر ، فتزوّجها بعده النعمانُ بنُ المنذر ابنُه ، وكان قصيرا دميا أبرش ، وكان ممن يجالسه ويشرب معه النابغةُ الذبيانىّ — وكان جميلا عفيفا — والمنخّل اليشكرىّ — وكان جميلا — وكان يُتّهم بالمتجردة . فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التى أولها :

مِن آل ميّةَ رائحٌ أومغتدى عجلانَ ذا زاد وغيرَ مزوَّد

ووصفها فأفحش فقال :

وإذا طعنتَ طعنتَ فى مستهدِفٍ رابى المَجسّة بالعَبير مُقرمَدِ(١)
وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصِفٍ(٢) نزع الحَزَوّر(٣) بالرشاء المُحصَدِ(٤)

فغار المنخّل من ذلك ، وقال : هذه صفة مُعاينٍ ، فهمّ النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه ، وخلا المنخّل بمجالسته ، وكان يهوى المتجردة وتهواه ، وقد ولدت ١٥٤
للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل ، وكانت العرب تقول : إنهما منه . فخرج ١٨

(١) مقرمد : مطلى .
(٢) مستحصف : قليل البلولة ضيق .
(٣) الحزور : الرجل القوى .
(٤) المحصد : الحبل الشديد الفتل .

يحرض على عكب قاتله

النعمان لبعض غزواته — قال ابن الأعرابىّ: بل خرج متصيّدا — فبعثت المتجردة إلى المنخّل فأدخلته قُبّتَها ، وجعلا يشربان ، فأخذَت خَلخالها وجعلته فى رجله ، وأسدلت شعرها فشدّت خَلخالها إلى خَلخاله الذى فى رجله من شدة إعجابها به . ودخل النعمان بعقب ذلك فرآها على تلك الحال ، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له : عِكَبّ ، وأمره بقتله ، فعذّبه حتى قتله . فقال المنخّل يحرّض قومه عليه :

ألا مَن مبلِـغ الحيّين عنّى بأن القوم قد قتلوا أُبَيّا
فإن لم تثأروا لى من عِكَبّ فلا رَوّيتمُ أبدا صَدِيا

وقال أيضا :

ظلّ وسْط الندىّ قتلَى بِلا جُرْ م وقومى يُنتَّجون السِّخالا[(١)]

من شعره فى المتجردة

وقال فى المتجرّدة :

دِيارٌ لِلّتى قتلتكَ غصبا بلا سيف يُعَدّ ولا نِبالِ
بطَرفٍ ميّت فى عين حَىٍّ له خَبَل يزيدُ على الخَبالِ

وقال أيضا :

ولقد دخلتُ على الفتا ة الخِدرَ فى اليوم المطيرِ
الكاعبِ الخنساء[(٢)] تر فُل فى الدِّمَقْس وفى الحرير
دافعتُهـــا فتدافَعتْ مَشْىَ القطاةِ إلى الغدير
ولثمتُهـــا فتنفّست كتنفّس الظبى البَهير[(٣)]
ورَنَت وقالت يا مُنخّ ل هل بجسمك من فتور ؟[(٤)]

(١) السخال : أولاد الغنم من الضأن والمعز ساعة مولده .
(٢) الخنس بالتحريك : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة ، وفى ج : «الحسناء».
(٣) البهير : المتتابع الأنفاس .
(٤) رواية الحماسة :

فدنت وقالت يا منخّ ل ما بجسمك من حرور

ما مسّ جسمى غيرُ حُبِّـ ـك فاهدئى عنّى وسيرى

يا هندُ هل من نائلٍ يا هند للعانى الأسير ؟

وأحبّهـــا وتحبّنى ويحبّ ناقتَها بعيرى

ولقد شربتُ من المـدا مة بالـكبير وبالصغير

فإذا سكِرتُ(١) فإننى ربُّ الخورنق(٢) والسرير

وإذا صحوتُ فإننى ربّ الشُّوَيهة والبعير

يا رُبَّ يومٍ للمنخّـ ـل قد لها فيه قصيرِ

رواية أخرى لخبر المنخل مع المتجردة

وأخبرنى بخبر المُنخَّل مع المتجرِّدة أيضا علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : أخبرنى أبو سعيد السكرىُّ عن محمدِ بن حبيبٍ عن ابنِ الأعرابىّ قال :

كانت المتجردةُ امرأةُ النعمان فاجرةً ، وكانت تُتّهم بالمنخّل ، وقد ولَدتْ للنعمان غلامين جميلين يشبهان المُنخَّل ، فكان يقال : إنهما منه ، وكان جميلا وسيما ، وكان النعمان أحمر أبرش قصيرا دميما . وكان للنعمان يوم يركب فيه فيُطيل المُكث ، وكان المُنخَّل من نُدَمائه لا يفارقه ، وكان يأتى المتجرِّدةَ فى ذلك اليوم الذى يركب فيه النعمان فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النعمان آذنَتْها بمجيئه وليدة لها موكَّلة بذلك فتُخرجُه .

فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخّل كما كان يأتيها فلاعبَته ، وأخذت قيدا ، فجعلت إحدى حلقتيه فى رِجْله والأخرى فى رجلها ، وغفَلت الولِيدةُ عن ترقّب النعمان ؛ لأن الوقت الذى يجىء فيه لم يكن قَرُب بعد ، وأقبل النعمان حينئذ ولم يُطل فى(٣) مكثه كما كان يفعل ، فدخل إلى المتجرِّدة ، فوجدها مع المنخّل قد قيّدَتْ رِجلَها ورجلَه بالقيد ، فأخذه النعمان فدفعه إلى عِكَبٍّ صاحبِ سجنه ليعذّبه — وعِكَبٌّ

١٥٥
١٨

(١) فى ج : « شربت » .

(٢) الخورنق : قصر النعمان الأكبر . وفى الحماسة : « السدير » ، وهو نهر بناحية الحيرة .

(٣) فى ج ، ف : « ولم يطل فى وجهه » .

رجل من لَخم — فعذّبه حتى قتله . وقال المنخّل قبل أن يموت هذه الأبيات ، وبعث بها إلى ابنيه :

ألا مَن مبلغ الحُرّين عنّى ... بأن القوم قد قتلوا أُبيا
وإن لم تثأروا لى من عِكَبٍّ ... فلا أُرويتما أبدا صَديّا
يُطوّف بى عِكَبٌّ فى معدٍّ ... ويطعن بالصُّملّة(١) فى قفَيّا

الأصح أن قاتله هو النعمان لا عمرو بن هند

قال ابن حبيب : وزعم ابن الجَصّاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخّل ، والقول الأول أصحّ .

قصيدته فى المتجردة

وهذه القصيدة التى منها الغناء يقولها فى المتجرّدة ، وأولها قوله :

إن كنتِ عاذلتى فسيرى ... نحوَ العراق ولا تَحورى
لا تسألى عن جُلّ ما ... لى واذكرى كَرَمى وخِيرى
وإذا الرياح تناوحَتْ ... بجوانبِ البيتِ الكسير(٢)
ألفيتِنى هشّ النـدىّ ... بِمرّ قدحى أو شجيرى(٣)

— الشجير : القِدح الذى لم يُصلَح حسنا ، ويقال : بل هو القِدح العاريّة —

ونَهَى أبو أفعى فقلّ ... دنى أبو أفعى جريرى(٤)
وجُلالة(٥) خطّارة(٦) ... هوجاء جائلةَ الضُّفور(٧)

(١) ب ، س : «الصميلة» ، تحريف ، وزاد فى ف بعد الأبيات : «الصملة : الحربة» .
(٢) البيت الكسير : الذى له كسور ، وهى ما مس الأرض من هدابه . وفى ف : «الكبير» .
(٣) فى حماسة أبى تمام واللسان : ألفيتنى هش اليدين بمرى قدحى أو شجيرى .
ويقول التبريزى فى شرحه : الشجير: الغريب ، وإنما يعنى قدحا يتبرك به فيستعار . يقول : تجدنى خفيف اليد بمسح القداح وعند حضور الأيسار ، سواء القدح الذى جربته والذى لم أجربه حبا للندى .
(٤) الجرير : الزمام ، وحبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة . والمراد منه أن يعمل ما يريد .
(٥) جلالة : ناقة مسنة .
(٦) خطارة : تضرب بذنبها يمينا وشمالا .
(٧) الضفور : جمع ضفر كسهل ، وهو ما يشد البعير به من مضفور .

تعدو بأشعثَ قد وهَى سِرِ بالُه باقى المسير[١]
فُضُلًا[٢] على ظهر الطريـــــق إليك علقمةَ بنَ صير
الواهب الـكوم[٣] الصّفا[٤] يا والأوانس فى الخُدور
يُصفيك حين تجيئه بالعَصْب[٥] والحَلْى الـكثير
وفوارسٍ كأُوار[٦] حرِّ النار أحلاسِ[٧] الذُّكور
شدُّوا دوابرَ بيضهم فى كلِّ محكمةِ القتير[٨]
فاستلأموا[٩] وتَلبَّبُوا إنّ التلبّب للمغير
وعلى الجيـاد المضمَرا ت فوارسٌ مثل الصقور
يَخرجن من خَلَل الغبا ر يَجفْن بالنَّعَم الـكثير
فشفيتُ نفسى من أولـ ـئك والفوائح بالعبير
يرفُلن فى المسك الذكىّ وصائكٍ[١٠] كدَم النَّحير
يعكُفن[١١] مثلِ أساود التنّـ ـوم[١٢] لم تُعكَف لِزور

(١) باقى المسير : لم يستنفد القدرة على المسير .
(٢) فضلا : متفضلا فى ثوب واحد . وفى ف : « قصدا على وضح الطريق »
(٣) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام .
(٤) الصفايا : النوق الغزيرة اللبن .
(٥) العصب : هو ضرب من البرود . وفى ب . س : « بالغض » .
(٦) الأوار : اللهب والوهج .
(٧) أحلاس : ملازمون ، جمع حلس بكسر فسكون ، من حلس البيت ، وهو الكساء يبسط تحت حر الثياب .
(٨) القتير : رءوس مسامير الدروع .
(٩) استلأموا : لبسوا اللأمات ، وهى الدروع ، وتلببوا : تحزموا ، وفى ب ، س : « فاستلبثوا وتلبثوا ... إن التلبث » ..
(١٠) صائك : وصف من صاك به الطيب يصيك : لزق .
(١١) يعكفن : يمشطن أو يضفرن شعورهن .
(١٢) التنوم : شجر يسود كله ، شبه ضفائرهن بفروعه .

ولقد دخلتُ على الفتا ة الخدرَ فى اليوم المطير
الكاعبِ الخنساء[1] تر فل فى الدِّمَقْس وفى الحرير
١٥٦/١٨ فدفَعْتُها فتــدافعتْ مشىَ القطاة إلى الغدير
ولَثَمْتُهــــا فتنفّسَتْ كتنفّس الظبى البَهير
فدنَتْ وقالت يا منخّـ ل ما بجسمك من حَرور ؟
ماشفَّ جسمى غيرُ حبّــك فاهدئى عنّى وسيرى
ولقد شربتُ من المُدا مة بالصغير وبالكبير
ولقد شربتُ الخمر بالـ خيل الإناث وبالذُّكور
ولقد شربتُ الخمر بالـ عبد الصحيح وبالأسير
فإذا سكرتُ فإننى ربُّ الخَوَرْنَق والسدير
وإذا صحــــوتُ فإننى ربّ الشُّوَيْهة والبعير
يا رُبَّ يوم للمنخـ ـل قد لها فيه قصير
يا هند هل من نائل يا هند للعانى الأسير[2]

ومن الناس من يزيد فى هذه القصيدة :

وأُحبّها وتُحبّنــــى ويحبّ ناقتَها بعيرى

ولم أجده فى رواية صحيحة .

---

(١) ف « الحسناء » .

(٢) جاء هذا البيت فى من مو ، هد ، مد ، ولم يرد فى سائر النسخ .

صـــوت

لِمَن شيخان قد نَشَدا كلابا كتابَ الله لو قَبِلَ الكتابا
أُناشده فيُعرِض فى إباء فلا وأبِى كلابٍ ما أصابا

الشعر لِأُميّة بنِ الأسكر الليثيّ ،والغناء لعبد الله بنِ طاهر ، رمَل بالوُسطى . صنعه ونسبه إلى كَمِيسَ جاريتِهِ ، وذكر الهِشاميّ أن اللحن لها ، وذكره عُبيد الله بنُ عبد الله ابنِ طاهرٍ فى جامع أغانيهم ووقع إلىّ ، فقال : الغناء فيه للدّار الكبيرة ، وكذلك كان يكنّى عن أبيه ، وعن إسحاق بنِ إبراهيمَ بنِ مُصعبٍ وجواريهم ، ويكنّى عن نفسه وجاريته شاجى وما يصنع فى دُور إخوته بالدار الصغيرة .

أخبار أمية بن الأسكر ونسبه

نسبه

هو أميةُ بنُ حُرْثانَ بنِ الأسكر بن عبد الله بن سرابيلِ الموت بنِ زُهرةَ ابنِ زَيِينةَ[١] بنِ جُنْدُع بنِ ليثِ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مناةَ بنِ كنانةَ بنِ خُزَيمةَ ابنِ مُدرِكةَ بنِ الياس بنِ مُضرَ بنِ نزار .

شاعر فارس مخضرَم أدركَ الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفُرسانهم، وله أيام مأثورة مذكورة .

عمر يستعمل ابنه كلابا على الأبلة

وكان له أخ يقال له : أبو لاعق الدم ، وكان من فُرسان قومه وشعرائهم ، وابنهُ كِلابُ بنُ أمية أيضا أدرك النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبوه فيه شعرا ، ذكر أبو عمرو الشيبانى أنه هذا الشعر ، وهو خطأ ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا[٢] مع أهل العراق لقتال الفُرس ، وخبره فى ذلك يذكر بعد هذا .

قال أبو عمرو فى خبره : فأمره صلى الله عليه وسلم بصلة أبيه وملازمته طاعته .

وكان عمرُ بنُ الخطاب استعمل كلابا على الأُبُلّة[٣] ، فكان أبواه ينتابانه ، يأتيه أحدهما فى كل سنة ، ثم أبطأ عليه وكبِرا فضعفا عن لقائه ، فقال أبياتا وأنشدها عمرَ ، فرقّ له ورده إليهما ، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نَهشَتْه أفعى ، فمات وهذا أيضا وَهْم من أبى عمرو ، وقد عاش كِلاب حتى ولِى لزياد الأُبُـلّة ، ثم استعفَى ، فأعفاه . وسأذكر خبره فى ذلك وغيرَه ها هنا إن شاء الله تعالى .

١٥٧ / ١٨

شعره لابنه كلاب لما أغزاه عمر وطالت غيبته عنه

فأما خبره مع عمر فإنّ الحسنَ بنَ علىٍّ أخبرنى به ، قال : حدثنى الحارثُ بنُ محمد قال : حدثنى المدائنىُّ عن أبى بكر الهُذَلىّ عن الزّبَيرىّ عن عُروةَ بنِ الزبَير قال :

---

(١) فى ب ، س : « زينبة » .
(٢) ف : « بهذا الشعر لما غزا » .
(٣) الأبلة : بلدة غربى البصرة ، ونهرها معدود من أجمل متنزهات الدنيا .

هاجر كِلابُ بنُ أميةَ بنِ الأسكرِ إلى المدينة فى خلافة عمر بنِ الخطاب ، فأقام بها مدّة ، ثم لَقِيَ ذات يوم طلحةَ بنَ عُبَيد الله والزبيرَ بنَ العوّام ، فسألهما : أىُّ الأعمال أفضل فى الإسلام ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عمرَ فأغزاه فى جيش ، وكان أبوه قد كبِر وضعُف ، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لِمَن شيخان قد نشَدا كلابا ... كتابَ الله إن[1] قَبِل الكتابا
أُناديه فيعرض فى إباء ... فلا وأبى كلابٍ ما أصابا
إذا سجعَت[2] حمامةُ بطنِ وادٍ ... إلى[3] بَيْضاتِها دعَوا كلابا
أتاه مهاجران تكنَّفاه ... ففارق[4] شيخه خَطِئًا[5] وخابا
تركتَ أباكَ مُرعَشةً يداه ... وأمَّكَ ما تُسيغ لها شرابا
تُمَسِّح مُهره شفقًا عليه ... وتجنُبُه أباعرَها الصِّعابا

— قال : تجنُبه وتجنِّبه واحد ، من قول الله عز وجل : (واجْنُبْنِي وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ) .[6] قال : —

فإنك قد تركت أباكَ شيخا ... يطارق[7] أينُقا شُزُبًا[8] طِرابا

(١) فى ف : « لو قبل » ، والأبيات فى أمالى القالى ٣ : ١٠٨ بترتيب مخالف .

(٢) فى الأمالى : « هتفت » .

(٣) فى الأمالى : « على » .

(٤) فى الأمالى « ليترك » .

(٥) كذا فى الأمالى والسمط . وفى ب ، س ، ف : « خطا وطابا » تحريف .

(٦) سورة إبراهيم : ٣٥

(٧) يطارق : يطابق .

(٨) شزبا : ضامرة . وفى الأمالى .

وإن أباك حيث علمتِه ... يطارد أينقا شسبا طرابا

فإنك والتماسَ الأجرِ بَعدى   كباغى المـاء يتبّع السرابا(١)

ينشد عمر شعرا ليرد له كلابا فيبكى عمر رحمة له ويرده عليه

فبلغتْ أبياتُه عمرَ ، فلم يردُد كلابا وطال مقامه(٢) فأهتِرَ أمية وخُلِط جزَعا عليه ، ثم أتاه يوما وهو فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذلَ قد عذَلْتِ بغير قدرٍ   ولا تدرين عاذلَ ما أُلاقى

فإمّا كنتِ عاذلتى فرُدّى   كِلابا إذ توجَّه للعراق

ولم أقضِ اللُّبانة من كِلابٍ   غداةَ غدٍ وآُذّن بالفِراق

فتى الفِتيان فى عُسْرٍ ويُسرٍ   شديدُ الرُّكنِ فى يوم التلاقى

فلا واللهِ ما باليتَ وَجدى   ولا شفَقى عليكَ ولا اشتياقى

وإبقائى عليكَ إذا شتَونا   وضَمَّكَ تحت نحرى واعتناقى

فلو فَلَق الفؤادَ شديدُ وجْدٍ   لهَمَّ سوادُ قلبى بانفلاق

سأَستعدى على الفاروق ربًّا   له دُفِعَ الحجيجُ إلى بُساقِ(٣)

وأدعو الله مجتهدا عليه   ببطن الأخشبَين إلى دُفاق

إنِ الفاروقُ لم يردد كلاباً   إلى شيخين هامُهما زَواق

عمر يسأل كلابا عن مبلغ بره بأبيه فيصفه له

١٥٨ / ١٨

قال : فبكى عمر بكاء شديدا ، وكتب بِرَدّ كلاب إلى المدينة ، فلما قدِم دخل إليه ، فقال : ما بلغ من بِرّك بأبيك ؟ قال : كنتُ أُوثره(٤) وأَكفيه أمره ، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلُب له لبنا أَغزَرَ ناقةٍ فى إبله وأسمَنَها فأُريحها(٥ وأتركها حتى تستقرّ ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له٥) فأَسقيَه . فبعث

(١) هذا البيت ساقط من الأمالى .

(٢) فى ب ، س : « أمية » ، تحريف .

(٣) بساق : موضع بعينه .

(٤) فى ب ، س : « أدثره » . وفى المختار : « كنت أبره »

(٥-٥) زيادة من هد ، ف .

عمرُ إلى أميّةَ مَن جاء به إليه، فأدخله يتهادَى وقد ضعُف بصرُه وانحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما ترانى يا أميرَ المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهى أن أرى كِلابًا فأشَمّه شَمّة، وأضُمّه ضَمّةً قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلابا أن يحتلبَ لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعثَ إليه بلبنها، ففعل فناوله عمرُ الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب[1]. فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: لعمر: والله يا أمير المؤمنين، إنى لأشَمّ رائحة يدى كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندك حاضرا قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمّه إليه وقبّله، وجعل عمرُ يبكى ومَن حضَره، وقال لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرَفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيما حتى مات أبوه.

عمر يرد كلابا عليه ويأمره أن يلزم أبويه

يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام

ونسخت من كتاب أبى سعيد السكرىّ أن أمية كانت له إبل هائمة — أى أصابها الهُيام وهو داء يصيب الإبل من العطش — فأخرجَته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلَهم، فقال لهم: يا بَنى بكر، إنما هى ثلاث ليال: ليلة بالبقعاء[2] وليلة بالفُرْع[3]، وليلة بِلَقْف[4] فى سامرٍ من بنى بكر، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه، فأتى مُزَينة فأجاروه، وأقام عندهم إلى أن صحّت إبله، وسكنت، فقال يمدح مزينة:

تكنّفها الهُيام وأخرجوها فما تأوى إلى إبل صِحاحِ

(١) فى ب، س: «يا كلاب».
(٢) البقعاء: ماء لعبس، وقيل: مياه لبنى السليط، تلقاء نجد على ٢٤ ميلا من المدينة.
(٣) الفرع: قرية من ناحية المدينة.
(٤) «لقف» موضع أيضا، وفى ب، س: «تلقف»، تحريف.

فكان إلى مُزَينــةَ منتهاها   على ما كان فيها من جُناح
وما يكن الجُناحُ فإنّ فيها   خلائقَ ينتمين إلى صلاح
ويوما فى بنى ليث بن بكرٍ   تُراعى تحت قعقعــة الرماح
فإمّا أصبِحَنْ شيخا كبيرا   وراء الدار يُثقلنى سلاحى
فقد آتى الصريخَ إذا دعانى   على ذى مَنْعة(١) عَتِدٍ(٢) وَقاح
وشرُّ أخى مؤامرةٍ خَذولٌ   على ما كان مؤتكلٌ(٣) ولاح

شعره حين ضحك راع منه وقد عمر حتى خرف

أخبرنى عمى قال: حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الله الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرٍو الشيبانىّ عن أبيه، وأخبرنى به محمدُ بنُ خَلَفِ بن المَرْزُبان قال: حدثنا أبو توبةَ عن أبى عمرو قال: عُمِّرَ أميةُ بنُ الأسكر عُمرا طويلا حتى خَرِف، فكان ذات يوم جالسا فى نادى قومه وهو يحدّث نفسه، إذ نظر إلى راعى ضأن لبعض قومه يتعجب منه، فقام لينهض فسقط على وجهه، فضحك الراعى منه، وأقبل ابناه إليه، فلما رآهما أنشأ يقول:

يا بنَىّ(٤) أمية إنى عنكما غانٍ   وما الغنى غير أنى مُرعَشٌ فانِ
يا بنَى أمية إلّا تحفظا كِبَرى   فإنما أنتما والثُّكلُ سِيّان(٥)
هل لكما فى تُراثٍ تذهبان به   إن التراث لِهَيّان بنِ بَيّان

١٥٩
١٨

— يقال: هيانُ بن بَيان، وهى ترى للقريب والبعيد —

أصبحت هُزْءا(٦) لراعى الضأن يَسخَر بى(٧)   ماذا يَريبك مِنّى راعىَ الضّان

(١) وفى ج، ف: «ميعة» هى جرى الفرس ونشاطه.
(٢) عتد أى شديد تام الخلق. والوقاح: ذو الصلابة وفى ب، س: «عند»، تحريف.
(٣) مؤتكل: غاضب هائج.
(٤) فى ب، س: «بنى أمية».
(٥) فى ف: «مثلان».
(٦) فى ب، س: «فردا».
(٧) ف: «يلعب بى».

اعجَبْ لغيرىَ إِنى تابع سلفى ... أعمامَ مجد وأجدادى وإخوانى
وانعَقْ بضأنك فى أرض تُطيف بها ... بين الأَساف(١) وأنتجها بِجِلْذان(٢)

— جِلذان(٣) : موضع بالطائف —

بلدة لا ينـــام الكالئان بها ... ولا يقرَّبها أصحـــابُ ألوان

الإمام علىّ يتمثل بشعر له

وهذه الأبيات تمثّل بها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه فى خطبة له على المنبر بالكوفة .

حدثنا بها أحمدُ بنُ عُبيدِ الله بنِ عمار وأحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجوهريُّ ، قالا : حدثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدثنا محمدُ بنُ أبى رجاء ، قال : حدثنا إبراهيمُ بنُ سعد ، قال : قال عبدُ الله بنُ عدىٍّ بن الخِيار :

شهِدت الحكَمَين ، ثم أتيت الكوفة وكانت لِى إلى علىّ عليه السلام حاجة ، فدخلتُ عليه ، فلما رآنى قال : مرحبا بك يا بنَ أمّ قتّال ، أزائرا جئتنا أم لحاجة ؟ فقلت : كُلٌّ جاء بى ؛ جئت لحاجة ، وأحببت أن أُجدِّد بك عهدا ، وسألته عن حديث فحدثنى على ألا أُحدِّث به واحدا(٤) . فبينا أنا يوما بالمسجد فى الكوفة إذا علىٌّ صلوات الله عليه متنكِّب قَرَنا (٥) له ، فجعل يقول : الصلاة جامعة . وجلس على المنبر ، فاجتمع الناس ، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر . فلما اجتمع الناس ، ورضى منهم قام فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

---

(١) الأساف : البقاع التى لا تنبت ، جمع أسافة ، كسحابة وكناسة .
(٢) فى الأمالى : « جمدان » كعثمان ، وهو اسم واد ، واسم جبل .
فى ب ، س « بخلدان » .
(٣) فى ب ، س : « خلدان » .
(٤) فى ب ، س : « حديثا » ، تحريف .
(٥) قرنا : جعبة .

أيها الناس ، إنكم تزعمون أن عندى من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ماليس عند الناس ، ألا وإنه ليس[1] عندى إلا ما فى قِرَابى هذا ، ثم نَـكَتَ[2] كنانته ، فأخرج منها صحيفة فيها : المسلمون تتـكافأ دماؤهم ، وهم يَدٌ على مَن سواهم . مَن أحدث حدَثا أو آوى مُحْدِثا فعليه لعنةُ اللهِ والملائـكةِ والناس أجمعين » . فقال له الأشعث بن قيس : هذه والله عليك لا لك ، دَعْها تترحّل ، نخفَض علىّ — صلوات الله عليه — إليه بصره ، وقال : مايدريك ماعلَىَّ مما لى ! عليك لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين ، حائكٌ ابنُ حائك ، منافقٌ ابنُ منافق ، كافرٌ ابنُ كافر . والله لقد أسرَك الإسلام مرة والـكفرُ مرة ، فما فَداك من واحد منهما حَسَبُك ولا مالُك ، ثم رفع إلىّ بصرَه فقال : ياعبيد الله :

أصبحتُ قِنًّا لراعى الضأن يلعب بى ... ماذا يَريبك منِّى راعىَ الضانِ

فقلت : بأبى أنت وأمى ، قد كنتُ والله أحبّ أن أسمع هذا منك . قال : هو والله ذلك ، قال :

فما قِيلَ لى من بعدها من مقالة ... ولا عَلِقتْ منى جديدا ولا دَرْسا

يعود كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه ويولى الأبلة ثم يستعفى منها

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا الحارثُ ، عن المدائنىِّ قال :

لما مات أميةُ بنُ الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فـكان يغزو مع المسلمين ، منها مغازيهم ، وشهد فتوحات كثيرة ، وبقى إلى أيام زياد ، فولّاه الأُبُلّة ، فسمع كلابٌ يوما عثمانَ بنَ أبى العاص يحدّث أن داود نبىَّ اللهِ — عليه السلام — كان يجمع أهلَه فى السَّحَر فيقول: ادعوا ربكم فإن فى السَّحَر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غُفِر له ، إلا أن يكون عَشّارا[3] أو عَرِيفا[4].

---

(١) فى ف : « وإنه والله » .

(٢) فى ب ، س : « نكب » ، تحريف .

(٣) العشار : جابى عشر الأموال .

(٤) العريف : الرئيس ، أو النقيب ، وهو دون الرئيس .

فلما سَمِع ذلك كلاب كتب إلى زياد ، فاستعفاه من عمله فأعفاه .

قال المدائنىّ : ولم يزل كلاب بالبصرة (١ حتى مات ، والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة ١) منسوبةٌ إليه . ١٦٠/١٨

شعر أمية وقد ظفر بنو ليث بقومه

وقال أبو عمرو الشيبانىُّ : كان بين بنى غِفَارٍ قومِه و (١ بنى ليث حربٌ ، فظفِرَتْ بنو ليث بغفَار ، فحالف رَحْضةُ بنُ خُزَيمةَ بنِ خلافِ بنِ حارثة بن غِفار وقومُه ١) جميعا بنى أسلمَ بنِ أفْصَى بنِ خُزاعة ، فقال أمية بن الأسكر فى ذلك ، وكان سيدَبنى جندُعِ بنِ ليث وفارسَهم :

لقد طِبتَ نفسا عن مواليك يارَحْضا ... وآثرتَ أذناب الشوائل والحمضا (٢)
تُعلِّلنا بالنّصر فى كل شَتوة ... وكلّ ربيع أنت رافضنا رفضا
فلولا تأسّينا وحدُّ رماحنا ... لقد جرّ قومٌ لحمنا تَرِبًا قَضًّا

— القضّ والقضيض : الحصا الصغار —

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنى أحمدُ بنُ زُهَير قال : حدثنا مُصعَبُ بنُ عبدِ الله عن أبيه قال :

عبد الله بن الزبير يتمثل بشعره

افتعل عمرو بن الزبير كتابا عن معاويةَ إلى مروانَ بنِ الحكم بأن يدفع إليه مالا ، فدفعه إليه ، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عَمْرا حتى يؤدّىَ المالَ ، فحبسه مروانُ ، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بنَ الزبير ، فجاء إلى مروانَ وسأله عن الخبر ، فحدّثه به ، فقال : مالُكم فى ذمتى ، فأطلق عَمرًا ، وأدّى عبدُ الله المالَ عنه ، وقال : والله إنى لأؤديه عنه وإنى لأعلم أنه غير شاكر ، ثم تمثّل قولَ أمية بن الأسكر الليثىّ :

(١-١) تكملة من ف .

(٢) الشوائل : جمع شائلة ، وهى التى أتى على حملها سبعة أشهر . والحمض : نبت ترعاه الإبل . وفى ب ، س « السوالك والحمضا » .

فلولا تأسّينا وحدّ رماحنا لقد جرّ قوم لحمنا تَرِبا قَضّا

وقال ابنُ الكلبيّ : حدثنا بعضُ بنى الحارثِ بنِ كعبٍ قال :

سيدان يخطبان بنتاله ويتفاخران فى الظفر بها

اجتمع يزيدُ بنُ عبدِ المَدان وعامرُ بنُ الطُّفَيل بمَوسِمِ عُكاظَ ، فقَدِم أميةُ بنُ الأسكر ، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها ، فخطبها يزيدُ وعامرٌ ، فقالت أمُّ كلابٍ امرأةُ أمية : مَن هذان الرجلان ؟ قال : هذا ابنُ الديّان ، وهذا عامر بنُ الطفَيل . قالت : أعرف ابنَ الديّان ، ولا أعرف عامرا . قال : هل سمِعْتِ بمُلاعب[1] الأسنة ؟ قالت : نعم والله . قال : فهذا ابنُ أخيه .

وأقبل يزيدُ فقال : يا أميّةُ أنا ابنُ الديان ، صاحبُ الكثيبِ ، ورئيسُ مَذْحِج ، ومكلّمُ العُقاب ، ومن كان يَصُوب أصابعه فتنطِف دما ، ويدلُك راحتَيْه فتخرجان[2] ذهبا . قال أمية : بَخٍ بَخٍ .

فقال عامر : جدّى الأحزمُ ، وعمّى أبو الأصبع ، وعمّى ملاعبُ الأسنة ، وجدّى الرحّال ، وأبى فارس قُرْزُل . قال أمية : بَخٍ بَخٍ ، مَرْعًى ولا كالسَّعْدان ،[3] فأرسلها مثلا .

فقال يزيد : ياعامرُ ، هل تعلم شاعرا من قومى رحَل بمدحِه إلى رجل من قومك ؟ قال : لا ، قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحِهم إلى قومى ؟ قال : نعم . قال : فهل لك نَجْمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيف يمانٍ أو رُكْنٌ يمانٍ ؟ فقال : لا ، قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم ، فنهض يزيد وقام ، ثم قال :

(١) فى ب ، س : « ملاعب » .

(٢) فى ب ، س : « فتخرج » ، تحريف .

(٣) السعدان : نبت من أفضل مراعى الإبل . مثل يضرب للشىء يفضل على أقرانه . وفى مجمع الأمثال الميدانى : أنه للخنساء .

أُمَىَّ يابنَ الأسكر بنِ مُدلِج لاتجعلَنْ(١) هوازنا كَمــذحِجِ
إنك إن تلهج بأمر تلجَجِ(٢) ما النَّبع فى مغرِسه كالعوْسج
* ولا الصَّريحُ المحضُ كالمزَّج *

وقال مُرّةُ بنُ دُودان العُقَيلي ، وكان عدوًّا لعامر بن الطفيل :

ياليت شعرى عنك يايزيدُ ماذا الذى من عامر تريدُ ؟
لـكلّ قوم فخرُهم عتيــدُ أمُطلقون نحن أم عبيــدُ ؟ ١٦١ / ١٨
* لا بل عَبيدٌ زادُنا الهَبيد(٣) *

فزوّج أُمية يزيد(٤) فقال يزيد فى ذلك :

يالَلرجال لطارق الأحزانِ ولِعامر بن طفيــلِ الوسنانِ
كانت إتاوةُ قومه لمحرِّق(٥) زمنا وصارت بعدُ للنعمان
عدَّ(٦) الفوارسَ من هوازن كلها كَثَفا(٧) علىَّ وجئتُ بالديان
فإذا لىَ الفضلُ المبين بوالدٍ ضخمِ الدَّسيعة(٨) أزأَنِىٍّ(٩) ويمان
يا عامِ إنك فارسٌ متهوّرٌ غضٌّ الشباب أخونَدًى وقيان

(١) فى ب ، س : « لا تخلن » ، تحريف .
(٢) فى ف : « تلهج » .
(٣) الهبيد : الحنظل .
(٤) فى ف : « يزيد بن عبد المدان ابنته » .
(٥) ممن يلقبون بالمحرق : عمرو بن هند ، والحارث بن عمرو .
(٦) فى ب ، س : « غدت » .
(٧) الكثف : الكثرة والالتفاف .
(٨) الدسيعة : الجفنة والمائدة الكريمة .
(٩) أزأنى : لغة فى يزنى ، نسبة إلى يزن ، بطن من حمير ، وواديهم ، سماه أحد ملوكهم ، فسمى بذى يزن . وفى ف : « زانى ويمانى » .

واعلم بأنك يا بن فارس قرزُل   دون الذى تسمو له وتُدانى
ليستْ فوارسُ عامر بمُقِرَّةٍ   لك بالفضيلة فى بنى عَيْلان
فإذا لقيتَ بنى الخميس ومالكا   وبنى الضِّباب وحىَّ آل قنان
فاسأل مَنِ المرء المُنوَّه باسمه   والدافعُ الأعداء عن نَجران ؟
يُعطَى المَقادةَ فى فوارس قومه   كرما لعمرك والكريم يمان[1]

فقال عامر بن الطفيل مجيبا له :

يا للرجال لطارق الأحزان   ولِما يجىء به بنو الدَّيانِ
فخروا علىَّ بحَبْوة لمحَرِّق   وإتاوة سلفت من النعمان
ماأنت وابنَ محرقٍ وقبيلَه   وإتاوةَ اللخمىِّ فى عَيْلان ؟
فاقصِد بذَرْعك قَصْد أمرك[2] قصده   ودعِ القبائل من بنى قحطان
إذ كان سالفُنا الإتاوة فيهم   أولى فمفخرك فخر كل يمان
[3]وافخر برَهط بنى الحماس[4] ومالك   وابن الضِّباب وزعبل وقيان
وأنا المنخل وابنُ فارس قُرْزُلٍ   وأبو نزار زانني ونمانى[3]
وإذا تعاظمت الأمور موازنا   كنتُ المنوَّهَ باسمه والثانى

فلما رجع القوم إلى بنى عامر وثبوا على مُرّةَ بنِ دُودانَ ، وقالوا : أنت شاعر بنى عامر ولم تَهْجُ بنَى الديان ، فقال :

(١) فى ب ، س : « معان » .
(٢) فى ف : « قصد قومك قصره » .
(٣–٣) زيادة من ف .
(٤) ذكروا فى شعريزيد باسم « بنى الخميس » .

تكلفنى هوازنُ فخرَ قومٍ ... يقــــولون الأنامُ لنا عبيدُ
أبوهم مَذْحِــج وأبو أبيهم ... إذا ماعُدّت الآباءُ — هودُ
وهل لى إن فخَرتُ بغير نخرٍ ... مقالٌ والأنام له شهود؟
فإنّا لم نزل لهمُ قطينا[(١)] ... تجىء إليهمُ منا الوفود
فإنّا[(٢)] نضرب الأحلام صفحا ... عن العلياء أو[(٣)]من ذا يكيد؟
فقولوا يابنى عَيــــلان كنا ... لكم قِنًّا وما عنكم محيد[(٤)]

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبىّ ، والتوليد فيه بيّن ، وشعره شعر ركيك غثّ ، لا يشبه أشعار القــــوم . وإنما ذكرتُه لئلا يخلوَ الكتاب من شىء قد رُوى .

شعره حين أصيب رهط من قومه يوم المريسيع

وقال محمدُ بنُ حبيبَ فيما رَوى عنه أبو سعيدٍ السكّرىّ ، ونسخته من كتابه ، قال أبو عمرو الشيبانىُّ :

أُصيب قوم من بنى جُندُع بنِ ليثِ بنِ بكرِ بنِ هوازنَ رهطِ أمية بنِ الأسكرِ يقال لهم : بنو زَبِينةَ ، أصابَهم أصحاب النبى — صلى الله عليه وآله وسلم — يوم المُرَيْسِيع[(٥)] في غزوته بنى المُصْطَلِق ، وكانوا جيرانَه يومئذ — ومعهم ناسٌ من بنى لِحْيانَ من هُذَيل ، ومع بنى جُندُع رجلٌ من خُزاعةَ يقال له : طارق ، فاتهمه بنو ليث بهم ، وأنه

١٦٢ / ١٨

(١) قطينا : أتباعا .
(٢) فى ب ، س : « وإنى » .
(٣) فى ف : « أم » .
(٤) فى ف : « لهم قنا وماعنها » .
(٥) المريسيع : بئر أو ماء لخزاعة .

دَلَّ عليهم . وكانت خزاعةُ مُسلمُها[١] ومشرِكُها يميلون إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — على قريش . فقال أميةُ بنُ الأسكر لطارقٍ الخُزاعىّ :

لعمركَ إنى والخزاعىَّ طارقا كنعجةِ عادٍ حتفَها تتحفّر
أثارت عليها شَفرةً بِكُراعها فظلّت بها من آخرِ الليل تُجزَر[٢]
شَمِتَّ بقومٍ هم صديقك أهلكوا أصابهمُ يومٌ من الدهرِ أعسر
كأنك لم تُنْبأْ بيوم ذُؤالة ويومِ الرَّجيعِ إذ تنحّر حبتر[٣]
فهلاَّ أباكم فى هذيل وعمَّكم ثأرتُمْ وهمْ أعدى قلوبا وأوتر
ويومَ الأراكِ يومَ أردفَ سبيكم[٤] صميمُ سَراة الدِّيل عبدٌ ويعمرُ
وسَعْدُ بن ليثٍ إذ تُسلُّ نساؤكم وكلب بن عوفٍ نحّروكم وعقّروا[٥]
عجبتُ لشيخٍ من ربيعةَ مُهْتَرٍ[٦] أمِرَّ له يومٌ من الدهر منكَر

(١) فى ف : « مسلموها ومشركوها » .
(٢) فى ف « تنحر » .
(٣) فى ف : « خيبر » .
(٤) فى ب ، س : « سبيكم » .
(٥) فى ب ، س : « عقر » ؛ تحريف .
(٦) المهتر : الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .

شعر طارق الخزاعى يجيبه فيه

فأجابه طارق الخزاعىّ فقال :

لعمركَ ما أدرى وإنى لقائل ... إلى أىّ مَن يَظّنّنى[1] أتعذّر ؟
أُعنِّفُ أنْ كانت زبينة أُهلكت ... ونال بنى لحيانَ شرٌّ ونُفِّروا

ابن عباس ومعاوية يتمثلان بشعره وشعر صاحبه

وهذه الأبيات : الابتداء ، والجواب تمثّل بابتدائها ابن عباس فى رسالة إلى معاويةَ ، وتمثل بجوابها معاوية فى رسالة أجابه بها .

حدّثنى بذلك أحمدُ بنُ عيسى بن أبى موسى العِجلىُّ العطارُ بالكوفة ، قال : حدثنا الحسينُ بنُ نصرِ بن مزاحم المِنقرىّ قال : حدثنا زيد بن المعذَّل النمَرىُّ ، قال : حدثنا يحيى ابنُ شعيبٍ الخراز ، قال : حدثنا أبو مِخْنَف ، قال :

لما بلغ معاويةَ مصابُ أميرِالمؤمنين علىٍّ — عليه السلام — دسّ رجلا من بنى القَيْن إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه ، فدُلّ على القينىّ بالبصرة فى بنى سُلَيم ، فأُخِذ وقتل .

وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية :

أما بعد ، فإنك ودسَّك أخا بنى القين إلى البصرة تلتمس من غَفَلات قريش مثل الذى ظفرتَ به من يمانيتِك لَكَما قال الشاعر :

لعمركَ إنى والخزاعىَّ طارقا ... كنعجة عاد حتفَها تتحفّر
أثارت عليها شَفرةً بكُراعها ... فظلّت بها من آخر الليل تُجزَر
شمِتّ بقوم هم صديقك أُهلكوا ... أصابهمُ يوم من الدهر أمعر[2]

فأجابه معاوية : أما بعد ، فإن الحسنَ قد كتب إلىّ بنحوٍ مما كتبت به وأنّبنى

(١) يظّننى : يتهمنى .

(٢) الأمعر : القليل الخير ، وفى ب، س : «أصعر» .

بما لم أَجْنِ[1] ظنا وسوء رأى ، وإنك لم تَصب مَثلَنا ، ولكنْ مثلُنا ومثلُكم كما قال طارقٌ الخزاعيُّ :

فواللهِ ما أدرى وإنى لصادق إلى أىٍّ من يَظَّنَّنى أتعذر ؟
أُعَنِّفُ أن كانتَ زبينةُ أُهلِكت ونال بنى لِحيــان شرٌّ ونُفِّرُوا

(١) فى ب ، س : « أجز » ، تحريف .

١٦٣
١٨

صــوت

أبُنَىّ إنى قد كبِرتُ ورابنى بَصرى وفىّ لُمصلح مستمتَعُ
فلئن كبِرتُ لقد دنوتُ من(١) البلى
وحَلّت لكم منّى خَلائقُ أربع

عروضه من الكامل ، والشعر لِعَبْدَة بنِ الطبيب ، والغناء لابن مُحرِز ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر فى مجراها عن إسحاق ، وفيه لمعبَد خفيفٌ ثقيل أول بالبِنصر فى مجراها عنه أيضا .

(١) فى ف : « إلى » ورواية المفضليات : (١٤٦) :

فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا تبقى لكم منها مآثر أربع

نسب عبدة بن الطبيب وأخباره

نسبه واسم الطبيب أبيه

هو فيما ذكر ابنُ حبيبَ عن ابنِ الأعرابيِّ، وأبو نصر أحمدُ بنُ حاتمٍ عن الأصمعيِّ وأبي عمرٍو الشيبانيِّ وأبي فرْوة العُكْليِّ : عَبْدَةَ بن الطبيب، والطبيب اسمه يزيدُ ابنُ عمرٍو بنِ وَعْلَةَ بنِ أنسِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ تيمِ بنِ جُشَمَ بنِ عبد شمسٍ. ويقال : عَبْشَمْسُ بنُ سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم.

وقال ابنُ حبيبَ خاصةً : وقد أخبرني أبو عبيدة قال :

تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها : عبدُ تَيمٍ، وتَيْمٌ : صنم كان لهم يعبدونه.

كان شاعرا مجيدا ليس بالمكثر

وعَبْدةُ شاعر مُجيد ليس بالمكثِر، وهو مُخَضْرَم، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بنِ المُقَرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها :

هل حَبلُ خَولَةَ بعد الهَجر موصولُ أم أنت عنها بَعيدُ الدار مشغولُ ؟
حلّت خُوَيْلَة في دارٍ مجاوِرةً أهلَ المدينة[1] فيها الديك والفيلُ
يقارعون رءوس العُجْم ضاحيةً منهم فوارس لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[2]

أخبرني محمدُ بنُ العباسِ اليزيديُّ قال : حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال :

أرثى بيت قالته العرب من شعره

أرثَى بيتٍ قالته العرب قول عَبْدَةَ بنِ الطبيب :

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ولكنه بُنيانُ قوم تهدَّما

---

(١) في المفضليات : « المدائن ».

(٢) ميل : جمع أميل، وهو الجبان والسيء الركوب. أو من لا ترس معه ولا سيف ولا رمح.

موتملم هذه الأبيات : أنشدَناه علىٌّ بنُ سليمانَ الأخفشُ عن السكرى والمبرِّد والأحول[١] لعَبْدَة يرثى قيسا :

عليك سلامُ الله قيسَ بنَ عاصم ورحمتُهُ ما شاء أن يترحَّما
تحيةَ من أوليتَه منك نعمــةً إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سلَّما
وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هلكَ واحد ولكنه بُنيانُ قوم تهدَّما

يترفع عن الهجاء

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال : حدثنا أبو عثمانَ الأُشناندانىّ عن التوَّزىِّ عن أبى عبيدة عن يونُس قال :

قال رجل لخالدِ بنِ صَفوانَ : كان عبْدةُ بنُ الطبيب لا يُحسن أن يهجو ، فقال : لا تقل ذاك ، فوالله ما أَبَى مِن عِىٍّ ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضَعة ، كما يرى تركَه مروءة وشرفا ، قال :

وأجرأ من رأيتُ بظَهْرِ غيبٍ على عيب الرجال أولو[٢] العيوب

١٦٤ / ١٨

أخبرنى محمدُ بنُ القاسمِ الأنبارىُّ قال : حدثنا أحمدُ بنُ يحيى ثعلبٌ ، عن ابن الأعرابىّ : أن عبد الملك بنَ مروانَ قال يوما لجلسائه :

عبد الملك بن مروان يروى أفضل ما ذكره فى شعر له

أىّ المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر ، كأنها غِرْقئ[٣] البيض . وقال آخرون : مناديل اليمن ، كأنها نَوْر الربيع . فقال عبد الملك : مناديل أخى بنى سعد عَبدةَ بن الطبيب ، قال :

لمّا نزلنا نصبنا ظلّ أخبيةٍ[٤] وفارَ للقوم باللحم المراجيلُ

(١) فى ب ، س : « الأقول » ، تحريف .
(٢) فى ف : « أخو » .
(٣) الغرقىء : القشرة الملتزقة ببياض البيض .
(٤) فى المفضليات ١٤١ : « لما وردنا رفعنا ظل أردية » .

وَرْدٌ وأشقرُ[1] ما يؤنيه[2] طابخُهُ ... ما غيَّر الغلْيُ منه فهو مأكول

ثُمَّتَ قمنا إلى جُرْدٍ مُسوَّمةٍ ... أعرافُهنّ لأيدينا مناديل

يعنى بالمراجيل : المراجل، فزاد فيها الياء ضرورة .

---

(١) فى المفضليات : « ورداء » . شبه ما أخذ فيه النضج من اللحم بالورد ، ومالم ينضج بالأشقر .

(٢) يؤنيه ، أى يمهله . وفى المفضليات : « لم ينهئه » أى ينضجه وفى ب ، س « ما ينهئه » ، تحريف .

صـوت

إن الليالى أسرعت فى نقضى أخذن بعضى وتركن بعضى
حنَيْنَ طُولى وطَوَيْنَ عَرْضى أقعدْننى من بعد طول نهض

عروضه من الرّجز ، الشعر للأغلب العجلىّ ، والغناء لعمرو بن بانة ، هزَج بالبنصر .

أخبار الأغلب ونسبه

نسبه

هو — فيما ذكر ابنُ قُتَيبة — الأغلبُ بنُ جُشَمَ بنِ سعدِ بنِ عِجلِ بنِ لُجَيمِ ابنِ صعبِ بنِ علىٍّ بنِ بكرِ بن وائلٍ .

إسلامه واستشهاده

وهو أحد المعمَّرين ، عُمِّرَ فى الجاهلية عمرا طويلا ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وحَسن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعدِ بنِ أبى وقّاص ، فنزلها ، واستُشهد فى وَقعةِ بِنَهاوَنْدَ[1] ، فقبره هناك فى قبور الشهداء .

هو أول من رجز الأراجيز الطوال

ويقال : إنه أوّل من رجّز الأراجيز الطِّوال من العرب ، وإياه عَنَى الحجاج بقوله مفتخرا :

* إنى أنا الأغلب أمسى قد نشد[2] *

قال ابن حبيب : كانت العرب تقول الرجز فى الحرب والحُداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتأتِى منه بأبيات يسيرة ، فكان الأغلب أولَ من قصّد الرجز ، ثم سلك الناسُ بعده طريقته .

كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز

أخبرنا الفضلُ بن الحُباب الجُمحىّ أبو خليفة فى كتابه إلينا ، قال : أخبرنا محمد بن سلاّم ، قال : حدثنا الأصمعىّ . وأخبرنا أحمدُ بنُ محمدٍ أبو الحسن الأسدىُّ ، قال : حدثنا الرياشىّ ، قال حدثنا مَعْمَر بنُ عبد الوارث عن أبى عمرو بن العلاء ، قال :

كانت للأغلب سَرْحة[3] يصعد عليها ، ثم يرتجز :

قد عرَفَتْنى سَرْحتى فأطَّتِ[4] وقد شَمِطتُ بعدها واشمطّتِ

فاعترضه رجل من بنى سعد ، ثم أحدِ بنى الحارث بن عمرِو بنِ كعب بنِ سعد ، فقال له :

---

(١) نهاوند : من بلاد الجبل ، جنوبى همذان .

(٢) فى ف : « نثر » .

(٣) السرحة : كل شجرة لا شوك فيها .

(٤) أطت : صوتت .

قَبُحتَ من سالِفةٍ[١] ومن قفا عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا
* كما شِرار الرِّعْى[٢] أطرافُ السَّفَى *

ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعر فى الجاهلية

أخبرنى أحمدُ بنُ عبدالعزيز الجوهرىُّ[٥] ، قال : حدثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال: حدثنى محمدُ ابن عباد بنِ حبيبٍ المهلّبىُّ ، قال : حدثنى نصرُ بن نابٍ عن داود بن أبى هند عن الشعبىِّ ، قال :

١٦٥/١٨

كتب عمرُ بنُ الخطاب إلى المغيرة بن شُعبةَ وهو على الكوفة : أن استنشد مَن قِبَلَك من شعراء قومك[٣] ما قالوا فى الإسلام ، فأرسل إلى الأغلب العجلىّ فاستنشده فقال :

لقد سألتَ هيِّنا موجودا أرجَزاً تريد أم قصيدا ؟

ثم أرسل إلى لَبِيد فقال له : إن شئتَ مما عفا الله عنه — يعنى الجاهلية — فعلتُ . قال : لا ، أنشدنى ما قلتَ فى الإسلام . فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة فى صحيفة ، وقال : أبدلَنى الله عز وجل بهذه فى الإسلام مكانَ الشعر .

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر ، فنقَص عمرُ من عطاء الأغلب خمسمائة ، وجعلها فى عطاء لبيد ؛ فكتب إلى عمرَ : يا أمير المؤمنين ، أتنقص عطائى أن أطعتك[٤] ! فرد عليه خمسمائة وأقرّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة .

أخبرنى محمدُ بن عبدالعزيز ، قال : حدثنا عمرُ بن شبة ، قال: حدثنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا علىُّ بنُ القاسم ، عن الشّعبىّ قال :

---

(١) أصل السالفة : مقدم عنق الفرس . والمراد ذمه بقبح وجهه وقفاه .
(٢) الرعى : ما يرعى .
(٣) فى ف : « مصرك » .
(٤) ف : « إنما أطعتك » .
(٥) ف : « أحمد بن عبد العزيز »

دخل الأغلبُ على عمرَ ، فلما رآه قال : هِيهِ ، أنت القائل :

أرجزًا تريد أم قصيدًا ؟ لقد سألتَ هيّنا موجودًا

فقال : يا أمير المؤمنين إنما أطعتك ، فكتب عمر إلى المغيرة : أن اردد عليه الخمسَ المائةِ [1] ، وأقِرَّ الخمسَ المائة للبيد .

شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة

أخبرنا أبو خليفةَ عن محمد بن سلاّم قال : قال الأغلب العجليّ في سجاح لما تزوجت مُسيلمةَ الكذّاب :

لقد لَقيتْ سجاح من بعد العمى مُلَوَّحا [2] في العين مجلود القَرا [3]
مثل العَتيق [4] في شبابٍ قد أتى من اللُّجَيْميّين أصحابِ القرَى
ليس بذى واهنة [5] ولا نَسا [6] نشا بلحم وبخُبز ما اشترى [7]
حتى شتا [8] يَنتح [9] ذِفراه [10] الندى خاظى [11] البَضيع [12] لحمُهُ خظا بظا [13]

(١) في ب ، س : « الخمسمائة » .
(٢) ملوحا : وصف من لوحه السفر ونحوه ، أى غيره وأضمره ، أو من لوحت الشيء بالنار بمعنى أحميته .
(٣) القرا : الظهر .
(٤) العتيق : الجواد الرائع ، والفحل من النخل . وقد تكون محرفة عن الفنيق ، وهو الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .
(٥) الواهنة : ريح تأخذ في المنكبين ، أو في العضد ، أو في الأخدعين عند الكبر .
(٦) النسا : عرق من الورك إلى الكعبين ، كأنه يريد أن نساه صحيح .
(٧) في ف ، مد : « ما اشتهى » .
(٨) في ف : « نشا » .
(٩) ينتح : يخرج .
(١٠) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
(١١) خاظى : مكتنز .
(١٢) البضيع : ما انماز من لحم الفخذ ، جمع بضيعة .
(١٣) خظا : اكتنز وركب بعضه بعضا ، وبظا : توكيد لما قبله .

كأنما جمعٌ من لحم الخُصى إذا تمطَّى بين بُرديه صأى[١]
كأنَّ عِرق أيره إذا ودى[٢] حَبلُ عجوز ضَفَّرت سبعَ قُوى
يمشى على قوائمٍ خمس زَكا[٣] يرفع وُسطاهنّ من بَرد النَّدى
قالت : متى كنت أبا الخير متى ؟ قال حديثا لم يغـيِّرنى البِلى
ولم أفارق خُـلَّةً لى عن قِلَى فانتُسفَتْ[٤] فَيشتُه ذاتُ الشَّوى[٥]
كأن فى أجلادها[٦] سبعَ كُلَى[٧] ما زال عنها بالحـديث والمُنى
والخلُقِ السَّفساف يُردِى فى الردى قال : ألا ترَينَـه قالت : أرى
قال : ألا أدخله ؟ قالت : بلى فشام فيها مثلَ محراث[٨] الغضى[٩]
يقول لما غاب فيها واستوى لِمثلها كنتُ أُحسِّيك الحَسا

من أخبار سجاح

وكان من خبر سجاح وادعائها النبوة وتزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوى يحيى ، عن أبيه عن شعيب عن سيف :

أنّ سجاح التميميّة ادعت النبوّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمعتْ

---

(١) صأى : صوت .
(٢) ودى : المراد نعظ ، أى قام .
(٣) أصل الزكا : الشفع من العدد . وقيل فى الشفع والوتر : الأعداد كلها شفع ووتر . فيكون خمس زكا ، خمس عددا .
(٤) انتسف اللون بالبناء للمجهول : التمع ، وانتسف الطائر الشىء : نقره . وفى المختار : «فانتفشت»
(٥) الشوى : فى الأصل : قحف الرأس .
(٦) أجلادها : أصل الأجلاد من الإنسان جسمه أو جملة شخصه .
(٧) من معانى الكلية : معقد حمالة القوس .
(٨) المحراث : ما تحرك به النار .
(٩) فى ب ، س «الفضا» ، وفى ف : «القضا» . وكل تحريف .

عليها بنو تميم ، فكان فيما ادّعت أنه أُنزل عليها : يأيها المؤمنون المتقون ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكنّ قريشا قوم يبغون . ١٦٦ / ١٨

واجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها . وكان فيهم الأحنف بن قيس ، وحارثة ابن بدر ، ووجوه تميم كلها .

وكان مؤذّنها شبيبُ بن ربعيّ الرياحيّ ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة ، وقالت : يامعشرَ تميم ، اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كل هامة ، وأضرموا فيها نارا مِلْهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة[1] .

وقالت لبني تميم : إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة ، وإنما جعله في مضر ، فاقصدوا هذا الجمع ، فإذا فضضتموه كررتم على قريش . فسارت في قومها وهم الدّهم[2] الدّاهم . وبلغ مسيلمةَ خبرُها ، فضاق بها ذرعا ، وتحصّن في حجر حصن اليمامة . وجاءت في جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ماترون ؟ قالوا : نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم نفعل فهو البوار .

وكان مسيلمة ذا دهاء ، فقال : سأنظر في هذا الأمر . ثم بعث إليها : إن الله — تبارك وتعالى — أنزل عليكِ وحيا ، وأنزل عليّ . فهلُمّي نجتمع ، فنتدارس ما أنزل الله علينا ، فمَن عرف الحق تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومي وقومك .

فبعثَت إليه : أفعل ، فأمَر بقُبّة أدَم فضُربَت ، وأمر بالعُود المَندَلّي[3] فسُجر فيها ، وقال : أكثِروا من الطيب والمِجْمر[4] ، فإنّ المرأة إذا شمت رائحةَ الطيب ذكرت الباه ، ففعلوا ذلك .

---

(١) عبارة الطبري (٢ : ٢٣٩) : .... ودقوا دفيف الحمامة .

(٢) الدهم : العدد الكثير .

(٣) العود المندلى : هو المطرى بالمسك والعنبر والبان . منسوب إلى مندل : قرية بالهند .

(٤) المجمر : ما يوضع فيه الجمر .

وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبَّة المضروبة للاجتماع ، فأتته فقالت : هات ما أُنزِل عليك . فقال : ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج منها نُطفة تسعى ، بين صِفاق[1] وحَشا ، من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المنتهى . قالت : وماذا ؟ قال : ألم تر أن الله خلقنا أفواجا ، وجعل النساء لنا أزواجا ، فنولج فيهن الغراميل إيلاجا ، ونخرجها منهن إذا شئن إخراجا . قالت : فبأى شىء أمرك ؟ قال :

ألا قومى إلى النَّيكِ فقد هُيِّئ لك المضجعْ
فإن شئتى[2] فى البيت وإن شئتى فى المُخدعْ
وإن شئتى سلقناكِ[3] وإن شئتى على أربعْ
وإن شئتى بثلثيه وإن شئتى به أجمعْ

قال : فقالت: لا ، إلّا به أجمع . قال : فقال : كذا أوحَى الله إلىّ ، فواقعها . فلما قام عنها قالت : إن مثلى لا يجرى أمرُها هكذا ، فيكون وصمة على قومى وعلىّ ، ولكنى مُسلِّمةُ النبوّة إليك ، فاخطبنى إلى أوليائى يزوّجوك ، ثم أقود تميما معك .

فخرج وخرجَتْ معه ، فاجتمع الحيّان من حنيفة وتميم ، فقالت لهم سجاح : إنه قرأ علىّ ما أنزل عليه ، فوجدته حقّا ، فاتبعتُه ، ثم خطبها ، فزوّجوه إياها ، وسألوه عن المهر ، فقال : قد وضعتُ عنكم صلاة العصر ، فبنو تميم إلى الآن بالرّمل لا يصلّونها ، ويقولون : هذا حق لنا ، ومهر كريمة منا لا نردّه . قال : وقال شاعر من بنى تميم يذكر أمر سَجَاح فى كلمة له :

أضحَتْ نَبِيّتنا أنثى نُطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذُكرانا

قال : وسَمع الزبرقانَ بنَ بدرٍ الأحنفُ يومئذ وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم ، فقال

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر .
(٢) وصل تاء الفاعل المكسورة بالياء لهجة لربيعة .
(٣) سلقها : بسطها فجامعها .

الأحنف : والله ما رأيت أحمق من هذا النبي قطّ . فقال الزبرقان : والله لأخبرن بذلك مسيلمةَ . قال: إذاً والله أحلف أنك كذبت فيصدّقني ويكذبك . قال : فأمسك الزبرقان ، وعلم أنه قد صدق . ١٦٧/١٨

قال : وحُدِّث الحسنُ البصريّ بهذا الحديث ، فقال : أَمِن والله أبو بحر من نزول الوحي . قال : فأسلمَت سجاحِ بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة ، وحسُن إسلامها .

صــوت

كم ليلةٍ فيكِ بِتُّ أسهرها ولوعةٍ من هواكِ أُضمِرُها
وحُرقةٍ والدموعُ تُطفئها ثم يعود الجوى فيُسعِرها
بيضاء رُود[1] الشباب قد غُمِسَت فى خَجل دائب يعصفرها
الله جارٌ لها فما امتلأَت عيناى إلا من حيثُ أُبصرُها

الشعر للبحترىّ ، والغناء لعَريب ، رمَل مطلق من مجموع أغانيها ، وهو لحن مشهور فى أيدى الناس ، والله أعلم .

(١) الرود : مخفف الرؤد ، وهى الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء .

أخبار البحترى ونسبه

نسبه وكنيته

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدِ الله (١) بنِ يحيى بنِ عبيد بن شِمْلال بن جابر ابن سَلَمةَ بن مُسْهِر بن الحارث بن خيثم (٢) بن أبى حارثةَ بن جَدِى بن تدول بن بُحتُر ابن عَتود بن عَنَمَةَ (٣) بن سَلَامان بن ثُعَلَ بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمَةَ وهو طيّئٌ ابنُ أُدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

شاعريته وندرة هجائه

ويكنى أبا عُبادة ، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب ، نَقِيّ الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرّف حسن فاضل نقيّ فى ضروب الشعر ، سِوى الهجاء ، فإن بضاعته فيه نَزْرة ، وجيّدُه منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن أنه لمّا حضره الموتُ دعابه ، وقال له : اجمع كلّ شىء قلتُه فى الهجاء . ففعل ، فأمره بإحراقه ، ثم قال له : يا بنى ، هذا شىء قلتُه فى وقت ، فشفيتُ به غيظى ، وكافأت به قبيحا فُعِل بى ، وقد انقضى أَرَبى فى ذلك ، وإن بقى رُوِى ، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودة ، وأخشى أن يَعودَ عليك من هذا شىء (٤) فى نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولى فيه ، قال : فعلمت أنه قد نصحَنى وأشفق علىّ ، فأحرقته .

أخبرنى بذلك علىّ بن سليمان الأخفش عن أبى الغَوْث .

وهذا — كما قال أبو الغوث — لا فائدة لك ولا لى فيه ، لأن الذى وجدْناه وبقى فى أيْدى الناس من هجائه أَكْثَرُهُ ساقط ، مثل قوله فى ابن شير زاد :

(١) م ، ف : « عبيد » .
(٢) ف : « جشم » .
(٣) ف : « عمير »
(٤) ف : « شر » .

نفقتَ نُفُوق الحمار الذَّكَرْ وبان ضُراطُك عنا فرّْ

ومثل قوله فى علىّ بن الجهم[1] :

ولو أعطاك ربُّك ما تمنَّى[2] لزادك منه فى غِلَظ الأُيورِ
عَلامَ طَفِقْتَ تهجونى مليًّا بما لفقّت من كذبٍ وزُورِ

وأشباه لهذه الأبيات ، ومثلها[3] لا يُشا كل طبعَه ، ولا تليق بمذهبه ، وتنبو بركاكتها وغَثاثة ألفاظها عن قِلّة حَظّه فى الهجاء ، وما يُعرف له هجاء جيّدٌ إلا قصيدتان ١٦٨ / ١٨ إحداهما قولُه فى ابن أبى قماش :

مرّت على عَزْمِها ولم تقفِ مُبدِيةً للشُّنان والشَّنَفِ

يقول فيها لابن أبى قماش :

قد كان فى الواجب المُحقَّق أن تعرف ما فى ضميرها النّطفِ
بما تَعاطيتَ فى العيوب وما أُوتيت من حكمة ومن لَطَفِ
أمَا رأيت المرّيخَ قد مازج الزّ هرة فى الجدّ منه والشّرَفِ
وأخبرتك النّحوسُ أنكما فى حالتى ثابت ومُنْصَرَفِ
من أين أُهملت ذا وأنت على التَّقْويم والزِّيج جِدّ مُنْعكفِ[4]
أما زجرتَ الطّير العلا أو تَعَيَّفْتَ المها[5] أو نظرت فى الكَتِفِ
رذُلت فى هذه الصناعةِ أو أكديتَ أو رمتَها على الخَرَفِ
لم تَخْطُ باب الدّهليز منصرِفاً إلا وخَلخالُها مع الشَّنَفِ[6]

(١) ف : « مروان بن أبى الجنوب » بدل « على بن الجهم » والمثبت فى الديوان هو ماذكرناه .
(٢) تمنى هنا ليس فعلا ماضيا ، ولكنه مضارع محذوف أحد التائين .
(٣) ف ، م : « من جنسها » .
(٤) البيت ساقط من ب ، س
(٥) لعلها : « تعيفت لها » بدل « تعيفت المها » .
(٦) الشّنف : ما عُلّق بالأذن ، وفى ف : « الكتف » .

وهى طويلة ، ولم يكن مذهبى ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه فى هذا الجنس، وقصيدته فى يعقوب بن الفرج النّصرانىّ ، فإنها — وإن لم تكن فى أسلوب هذه وطريقتها — تجرى مجرى التّهكّم باللفظ الطيّب الخبيث المعانى ، وهى :

تظنّ شُجُونِىَ لم تَعْتَلِجْ وقد خلج البَيْنُ من قد خَلَجْ

وكان البحترىّ يتشبّه بأبى تمّام فى شعره ، ويَحْذو مَذْهَبه ، ويَنْحو نَحْوَهُ فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحبا وإماما ، ويُقدّمه على نفسه ، ويقول فى الفرق بينه وبينه قولَ مُنصِف : إنّ جَيّدَ أبى تمّام خيرٌ من جَيِّدِه ، ووسَطَه ورَدِيئَه خيرٌ من وسط أبى تمّام ورديئه[1] ، وكذا حكم هو على نفسه .

هو وأبو تمام

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى : قال: حدثنى الحسين بن على الباقُطانىّ : قال : قلت للبحترىّ : أَيُّما أشعر أنتَ أو أبو تمام ؟ فقال : جيّده خير من جيّدى، ورَديِئى خَيْر من رديئه .

حدثنى محمد بن يحيى قال : حدثنى أبو الغوث يحيى بن البحترى : قال :

كان أبى يُكنّى أبا الحسن ، وأبا عبادة ، فأشير علىّ[2] فى أيام المتوكل بأن أقتصر[2] على أبى عبادة ، فإنها أشهر ، فاقتصرت[2] عليها .

حدثنى محمد قال :

سمعتُ عبدَ الله بن الحسين بن سعد يقول للبحترىّ — وقد اجتمعنا فى دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرّد فى سنة ست وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحترىّ شعرا لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله — : أنت واللهِ أشعرُ من أبى تمّام فى هذا الشعر ،

---

(١) كذا فى ف : وفى باقى النسخ : « ووسطه خير من وسط أبى تمام ورديئه » وهذا أسلم للعبارة .

(٢) ف . م : « فأشير عليه ... بأن يقتصر ... فاقتصر » .

قال : كلاّ والله ، إن أبا تمام للرَّئيسُ والأستاذُ ، واللهِ ما أكلتُ الخبزَ إلاّ به ، فقال له المُبرّد : لله دَرُّكَ يا أبا الحسن ، فإنك تأبى إلا شَرَفًا من جميع جَوَانبك .

حدثنى محمد : قال : حدثنى الحسين بن إسحاق : قال :

قلت للبحترىّ : إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام ، فقال : والله ما ينفعنى هذا القول ، ولا يضرّ أبا تمّام ، والله ما أكلت الخبزَ إلا به ، ولَوَدِدْتُ أنّ الأمر كان كما قالوا ، ولكنى والله تلعٌ له آخذٌ منه لائذٌ به ، نَسِيمِى يركدُ عند هوائه ، وأرْضِى تَنْخَفِض عند سمائه .

١٦٩/١٨ حدثنى محمدُ بن يحيى : قال : حدثنى سَوَّار بن أبى شراعة ، عن البحترى : قال : وحدثنى أبو عبد الله الألوسىّ ، عن على بن يوسف[1] ، عن البحترى : قال :

كان أوّلَ أمرى فى الشعر ونباهتى أنى صِرتُ إلى أبى تَمّام ، وهو بِحِمْص ، فعرضتُ عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل علىّ ، وترك سائرَ مَنْ حضر ، فلما تفرّقوا قال لى : أنتَ أشعرُ مَنْ أنشَدَنى ، فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خَلَّةً[2] فكتب إلى أهل مَعَرّة النعمان ، وشهد لى بالحِذق بالشعر ، وشفع لى إليهم وقال : امتدحْهم ، فصرتُ إليهم ، فأكرمونى بكتابه ، ووظّفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكانت أولَ مالٍ أصبتُه . وقال علىّ بن يوسف فى خبره : فكانت نسخة كتابه : « يصل كتابى هذا على يد الوليد أبى عُبادَةَ الطائىّ ، وهو — على بذاذته[3] — شاعر ، فأكرموه » .

حدثنى جَحظةُ : قال : سمعتُ البحُترىّ يقول : كنت أتعشّقُ غلاما من أهل

(١) ف ، م : « على بن سيف » .
(٢) الخلة : الحاجة .
(٣) بذ بذاذة وبذوذة : ساءت حاله ورثت هيئته .

مَنْبِج يقال له شُقْران ، واتّفق لى سفرٌ ، فخرجت فيه ، فأطلت الغَيْبة ، ثم عُدتُ ، وقد التحى ، فقلت فيه ، وكان أولَ شعر قلتُه : يعشق غلاما فيلتحى

نَبَتَتْ لِحْيــةُ شُقْرا نَ شَقِيقِ النَّفْسِ بَعْدِى

حُلِقت[1] ، كيف أتته قبل أن يُنجِزَ وعدِى !

وقد روى فى غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شنذان .

حدثنى علىّ بن سليمان : قال : حدثنى أبو الغوث بن البحترىّ عن أبيه ، وحدثنى عمى : قال : حدثنى على بن العباس النُّوبَخْتِىّ عن البحترىّ ، وقد جمعت الحكايتين ، وهما قريبتان : قال : بدء التعارف بينه وبين أبى تمام

أولُ ما رأيتُ أبا تمّام أنى دخلتُ على أبى سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقصيدتى :

أأفاق صبٌّ من هَوًى فأُفيقَا أو خان عهدًا أو أطاع شفيقا ؟

فسُرَّ بها أبو سَعيد ، وقال : أحسنتَ والله يا فتى وأجدتَ ، قال : وكان فى مجلسه رجل نبيلٌ رفيع المجلس منه ، فوق كل مَنْ حضر عنده ، تكاد تمسُّ ركبتُه ركبتَه ، فأقبل علىَّ ثم قال : يا فتى ، أما تستحى منّى ! هذا شِعْر لى تنتحله ، وتُنْشِدُه بحضرتى ! فقال له أبو سعيد : أحقًّا تقول ! قال : نعم ، وإنما عَلِقه منى ، فسبقنى به إليك ، وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة ، حتى شَكّكنى — علم الله — فى نفسى ، وبقيت مُتَحيِّرا ، فأقبل علىّ أبو سعيد ، فقال : يا فتى ، قد كان فى قرابتك منّا ووُدّك لنا ما يُغنيك عن هذا ، فجعلتُ أحلف له بكل مُحْرِجَة من الأيْمانِ أنّ الشِّعْر لى ما سبَقنى إليه أحدٌ ، ولا سَمعتُ منه ، ولا انتحلتُه ، فلم ينفعْ ذلك شيْئا ، وأطرَقَ أبو سعيد ، وقُطِع بى ، حتى تمَنَّيت أنى سُخْتُ فى الأرض ، فقمت منكسرَ البال أجرُّ رِجلىَّ ، فخرجت ، فما هو إلا أن بلغتُ بابَ الدّار حتى خرج الغِلمان فردّونى ، فأقبل علىّ الرّجل ، فقال : الشعرُ لك يا بنى ، والله

(١) حلقت بالبناء للمجهول : جملة دعائية ، وفى بعض النسخ : خلقت ، وهو تصحيف .

ما قلتهُ قطّ، ولا سمعتهُ إلا منك ، ولكننى ظننتُ أنكَ تهاونتَ بموضعى ، فأقدمتَ على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا ، تُريد بذلك مُضاهاتى ومُكاثرتى ، حتى عرّفنى الأميرُ نسبَك وموضعَك ، ولَوَدِدْتُ ألاّ تلد أبدا طائيّةٌ إلا مثلَك ، وجعل أبو سعيد يضحَك ، ودعانى أبو تمام ، وضمّنى إليه ، وعانقَنى ، وأقبل يقرّظنى ، ولزِمْته بعد ذلك ، وأخذتُ عنه ، واقتديتُ به ، هذه رواية من ذكرت .

إشادته بأبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى

وقد حدثنى علىّ بن سليمان الأخفش أيضا : قال : حدثنى عبدُ الله بنُ الحُسَيْن ابن سَعْدٍ القُطْرُبُلّىّ :

١٧٠
١٨

أن البحترىّ حدثه أنّه دخل على أبى سعيد محمد بن يوسف الثّغرىّ ، وقد مدحه بقصيدة ، وقَصَده بها ، فألفى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه ، فاستأذنه البحترىّ فى الإنشاد وهو يومئذ حَديثُ السّنّ ، فقال له : يا غلام أتُنشِدُنى بحضرة أبى تمّام؟ فقال: تأذن ويستمع[1]، فقام ، فأنشده إياها ، وأبو تمام يسمع ويهتزّ من قرْنه إلى قدَمِه استحسانًا لها ، فلما فرغ منها قال : أحسنتَ والله يا غلام ، فممّن أنت؟ قال : من طيّء ، فطَرِب أبو تمّام وقال : من طيّء ، الحمد لله على ذلك ، لوَدِدْتُ أن كل طائية تَلِدُ مِثلَك ، وقبّل بين عَينَيه ، وضمّه إليه وقال لمحمد بن يوسف : قد جعلتُ له جائزتى ، فأمر محمد بها ، فضُمّت إلى مثلها ، ودُفِعت[2] إلى البحترىّ ، وأعطى أبا تمّام مثلها ، وخُصّ به ، وكان مدّاحا له طول أيامه ولابنه بعده ، ورثاهما بعد مقتليهما ، فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروى أنه قيل له فى ذلك فقال : من تمام الوفاء أن تفضُلَ المراثى المدائحَ[3] لا كما قال الآخر — وقد سئل عن ضعف مراثيه قال — : كنا نَعمَلُ للرّجاء ، نحن نَعمَلُ اليوم للوَفاء . وبيْنَهما بُعْد .

حدثنى حكم بن يحيى الكنتحى قال :

(١) ف . م : « تأذن وتستمع » .
(٢) ف : « ودفعتا » .
(٣) زيادة « لا » عن م ، ف ، وهى زيادة ضرورية ، لأن مذهب الشاعرين على طرفى نقيض .

كان بخيلا زرى الهيئة

كان البحترىّ من أوسخ خلق الله ثوبًا وآلة وأبخلهم على كل شىء[١]، وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعا ، فإذا بلغ منهما الجوعُ أتياه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مُضَيِّقًا مُقتِّرا ، ويقول : كُلاَ ، أجاعَ اللهُ أكبادَكما ، [٢]وأعرى أجْلادَكما[٢] وأطال إجهادكما .

قال حكم بن يحيى : وأنشدته يوما من شعر أبى سهل بن نوبخت ، فجعل يُحرِّكُ رأسه ، فقلت له : ما تقول فيه ؟ قال : هو يشبه مضغ الماء ، ليس له طعم ولا معنى .

وحدثنى أبو مسلم محمدُ بنُ بحر الأصبهانِىّ الكاتب ، قال :

دخلت على البحترىّ يوما فاحتبَسنِى عنده ، ودعا بطعام له ، ودعانى إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخٌ شامِىٌّ لا أعرفه ، فدعاه إلى الطّعام ، فتقدّم ، وأكل معه أكلا عنيفا ، فغاظه ذلك ، والتفت إلىّ ، فقال لى : أتعرف هذا الشيخَ ؟ فقلت : لا ، قال : هذا شيخ من بنى الهُجَيْم الذين يقول فيهم الشاعر :

وَبنو[٣] الهُجَيْم قبيلةٌ مَلْعونةٌ ... حُصُّ اللِّحى[٤] مُتشابهو الألْوانِ

لو يسمعون بأكلة أو شَرْبة ... بعُمانَ أصبح جَمعُهم بعُمانِ[٥]

قال : فجعل الشيخ يشتمه ، ونحن نضحك .

ماء من يد حسناء

وحدثنى جحظة : قال : حدثنى علىّ[٦] بنُ يحيى المُنَجِّمُ : قال :

اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء ، وهى أحسنُ من القمر ، فقال لها : ما اسمك ؟

---

(١) م : « وأبخلهم على الطعام » .

(٢-٢) التكملة من : ف ، م .

(٣) ب ، س : « وبنى المجيم » .

(٤) حص اللحى : قليلو شعر اللحية .

(٥) عمان الأولى ممنوعة من الصرف . وعمان الثانية مصروفة ، وليس فى هذا ضرورة شعرية ، لأنه يجوز فيها الأمران ، كقريش وتميم ونحوهما ، على معنى حى أو قبيلة .

(٦) كذا فى النسخ ، وفى نسخة بيروت : « يحيى بن على المنجم » .

قالت : بُرهان ، قال : ولمن هذا الماء؟ قالت : لستّى قُبَيْحة ، قال : صُبِّيه فى حَلْقِى ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحترىّ : قل فى هذا شيئا ، فقال البحترىّ :

ماشَرْبَةٌ[1] من رَحيق كأسُها ذَهَبٌ ... جاءت بها الحُورُ من جَنَّات رِضْوان
يوما بأطيبَ من ماء بلا عَطَش ... شربتُه عبثاً من كف بُرْهان

أخبرنى علىُّ بن سليمانَ الأخفش ، وأحمدُ بن جعفر جحظة : قالا : حدثنا أبو الغوث ابن البحترى : قال :

كتبتُ إلى أبى يوما أطلب منه نَبِيذاً ، فبعث إلىّ بنصف قِنِّينة دُرْدِىّ[2] ، وكتب إلىّ : دونَكها يابنىّ ، فإنها تَكْشِفُ القحْط ، وتضبِطُ الرَّهْط . قال الأخفش ، وتُقيتُ الرَّهْط .

قصته مع أحمد بن على الإسكافى

١٧١ / ١٨

حدثنى أبو الفَضْل عباسُ بن أحمد بن ثَوابَةَ قال :

قدم البحترىُّ النِّيلَ[3] على أحمدَ بنِ عَلىّ الإسكافِىّ مادحا له ، فلم يُثِبْه ثَواباً يرضاه بعد أن طالت مُدّتُه عنده ، فهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

ما كسبنا من أحمدَ بنِ عَلِىٍّ ... ومن النِّيلِ غيرَ حُمَّى النِّيلِ

وهجاه بقصيدة أخرى أولها :

* قِصَّةُ النِّيلِ فاسمعوها عُجابَه *

فجمع إلى هجائه إيّاه هجاءَ أبى ثَوابةَ ، وبلغ ذلك أبى ، فبعث إليه بألف درهم وثيابٍ ودابّةٍ بسَرْجها ولجامها ، فردّه إليه ، وقال : قد أسلفتكم إساءةً لا يجوز معها قبولُ رِفْدِكم[4] ، فكتب إليه أبى : أمّا الإساءة فمغفُورة وأما المعذرة فمشكورة ، والحسناتُ

---

(١) ف : «قهوة» .
(٢) الدردى : ما رسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شىء مائع كالأشربة والأدهان .
(٣) النيل : بليدة فى سواد الكوفة ، ونهر من أنهار الرقة ، عن معجم ياقوت .
(٤) ف : «صلتكم» .

يُذهِبْن السيئات، وما يأسو جراحَك مثلُ يدك. وقد رددتُ إليك ما رددتَه علىّ، وأضعفتُه ، فإن تلافيتَ ما فرَط منك أثبنا وشكرنا ، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا . فقبل ما بَعث به ، وكتب إليه : كلامُك واللهِ أحسنُ من شعرى ، وقد أسلفتَنى ما أخجلَنى ، وحمّلتَنى ما أثقلنى، وسيأتيك ثنائى . ثم غدا إليه بقصيدة أولها :

* ضلالٌ لها ماذا أرادت إلى الصّد *

وقال فيه بعد ذلك :

* برقٌ أضاء العقيقَ من ضَرَمِه *

وقال فيه أيضا .

* دانٍ دعا داعى الصِّبا فأجابَهْ *

شعره فى نسيم غلا

قال : ولم يزل أبى يصله بعد ذلك ، ويتابع برّه لديه حتى افترقا .

أخبرنى جحظة قال :

كان نسيمٌ غُلامُ البحترىّ الذى يقول فيه :

دَعا عَبْرتى تجرى على الجور والقصد ... أظنُّ نسيماً قارفَ الهمَّ من بعدى
خلا ناظرى من طيفِه بعد شخصِه ... فيا عجبا للدّهر فقدٌ[1] على فقدِ

غلاما روميًّا ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله بابا من أبواب الحِيَل على النّاس ، فكان يَبيعهُ ويعتمد أن يُصيّره إلى مِلك بعض أهل المروءات ومن يَنفُق عنده الأدب ، فإذا حصل فى مِلكه شبّب به ، وتشوّقه ، ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات نسيم ، فكُفِى النّاسُ أمرَه .

خبره مع محمد على القمى وغا

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال :

كتب البحترىّ إلى أبى محمد بن علىّ القُمّىّ[2] يستهديه نبيذاً ، فبعث إليه نبيذاً مع

(١) فقد بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، وفى ف : فقدا بالنصب على الحالية .

(٢) نسبة إلى بلدة « قم » ، قال ياقوت : وهى مدينة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها بين أصبهان وساوة .

غلام له أمرد، فجَمَّشه[1] البحترىّ ، فغضب الغلامُ غضباً شديدا ، ودلّ البحترىَّ على أنه سَيُخْبِر مولاه بما جرى ، فكتب إليه :

أبا جعفرٍ كان تَجْمِيشُنا غلامَك إحدى الهَنات الدَّنِيّهْ
بعثتَ إلينا بشمس المُدامِ تضىء لنا مع شمس البريّهْ
فليت الهديّة كان الرّسول وليتَ الرسولَ إلينا الهَدِيّهْ

فبعث إليه محمدُ بنُ عَلِىّ الغُلامَ هَدِيَّة ، فانقطع البحترىّ عنه بعد ذلك مدة ، خجلا مما جرى ، فكتب اليه محمدُ بن علىّ :

هجرتَ كأنّ البِرّ أعقب حِشْمَةً ولم أرَ وَصْلاً قبل ذا أعقب الهَجْرا

فقال فيه قصيدته التى أولها :

* فتى مَذْحِجٍ عَفْوًا فتى مذحجٍ غُفْرا[2] *

وهى طويلة . وقال فيه أيضا :

أمواهبٌ[3] هاتيك أم أنواءُ هُطُلٌ وأخذٌ ذاكَ أم إعطاءُ
إن دَامَ ذا أو بَعضُ ذا من فعل ذا ذهب[4] السخاءُ فلا يُعَدُّ[5] سَخاءُ ١٧٢/١٨
ليس الذى حلّت تميمٌ وسْطَه الدّهناء ، لكن صدرُكَ الدهناءُ[6]
ملك أغرّ لآل طَلحة مَجدُه كفّاه بحرُ سماحةٍ وسماءُ[7]

---

(١) التجميش : المغازلة والملاعبة .
(٢) مذحج كمجلس : أكمة ، ولدت مالكا وطيئاً أمهما عندها ، فسموا مذحجا ، وفى ب : « فتى مذحج غفرا فتى مذحج غفرا » ، والمثبت من ف ، وهو الوجه .
(٣) مواهب بالتنوين للضرورة .
(٤) فى المختار : « فنى السخاء » .
(٥) فى الديوان : « فلا يحس سخاء » .
(٦) الدهناء : الصحراء .
(٧) ف : « وعطاء » .

وشريف أشراف إذا احتكّت بهم ... جُرُبُ القبائل أحسنوا وأساءوا[1]

أأحمدُ بنَ علىٍّ اسمعْ عُذْرَةً ... فيها شفاءٌ للمُسىء وداءُ

مالى إذا ذُكِرَ الكرامُ رأيتنى ... مالى مع النفر الكرام وفاءُ؟

يصفو علىّ العَذْلُ وهو مُقاربٌ ... ويَضيق عنى العُذْرُ وهو فضاءُ

إنّى هجرتك إذ هجرتك خِشيةً ... لا العَوْدُ يُذهِبُها ولا الإبداءُ

أخجلتَنى بنَدَى يديك فسوّدت ... ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ[2]

وقطعتنى بالبرّ حتى إننى ... متوهّم أن لا يكون لقاءُ

صِلَةٌ غدَت فى الناس وهى قطيعةٌ ... عجباً وبِرٌّ راح وهو جفاء

ليواصلنّك رَكْبُ شِعرىَ سائرا ... تُهدَى به فى مدحك الأعداءُ[3]

حتى يتمّ لك الثناءُ مُخلَّداً ... أبداً كما دامت لك النعماء

فتظلّ تحسُدك الملوكُ الصِّيدُ بى ... وأظلّ يحسُدنى بك الشعراء

كان موته بالسكتة

أخبرنى علىُّ بن سُلَيْمانَ الأخفشُ: قال: سألنى القاسمُ بنُ عبيد الله عن خَبَر البُحترىّ، وقد كان أُسكِت، ومات من تلك العلّة، فأخبرتُه بوفاته، وأنه مات فى تلك السَّكْتة، فقال: ويحه رُمِىَ فى أحسَنِه[4].

---

(1) ب، م: «إذا احتلت» بدل «إذا احتكت». و«حرب» بدل «جرب» والمثبت من ف.

(2) لعله يريد بتسويد النعمة البيضاء، ما فرط منه من تجميشه الغلام، أو يريد أن هذه النعمة جعلته له رقيقا على حد قول الشاعر:

كلما قلت أعتق الله رقى ... صيرتنى له المكارم عبدا

(3) فى ب: «لأوصلنك». وفى م: «تهلى» بدل «تهدى» وفى المختار: «يرويه فيك لحسنه الأعداء».

(4) لعله يريد بأحسن ما فيه، لسانه.

أبو تمام يلقن البحترى درسا فى الاستطراد

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنى محمد بن علىّ الأنبارى قال : سمعتُ البَحترىّ يقول : أنشدنى أبو تمام يوما لنفسه :

وسابحٍ هطِلٍ التَّعداء هَتَّانِ ... على الجِراء أمينٍ غير خوّانِ[1]

أظمى الفصُوصِ ولم تظمأ قوائمُهُ ... فخلِّ عينيك فى ظمآنَ رَيّانِ[2]

فلو تراه مُشيحًا والحصى زِيَمٌ[3] ... بين السّنابك من مثنًى ووُحدانِ

أيقنتَ إنْ لم تثبّتْ أنّ حافِرَه ... من صَخْرِ تَدْمُرَ أو من وَجْهِ عثمانِ[4]

ثم قال لى : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدرى ، قال : هذا هو المستطرد ، أو قال الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُرِيك أنه يريد وصف الفَرَس وهو يريد هجاء عثمان ، وقد فعل البحترى ذلك ، فقال فى صِفَة الفَرَس :

ما إن يَعافُ قَذًى ولو أوردتَه ... يوماً خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأحْوَلِ

وكان حمدويه الأحولُ عدوًّا لمحمد بن على القُمّىّ المتدَح بهذه القصيدة فهجاه فى عُرض مدحه محمداً . والله أعلم .

أبو تمام يشيد به

حدثنى علىُّ بنُ سُليمانَ الأخفش قال : حدَّثنى أبو الغَوْث بن البُحترىّ قال : حدَّثنى أبى قال : قال لى أبو تمام : بلغنى أنّ بنى حُمَيْد أعطَوك مالاً جليلاً فيما مدحتَهم به ، فأنشدنى شيئا منه ، فأنشدته بعضَ ما قلتُه فيهم ، فقال لى : كم أعطَوك ؟ فقلت : كذا وكذا ، فقال : ظلموك ، والله ما وَفَّوْكَ حقّك ، فلِمَ استكثرتَ ما دفعوه إليك ؟

(١) ب : «الشعراء» بدل «التعداء» وهو تحريف ، والجراء : جمع جرو ، وهو ولد الكلب وكل سبع .
(٢) الفصوص : المفاصل ، وظمؤها : ضمورها ، وجر «ريان» وكذا عثمان فى البيت الأخير لضرورة الشعر ، وفى المختار : «فجل بعينيك فى ظمآن ريان» .
(٣) زيم : جمع زيمة ، وهى القطعة من الشىء .
(٤) تثبت : فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين . وتدمر : قال ياقوت : تدمر : مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام ، والمقصود وصف وجه عثمان بالصفاقة ، حتى كأنه قطعة قدت من صخر ، وعثمان هو عثمان بن إدريس .

والله لَبيتٌ منها خيرٌ مما أخذتَ ، ثم أطرق قليلا ، ثم قال : لعَمْرى لقد استكثرت ذلك ، واستَكْثِر لك لمّا مات الناسُ وذهب الكرامُ ، وغاضت المكارمُ ، فكسدت سُوقُ الأدب ، أنت والله يابُنَىّ أميرُ الشعراء غدا بعدى ، فقمتُ فقبّلت رأسَه ويديه ورجليه ، وقلت له : والله لهذا القولُ أسرُّ إلى قلبى وأقوى لنفسى مما وصل إلىّ من القوم . ١٧٣ / ١٨

أبو تمام ينعى نفسه

حدثنى محمد بن يحيى عن الحسن بن على الكاتب : قال : قال لى البحترىّ : أنشدتُ أبا تمام يوما شيئاً من شعرى ، فتمثّل ببيت أوس بن حجر :

إذا مُقْرَمٌ منا ذرا حدُّ نابِه تخمَّطَ فينا نابُ آخر مُقْرَمِ (١)

ثم قال لى : نعيتَ والله إلىّ نفسى ، فقلتُ : أُعيذك بالله من هذا القول ، فقال : إنّ عمرى لن يطول ، وقد نشأ فى طيىء مثلُك ، أمَا علمتَ أنّ خالدَ بن صفوان رأى شبيبَ بن شَيْبة ، وهو من رَهْطه يتكلم ، فقال : يا بُنَىّ ، لقد نَعَى إلىّ نفسى إحسانُك فى كلامك ، لأنّا أهلُ بيت ما نشأ فينا خَطيبٌ قطّ إلّا مات مَنْ قبله ، فقلت له : بل يُبقيك الله ، ويجعلنى فداءك . قال : ومات أبو تمام بعد سنة .

يشمخ بأنفه فيغرى به المتوكل الصيمرى

حدثنى أحمد بن جعفر جحظة : قال : حدثنى أبو العَنْبس الصَّيْمرىّ قال : كنتُ عند المتوكل والبُحترى يُنْشِده :

عن أىّ ثغـــر تبتَسِمْ وبأىّ طرفٍ تحتكِمْ ؟

حتى بلغ إلى قوله :

قل للخليفة جعفـــر الـ متوكّلِ بنِ المعتصِم

(١) المُقْرم : السيد المقدم ، تشبيها بالمقرم من الإبل ، وهو المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ، وذرا حد نابه : انكسر ، والتخمط : الأخذ والقهر بغلبة ، والبيت فى معنى قول الآخر :

* إذا مات منا سيد قام صاحبه *

الُمبْتَدِى لُمجْتَدِى[(١)] والمُنْعِم بنِ المُنْتَقِم
أسلَمْ لدِينِ محمّدٍ فإذا سَلِمْتَ فقد سَلِمْ

قال : وكان البحترىّ من أبغض الناس إنشادا ، يتشادق ويتزاور[(٢)] فى مشيه مرة جانبا،ومرّة القَهقَرَى، ويهزّ رأسه مرّة ، ومنكبيه أخرى ، ويشير بكُمّه ، ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يُقبِل على المستمعين ، فيقول : مالكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله مالا يُحسِن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علىّ ، وقال : أما تسمع ياصَيمَرِىّ ما يقول ؟ فقلت : بلى ياسيّدى ، فمُرْنى فيه بما أحببتَ ، فقال : بحياتى اهجُه على هذا الرّوىّ الذى أنشَدنيه ، فقلت : تأمُر ابنَ حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواةٍ وقرطاسٍ ، وحضرنى على البديهة أن قلت :

أدخلتَ رأسك فى الرّحِم وعلمتَ أنك تنهزِمْ
يا بحترىُّ حَذارِ وَيْحَكَ من قُضاقِضةٍ ضُغُمْ[(٣)]
فلقد أسلْتَ بوادِيَيْنِكَ[(٤)] من الهجاسيلَ العَرِمْ
فبأىّ عِرْضٍ تعتصِمْ وبهتكِه جَفَّ القلَمْ ؟
والله حِلْفَةَ صادقٍ وبقبرِ أحمدَ والحَرَمْ
وبحقّ جعفرٍ الإما مِ ابنِ الإمامِ المعتصِمْ
لأصَيّرنَّكَ شُهرةً بينَ المَسِيلِ إلى العَلَمْ

(١) ب ، م : « المجتدى المبتدى » ، وما أثبتناه من ف . وهو أبلغ فى المدح ، لأن المراد أن يعطى قبل السؤال .
(٢) يتزاور : ينحرف .
(٣) القضاقض : الأسد ، وجمعه قضاقضة ، وضغمه : عضه بملء فيه ، فهو ضاغم ، وجمعه ضُغُم .
(٤) ب ، م : « بواديك » والمثبت من ف .

حَىِّ الطُّلول(١) بذى سَلَمْ حيثُ الأراكةُ والخِيَمْ
يابنَ الثَّقِيلَةِ والثقيــلِ على قُلوبِ ذَوِى النِّعَمِ
١٧٤ / ١٨ وعلى الصغير مع الكبــير من المَوالى والحَشَمْ
فى أىِّ سَلْحٍ ترتطِــمْ وبأىِّ كفٍّ تلتقِمْ؟
يا بنَ المُباحةِ للورَى أمن العفاف أم التُّهَمْ(٢)
إذ رَحْلُ أختك للعَجَم وفراشُ أمِّك فى الظُّلَم
وبباب دَارِك حانَةٌ فى بَيْتِه يُؤْتَى الحَكَمْ

قال: فغَضِب، وخرج يعدو، وجعلت أصيح به:

أدخلتَ رأسك فى الرَّحِمْ وعلمتَ أنّك تنهَزِمْ

والمتوكل يضحك، ويصفّق حتى غاب عن عينه.

هكذا حدثنى جحظة عن أبى العنبس.

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهينى حكاية عن أبى العنبس، فرأيتُها قريبة اللفظ، موافقةَ المعنى لمَا ذكره جحظةُ، والذى يتعارفه الناس أن أبا العَنْبَس قال هذه الأبيات ارتجالا، وكان واقفا خلف البحترى، فلما ابتدأ وأنشد قصيدته:

عن أىِّ ثغرٍ تبتسِمْ وبأىِّ طرْفٍ تحتكِم،

صاح به أبو العنْبَس من خلفه:

فى أىِّ سَلْحٍ ترتَطِم وبأىِّ كَفٍّ تَلْتَقِمْ
أدخلتَ رأسَك فى الرَّحِم وعلمتَ أنك تنهــزِمْ

(١) ب، س: «حيث الطلول».

(٢) ب: «أمن العقاب أم الفهم» والمثبت من م، ف، والمستفهم عنه ما ورد فى البيتين التاليين.

فغضب البحترىّ، وخرج، فضحك المتوكّل حتى أكثر، وأمر لأبى العَنْبَس بعشرة آلاف درهم والله أعلم.

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّولىّ، وحدثنى عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه : قال : وحدثنى يحيى بن على عن أبيه :

أن البحترىّ أنشد المتوكّل — وأبو العَنْبَس الصَّيمرىّ حاضر — قصيدَتَه :

عن أىّ ثَغْر تَبْتَسم وبأىّ طَرْف تحتكمْ؟

(١ إلى آخرها، وكان إذا أنشد يختال، ويعجب بما يأتى به، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت الأول، فلما رده بعد فراغه منها. وقال :

عن أىّ ثغر تبتسم وبأىّ طرف تحتكم ١)

قال أبو العنبس وقد غمزه المتوكل أن يولع به :

فى أى سَلْحٍ تَرْتَطِم وبأى كَفٍّ تَلْتَقِمْ

أدخلتَ رأسك فى الرّحم وعلمتَ أنّك تَنْهَزِمْ

فقال نصف البيت الثانى، فلما سمع البحترىُّ قوله ولّى مُغْضَبا، فجعل أبو العنبس يصيح به :

* وعلمتَ أنك تنهزم *

فضحك المتوكل من ذلك حتى غُلِب، وأمر لأبى العنبس بالصِّلة التى أُعِدّت للبحترى.

قال أحمد بن زياد[٢] : فحدّثنى أبى : قال :

(١–١) التكملة من هد، هج.

(٢) م، ف : « أحمد بن يزيد ».

جاءنى البحترىّ ، فقال لى : يا أبا خالد أنت عشيرتى وابنُ عمّى وصديقى ، وقد رأيتَ ما جرى علىّ ، أفتأذنُ لى[1] أن أخرج إلى مَنْبج بغير إذن ، فقد ضاع العِلم، وهلك الأدب ؟ فقلت : لا تفعل من هذا شيئاً ، فإن الملوكَ تمزَح بأعظم مما جرى ، ومضيت معه إلى الفتح ، فشكا إليه ذلك ، فقال له نحوًا من قولى ، ووصله ، وخلع عليه ، فسكن إلى ذلك . ١٧٥ / ١٨

الصيمرى يسترسل فى سخريته به بعد موت المتوكل

حدّثنى جحظةُ عن علىّ بن يَحْيَى المُنجِّم : قال :

لمّا قُتِل المتوكّلُ قال أبو العنبس الصَّيمرىُّ :

يا وحشــةَ الدنيا على جَعْفَرٍ على الهمام الملك الأزهــرِ[2]
على قتيــلٍ من بنى هاشمٍ بين سريرِ المُلْك والمِنْــبَرِ
واللهِ ربِّ البَيْتِ والمَشْــعَرِ واللهُ أن لو قُتِـلَ البُحْــتُرِى
لثـارَ بالشّـــام له ثائرٌ فى ألفِ نَغْـلٍ[3] من بنى عَضْ خَرَى
يقـــدُمهم كلُّ أخى ذِلّة على حمـــارٍ دابرٍ أعورِ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحترىّ ، فضحك ثم ، قال : هذا الأحمق يرى أنّى أجيبُه على مثل هذا ، فلو عاش امرؤ القيس ، فقال ، من كان يجيبه[4] ؟

---

(١) ف : « أفترى لى » . ومنبج : بلدة الشاعر شمالى سورية .

(٢) البيت من م ، ف ، وهو ساقط من ب ، س .

(٣) ب : « نغل » بدل « نغل » والنغل ابن الزنا ، أما عض خرى فلعله اسم قبيلة اخترعها الصيمرى اختراعا لمجرد السخرية .

(٤) فى المختار : « ولو عاش امرؤ القيس ، فقال مثل قوله لم أجبه » .

ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

منزلتها فى الغناء والأدب

كانت عريب مغنّيةً محسنةً ، وشاعرةً صالحة الشعر ، وكانت مليحةَ الخط والمذهب فى الكلام ، ونهايةً فى الحسن والجمال والظّرف ، وحسن الصورة وجودة الضّرب ، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنّغم والأوتار ، والرواية للشعر والأدب ، لم يتعلق بها أحدٌ من نظرائها ، ولا رُوِئى فى النساء بعد القيانِ الحجازيّات القديمات ، مثل جميلة وعزّة الميلاء وسَلّامة الزرقاء ومَن جرَى مَجْراهن — على قِلّة عَدَدهن — نظيرٌ لها ، وكانت فيها من الفضائل التى وصفناها ما ليس لهنّ مما يكون لمثلها من جوارى الخلفاء ، ومَنْ نشأ فى قصور الخلافة وغُذِّى برقيق العيش ، الذى لا يدانيه عيش الحجاز ، والنشء بين العامة والعرب الجفاة ، ومن غلُظ طبعه ، وقد شهد لها بذلك مَنْ لا يحتاج مع شهادته إلى غيره .

أخبرنى محمد بن خلف وَكيع ، عن حماد بن إسحاق : قال : قال لى أبى :

ما رأيتُ امرأة أضربَ من عَرِيب ، ولا أحسنَ صنعة ولا أحسنَ وجها ، ولا أخفّ رُوحًا ، ولا أحسَن خِطابًا ، ولا أسرعَ جَوابًا ، ولا ألعبَ بالشّطرنج والنَّرد ، ولا أجمعَ لخصلة حَسَنة لم أر مثلها فى امرأة غيرها . قال حمّاد : فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم فى حياة أبى ، فقال : صدق أبو محمد ، هى كذلك ، قلت : أفسمعتَها ؟ قال : نعم هناك ، يعنى فى دار المأمون ، قلت : أفكانت كما ذكر أبو محمد فى الحِذق ؟ فقال يحيى : هذه مسألة الجواب فيها على أبيك ، فهو أعلم منى بها ، فأخبرتُ بذلك أبى ، فضحك ، ثم قال : ما استَحْيَيْتَ من قاضى القضاة أن تسأله عن مثل هذا .

هى وإسحاق والخليفة المعتصم

أخبرنا يحيى بن على بن يحيى : قال: حدثنى أبى، قال :

قال لى إسحاق : كانت عندى صَنّاجة[1] كنت بها مُعجبًا ، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم فى خلافة المأمون ، فبينا أنا ذات يوم فى منزلى ، إذ أتانى إنسان يَدُقّ الباب دقًّا

(١) الصناجة : آلة موسيقية ذات أوتار .

شديداً ، فقلت: انظروا من هذا ؟ فقالوا : رسول أمير المؤمنين، فقلت : ذهبت صنّاجتى ، تجدُه ذكرها له ذاكرٌ ، فبعث إلىّ فيها . فلمّا مضى بى الرسول انتهيتُ إلى الباب ، وأنا مُثخَن ، فدخلت ، فسلّمت ، فردّ علىّ السلام ، ونظر إلىّ تغيّر وجهى ، فقال لى : اسكن ، فسكنت ، فقال لى: غنّ صوتاً(١) وقال لى : أتدرى لمن هو ؟ فقلت : أسمعه، ثم أخبرُ أميرَ المؤمنين إن شاء الله ذلك ، فأمر جارية من وراء الستارة ، فغنّته وضربت ، فإذا هى قد شبّهته بالغناء القديم ، فقلت : زدنى معها عوداً آخر ، فإنه أثبت لى ، فزادنى عوداً آخر ، فقلت : هذا الصوت مُحدَث لامرأة ضاربة ، قال : من أين قلت ذاك ؟ قلت: لمّا سمعت لينَه عرفت أنه مُحدَث من غناء النساء ، ولما رأيت جَودة مقاطِعه علمت أنّ صاحبته ضاربة، ١٧٦ / ١٨
وقد حَفِظت مقاطعَه وأجزاءه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ، فلم أشكّ ، فقال: صدقت، الغناء لعريب.

قال ابن المعتز : وقال يحيى بن علىّ(٢) :

أمرنى المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذي صنعتْه ، فأخذت منها دفاترَها وصُحُفها التى كانت قد جمعت فيها غِناءَها فكتبته فكان ألفَ صوت .

وأخبرنى على بن عبد العزيز ، عن ابن خُرْدَاذْبه :

أصواتها كمّاً وكيفاً

أنه سأل عريبَ عن صَنعتها ، فقالت : قد بلغتْ إلى هذا الوقت ألفَ صوت .

وحدثنى محمد بن إبراهيم قريض(٣) أنه جمع غناءها من ديوانَى ابن المعتز ، وأبى العُبيس بن حمدون ، وما أخذه عن بِدْعة جاريتها التى أعطاها إياها بنو هاشم ، فقابل بعضَه ببعض ، فكان ألفا ومائة وخمسة وعشرين صوتا .

وذكر العتّابىّ أنّ أحمد بن يحيى حدثه : قال :

سمعت أبا عبد الله الهشامىّ يقول — وقد ذُكِرت صنعةُ عريب —: صَنعتُها مثلُ قول أبى دلف فى خالد بن يزيدَ حيث يقول :

(١) ف ، م : « فسألنى عن صوت » .

(٢) ف : « على بن يحيى » والمثبت من ب ، م .

(٣) ب : « محمد بن القاسم قريض » .

يا عــــينُ بَكّى خالِدًا ألفا ويُدعَى واحِــــدًا

يريد أنّ غِناءها ألف صوت فى مَعْنى واحد ، فهى بمنزلة صَوْت واحد .

وحكى عنه أيضا هذه الحكاية ابنُ المعتز .

وهذا تحامُلٌ لا يَحِلّ(١) ،ولعمرى إن فى صنعتها لأشياء مرذولة لَيّنة ، وليس ذلك مما يَضَعُها، ولا عَرِى كبيرُ أحدٍ من المغنّين القدماء والمتأخرين من أن يكون فى صَنعته النادرُ والمتوسّطُ سِوَى قوْم معدودين مثلِ ابن محرز ومَعْبد فى القدماء ، ومثلِ إسحاق وحده فى المتأخرين ، وقد عِيبَ بمثل هذا ابنُ سُرَيج فى محلة ، فبلغه أن المغنين يقولون : إنما يغنى ابنُ سريج الأرْمال والخفاف ، وغناؤه يَصلُح للأعراس والولائم ، فبلغه ذلك فتغنى بقوله :

لقــد حَبّبَتْ نُعمٌ إلينا بوجهها مسـاكنَ(٢) ما بين الوتائر فالنَّقْعِ

ثم توفى بعدها ، وغناؤه يجرى مجرى المعيب(٣) عليه ، وهذا إسحاق يقول فى أبيه : — على عظيم محلّه فى هذه الصناعة وما كان إسحاق يُشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره — ولأبى سِتُّمائة صوت ، منها مائتان تشبّهَ فيها بالقديم ، وأتى بها فى نهاية من الجودة ، ومائتان غناءٌ وسط مثل أغانى سائر الناس ، ومائتان فاسية(٤) ودِدْتُ أنه لم يُظهرها ويَنْسُبها لنفسه ، فأسترها عليه ، فإذا كان هذا قولَ إسحاق فى أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيّد وردىء ، وما عَرِى أحد فى صناعة من الصناعة من حال يَنقُصه عن الغاية ، لأن الكمالَ شىء تفرّد الله العظيم به ، والنقصانَ جِبلّةٌ طَبَعَ بنى آدم(٥) عليها ، وليس ذلك إذا وُجِد فى بعض أغانى عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرها، ويلزمه اسم الضّعف واللّين، وحسب المحتجّ لها شهادةُ إسحاق بتفضيلها ، وقلّما شهد

(١) ف ، م : « لايجمل » .

(٢) ف : « منازل » ، والوتائر : موضع بين مكة والطائف ، والبيت لعمر بن أبى ربيعة .

(٣) ف : « ثم توفى بعدها فجرى مجرى المعتب عليه » .

(٤) ف ، م : « فلسية » ولعله يقصد أنها تافهة ، فينسبها إلى الفلس المقابل للدرهم والدينار .

(٥) كذا فى ب على أن فاعل طبع ضمير ذى الجلال . وفى ف ، م : «طُبِع بالبناء للمجهول » .

لأحد ، أو سَلِم خَلق — وإن تقدّم وأُجمِع على فضله — من شَيْنه[1] إيّاه وطعنه عليه ، لنفاسته فى هذه الصناعة ، واستصغاره أهلَها ، فقد تقدّم فى أخباره مع علّوية ، ومُخارق ، وعمرو بن بانة ، وسليم بن سلام ، وحسين بن محرز ، ومن قبلهم ومن فوقهم مثلُ ابن (١٧٧/١٨) جامع وإبراهيم بن المهدىّ وتهجينه إيّاهم ، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه وصنعوه مما يُستغنى به عن الإعادة فى هذا الموضع ، فإذا انضاف فعلُه هذا بهم، وتفضيلُه إياها ، كان ذلك أدلّ دليل على التحامل ممّن طعن عليها ، وإبطالِه فيما ذكرها به ، ولقائل ذلك — وهو أبو عبد الله الهشامى — سببٌ كان يصطنعه عليها، فدعاه إلى ما قال، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ومما يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاقَ فى المعرفة بالغناء القديم والحديث ، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها ، فكاد يجوز عليه ، لولا أنه أطال الفكر والتلوّم واستَثبت ، مع علمه بالمذاهب فى الصنعة ، وتقدُّمِه فى معرفة النّغم وعِللِها ، والإيقاعات ومجاريها .

وأخبرنا بذلك يحيى بن علىّ بن يحيى : قال : حدثنى أبى عن إسحاق :

فأمّا السبب الذى كان من أجله يعاديها الهشامى ، فأخبرنى به يحيى بن محمد بن عبد الله ابن طاهر قال : ذُكِر لأبى أحمدَ عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر عَمِّى أنّ الهشامىّ زعم أن أحسن صوت صنعته عريب :

* صَاحِ قد لمتَ ظالما *

وأن غناءها بمنزلة قول أبى دُلَفٍ فى خالد :

يا عَـــينُ بكِّى خالدا ... ألفًا ويُدعَى واحِــــدا

فقال : ليس الأمر كما ذكر ، ولعريبَ صنعةٌ فاضلة متقدّمة ، وإنما قال هذا فيها

(١) م : « ثلبه » .

ظلما وحَسَدا ، وغَمطها ما تستحقّهُ من التّفضيل ، بخبر لها معه طريف ، فسألناه عنه، فقال : أخرجتُ المشامىَّ معى إلى سُرَّ مَنْ رأى ، بعد وفاة أخى ، يعنى أبا محمدَ بن عبد الله ابن طاهر ، فأدخلتُه على المعتزّ وهو يشرب ، وعريب تغنّى، فقال له : يا بن هشام ، غَنِّ ، فقال : تُبتُ من الغناء مذ قُتِل سَيِّدى المتوكل، فقالت له عريب : قد واللهِ أحسنتَ حيث تُبتَ ، فإن غناءك كان قليلَ المعنى، لا مُتقَن[1] ولا صحيح ولا مُطرِب ، فأضحكت أهلَ المجلس جميعا منه ، فخجل ؛ فكان بعد ذلك يَبسُط لسانَه فيها ، ويَعيب صنعتَها، ويقول : هى ألفُ صوت فى العدد ، وصوتٌ واحد فى المعنى .

وليس الأمرُ كما قاله ، إن لها لصنعةً تشبَّهت فيها بصنعة الأوائل ، وجوّدت، وبرزت فيها ، منها :

* أَئِن سكنت نَفْسى وقلَّ عَويلُها *

ومنها :

* تقول هُمَى يومَ وَدَّعتها *

ومنها :

* إذا أردت انتصافا كان ناصركم *

ومنها :

* بأبى من هو دانٍ[2] *

ومنها :

* أسلوها فى دمشقَ كما *

ومنها :

* فلا تتعنّتى ظلما وزورا[3] *

(١) كان القياس لا متقنا ، ولا صحيحا ، ولا مطربا بالنصب ، فلعل هنا مبتدأ مقدراً « لا هو متقن . . . الخ

(٢) ب : « دان » بدل : « دانى » .

(٣) ساقطة من ب وهى فى مم ، ف .

ومنها :

* لقد لام ذا الشوق الخليُّ من الهوى[1] *

ونسختُ ما أذكره من أخبارها، فأنسبه إلى ابن المعتزّ من كتاب دفعه إلىَّ محمدُ ابن إبراهيم الجراحىّ المعروف بقريض، وأخبرنى أن عبد الله بن المعتز دفعه إليه، من جمعه وتأليفه، فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها، إذ كان فيها حشو كثير، وأضفت إليه ما سمعتهُ ووقع إلىَّ غيرَ مسموع مجموعا ومتفرقا، ونسبت كل رواية إلى راويها

برمكية النسب

قال ابنُ المعتزّ : حدّثنى الهشامىّ أبو عبد الله وأخبرنى على بن عبد العزيز، عن ابن خُرداذْبة قالا :

كانت عَريبُ لعبد الله بن إسماعيل صاحبِ مراكب الرّشيد، وهو الذى ربّاها، وأدّبها، وعلّمها الغناء.

قال ابنُ المعتزّ : وحدثنى غيرُ الهشامىّ، عن إسماعيل بن الحسين خالِ المعتصم : أنها بنتُ جعفرِ بن يحيى، وأنّ البرامكة لما انتُهِبوا سُرِقت وهى صغيرة.

قال : فحدثنى عبدُ الواحد بنُ إبراهيم بن محمد بن الخَصِيب : قال :

١٧٨ / ١٨ حدّثنى مَنْ أثِق به، عن أحمدَ بنِ عبد الله بن إسماعيل المراكبى : أنّ أمّ عريب كانت تسمَّى فاطِمة، وكانت قَيِّمةً لأمّ عبد الله بن يحيى بن خالد، وكانت صَبيّة نظيفة، فرآها جعفرُ بن يحيى، فهويَها، وسأل أمّ عبد الله أن تُزوِّجه إيّاها، ففعلت، وبلغ الخبرُ يَحيى بنَ خالد، فأنكره، وقال له : أتتزوّج مَن لا تُعرف لها أمٌّ ولا أب ؟ اشترِ مكانها مائة[2] جارية وأخرجها، فأخرجها، وأسكنها دارا فى ناحية باب الأنبار سرًّا من أبيه. ووكّل بها مَنْ يحفَظها، وكان يتردّد إليها، فولدت عَريب فى سنة

---

(١) ب، س، م : « لقد نام ذو الشوق القديم من الهوى ».

(٢) ف : « ألف جارية ».

إحدى وثمانين ومائة ، فكانت سِنُوها إلى أن ماتت ستا وتسعين سنة ، قال : وماتت أمّ عريب فى حياة جعفر ، فدفعها إلى امرأة نصرانية ، وجعلها داية لها ، فلما حَدَثت الحادِثة بالبرامكة باعَتْها من سِنْبِسٍ النخّاس ، فباعها من المراكبى .

قال ابن المعتز : وأخبرنى يوسفُ بنُ يعقوب :

أنه سمع الفضل بنَ مَرْوان يقول : كنتُ إذا نظرتُ إلى قَدَمَىْ عَريب شبّهتُهما بقدمى جعفر بن يحيى ، قال : وسمعت مَنْ يحكى أن بلاغتها فى كتبها ذُكِرت لبعض الكُتّاب فقال : فما يمنعها من ذلك وهى بنت جعفر بن يحيى ؟

وأخبرَنى جحظة قال : دخلتُ إلى عريب مع شروين المغنى وأبى العُبيس ابنِ حمدون ، وأنا يومئذٍ غلام علىّ قَباء ومِنْطَقة ، فأنكرتنى وسألت عنّى ، فأخبرها شَروين، وقال : هذا فتى من أهلِك ، هذا ابنُ جعفر بن مُوسَى بن يحيى بن خالد ، وهو يغنّى بالطّنْبور ، فأدنَتْنِى ، وقرّبت مجلسى ، ودعت بطُنْبور ، وأمرتْنى بأن أغنّى ، فغنّيت أصواتا ، فقالت : قد أحسنتَ يا بُنىّ ولتكونَنّ مغنّيا ، ولكن إذا حضرت بين هَذين الأسدين ضِعْتَ أنتَ وطنبورُك بين عُودَيْهما ، وأمرت لى بخمسين دينارا .

قال ابنُ المعتزّ ، وحدّثنى مَيمونُ بنُ هارون : قال :

حدّثتنى عَريبُ قالت : بعثَ الرشيد إلى أهلها[1] — تعنِى البرامكة — رسولا يسألهم عن حالهم ، وأمره ألاّ يعلمهم أنه من قبله ، قالت : فصار إلى عمى الفضل ، فسأله ، فأنشأ عمىّ يقول :

صــــوت

سألونا عن حالنا كيف أنتمُ مَنْ هَوَى نَجمهُ فكيفَ يكونُ ؟
نحن قومٌ أصـــابنا عَنَتُ الدّهـــر فَظَلْنا لريبـــــه نَسْتكينُ

(١) ف ، م : « أهلنا »

ذكرت عَرِيبُ أنّ هذا الشعر للفَضْل بن يَحيى ، ولها فيه لحنان : ثانى ثقيل وخفيف ثقيل ، كلاهما بالوُسْطَى ، وهذا غَلَط من عَرِيب ، ولعله بلغها أنّ الفضل تمثّل بشعرٍ غير هذا ، فأُنسِيَتْه وجعلت هذا مكانه .

فأمّا هذا الشِّعر فللحُسَيْن بنِ الضحّاك لا يُشَكّ فيه، يَرْثِى به محمداً الأَمينَ بعد قوله :

نحن قوم أصابنا حادثُ الدّهــــــر فظلْنا لرَيْبه نَستَكينُ
نتمنَّى من الأمين إيابًا كلَّ يوم وأينَ منّا الأَمينُ ؟

وهى قصيدة .

مشق، وتهرب إلى معشوقها

قال ابنُ المعتزّ : وحدّثنى الهِشامىّ :

أنّ مولاها خرج إلى البصرة ، وأدّبها وخرّجها وعلّمها الخطَّ والنّحوَ والشّعر والغناء ، فبرعت فى ذلك كله ، وتزايدت حتّى قالت الشعر ، وكان لمولاها صَديقٌ يُقال له حاتم بن عدىّ من قُوّاد خُراسان ، وقيل : إنه كان يكتب لعُجَيْف على ديوان الفرض ، فكان مولاها يدْعُوه كثيراً ، ويخالطه ، ثم ركبه دَيْنٌ فاستتر عنده ، فمدّ عينَه إلى عَرِيب ، فكاتبها ، فأجابته ، وكانت المُواصَلةُ بينهما ، وعَشِقَته عَرِيب ، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سُلّما من عَقَب[1] ، وقيل : من خيوط غلاظ ، وسَترته ، حتّى إذا همّت بالهرَب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمُدّة — وقد أعدّ لها موضعا — لفّت ثيابَها وجعلَتْها فى فراشها بالليل ، ودَثّرتْها بدِثارها ، ثم تسوّرت من الحائطِ ، حتى هرَبت ، فمضت إليه ، فمكثت عنده زَماناً ، قال : وبلغنى أنها لمّا صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عُوداً تُغنّيه به ، فأعاره عودَها ، وهو لا يعلم أنها عنده ، ولا يتهمه بشىء من أمرها ، فقال عيسى بنُ عَبْدالله بنِ إسماعيلَ المراكبىّ ، وهو عيسى ابنُ زَيْنب يهْجُو أباه ويعيّره بها ، وكان كثيرا ما يهجوه :

١٧٩
١٨

(١) العقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار .

قاتلَ اللهُ عَـــبرِيبًا فعلت فِعلاً عَجِيبَا
رَكِبت والليلُ دَاجٍ مركبًا صَعْبا مهوبا[1]
فارتقت مُتَّصِلا بالنَّجـــم أو منه قريبا
صــــبرت حتى إذا ما أقصد النومُ الرَّقيبا[2]
مَثَّلت بين حَشَايَا هالِكيلا تَسْتَرِيبَا[3]
خَلفًا منهـــا إذا نو دِىَ لم يُلفَ مُجِيبَا
ومضت يحملها الخو فُ قَضِيبًا وكَثِيبا
مُحَّةٌ[4] لو حُرِّكت خِفْــــتَ عليها أن تذوبا
فتـــــدلَّت لمُحِبٍّ فتلقَّاها خَبِيبَـــــا
جَذِلاً قد نال فى الدُّنيـــا من الدُّنيا نصيبا
أيُّها الظَّبى الذى تَسْحَـــرُ عينـــــاه القلُوبَا
والذى يأكل بعضـــــا بعضُه حُسنـــاً وطِيبا
كُنتَ نَهْبًا لذئابٍ فَلَقَد أطعمتَ ذِيبَـــا
وكذا الشـــاةُ إذا لم يَكُ راعيهـــا لَبِيبَا
لا يُبــــالِى وَبأ المَرْ عَى إذا كان خَصِيبا
فلقد أصبح عبدُ الله م كشخانَ حَرِيبَـــا[5]

(١) ف ، م ، المختار « مهيبا » بدل « مهوبا » وكلاهما صحيح .
(٢) أقصد النومُ الرقيبا أى أصاب الرقيب سهمُ النوم .
(٣) المراد : أنها مثلت فى مخدع نومها شبحا يوهم أنه هى حتى لا تبعث الريبة .
(٤) المحة : صفرة البيض ، يشبهها بمح البيضة فى اللين .
(٥) الكشخان : الديوث ، والحريب : المسلوب المال ، وفى م : «كشخان مريبا » ، وفى المختار « كشخانا حريبا » .

قد لعمرى لَعَلَم الوَجــدَ وقد شَقَّ الجيوبا
وجرت منـــه دُموعٌ بلّت الشَّعر الخضيبا

وقال ابن المُعتزّ : حدّثنا محمد بن موسى بن يونس:

أنّها ملَّتْه بعد ذلك ، فهربت منه ، فكانت تغنّى عِنْد أقوام عرَفتهم ببغداد ، وهى مستترة متخفّية ، فلمّا كان يوْم من الأيّام اجتاز ابنُ أخ للمراكبى ببُستان كانت فيه مع قوم تغنّى ، فسمع غِناءها، فعرفه ، فبعث إلى عمه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، فلم يبرح حتى جاء عمُّه، فلبَّبها[1] وأخذها ، فضربها مائة مِقْرعة ، وهى تصيح : يا هذا لِمَ تقتلُنى ! أنا لستُ أصبر عليك ، أنا امرأة حُرَّة إن كنتُ مملوكةً فبعنى ، لستُ أصبر على الضِّيقة ، فلما كان من غد ندم على فعله ، وصار إليها فقبّل رأسَها ورِجْلَها ، ووهب لها عَشْرة آلاف درهم ، ثم بلغ مُحمّداً الأمينَ خبرُها ، فأخذها منه ، قال : وكان خبرُها سَقَط إلى محمد فى حياة أبيه ، فطلبها منه ، فلم يجبه إلى ما سأل ، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادما عنده، فاضطغَن ١٨٠/١٨ لذلك عليه ، فلما وَلِىَ الخلافة جاء المراكبىّ ، ومحمد راكب ، ليُقبّل يدَه ، فأمر بمنْعِه ودفعه ، ففعل ذلك الشّاكرىُّ، فضربه المراكبىّ وقال له : أتمنعنى من يدِ سيّدى أنْ أقبّلَها ؟ فجاء الشّاكرىُّ لمّا نزل محمد فشكاه ، فدعا محمدٌ بالمراكبىّ ، وأمر بضرب عنقه، فسُئل فى أمره ، فأعفاه ، وحبسه ، وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكُراع ، وبعث ، فأخَذَ عريبَ من منزله مع خَدَم كانوا له ، فلماقُتِل مُحمّد هَرَبت إلى المراكبىّ ، فكانت عنده ، قال : وأنشدنى بعضُ أصحابنا لحاتم بن عدىّ الذى كانت عنده لمّا هرَبت إليه ، ثم ملّته فهرَبت منه ، وهى أبيات عدّة ، هذان منها :

ورُشُّوا على وَجْهى من الماء واندُبُوا قتيلَ عَريبٍ لا قتيلَ حُروبِ
فليتكِ إنْ عجّلتِى فقَتلتِنى تَكونين من بعد الممات نصيبى

(١) لبَّبها : أخذ بتلابيبها ، وهى مجتمع ثيابها عند العنق ، وفى م: «فكبسها» بدل «لبَّبها»

قال ابن المعتزّ : وأمّا رواية إسماعيل بن الحسين ، خالِ المعتصم فإنها تخالف هذا ، وذكر أنّها إنما هربت من دار مولاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن ، أحدِ قوّاد خُراسان قال : وكان أشقرَ أصهب الشعر أزرق ، وفيه تقول عَرِيب — ولها فيه هزج ورَمل من روايتي الهشامِيّ وأبي العباس — :

بأبي كلّ أزرقٍ أصهبِ اللون أشقرِ[1]
جُنّ قلبي به وليس جُنُونِي بمُنْكَرِ

تذكر ناسيا

قال ابن المعتزّ : وحدّثني ابن المدبّر قال :

خرجْتُ مع المأمون إلى أرض الروم ، أطلُب ما يطلبه الأحداث من الرزق ، فكنا نسير مع العَسْكر ، فلما خرجنا من الرَّقّة رأينا جماعة من الحُرَم في العَمَاريّات على الجمّازات[2] وكنّا رُفْقَةً ، وكُنّا أترابا ، فقال لي أحدهم : على بعض هذه الجمّازات عَرِيبُ ، فقلت : من يراهنني أمُرُّ في جنبات هذه العُماريّات ، وأُنشد أبيات عيسى ابن زينب ؟

قاتل الله عَــــرِيبًا فعلت فعــلاً عجيبًا

فراهنني بعضُهم وعُدِّل الرِّهانان[3] وسرتُ إلى جانبها فأنشدْتُ الأبياتَ رافعا صَوْتي بها ، حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت : يا فتى أنسيتَ[4] أجودَ الشعر وأطْيبه ؟ أنسيت قوله :

وعَرِيبٌ رَطْبةُ الشَّفْـ ـرَيْنِ قد نِيكت ضُروبا[5]

(١) ف : « بأبي كل أصهب أزرق العين أشقر » .

(٢) ف : « رأينا جماعة من الخدم معهم جماعة الحرم » . والعماريات : الهوادج ، والجمازات جمع جماز وتوصف بها النياق السريعة .

(٣) عُدِّل الرهنان : سوّى بين المبلغين اللذين تراهن عليهما المتراهنان .

(٤) ولو قرئت (أُنسِيت) بالبناء للمجهول على أن الجملة خبرية لا إنشائية لكان ذلك حسنا .

(٥) المعروف أن رطوبة الشفرين ليست من الصفات المستحسنة في المرأة ، فلعل الشاعر يكنى بذلك عن استدامة غشيان الرجال لها بدليل تتمة البيت .

اذهبْ فخُذْ ما بايَعْت فيه ، ثم ألقت السَّجْف ، فعَلِمت أنها عَرِيب ، وبادرتُ إلى أصحابى خوفاً من مكروه يلحقنى من الخدم .

رقيب يحتاج إلى رقيب

أخبرنى إسماعيلُ بنُ يُونُس قَال : قال لنا عمر بن شبّة :

كانت للمراكبىّ جاريةٌ يقال لها مظلومة ، جميلةُ الوجه ، بارعةُ الحسن ، فكان يبعث بها مع عَرِيب إلى الحَمّام ، أو إلى من تزوره من أهله ومعارفه ، فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذى كانت تميل إليه ، فقال فيها بعضُ الشعراء وقد رآها عنده :

لقد ظلموكِ يا مظلومَ لمّا ... أقاموكِ الرّقيبَ على عَرِيبِ
ولو أَوْلَوكِ إنصافاً وَعَدْلا ... لما أخلوْكِ أنتِ من الرّقيبِ
أتنهَيْن المُرِيبَ عن المعاصى ... فكيف وأنتِ من شأنِ المُرِيبِ
وكيف يُجانِبُ الجانِى ذنوباً ... لديك وأنت داعِيَةُ الذُّنوبِ
فإن يَسْتَرْقِبُوكِ على عَرِيبٍ ... فما رَقَبُوكِ من غيب القلوبِ(1)

١٨١
١٨

وفى هذا المعنى ، وإن لم يكن من جنسٍ ما ذكرته ما أنشدنيه علىُّ بنُ سليمان الأَخْفَش فى رَقِيبَة مُغَنّيةٍ استُحْسِنت وأظنه للنّاشِئ :

فديتُكِ لو أنهـــم أنصَفُوا ... لقدمنعوا العينَ عن ناظِرَيْكِ(2)
ألم يقرءوا ويحهم ما يرو ... ن من وحى طَرْفك فى مُقْلَتَيْكِ
وقد بعثوكِ رَقِيبـــاً لنا ... فمن ذا يكون رَقِيباً عليكِ
تصُدّين أعْيُنَنا عن سواكِ ... وهل تنظر العينُ إلا إليكِ

---

(١) ف : « من ريب القلوب » .
(٢) ف ، والمختار : « فديتك لو أنهم أنصفوك ... لما منعوا العين عن ناظريك »

من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون

قال ابن المعتز : وحدثنى عبد الواحد بن إبراهيم ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، وعن محمد بن إسحاق البغوىّ ، عن إسحاق بن إبراهيم :

أنّ خبرَ عَرِيب لمّا نُمِيَ إلى محمد الأمين بعث فى إحضارها وإحضار مَوْلاها ، فأُحْضِرا ، وغنّت بحضرة إبراهيمَ بنِ المهدىّ تقول :

لكلّ أناسٍ جَوْهَرٌ متنافسٌ وأنتِ طرازُ الآنساتِ المَلائحِ

فطَرِب محمد ، واستعاد الصوتَ مِراراً ، وقال لإبراهيم : يا عَمّ كيف سمعت ؟ قال : ياسيدى ، سمعتُ حسناً ، وإن تطاولت بها الأيام، وسكن رَوْعها ازداد غِناؤُها حُسْناً ، فقال للفضل بن الربيع : خُذْها إليك ، وساوِمْ بها ، ففعل ، فاشتطّ مولاها فى السَّوْم ، ثم أوجَبَها له بمائة ألف دينار ، وانتقَض أمرُ مُحمّد ، وشُغِل عنها ، وشُغِلت عنه ، فلم يأمر لمَوْلاها بثَمَنها حتى قُتِل بعد أن افتَضّها ، فرجعت إلى مولاها ، ثم هربت منه إلى حاتم بن عدىّ ، وذكر باقى الخبر كما ذكره من تقدم .

وقال فى خبره : إنها هَرَبت من مولاها إلى ابن حامد[1] ، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد ، فتظلّم إليه المراكبىّ من محمد بن حامد[2] ، فأمر بإحضاره فأحضِر ، فسأله عنها فأنكر ، فقال له المأمون : كذبتَ قد سقط إلىّ خبرُها. وأمر صاحبَ الشرطة أن يجرده فى مجلس الشرطة ، ويضع عليه السّياط حتى يردّها ، فأخذه ، وبلغها الخبرُ فركبت حمارَ مُكارٍ ، وجاءت وقد جُرّد ليُضْرب ، وهى مكشوفة الوجه ، وهى تصيح : أنا عَرِيب ، إن كُنتُ مملوكةً فليبِعْنى ، وإن كُنتُ حُرّةً فلاسَبِيلَ له علىّ ، فرُفِع خَبَرُها إلى المأمون ، فأمر بتعْدِيلها[3] عند قتيبة بن زياد القاضى ، فعُدِّلَتْ عنده ، وتقدّم اليه المراكبىّ مطالبا بها ، فسأله البَيّنَةَ على مِلكه إياها ، فعاد متظلّماً إلى المأمون ، وقال : قد طولبت بما لم يُطالبْ به أحد فى رقيق ، ولا يوجد مِثْلُه فى يد مَن ابْتاع عَبْداً أو أَمَة .

(١) ف : « حاتم » . (٢) ف : « حاتم بن عدى » .

(٣) عدل الشيء أو الحكم : أقامه وسواه . وتعديلها عند قتيبة بن زياد إقامة العدل فى أمرها عنده

وتظلمت إليه زُبيدةُ ، وقالت : من أغلظ ما جرَى علىّ بعد قتل محمد ابنى هُجومُ المراكبىّ على دارى وأخذُه عَريباً منها . فقال المراكبى : إنما أخذتُ مِلْكى ، لأنّه لم يَنقُدْنى الثَّمن ، فأمر المأمونُ بدفعِها إلى محمد بن عمر الواقدىّ — وكان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرقى — فأخذها من قتيبة بن زياد ، فأمر ببيعها ساذجة ، فاشتراها المأمون ١٨٢/١٨ بخمسين ألف درهم ، فذهبت به كُلّ مذهب ميلا إليها ومحبّة لها .

قال ابن المعتز : ولقد حدثنى على بن يحيى المنجم أن المأمون قَبَّل فى بعض الأيام رِجلَها ، قال : فلما مات المأمون بِيعت فى ميراثه ، ولم يُبَع له عبدٌ ولا أَمَة غَيْرُها ، فاشتراها المعتصم بمائة ألفِ درهم ، وأعتقها ، فهى مولاته .

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنها لمّا هربت من دار محمد حِين قتل تدلّت من قصْر الخلد بحبْل إلى الطريق ، وهربت إلى حاتم بن عدىّ

وأخبرنى جحظةُ ، عن ميمون بن هارون :

أنّ المأمونَ اشتَراها بخَمْسة آلاف دينار ، ودعا بعبد الله بن إسماعيل ، فدفعها إليه ، وقال : لولا أنىّ حلفتُ ألّا أشترِىَ مملوكا بأكثَر من هذا لزِدْتك ، ولـكنى سأولّيك عَمَلا تـكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة ، ورمى إليه بخاتمَين من ياقوت أحمر ، قيمتهما ألف دينار ، وخلع عليه خِلَعاً سَنِيّة ، فقال : ياسيدى ، إنما يَنتَفِع الأحياء بمثل هذا ، وأما أنا فإنى ميّت لا محالة ، لأن هذه الجارية كانت حياتى ، وخرج عن حضرته ، فاختلط وتَغَيّر عَقلُه ، ومات بعد أربعين يوماً .

قال ابن المعتز : فحدثنى علىّ بن يحيى قال : حدثنى كاتب الفضل بن مروان: قال : حدثنى إبراهيمُ بن رباح قال :

كنت أتولّى نفقاتِ المأمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عريبَ ، فأمره أن يَشْتَرِيَها ، فاشتَراها بمائة ألف درهم ، فأمرنى المأمون بحملها ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى ، ففعلتُ ذلك ، ولم أدر كيف

أثبتها ، فحكيت فى الدّيوان أن المائةَ الألف خرجت فى ثمن جَوْهرة ، والمائة الألف الأخرى خرجت لصائغها ودلاَّلها ، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره ، وسألنى عنه ، فقلت : نعم هو ما رأيت ، فسأل المأمونَ عن ذلك ، وقال: أوَجبَ وهب لدلاَّل وصائغ مائة ألفِ درهم ، وغَلّظ القصة ، فأنكرها المأمون ، فدعانى ، ودنوت إليه ، وأخبرته أنه المال الذى خرج فى ثمن عَرِيب وصلة إسحاق، وقلت : أيّما أصوبُ ياأمير المؤمنين : ما فعلتُ أو أثبتُ فى الدّيوان أنّها خرجت فى صلة مُغَنّ وثمن مُغَنّية ؟ فضحك المأمون ، وقال : الذى فَعلتَ أصوبُ ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نبَطِىّ ، لاتعترض على كاتبى هذا فى شىء .

وقال ابن المكى : حدثنى أبى عن تحرير الخادم : قال :

دخلتُ يوما قصر الحرم ، فلمحت عريبَ جالسة[(1] على كرسى ناشرة شعرها تغتسل ، فسألت عنها ، فقيل : هذه عريب[1)] دعا بها سَيِّدُها اليومَ ، فافتضّها .

قال ابن المعتز : فأخبرنى ابن عبد الملك البصرىّ :

أنّها لما صارت فى دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته ، ثم احتالت فى الخروج إليه ، وكانت تلقاه فى الوقت بعد الوقت، حتى حَبِلت منه وولدت بنتا ، وبلغ ذلك المأمون فزَوَّجه إياها .

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور ، عن أبيه ، وحدّثنى به المظفّر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور ، قال :

لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جُبّة صوف وختْم زِيقها[2] وحَبَسها فى كَنِيف مظلم شهرا لاترى الضوء ، يُدْخَل إليها خبزٌ وملحٌ وماء من تحت الباب

(١–١) التكملة من : م ، ف .

(٢) زيق القميص ونحوه : ما أحاط بالعنق منه .

فى كل يوم ، ثم ذكرها ، فَرَقّ لها ، وأمر بإخراجها ، فلما فُتح البابُ عنها ، وأُخرِجَت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغنى :

حجبوه عن بصرى فُمِثّل شَخصهُ   فى القلب فهْو محجَّبٌ لا يُحجَبُ

١٨٣/١٨

فبلغ ذلك المأمونَ ، فعجب منها ، وقال : لن تَصلُح هذه أبدا ، فزوّجها إيّاه .

نسبة هذا الصوت

صــــوت

لو كان يقدرُ أن يَبُثّك مابه   لرأيتَ أحسن عاتب يتعتّبُ
حجبوه عن بَصَرى فُمُثّل شَخصهُ   فى القَلْب فهو مُحَّجب لا يُحجبُ

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى .

رقعة منها فى تركة

قال ابن المعتزّ : وحدثنى لؤلؤٌ صديقُ علىّ بن يحيى المنجّم : قال : حدثنى أحمدُ ابنُ جعفر بنِ حامدٍ : قال :

لما توفّى عمّى محمد بن حامد صار جدّى إلى منزله ، فنظر إلى تركَتِه ، وجعل يُقلّب ما خلّف ، ويُخرَج إليه منها الشىءُ بعد الشىء إلى أن أُخرِج إليه سَفَطٌ مختومٌ ، ففضّ الخاتَم ، وجعل يفتحه ، فإذا فيه رِقاع عَرِيب إليه ، فجعل يتصفّحها ويبتسم ، فوقعت فى يده رقعةٌ ، فقرأها ، ووضعها من يده وقام لحاجة ، فقرأتُها فإذا فيها قوله :

صــــوت

ويلى عليكَ ومِنْكَا   أوقعت فى الحق شَكّا
زعمتَ أنّى خئـونٌ   جَـوْراً عـلىّ وإفـكَا
إن كان ما قلتَ حقّا   أو كنت أزمعتُ تَرْكا
فأبـــدلَ الله ما بى   من ذِلّة الحبّ نُسْكَا

لَعَرِيب فى هذه الأبيات رمل وهزج ، عن الهِشامىّ والشّعر لها .

تجيب على قبلة بطعنة

قال ابنُ المعتز : وحدثنى عبد الوهاب بن عيسى الخراسانىّ ، عن يعقوب الرّخامىّ : قال : كنّا مع العباس بن المأمون بالرّقة وعلى شرطته هاشم — رجل من أهل خراسان — فخرج إلىّ ، وقال : يا أبا يوسُف ، أُلقِى إليك سِرًّا لثقتى بك ، وهو عندك أمانة ، قلت : هاتِه ، قال : كنت واقفاً على رأس الأمين(١) وبى حَرٌّ شديد ، فخرجت عَرِيبُ ، فوقفت معى ، وهى تنظر فى كتاب(٢) فما ملكتُ نفسى أن أومأتُ إليها بقُبْلة ، فقالت : كحاشَية البُرد . فوالله ما أدرى ما أرادت ، فقلت ، : قالت لك : طعنة .

قال : وكيف ذاك ؟ قلت : أرادت قول الشاعر :

رَمَى ضرعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ كحاشية البُرْد اليمانِى المُسهّم(٣)

وحكى هذه القصة أحمد بن أبى طاهر ، عن بشر بن زيد ، عن عبد الله ابن أيوب بن أبى شمر ، أنهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد ، وعرِيب تغنّيهم ، فغنّت تقول :

رمى ضَرع نابٍ فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسهّم :

فقال لها المأمون : من أشار إليك بقُبلة ، فقُلتِ له طعنة ؟ فقالت له : يا سيدى ، مَن يشير إلىّ بقبلة فى مجلسك ؟ فقال : بحياتى عليك ! قالت : محمد بن حامد ، فسكت .

(١) ف : « الأمير » .

(٢) ف : « وهو ينظر فى كتاب » .

(٣) الناب : الناقة المسنة ، والمراد أن الطعنة كانت نافذة فأحدثت بالضرع مايشبه النقش المسهم فى البرود اليمنية ، ويعتبر قولها : كحاشية البرد ، من الكنايات الخفية ، كأنها تقول لمن أومأ إليها بالقبلة : رميت بمثل هذه الطعنة .

يفهم من هذا أن قصة القبلة الأولى وما لا بسها من الطعنة المشار إليها فى هذا البيت كانت قد شاعت وتدوولت حتى أوحى تكرار البيت أمام المأمون أن ثمة قبلة أخرى أومأ بها مومىء إلى عريب ، فوقف الغناء وجعل يتحرى مصدر هذه القبلة .

تحب أميرا وتتزوج خادما

قال ابن المعتز : وحدثني محمد بن موسى : قال :

اصطَبح المأمونُ يوماً ومعه ندماؤُه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعةٌ من المغنين ، وعريبُ معه على مُصَلاّه ، فأومأ محمدُ بنُ حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغنى ابتداء .

١٨٤ / ١٨

رَمَى ضَرْعَ نابٍ فاستَمرَّ بَطعْنةٍ كحاشية البرد اليمانىّ المسهَّم

تريد بغنائها جوابَ محمد بن حامد بأن تقول له : طعنة ، فقال لها المأمون : أمسكى ، فأمسكت ، ثم أقبل على النّدماء فقال : من فيكم أومأ إلى عَرِيب بقبلة ؟ والله لئن لم يَصْدُقْنى لأضربنّ عُنقَه ، فقام محمد ، فقال : أنا يا أمير المؤمنين أومأتُ إليها ، والعفو أقرب للتقوى ، فقال : قد عفوتُ .

فقال : كيف استدلّ أميرُ المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأتْ صوتاً ، وهى لا تغنى ابتداء إلا لمعنى ، فعلمتُ أنها لم تبتدئ بهذا الصوت إلا لشىء أُومىٔ به إليها ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلّا إيماء بقبلة ، فعلمت أنها أجابت بطعنة .

قال ابن المعتز : وحدثنى علىّ بن الحسين :

أنّ عَرِيبَ كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيرُه أنها كانت لاتضرب المَثَل إلا بحُسْنِ وجه أبى عيسى وحُسْنِ غنائه ، وكانت تزعم أنها ما عشِقت أحدا من بَنِي هاشم وأصْفَتْه المحبَّةَ من الخلفاء وأولادِهم سِواه .

قال ابن المعتز : وحدثنى بعضُ جوارينا :

أنّ عَرِيبَ كانت تتعشّق صالحًا المنذرىّ الخادمَ ، وتزوّجته سرًّا ، فوجّه به المتوكل إلى مكان بعيد فى حاجة له ، فقالت فيه شعراً ، وصاغت لحنه فى خفيف الثقيل وهو :

صـــوت

أمَّا الحبيبُ فقد مضى بالرغم منّىَ لا الرّضا
أخطأتُ فى تركى لمن لم ألق منه مُعوّضا(١)

قال : فغنّته يوماً بين يدى المتوكل ، فاستعاده ، وجعل جواريه يتغامَزْن ويضحكن ، فأصغَتْ إليهنّ سِرًّا من المتوكل ، فقالت : ياسَحّاقات ، هذا خير من عملكنّ .

بلى سالفتى تجدى ريح الجنة

قال : وحُدِّثت عن بعض جوارى المتوكل ، أنها دخلت يوماً على عريب، فقالت لها: تعالَىْ ويحكِ إلىّ ، فجاءت . قال : فقالت : قبّـِلِى هذَا الموضع مِنّى فإنك تجدين ريح الجَنّة فأومأتْ الى سالفتِها(٢)، ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب فى هذا ؟ قالت : قبّلَنى صالحٌ المنذرىّ فى ذلك الموضع .

وقت انسجام لا وقت ملام

قال ابن المعتز : وأخبرنى أبو عبدالله الهشامىّ قال : حدثنى حمدون بن إسماعيل، قال : حدثنى محمد بن يحيى الواثقىّ ، قال :

قال لى محمد بن حامد ليلة : أُحبُّ أن تُفرِغ لى مَضْرِبَك ، فإنى أريد أن أجيئك ، فأقيمَ عندك ، ففعلتُ ، ووافانى ، فلما جلس جاءت عريبُ ، فدخلت .

وقد حدّثنى به جحظة : قال : حدثنى أبو عبد الله بن حمدون :

أنّ عريب زارت محمدَ بنَ حامد ، وجَلَسا جميعاً ، فجعل يُعاتبها ، ويقول : فعلتِ كذا ، وفعلتِ كذا ، فقالت لى : يامحمد ، هذا عندكَ رأى(٣) ؟ ثم أقبلت عليه، فقالت : يا عاجز خُذْ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه .

---

(١) ب ، م : « عوضا » والمثبت من ف ، وهو أرجح ؛ لأن البيتين من مجزوء الكامل لا مجزوء الرجز . وفى المختار : «لم ألف »

(٢) السالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة الترقوة .

(٣) الجملة استفهامية حذفت منها أداة الاستفهام، كأنها تقول له : أتوافق على أن هذا وقت عتاب.

وقال جحظة فى خبره :

اجعل سراويلى مِخْنَقَتى ، وألصِق خَلْخالى بقُرْطى ، فإذا كان غدٌ فاكتب إلىّ بعتابك فى طومارٍ حتى أكتب إليك بعذرى فى ثلاثة ، ودع هذا الفضولَ ، فقد قال الشّاعر :

صـــوت

دَعِى عَدَّ الذّنوب إذا التقينا تعالىْ لا أعدُّ ولا تعدِّى[1]

وتمام هذا قوله :

فأقسِم لو هممتِ بمدّ شعرى إلى نار الجحيم لقُلْتِ مُدِّى

الشعر للمؤمّل ، والغناء لعريب ، خفيف رمل ، وفيه لعلّوية رَمَل بالبِنصر من رواية عمرو بن بانة :

مع ثمانية الخلفاء

أخبرنى أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخَصيب : قال :

١٨٥ / ١٨

حدثنى أبو الحسن علىّ بن محمد بن الفُرات قال : كنت يوماً عند أخى أبى العباس ، وعنده عَرِيب جالسة على دَسْت مفرد لها ، وجواريها يغنِّين بين يدينا وخلف ستارتنا ، فقلت لأخى — وقدجرى ذكر الخلفاء — : قالت لى عريب : ناكنى منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلا المعتزّ ، فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد . قال ابن الفرات : فأصغيت إلى بعض بنى أخى ، فقلت له : فكيف ترى شهوتها الساعة ، فضحك ولَحَتْه ، فقالت : أىّ شىء قلتم ؟ فجحدتُها . فقالت لجواريها : أمسكن ، ففعلن ، فقالت: هنّ حرائر لئن لم تخبرانى بما قلتما لَينصرفْنَ جميعاً ، وهنّ حرائرُ[2] إن حرِدْتُ من شىء جرى ، ولو أنها تسفيل ، فصَدقتُها . فقالت : وأى شىء فى هذا ؟ أما الشهوة فبحالها ، ولكن الآلة قد بَطَلت[3] أو قالت : قد كَلّت ، عودوا إلى ما كنتم فيه .

---

(١) لا فى « لا أعد » نافية ؛ لأن المرء لا ينهى نفسه ؛ ولا الثانية ناهية بدليل حذف النون .

(٢) استئناف لكلام جديد ، تبين فيه أنها لن تغضب مما يتسارون به فى شأنها مهما يكن .

(٣) ولكن الآلة قد بطلت : تريد أن شبابها ولى .

شرطان فاحشان

وحدثنى الحسنُ بن على بن مودّة : قال : حدثنى إبراهيمُ بن أبى العُبَيْس : قال : حدثنا أبى : قال :

دخلنا على عريب يوماً مُسلّمين ، فقالت : أقيموا اليوم عندى حتى أُطعمكم لوزنيجة صَنَعتْها بِدْعة بيدها من لوز رطب ، وماحضر من الوظيفة ، وأغنيكم أنا وهى ، قال : فقلت لها على شريطة ، قالت : وما هى ؟ قلت : شىء أريد أن أسألك عنه منذ سنين ، وأنا أهابُك ، قالت : ذاك لك ، وأناأقدم الجواب قبل أن تسأل ، فقدعلمت ما هو ، فعجبت لها ، وقلت : فقولى ، فقالت : تريد أن تسألنى عن شرطى أىّ شرط هو ؟ فقلت: إى والله ذاك الذى أردت . قالت : شرطى أيرٌ صُلْب ، و نَكْهَة طيبة ، فإن انضاف إلى ذلك حسنٌ يُوصَف ، وجمالٌ يُحْمد فقد زاد قَدرُه عندى ، وإلا فهذان مالا بدّ لى منهما .

تلقن حبيبها درسا فى كيف تكون الهدية

وحدّثنى الحسنُ بنُ على ، عن محمد بن ذى السّيفين إسحاق بن كنداجيق[1] ، عن أبيه : قال :

كانت عَرِيب تُولَع بى وأنا حديث السن ، فقالت لى يوماً : ياإسحاق قد بلغنى أنّ عندك دَعْوة فابعث إلىّ نَصِيبى منها ، قال : فاستأنفتُ طعاماً كثيراً ، وبعثت إليها منه شيئاً كثيراً ، فأقبل رسولى من عندها مُسرِعاً ، فقال لى : لما بلغتُ إلى بابها ، وعرفَتْ خبرى أمَرَتْ بالطعام فأُنْهِب وقد وَجّهتْ إليك برسول ، وهو معى ، فتحيّرت وظننت أنها قد استقصرَت فِعْلى ، فدخَل الخادم ومعه شىء مشدود فى منديل ورقعة ، فقرأتُها ، فاذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، ياعجمىّ ياغبىّ ، ظننتَ أنّى من الأتراك ووَخْش[2] الجند ، فبعثَ إلىّ بخبز ولَحم وحلواء ، الله المستعانُ عليك ، يا فَدَتْكَ نفسى ، قد وجهت إليك زَلّة[3] من حضرتى ، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال ، ولا تستعمل أخلاق العامة ،

(١) ب : « كنداجين » .

(٢) الوخش : الردىء من كل شىء .

(٣) الزلة : ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه .

فى ردّ الظرف ، فيزداد العيبُ والعَتْبُ عليك إن شاء الله ، فكشفت المنديل ، فإذا طبق ومِكبّة من ذهب منسوج على عمل الخلاف ،وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق،وقد عَصَبَتْ طرفيهما وفيها قطعتان من صدر درّاج مشوى ونقل وطَلْع[١] وملح، وانصرف رسولها[٢]

أيهما أغلى : الخلافة أم الخل الوزى ؟

قال ابن المعتز : حدثنى الهشامىُّ أبو عبد الله ، عن رجل ذكره ، عن علّويه قال : أمرنى المأمونُ وسائرَ المغنين فى ليلة من اللّيالى أنْ نَصِير إليه بُكرةً ليصطبحَ ، فغدونا ولَقِينى المراكبىُّ مولى عَرِيب ، وهى يومئذ عنده ، فقال لى : يأيها الرجل الظالم المعتدى ، أما تَرِقّ ولا ترحم ولا تستحى ؟ عريبُ هائمة تحلُم بك فى النوم ثلاث مرات فى كلّ لَيلة ، قال علّويه : فقلت : أمُّ الخلافة زانية[٣] . ومضيت معه ، فحين دخلت قلت : استوثق من الباب ، فإنى أعرَف خلق الله بفضول البوّابين والحُجاب ، وإذا عريبُ جالسةٌ على كرسىّ تطبخ ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج ، فلما رأتنى قامت تعانقنى وتقبّلنى ، ثم قالت : أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور ، أو تشتهى شيئا يُطْبخ لك ، فقلت : بل قِدْر من هذه تكفينا ، فغرفت قِدْراً منها ، وجعلتها بينى وبينها ، فأكلنا ودَعَوْنا[٤] بالنبيذ ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا ، ثم قالت : يا أبا الحسن ، صَنعت البارحة صوتا فى شعرٍ لأبى العتاهية ، فقلت : وما هو ؟ فقالت هو :

١٨٦ / ١٨

عَذِيرى من الإنسان لا إن جفوته صَفا لى ولا إن كنت طوعَ يديه[٥]

وقالت لى : قد بقى فيه شىء ، فلم نزل نردده أنا وهى حتى استوى ، ثم جاء الحُجّاب

---

(١) الطلع : ثمر النخل أول ظهوره . وفى ف : « وطلح » والطلح : الموز

(٢) تشير هذه القصة والرسالة التى بعثت بها عريب إلى أن هذا الطعام إنما يتقدم للطعام ، أما ما يقدم لمثلها فشىء فوق ذلك يعتمد على الكيف لا على الكم ، وقد شفعت رأيها هذا بالنموذج الذى بعثت به اليه .

(٣) أم الخلافة زانية ، يريد بهذه العبارة تنبيه عريب والاستخفاف بموعد الخليفة كائنة ما تكون النتيجة .

(٤) م : « ودعت » .

(٥) ف : « ولا إن صرت » بدل : « ولا إن كنت »

فكسروا باب المراكبيّ واستخرجونى ، فدخلتُ على المأمون ، فلما رأيته أقبلت أمشى إليه برقص وتصفيق ، وأنا أغنّى الصوت ، فسمع وسمع مَنْ عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه ، وسألنى المأمون عن خبره ، فشرحتُه له . فقال لى : ادنُ وردّدْه ، فردّدْته عليه سبع مرات . فقال فى آخر مرة : يا علّويه . خذ الخلافة واعطِنى هذا الصاحب .

نسبة هذا الصوت

صـــوت

عَذيرى من الإنسان لا إن جَفَوْتُه   صفا لى ولا إن كُنتُ طَوعَ يديه
وإنّى لمشتاقٌ إلى قُربِ صاحِبٍ   يَرُوق ويَصْفُو إن كَدِرْتُ عليه [1]

الشعر من الطويل وهو لأبى العتاهية ، والغناء لعريب ، خفيف ثقيل أول بالوسطى ، ونسبه عمرو بن بانة فى هذه الطريقة والأصبع إلى عَلّويه .

لماذا غضب الواثق والمعتصم عليها

قال ابن المعتز : وحدثنى القاسمُ بن زُرْزور : قال : حدثتنى عَرِيبُ قالت : كنت فى أيام محمد[2] ابنة أربع عشرة سنة ، وأنا حينئذ أصوغ الغناء .

قال القاسم : وكانت عريب تكايد الواثق فيما يَصُوغه من الألحان وتصوغ فى ذلك الشعر بعينه لحناً فيكون أجودَ من لحنه ، فمن ذلك :

لم آتِ عامدةً ذَنْباً إليك بَلَى   أُقِرّ بالذنب فاعفُ اليوم عن زَلَلى

لَحْنُها فيه خَفِيف ثقيل ، ولحن الواثق رَمَل ، ولحنها أجود من لحنه ، ومنها :

أشكو إلى الله ما ألْقَى من الكَمَدِ   حَسْبِى بِرَبِّى ولا أشكو إلى أحَدِ

لحنُها ولحن الواثق جميعا من الثقيل الأول ، ولحنها أجوَدُ من لَحْنِه .

---

(١) ف : « وإنى لمشتاق إلى ظل صاحب   يرق ويصفو ان كدرت عليه »
(٢) تقصد محمدا الأمين .

نسبة هذين الصوتين

صــــوت

لم آتِ عامدةً ذنباً إليــــك بلى أُقِرّ بالذّنب فاعفُ اليوم عن زللى
فالصّــفح من سَيِّدٍ أولى لمُعتَذرٍ وقاك رَبُّك يوم الخوفِ والوَجَلِ

الغِناء للواثق رمل ، ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لِطالب بن يزداد فيه هزجا مطلقا .

١٨٧/١٨

صــــوت

أشكو الى الله ما ألقَى من الـكَمَد حَسْبى بربى ولا أشكُو إلى أحد
أين الزمان الذى قد كنت ناعمةً فى ظِلّه بدنُوِّى منك يا سَندى
وأسألُ الله يوما منك يُفْرِحنى فقد كحلتُ جفونَ العين بالسَّهَد
شوقا إليك وما تدرى بما لقيت نفسى عليك وما بالقلب من كمد[(١)]

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى ، وللواثق ثقيل أول بالبنْصر .

قال ابن المعتز : وكان سببَ انحرافِ الوَاثق عنها ، وكيادها إيّاه ، وانحرافِ[(٢)] المعتصم عنْها أنه وَجَد لها كِتاباً إلى العبّاس بن المأمونِ ببَـلَد الرُّوم: اقتُلْ أنت العِلْج ثَمّ ، حتى أُقتل أنا الأعور الليلى ها هنا . تعنى الواثق ، وكان يَسْهَر بالليل ، وكان المعتصم استخلفه ببغداد .

تغضب على جارية مبتذلة

قال : وحدثنى أبو العُبَيْس بنُ حَمْدون قال :

غَضِبت عَرِيب على بَعْض جواريها المذكورات — وسمّاها لى — فجئتُ إليها يوما ، وسألتُها أن تعفو عنها ، فقالت فى بعض ما تقوله ، مما تعتد به عليها من ذنوبها : يا أبا العُبَيْس

(١) البيت ساقط من ب ، والتكملة من ف ، م .
(٢) انحراف ، بالكسر عطفا على انحراف الأولى ، أى وكان سبب انحراف المعتصم أنه ... الخ .

إن كنت تشتهى أن ترى زِنایَ وصَفاقةَ وَجْهى وجراءتى على كل عظيمة(١ أيام شبابى١)

فانظر إليها ، واعرف أخبارها .

كانت تجيد ركوب الخيل

قال ابن المعتز : وحدثنى القاسم بن زُرْزُور قال : حدثنى المعتمد ، قال : حدثتنى عَرِيبُ أنها كانت فى شبابها يُقدَّم إليها بِرْذَوْن ، فتطفِر عليه بلا ركاب .

قال : وحدثنى الأسدىّ : قال : حدثنى صالح بن على بن الرشيد المعروف بزعفرانة : قال:

تندمج فى الصوت فلا تحس لدغ العقرب

تمارى خالى أبو علىّ مع المأمون فى صوت ،فقال المأمون : أين عَرِيب؟ فجاءت وهى محمومة ، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها ، فقال لها : غنّيه ، فولّت لتجىء بعود ، فقال لها : غنيه بغير عود ، فاعتمدت على الحائط للحُمّى وغنّت ، فأقبلت عقرب ، فرأيتُها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثا ، فما نحّتْ يدها ، ولا سكتت ، حتى فرغت من الصوت ، ثم سقطت وقد غُشِى عليها .

غسالة رأسها تقسمها جواريها

قال ابن المعتزّ : وحدثنى أبو العباس بنُ الفرات : قال :

قالت لى تحفة جارية عَرِيب : كانت عَرِيبُ تجد فى رأسها برْدًا ، فكانت تغلّف شعرها مكان العِلّة(٢) بثلاثين مِثقالاً مِسْكاً وعَنبراً ، وتغسله من جُمْعة إلى جمعة ، فإذا غَسلَتْه أعادته ، وتتقسم الجوارى غُسالةَ رأسها بالقوارير وما تُسرّحه منه بالميزان .

ترتجل معارضة لصوت

حدثنى أحمد بن جعفر جحظة ، عن علىّ بن يحيى المنجّم : قال :

دخلتُ يوما على عَرِيب مسلّما عليها ، فلما اطمأننتُ جالسا هطلت السماء بمطرٍ عظيم ، فقالت: أقم عندى اليوم حتى أُغَنّيَكَ أنا وجوارىّ ، وابعثْ إلى مَنْ أحببتَ من إخوانك ، فأمرتُ بدوابىّ فرُدّت ، وجلسنا نتحدّث ، فسألتنى عن خبرنا بالأمس فى مجلس الخليفة ، ومن كان يغنينا ، وأىّ شىء استحسنا من الغناء ، فأخبرتها أنّ صوت الخليفة كان لحنًا صنعه بنانٌ من الماخورىّ ، فقالت : وما هو ؟ فأخبرتها أنه :

(١-١) التكملة من ف ، م .
(٢) م ، ب : « الغسلة » .

صـــوت

تُجـــافِى ثم تَنطبقُ   جفونٌ حَشوُها الأرقُ
وذى كَلَفٍ بكى جَزَعًا   وسَفْرُ القوم مُنطلِقُ
به قَلَـــقٌ يُمَلْمِلُه   وكان وما به قَلَـــقُ ١٨٨ / ١٨
جوانحُـهُ على خَطَرٍ   بِنارِ الشّوق تحترِقُ

فوجَّهتْ رسولا إلى بنان، فحضر من وقته، وقد بلّته السماء، فأمرت بخلَع فاخرة، فخُلِعَت عليه، وقُدِّم له طعام فاخر، فأكل وجلس يشرب معنا، وسألتْه عن الصوت، فغناها إيّاه فأخذت دَوَاةً ورُقعة وكتبت فيها:

أجاب الوابِلُ الغَدِقُ   وصاح النّرجس الغَرِقُ
وقد غنّى بنان لَنا :   جُفونٌ حَشوُها الأَرقُ
فهاتِ الكأسَ مُترعةً   كأنَّ حُبابَها حَـدَقُ

قال علىّ بن يحيى: فما شربنا بقيّة يومنا إلا على هذه الأبيات.

رموز برموز

حدّثنى محمد بن خلف بنُ المرزبان، عن عبد الله بن محمد المروزىّ: قال:

قال لى الفضل بن العباس بن المأمون: زارتنى عَرِيبُ يوما ومعها عِدّةٌ من جواريها، فوافتنا ونحن على شرابنا، فتحادثنا ساعة، وسألتها أن تُقيم عندى، فأبت وقالت: دعانى جماعة من إخوانى من أهْل الأدب والظَّرف، وهم مجتمعون فى جَزيرة المُؤَيَّد، فيهم إبراهيمُ بن المُدَبِّر وسَعِيدُ بن حُمَيد ويحيى بن عيسى بن منارة، وقد عزمتُ على المسير إليهم، فحلفت عليها، فأقامت عندنا، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت:

بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك فى سطر واحد ثلاثة أحرفٍ متفرقة لم تزد عليها، وهى:

أردت، ولولا، ولعلى(١).

---

(١) لعل المراد برموزها : أردت الحضور اليكم ، ولولا أنهم منعونى ما تخلفت ، ولعلى أستطيع الإفلات . ولعل المراد برموز ابن المدبر : ليت ما أردته نفذ ، و ماذا صنعم

ووجهت به إليهم ، فلما وصلت الرقعة عَيُّوا بجوابها ، فأخذ إبراهيم بن المدبّر الرقعةَ ، فكتب تحت أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت لعلى : أرجو . ووجهوا بالرقعة فصفقَّت ونَعَرت[1] وشربت رطلا وقالت لنا : أأترك هؤلاء وأقعد عندكم ؟ إذًا تركنى الله من يديه ، ولكننى أُخلِّف عندكم من جوارىّ مَنْ يكفيكم ، وأقوم إليهم ، ففعلت ذلك وخلَّفت عندنا بعضَ جواريها ، وأخذت معها بعضهن ، وانصرفت .

لما حكم النظام

أخبرنا محمد بن خلف ، عن سعيد بن عثمان بن أبى العلاء ، عن أبيه قال :

عتَب المأمون على عَريب ، فهجرها أياما ، ثم اعتلّت فعادها ، فقال لها : كيف وجدت طعم الهَجْر ؟ فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، لولا مرارة الهجر ما عُرِفت حلاوةُ الوَصْل ، ومن ذَمّ بدءَ الغضب أحمد عاقبةَ الرضا ، قال : فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدثهم بالقصة ، ثم قال : أتُرى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيرا[2] ؟

لا تريد دخيلا بينها وبين المأمون

حدثنى محمد بن خلف ، عن أبى العيناء ، عن أحمد بنِ أبى داوُد : قال :

جرى بين عَريب وبين المأمون كلامٌ ، فكلمها المأمون بشىء غَضِبت منه ، فهجَرته أياما ، قال أحمد بن أبى دُواد : فدخلتُ على المأمونِ ، فقال لى : يا أحمد ، اقضِ بيننا ، فقالت عريبُ : لا حاجة لى فى قضائه ودخوله فيما بيننا ، وأنشأت تقول :

وتخلِط الهجرَ بالوصال ولا يدْخُل فى الصُّلح بَيننا أحدُ

ماذا كانت تفعل فى خلوتها مع محمد ابن حامد

حدّثنى محمد بن خلف قال : حدثنى محمدُ بن عبد الرحمن ، عن أحمد بن حمدون ، عن أبيه ، قال :

كنتُ حاضرا مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صَلاة العشاء الآخرة فى ليلة ظلماء ذاتِ رُعود وبُروق ، فقال لى المأمون : اركب الساعة فرسَ النَّوْبة وسِرْ إلى عَسْكر أبى إسحاق — يعنى المعتصم — فأدِّ إليه رِسالتى فى كيت وكيت ، قال : فركبتُ

١٨٩ / ١٨

(١) نعرت نعيرا ونعارا : صاحت وصوتت بخيشومها .

(٢) ف : « كثيرا » . ويريد بالنظام الفيلسوف المعروف عند علماء الكلام .

ولم تَثْبُت معي شمعة ، وسمعت وقع حافر دابة ، فرهبْت ذَلِك ، وجعلت أتوقّاه ، حتى صَكَّ ركابي رِكابَ تلك الدّابة ، وبرَقت بارقة فأضاءت وَجْه الراكب ، فإذا عَرِيب ، فقلت : عريب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ قلت : نعم . ثم قلت : من أين أقبلتِ[1] في هذا الوقت ؟ قالت : من عند محمد بن حامد ، قلتُ : وما صنعتِ عنده ؟ قالت عريب : [2]ياتكش، عريب[2] تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجةً من مَضْرِب الخليفة وراجعةً إليه ، تقول لها : أيَّ شيء عَمِلت عنده ؟ صَلّيتُ معه التراويح ؟! أو قرأت عليه أجزاءً من القرآن ، أو دارسته شيئا من الفقه ، يا أحمق تعاتَبنا ، وتحادثنا ، واصطلحنا ، ولعبنا ، وشربنا ، وغنينا ، وتنايكنا ، وانصرفنا ، فأخجلتْني وغاظتني ، وافترقنا ، ومضيت فأدّيت الرّسالة ، ثم عدت إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشُد الأشعار ، وهَممت والله أن أحدّثه حديثَها ، ثم هِبْتُه فقلت : أقدّم قبل ذلك تعريضا بشيء من الشعر ، فأنشدته :

ألا حيِّ أطلالا لواسعة الحبل[3] ... ألوفٍ تسوّى صالح القوم بالرَّذْل
فلو أن من أمسَى بجانب تلعَة ... إلى جبلَيْ طيٍّ فساقطة الحَبْلِ
جلوسٌ إلى أن يَقْصر الظلّ عندها ... لراحوا وكُلّ القوم منها على وصْل

فقال لي المأمون : اخفِض صوتَك لا تَسمعْك عَرِيب فتغْضَب ، وتظنّ أنّا في حديثها ، فأمسكتُ عما أردت أن أخبره ، وخار الله لي في ذلك .

حدثني محمد بن أحمد الحكيمي : قال : أخبرني ميمون بن هارون : قال : قال لي

---

(١) لفظ « أقبلت » من ف .
(٢-٢) تكملة من ف ، ولم نجد لتكش أصلا في العربية .
(٣) واسعة الحبل : كناية عن أنها لا ترد يدَ لامس ، والأبيات الثلاثة في وصف امرأة متهتكة غاية التهتك . وفي المختار : « ... لقاطعة الحبل ... تساوى صالح القوم بالنذل » .

ابن اليزيدى :

تعشق ولا تعشق

حدثنى أبى قال : خرجنا مع المأمون فى خروجه إلى بلد الرّوم ، فرأيت عريبَ فى هودج ، فلما رأتنى قالت لى : يا يزيدىّ ، أنشدنى شعرًا قلتَه حتى أَصنع فيه لحنا[1] فأنشدتها :

ماذا بقلبي من دوام الخفْق[2] إذَا رأيتُ لمعانَ البَرْقِ
من قِبَل الأردُنِّ أو دِمشْق لأنّ من أهوَى بذاك الأُفْق
فإنّ فيه وهو أعزّ الخلْق علىّ والزّورُ خلاف الحق[3]
ذاك الذى يَملِك منّى رِقِّى ولست أبغِى ما حَييتُ عِتْقِى

قال : فتنفّستْ تنفّسا ظننت أن ضُلوعها قد تقصّفت منه ، فقلْتُ : هذا والله تنفس عاشق ، فقالت : اسكت يا عاجز[4] أنا أعشق ، والله لقد نظرت نظرة مريبة فى مجلس ، فادّعاها من أهل المجلس عشرون رئيسا ظريفا .

بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها

حدثنى محمد بن خلف : قال : حدثنى أحمد بن أبى طاهر : قال : حدثنى أحمدُ ابنُ حَمْدون : قال :

وقع بَين عَريب وبين محمد بن حامد شرّ ، وكان يَجِد بها الوَجْد كُلَّه ، فكادا يَخرُجان من شرّهما إلى القطيعة ، وكان فى قلبها منه أكثرُ مما فى قلبه منها ، فلقيتْه يوما ، فقالت له : كيف قلبُك يا محمد ؟ قال . أشقى والله ما كان[5] وأقرحُه ،

(١) ب : « أنشدنى شعرا قلت حتى أسمع فيه لحنا » .
(٢) فى المختار : « من أليم الخفق » .
(٣) هذا البيت من المختار .
(٤) ف : « ياعاض » والمعضوض محذوف لمعرفته .
(٥) أشقى : مضافة الى « ما » ، والقسم فاصل بين المتضايفين ، يريد أن يقول : قلبى أشقى ما كان وأقرحه والله .

فقالت له : استبدل تسْلُ[1] ، فقال لها : لو كانت البلوى باختيار لفعلت ، فقالت : لقد طال إذاً تعبك ، فقال : وما يكون ؟ أُصْبِر مُكرَهًا ، أما سَمعتِ قَولَ العباسِ ابن الأحنف .

تَعَبٌ يطول[2] مع الرجاء بذى الهَوى   خَيرٌ له من راحةٍ فى الياسِ
لولا كرامتكم لما عاتبتكُم   ولكنتُمُ عندى كبَعْضِ النّاسِ

١٩٠/١٨ قال : فذرفَت عيناها ، واعتذرت إليه وأَعتَبَتْه ، واصطلحا ، وعادا إلى أفضلِ ما كانا عليه .

اختلاف فى فن عريب

حدثنى أحمد بن جعفر جحظة : قال : قال لى أبو العباس بن حمدون — وقد تجاذبنا[3] غناءَ عَريب — : ليس غناؤها مما يعتدّ بكثرته ، لأن سَقَطه كثير ، وصنعتها ساذجة ، فقلت له : ومن يُعرَف فى الناس كُلّهم من مُغنٍّ الدولة العباسية سَلِمت صنعتهُ كلّها حتى تكون مثلَه ! ثم جعلت أعدّ ما أعرفه من جَيّد صَنْعَتها ومُتَقَدّمها وهو يعترف بذلك ، حتى عددت نحوا من مائة صوت مثل لحنها فى :

* يا عزّ هل لك فى شيخٍ فتًى أبدا *
و * سيسليك عما فات دولةَ مفضل *
و * صاح قد لمت ظالما *
و * ضحك الزمان وأشرقت *

ونحو هذا ، ثم قال لى : ما خَلّفتْ عريبُ بعدها امرأةً مثلَها فى الغناء والرّواية والصَّنْعة ، فقلت له : لا ، ولا كثيراً من الرجال أيضا .

قصة لحن فى بيت يتيم

ولعريبَ فى صنعتها :

* ياعزّ هل لكِ فى شيخٍ فتى أبدا *

(١) ب : « استبدل بديلا » .
(٢) ب : « يكون » . وفى المختار : « للنى الهوى » .
(٣) ب : « تجارينا » .

خبرٌ أخبرنى ببعضه أحمد بنُ عبيد الله بن عمار ، عن ميمون بن هارون .

وذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بنَ إبراهيم بن الخصيب حدّثه عمّن يثق به ، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبىّ : قال :

قالت لى عريب : حج بى أبوك وكان مضعوفا ، فكان عديلى ، وكنت فى طريقى أطلب الأعراب فأستنشدُهم الأشعارَ ، وأكتب عنهم النوادر وسائرَ ما أسمعه منهم ، فوقف شيخٌ من الأعراب علينا يسأل ، فاستنشدتُه ، فأنشدنى :

يا عزّ هل لك فى شيخ فتًى أبدا وقد يكون شبابٌ غيرُ فتيان

فاستحسنتُه ، ولم أكن سمعته قبل ذلك ، قلت : فأنشدنى باقى الشعر ، فقال لى : هو يتيم ، فاستحسنت قوله وبرّرتُه ، وحفظت البيت وغنّيت فيه صوتا من الثقيل الأول ، ومولاى لا يعلم بذلك لضعفه . فلمّا كان فى ذلك اليوم عَشِيًّا قال لى : ما كان أحسن ذلك البيت الذى أنشدَكِ إياه الأعرابىّ ، وقال لك : إنه يتيم . أنشدينيه إن كنت حَفِظْته ، فأنشدتُه إياه ، وأعلمته أنى قد غنّيت فيه ، ثم غنيته له ، فوهب لى ألف درهم بهذا السبب ، وفرح بالصوت فرحا شديدا .

قال ابن المعتز : قال ابن الخصيب :

فحدثنى هذا المحدِّث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبى عيسى بن المتوكل — ومن هاهنا تتصل روايةُ ابن عَمّار ، عن ميمون ، وقد جمعتُ الرّوايتين إلا أن مَيمون بنَ هارون ذكر أنهم كانوا عِنْد جَعْفر بن المأمون ، وعندهم أبو عيسى ، وكان عندهم علىُّ بنُ يحْيى ، وبِدعة جاريةُ عَريب تغنيهم — فذكر علىُّ بنُ يحيى أن الصّنعةَ فيه لِغَير عَريب ، وذكر أنها لا تَدَّعى هذا وكابرَ فيه ، فقام جعفرُ بنُ المأمون ، فكتب رُقْعَة إلى عريب — ونحن لا نعلم — يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة ، ففعلت ، فكتبت إليه بخطها :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هَنِيًّا لأرباب البيوت بُيُوتُهم وللعَزَب المسكين ما يَتَلَمَّسُ

أنا المسكينة ، وحيدة فريدة بغير مؤنس ، وأنتم فيما أنتم فيه ، وقد أخذتم أنسى ومن كان يُلهينى — ، تعنى جاريتها: بدعة وتحفة — فأنتم فى القصف والعزف، وأنا فى خلاف ذلك ، هنا كم الله وأبقاكم[1] ، وسألتَ — مدّ الله فى عمرك — عما اعتَرضَ فيه فلان ، والقِصَّةُ فى هذا الصوت كذا وكذا ، وقصَّتْ قِصَّتها مع الأعرابىّ كما حدّثت به ، ولم تَخْرُم حرفا منها ، فجاء الجواب إلى جَعْفر بن المأمون فقرأه وضحك ، ثم رمى به إلى أبى عيسى ، ورمى به أبوعيسى إلىّ ، وقال : اقرأه ، وكان علىّ بن يحيى جالسا إلى جَنْبى ، فأراد أن يَسْتَلِب الرقعة ، فمنعتهُ ، وقمت ناحية ، فقرأتُها : فأنكر ذلك ، وقال : ما هذا ؟ فورّينا الأمرَ عنه لئلا تقع عربدة ، وكان — عفا الله عنا وعنه — مبغضا لها .

١٩١/١٨

تروى قصة غرامية عن أبى محلم

قال ابن المعتز : وحدثنى أبو الخطّاب العَبّاسُ بنُ أحمدَ بنِ الفُرات ، قال : حدثنى أبى ، قال :

كنا يوما عند جعفر بن المأمون نشرب وعَريبُ حاضرةٌ إذ غَنَّى بعضُ مَنْ كان هناك :

يا بدرُ إنّك قد كُسِيت مشابِهاً من وجه ذاكَ المستنيرِ اللّائحِ
وأراكَ تمصَح[2] بالمحاق، وحسنُها باقٍ على الأيام ليس ببارح

فضحكت عَريب وصفّقت وقالت : ما على وجه الأرض أحدٌ يعرف خبر هذا الصَّوتِ غيرى ، فلم يَقْدِم أحدٌ منا على مسألتها عنه غيرى ، فسألتها ، فقالت : أنا أخبركم بقصته ، ولولا أن صاحب القِصَّة قد مات لمَا أخبرتكم ، إن أبا مُحلِّم قدِمَ بغداد ، فنزل بقرب دار صالح المسكين فى خانٍ هناك ، فاطّلعت أمُّ محمد[3] ابنةُ صالح يوما، فرأته

(١) ف : « وأمراكم »
(٢) مصح يمصح مصوحا : ذهب وانقطع ، والمراد هنا ذهاب الضوء ، وفى ف : « تمسح » ، وفى المختار : « تسمج بالمحاق » .
(٣) ف : « أم صالح » وهو تحريف بدليل ما جاء فى النص الوارد فى البيت الثانى .

يبول ، فأعجبها مَتاعُه[١] ، وأحبَّتْ مواصلتَه، فجعلت لذلك علّةً بأن وَجّهتْ إليه تقترض منه مالاً ، وتُعلِمُه أنّها في ضِيقَة وأنّها تردّه إليه بعد جُمْعَة ، فبَعَث إليها عَشرةَ آلافِ دِرْهم ، وحلَف أنّه لو مَلَك غيرَها لبَعَث به ، فاستحسنتْ ذلك وواصلته ، وجعلت القرضَ سببا للوُصْلة ، فكانت تُدخلُه إليها ليلا ، وكنت أنا أُغنّى لهم ، فشربنا ليلةً فى القمر ، وجعل أبو مُحَلِّم ينظر إليه ، ثم دعا بدواة ورقعة ، وكتب فيها قوله :

يا بدرُ إنك قد كُسِيتَ مشابها من وَجْهِ أمّ محمد ابنةِ صَالحِ

والبيت الآخر ، وقال لى : غَنِّ فيه ، ففعلتُ واستحسَنّاه وشرِبنا عليه ، فقالت لى أم محمد فى آخر المجلس : يا أختى ، قد تنبّلت[٢] فى هذا الشعر إلا أنَّه سيبقى علىَّ فَضِيحة آخر الدهر ، فقال أبو مُحَلِّم : وأنا أُغيّره ، فجعل مكان أمّ محمد ابنة صالح « ذاكَ المستنير اللائح » . وغَنّيتُه كما غَيَّره ، وأخذه الناسُ عنى ، ولو كانت أمُّ محمد حَيّة لما أخبرتكم بالخبر .

فأما نِسْبة هذا الصوت

فإنّ الشعر لأبى مُحَلِّم النَّسّابة ، والغِناء لعَرِيب ثقيل أوّل مُطْلَق فى مَجْرى الوُسْطى من رواية الهِشامىّ وغيره ، وأبو مُحَلِّم اسمه عوف بنُ مُحَلِّم .

تستزير حبيبها فيخشى على نفسه

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ ، عن ميمونِ بن هارون : قال :

كتبت عَرِيبُ إلى محمد بن حامد — الذى كانت تهواه — تستزِيرهُ ، فكتب إليها : إنى أخاف على نفسى ، فكتبت إليه :

صــوت

إذا كنتَ تحذرُ ما تحذرُ وتزعُم أنك لا تجسُرُ
فمالى أُقيمُ على صَبْوَتى ويومُ لِقائِك لا يُقدَرُ

(١) متاعه : قُبُله
(٢) ف : « يابنتى إنك قد غنيت » . وتنبلت : أظهرت مهارة وحذقا .

فصار إليها من وقته .

لعريب فى هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا فى الخبر رَمَل ، ولشارية خَفِيف رمل ، جمعا من رواية ابن المعتز ، والبيتان الآخران : ١٩٢ / ١٨

تبيَّنتَ عذرى وما تَعذِر وأبليتَ جسمى وما تشعرُ
أَلِفْتَ السُّرورَ وخَلَّيْتَنى(١) ودَمْعِى من العينِ ما يَفترُ

وذكر ميمون فى هذا الخبر أن محمدَ بن حامد كتب إليها يُعاتبها فى شىءٍ كَرِهَه ، فكتبت إليه تعتذر ، فلم يقبل ، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت .

صــوت

أَحببتُ من شعر بَشّار لحبِّكُمُ بيْتا ، كلِفتُ به من شِعْرِ بَشّار
يا رحمةَ اللهِ حُلِّى فى مَنازِلنا(٢) وجاوِرِينا فدَتْكِ النَّفسُ من جارِ
إذا ابتَهلتُ سألتُ اللهَ رحمتَه كَنيتُ عنك وما يَعدُوكِ إضمارِى

الشعرُ لأبِى نُواس منه البيت الأول ، والثانى لبشار ضمَّنه أبو نواس ، والغناء لعريب ثقيل أول بالبنصر ، ولعمرو بن بانة فى الثانى والثالث رمل .

وهذا الشعر يقوله أبو نواس فى رحمة بن نجاح عَمّ نجاح بنِ سَلَمة الكاتب .

رحمة حبيبة بشار ورحمة حبيب أبى نواس .

أخبرنى بخبره علِىُّ بنُ سليمان الأخفشُ ، عن محمد بن يزيد النحوىِّ : قال : كان بَشّارٌ يُشبِّبُ بامرأة يقال لها رحمة ، وكان أبو نواس يتعشق غلاما اسمه رحمة بن نجاح ، عَم نَجاح بنِ سَلَمَة الكاتب ، وكان متقدما فى جماله ، وكان أبوه

(١) ف ، م : «وخلفتنى» .

(٢) يريد بشار رحمة محبوبته كما يشير إلى ذلك البيت الثالث ، وكما ورد فى القصة ، والمضمن — كما يدل سياق القصة أيضا — هو المصراع الأول من البيت الثانى ، لا البيت كله .

قد ألزمه وأخاه[1] رجلا مدنيا، وكان معهم كأحدهم، وأكثر أبو نواس التشبيبَ برحمة فى إقامته ببغداد وشخوصه عنها، وكان بشار قد قال فى رحمة المرأة التى يهواها.

يا رحمةَ الله حُلّى فى منازلنا   حَسْبى برائحة الفِرْدَوْس من فِيك
يا أطيبَ الناسِ ريقًا غيرَ مُخْتَبَرٍ   إلا شِهادةَ أطرافِ المساويكِ

فقال أبو نواس، وضمّن بيتَ بَشّار.

أحببت من شعر بشار لحبّكم   بيتًا كَلِفتُ به من شِعْر بَشّار

الأبيات الثلاثة ...

وقال فيه:

يا مَن تأهّب مُزْمِعًا لِرواحِ   مُتَيَمّمًا بغدادَ غيرَ مُلاحِ
فى بَطْن جارِيةٍ كَفَتْك بسَيْرِها   رَمَلاً وكلَّ سِباحة السُّبّاحِ[2]
بُنِيت على قَدَرٍ ولاءم بينها   صِنْفان من قارٍ ومن أَلواحِ
وكأنها — والماء ينضح صدرَها   والخَيزُرانة[3] فى يَدِ المَلاّحِ —
جُونٌ[4] من الغِربان يبتدر الدّجى   يَهْوِى بصَوْتٍ واصطِفاقِ جَناحِ
سلّم على شاطى الصَّراة[5] وأهلِها   واخصُص هناك مَدِينةَ الوَضّاحِ

---

(١) أخاه معطوف على الهاء فى ألزمه.

(٢) جارية: يقصد سفينة جارية، والرَّمَل: ضرب من السَّير، وهو الهرولة، ويريد أن السفينة كفته مؤونة السير على القدم واجتياز النهر سباحة.

(٣) الخيزرانة: مجداف السفينة.

(٤) جون: خبر كأن، والجونُ: الأبيض والأسود، والمراد به هنا الأسود.

(٥) الصَّراة: نهر بالعراق، وفى ب، م: «السَّراة».

واقصدْ ـ هُدِيت[1] ـ ولا تكن متحيّرا   في مقصدٍ عن ظَبْي آل نَجاحِ
عن رحمة الرحمن واسأل مَنْ ترى   سِيماه سِـيما شاربٍ للرّاحِ
فإذا دُفِعْتَ إلى أغنَّ وألثغٍ   ومُنَعَّم ومُكَحَّل ورَداحِ[2]
وكشْمَشِينا وكبدرنا حاشى التى   سَمَّيْتها منه بنَـوْر أقاحى
فاقصِد لوقت لِقائه فى خَلْوة   لِتَبوح عنى ثَمَّ كلَّ مباحِ ١٩٣/١٨
واخبرْ[3] بما أحبَبْت عن حالى التى   ممَسَاىَ فيها واحدٌ وصَباحِى

قال : فافتدى أبو رحمة من أبى نواس ذِكر ابنه بأن عَقَد بينه وبينه حُرْمَة، ودعاه إلى منزله، فجاءه أبو نواس والمدينىّ لا يعرفه، فمازحه مِزاحاً أسرف عليه فيه، فقام إليه رحمة، فعرفه أنه أبو نواس، فأشفق المدينىّ من ذلك، وخاف أن يهجوه ويشهِّر اسمه، فسأل رحمةَ أن يكلمه فى الصفح له والإغضاء عن الانتقام، فأجابه أبو نواس وقال :

اذهبْ سلمتَ من الهجاء ولذعه   وأمَا ولَثغةِ رحمةَ بنِ نجاحِ
لولا فُتورٌ فى كلامك يُشتَهى   وتَرفُّقِى لك بعدُ واستِملاحِى
وَتكَسُّرٌ فى مقلتيك هو الذى   عَطَفَ الفؤادَ عليكَ بعد جِماحِ
لعَلِمتَ أنك لا تمازِح شاعِراً   فى ساعةٍ ليست بحينِ مُزاحِ

صــوت

مدخل إلى ترجمة معقل بن عيسى

أأبكاك بالعُرُف المنزلُ   وما أنت والطَّلَلُ المُحولُ؟
وما أنتَ ويكَ ورسمُ الدِّيَارِ   وسِنُّك قد قاربت تَكمُلُ؟

---

(١) ف : « واقصد هناك » .
(٢) الرداح : الثقيل الأوراك .
(٣) وصلت همزة (أخبر) لضرورة الشعر .

عروضه من المتقارَب ، والشعر للكميت بن زيد الأسدىّ ، والغناء لمَعْقِل بن عِيسى أَخِي أبى دُلَفٍ العِجلىّ ، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر ، وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبدَ الرحمن بنَ عَنْبسة بنِ سَعِيد بنِ العاصِى بن أمية .

أخبرنى الحسنُ بن علىّ : قال : حدثنى الحسَن بن عُلَيْل العَنَزِىّ ، عن علىّ بن هشام[1] ، عن محمد بنِ عبد الأعلى بن كناسة : قال :

كان بين بنى أسد وبين طيئ بالُحصّ — وهى قرية من قادِسيّة الكوفة — حربٌ ، فاصطلحوا وبقى لطيئ دِماءُ رَجُلَين ، فاحتمل ذلك رَجلٌ من بنى أسد ، فمات قبلَ أن يؤدّيه ، فاحتمله الكميت بن زيد ، فأعانه فيه عبدُ الرحمن بنُ عَنْبسة ، فمدحه بقوله :

أأبكاكَ بالعُرُفِ المنزلُ   وما أنت والطّلل المحوِلُ

فأعانه الحكم بن الصلت الثقفىّ ، فمدحه بقصيدته التى أولها :

* رأيت الغوانىَ وحشا نَفُورا *

وأعانه زيادُ بن المُغَفّل الأسدىّ ، فمدحه بقصيدته التى أولها :

* هل للشباب الذى قد فات من طلب ؟ *

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء ، فأقبل الرجل يعطى الكميتَ المائتين ، والثلاث المائة ، وأكثر وأقل ، قال : وكانت دِيَةُ الأعرابى حينئذ ألفَ بَعِيرٍ ودِيَةُ الحَضرىّ عَشْرَةَ آلافِ دِرهم ، وكانت قيمة الجمل عَشْرة دراهم ، فأدّى الكميتُ عِشْرين ألفًا عن قيمة ألفى بَعِير .

(١) ف : « حدثنا أبو مسلم على بن مسلم » بدل « عن على بن هشام » .

نسبة ما فى أشعار الكميت هذه من الأغانى

صـــوت

منها :

هل للشباب الذى قد فات من طلبِ   أم ليس غابرُه الماضى بمُنقلبِ
دَعِ البكاء على ما فات من طلب   فالدّهر يأتى بألوان من العَجبِ ١٩٤/١٨

غنّاه إبراهيمُ الموصلىّ خَفيف رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى من رواية إسحاق .

ذكر معقل بن عيسى

شاعر مغن

كان معقلُ بن عيسى فارسا شاعراً جَواداً ، مغنّيا فَهما بالنّغم والوتر ، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبى دُلَف وتقريظِه فى المعرفة بالنغَم ، وقال : إنه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صَنْعةً ، إذ سَلَّمَ ذلك له أخوه مَعْقِل ، وإنما أَخْمَلَ ذِكرَه ارتفاعُ شأن أخيه ، وهو القائل لأبى دلف فى عَتْبٍ عَتَبه عليه :

أُخَىَّ مالكَ ترميــنى فتُقْصِدَنى   وإن رَمَيتُك سهما لم يجُزْ كبدِى
أُخَىَّ مالكَ مجبــولا على ترَتى   كأن أجسادنا لم تُغْذَ(١) من جسدِ

وهو القائل لمخارق ، وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل، ثم رجع إلى العراق ، أخبرنى بذلك علىّ بن سليمان الأخفش عن أبى سَعيدٍ السكرىّ :

صــــوت

لعمرى لئن قَرّتْ بقُربك أعينٌ   لقد سَخِنت بالبَيْن منك عُيونُ
فَسِرْ أو أقِم وقفٌ عليك محبّتى(٢)   مكانُك من قلبى عليك مَصونُ
فما أُوحشَ(٣) الدنيا إذا كنتَ نازحًا   وما أحسنَ الدنيا بحيثُ تكونُ

عروضه من الطويل ، والشعر لمعقل بن عيسى ، والغناء لمخارق ، ولحنه من الثّقيل الأول بالوسطى ، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل ، و فيه ثانى ثقيل يقال : إنه لمخارق ، ويقال : إنه لمعقل .

(١) ف : « لم نغذ » .
(٢) ف : « مودتى » .
(٣) ف : « فما أقبح » .

ومن شعر معقل قولُه يمتدح المعتصمَ ، وفيه غِناء للزُّبَيْر بن دَحْمان من الثقيل الأول بالبنصر :

صـــوت

الدارُ هاجك رسمُها وطلولُها   أم بَيْنُ سُعْدَى يوم جَدَّ رحيلُها
كُلٌّ شجاك فقل لعينك أعولِى   إن كان يُغنِى فى الديار عَوِيلُها
ومحمدٌ زينُ الخلائف والذى   سَنَّ المكارمَ فاستَبان سَبِيلُها

صـــوت

أليسَ إلى أجبال شمخٍ إلى اللِّوَى   لِوَى الرَّمل يوما للنفوس مَعادُ ؟
بِلادٌ بها كُنَّا ، وكنا مِنَ أهلِها   إذِ النّاسُ ناسٌ والبلادُ بلادُ

خبر رجل من عاد — الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا ، والغناء لابن محرز ، ولحنه من الثّقيل الأول بالبنصر عن ابن المكى ، وقيل : إنه من منحوله إليه .

أخبرنى ابن عمار(١) عن أبى سعد ، عن محمد بن الصّبّاح : قال : حدثنا يحيى بن سلمة ابن أبى الأشهب التيمىّ(٢) عن الهيثم بن عدىّ : قال : أخبرنى حمّاد الرّاوية : قال :

حدثنى ابنُ أختٍ لنا من مراد : قال : وليتُ صدقاتِ قومٍ من العرب ، فبينا أنا ١٩٥/١٨ أقسمها فى أهلها إذ قال لى رجل منهم : ألا أريك عجبا ؟ قلت : بلى ، فأدخلنى فى شِعب من جبل ، فإذا أنا بسهم من سهام عاد ، من فتى قد نشب فى ذِروة الشّعب وإذا على الجبل تجاهى مكتوب :

---

(١) ف : « أحمد بن عبيد الله بن عمّار » .

(٢) ف : « التميمي » .

ألا هَلْ إلى أبياتِ شمخ إلى اللّوى ... لِوى الرّمل يوما للنفوس معادُ ؟
بلاد بها كُنّا وكنا مِنَ آهلها ... إذِ النّاسُ ناسٌ والبلاد بلادُ

ثم أخرجنى إلى ساحل البحر ، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً ، ويظهر تارة ، وإذا عليه مكتوب: يا بن آدم يا بن عبدِ ربه ، اتّقِ الله ، ولا تعجل فى أمرك ، فإنك لن تسبق رزقَك ، ولن تُرزق ما ليس لك ، ومن البصرة إلى الديل ستمائة فرسخ ، فمن لم يصدق بذلك فليمشِ الطريقَ على الساحل حتى يتحقّقَه ، فإن لم يَقْدِر على ذلك فلينْطَحْ برأسه هذا الحجر .

صــوت

يا بيتَ عاتكةَ الذى أتعزّلُ ... حَذَرَ العِدا وبه الفُؤادُ موكّلُ

إنى لأمنحكَ الصّدودَ وإننى ... قَسَمًا إليكَ مع الصّدود لأمْيَلُ

أتعزله : أتجنبه وأكون بمعزل عنه . العِدا : جمع عدوّ ، ويقال عُدًا بالضم وعِدا بالكسر ، وأمنحك : أعطيك . والمنيحة : العطية . وفى الحديث أن رجلا منح بعض ولده شيئاً من ماله ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أكلَّ ولدكَ منحتَ مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فارجعه .

الشعر للأحوص بن محمد الأنصارى ، من قصيدة يمدح بها عمر بن العزيز ، والغناء لمعبد ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر ، عن إسحاق ويونس وغيرهما ، وفيه لابن سُرَيج خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن الهشامى وابن المكى وعلى بن يحيى .

الأحوص وبعض أخباره

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرميّ عن الزبير[1] قال : حدثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي ، وأخبرنا به الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن مُصْعَب الزبيريّ ، عن المؤمّلي ، عن عمر بن أبي بكر الموصلي ، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر : قال :

الأحوص يعارض ابن أبي دباكل أو يسرقه

خرجت أنا والأحوصُ بنُ محمد مع عبدِ الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج ، فلما كنا بقُدَيْد قلنا لعبد الله بن الحسن : لو أرسلت إلى سليمانَ بن أبي دُباكل ، فأنشدَنا شيئا من شعره ، فأرسل إليه فأتانا ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها :

يا بيتَ خَنْساءَ الذى أتجنَّبُ ... ذهب الشباب وحُبُّها لا يَذْهبُ
أصبحتُ أمنَحُكِ الصدودَ[2] وإنّني ... قَسماً إليك مع الصّدود لأجنُبُ
ما لِي أحنّ إلى جمالِك قُرِّبت ... وأصُدُّ عنك وأنت مِنّيَ أقربُ
لله درُّك هل لديك مُعوَّلٌ ... لمتيَّم أم هل لوُدِّك مَطلبُ ؟
فلقد رأيتك قبل ذاكَ وإنني ... لمُوكَّل بهواكِ أو متقرِّب
إذ نحن في الزمن الرخيّ وأنتمُ ... متجاورون كلامُكم لا يُرقَبُ
تبكى الحمامةُ شَجوها فتَهيجُني ... ويروح عازبُ همِّيَ المتأوِّبُ
وتَهُبُّ جاريةُ الرياح مِنَ ارضكم[3] ... فأرى البلاد لها تُطِلُّ وتُخصِب

---

(1) ف : « الحرمى بن أبي العلاء ، قال : حدثنا الزبير بن بكار » .

(2) ف : « إني لأمنحك الصدود » ، وكاف الخطاب مكسورة على اعتبار أن المخاطب محبوبته الخنساء ، أو مفتوحة على أن المخاطب بيتها والأول أنسب .

(3) وصل همزة أرض لضرورة الشعر .

١٩٦ / ١٨

وأرى السَّمية باسكم فيزيدُني ... شوقًا إليك رجاؤك المُتنَسَّبُ[(١)]
وأرى العدوَّ يودّكم فأودّه ... إن كان يُنسب منك أولا يُنسبُ
وأخالِفُ الوَاشِينَ فيك تجمُّلًا ... وهم عليَّ ذَوُو ضغائنَ دُوَّبُ
ثم اتخــذتِهم عليَّ وَليجة[(٢)] ... حتى غَضِبتُ ومثلُ ذلك يُغضِبُ

قال : فلما كان من قابل حجَّ أبو بكر بُن عبد العزيز بن مروان ، فقدم المدينة ، فدخل عليه الأحوصُ ، واستصحبه فأصحبه ، فلما خرج الأحوصُ قال له بعض من عنده : ماذا تريد بنفسك ؟ تقدُم بالأحوص الشام، وبها من يُنافِسك من بنى أبيك ، وهو من الأَفَن والسَّفَه على ما قد علمت فَيعيبُونك به . فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجّزا لما وعده من الصحابة[(٣)] فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال : يا خال ، إنى نظرت فيما سألتنى من الصحابة فكرهت[(٣)] أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه فيجبهكَ فيشمتَ بك عدوّى من أهل بيتى ، ولـكن خُذْ هذه الثيابَ والدنانير ، وأنا مستأذن لك أميرَ المؤمنين ، فإذا أذن لك كتبت إليك ، فقدمتَ علىّ ، فقال له الأحوص: لا ولـكن قد سُبِعْتُ[(٤)] عندك ، ولا حاجة لى بعطيّتك ، ثم خرج من عنده ، فبلغ ذلك عمرَ بنَ عبدالعزيز ، فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أميرُ المدينة ، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار ، وكساه ثيابًا فأخذ ذلك ، ثم قال له : يا أخى هَبْ لى عِرْض أبى بكر ، قال : هو لك ، ثم خرج الأحوص ، فقال فى عروض قصيدة سليمان بن أبى دُبا كل قصيدةً مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز .

---

(١) هذا البيت تكملة من ف ، وهو ساقط من باقى النسخ .
(٢) وليجة : أصدقاء وأعوان .
(٣-٣) التكملة من ف ، م . وجاء مكانها : « فقال له كرهت . . . الخ » فى النسخ الأخرى
(٤) سبع فلان فلانا : شتمه ووقع فيه ، يريد : أنك تغيرت على بسبب الوشاية .

وقال حماد : قال أبى : سرق أبيات سليمان بأعيانها ، فأدخلها فى شعره ، وغيّر قوافِيَها فقط ، فقال :

يا بيتَ عاتـكةَ الذى أتعزَّلُ   حذَرَ العِدَا وبه الفؤاد موكَّلُ
أصبحتُ أمنحُكَ الصّدودَ وإنَّنى   قسَمًا إليكَ مع الصّـدود لأَمْيَلُ
فصددتُ عنكَ وماصددتُ لِبغْضةٍ   أخشى مقالةَ كاشحٍ لا يَعْقِلُ
هل عيشُنا بكَ فى زمانكَ راجِـعٌ   فلقد تفاحشَ[1] بعـدكَ المتعلَّلُ ؟
إنى إذا قُلتُ اسـتقام يحُطُّه   خُنُفٌ كما نظر الخِلافَ الأقبَلُ[2]
لو بالّذى عالجت لِينَ فؤاده   فأبَى يُلانُ بِهِ لَلانَ الجَنْدلُ[3]
وتجنُّبى بَيتَ الحبيبِ أودُّه   أُرضِى البغيضَ به ، حديثٌ مُعْضِلُ
ولئن صددتُ لأنتِ لولا رِقبتى   أهوَى من اللائى أزورُ وأدْخُلُ
إنّ الشّبابَ وعيشَنا اللذّ[4] الذى   كُنّا به زمنـا نُسرُّ ونَجْـذَلُ
ذهبت بشاشتهُ وأُصبِح ذِكرُه   حُزْنا يُعلُّ به الفؤاد وينهـلُ
إلاّ تذَكُّرَ ما مضى وصبابةً   مُنِيَتْ لقـلْب متيّمٍ لا يَذْهلُ
أودَى الشبابُ وأخلقَتْ لذّاتُه   وأنا الحزينُ على الشباب المُعْوِلُ

---

(١) ف : « تقاعس » .

(٢) ب ، س ، م : « بأنى إذا قلت ... الأحول » . القَبَل : الحول ، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى .

(٣) معنى البيت : لو أننى عالجت الجندل بما عالجت به فؤاده فلم يلن للان الجندل ، فهنا محذوف يفهم من سياق الكلام .

(٤) الّذْ : اللّذيذ ، وفى ف : « كنّا به زمنا نحل ونَنْهل » وهى رواية مرجوحة لما جاء فى البيت التـالى .

يبكِي لما قَلَب الزمانُ جديدَه … خَلقاً وليس على الزّمان مُعوّلُ(١)

والرأس شـامِلُه البَياضُ كأنه … بعد السّواد به الثّغامُ المُحْجِلُ(٢)

وسـفيهةٍ هبّت عليّ بسُحْرةٍ … جَهْلاً تلوم على الثّواء وتعْذِلُ(٣)

فأجبتُها أن قلتُ لستِ مُطاعةً … فذرِى تنصُّحكِ الذى لا يُقبَلُ

إنّى كَفانِي أن أعالج رِحْـلَةً … عُمَرٌ ونبْوَةُ من يضنّ ويبخل ١٩٧/١٨

بنَوال ذِى فجرٍ تكون سِجالُه … عَمَمًا إذا نزل الزّمانُ المحلُ

ماضٍ على حدث الأمور كأنه … ذو رَوْنقٍ(٤) عَضْبٌ جَلاهُ الصَّيْقلُ

تُبدِى الرجال إذا بدا إعظامه … حذَرَ البُغاث هَوَى لهنّ الأجْدَلُ(٥)

فيرون أنّ له عليهم سـورةً … وفضـيلةً سَبَقَت له لا تُجْهَـلُ

مُتحمِّل ثِقَلَ الأمورِ حوى له … سـبقَ المـكارم سابقٌ مُتَمَهِّلُ

وله إذا نُسِبَت قريشٌ منهم … مجدُ الأرومة والفَعالُ الأفضلُ

وله بمكة إذ أميّة أهلُهـــــا … إرثٌ إذا عُدّ القـديمُ مُؤثّلُ

---

(١) قلب بمعنى صيّر ، وخلقا مفعول ثان له .

(٢) الثغام : نبت أبيض ، ويقال : أثغم الرأس : صار كالثغام بياضا ، والمحجل من الحجل ، وهو البياض فى رجل الفرس ونحوه ، فهو صفة مؤكدة ، وفى ب ، م : «المحول» بدل «المحجل» أى الثغام الذى مضى عليه الحول ، والرواية الأولى أرجح ، وفى ب «شاملة البياض» وقد رجحنا رواية ف ، م ؛ لأن الرأس مذكر .

(٣) بسُحرة إنها تعذلنى وقت السحر ، وفى ب «الثراء» بدل «الثواء» والمثبت من ف وهو أوفق لما فى الأبيات التالية .

(٤) ذو رونق : صفة لموصوف محذوف ، والتقدير : كأنه سيف ذو رونق .

(٥) ف «الحمام» بدل «البغاث» ، والأجدل : الصقر . يريد أن الرجال يهابون عمر كما يهاب البغاث أو الحمام الصقر .

أعيت قرابتُهُ وكان لُزومُه أمْرًا أبانَ رَشَادَه مَنْ يَعقِلُ[(١)]
وسَموتَ عن أخلاقهم فتركتَهم لنـــداك إنّ الحازمَ المتحوّلُ
ولقد بدأتُ أريدُ وُدّ معاشرٍ وَعَدُوا مواعِدَ أخلفت إن حُصِّلوا
حتى إذا رجع اليقينُ مطامِعِى يأســًا وأخلفَنى الذين أؤمّلُ
زايلتُ ما صَنَعوا إليك برِحْلَةٍ عَجْلَى وعنـدك عنهمُ مُتَحَوَّلُ
ووعدتَنى فى حاجةٍ فصَدَقْتَنى ووفيتَ إذ كَذَبُوا الحديثَ وبَدَّلوا
وشـكوتُ غُرمًا فادحًا فحملتَه عَنّى وأنت لمثـــلِه مُتَحمِّلُ
فلأشـكرنَّ لك الذى أوليتَنِى شُـكراً تُحلُّ به المطِىُّ وتُرحَلُ
مِدَحًا تكون لكم غرائبُ شعرها مَبْــذُولَةً ولغيركم لا تُبذَلُ
فإذا تنَحَّلْتُ القريضَ فإنّه لـكم يكون خيـارُ ما أَتنَحَّلُ
ولعمرُ مَن حَجّ الحجيجُ لبَيْته تَهْوِى به قُلُص المَطِىّ الذُّمَّلُ
إنّ امرأً قد نال منك قرابةً يَبْغى منافِعَ غيرها لَمُضَلَّـلُ
تَعفُو إذا جَهِلُوا بحلمك عنهم وتُنِيل إن طلبوا النّوال فتُجزِلُ
وتكون مَعْقِلَهمْ إذا لم يُنجِهم من شَرّ ما يخشون إلاّ المَعْـقِلُ[(٢)]
حتى كأنك يُتَّقى بك دونَهمْ من أسْدِ بِيشة خادِرٌ مُتَبسِّلُ[(٣)]

(١) مو ، ب ، م : « أعيت قرائنه وكان لزومه أثرا أبان وشاده من يعقل
والصواب ما أثبتناه ، والمعنى عليه : أن الالتجاء إلى الممدوح أمر أشار به ذوو التجربة والخبرة .
(٢) مو : « من شرما يخشى ونعم المعقل » .
(٣) بيشة : مكان اشتهر بأسده ، الخادر : اللى لزم عرينه ، متبسل : عابس غضبا ، أو شجاعة .

وأراكَ تفعلُ ما تقول وبَعضُهم مَذِقُ[1] الحديث يقول مالا يَفْعل
وأرى المدينةَ حين صِرْتَ أميرَها أَمِنَ البَرِى بها ونام الأعزلُ

فقال عمر : ما أُراك أعفيتنى مما استُعْفيت منه ، قال : لأنه مَدَحَ عمر وعَرَّض بأخيه أبى بكر .

(١) مذق الحديث : مخلوطه غير خالصه ، وأصله من مذق اللّبن : خلطه بالماء .

نسبة ما مضى فى هذه الأخبار من الأغانى

صـــوت

مالى[1] أحِنُّ إذا جِمالُك قُرِّبت وأصدّ عنك وأنت مِنّىَ أقربُ؟
وأرى البلادَ إذا حللتِ بغيرها وَحْشا وإن كانت تُظَلّ وتُخْصِبُ
١٩٨/١٨ يا بيتَ خنسـاء الذى أتجنّب ذهب الشباب وحُبُّها لا يذهَبُ
تبكى الحمامةُ شجوَها فتَهيجُنى ويَرُوحُ عازب هَمِّىَ المتـأوِّبُ

الشعر لسليمان بن أبى دُباكل ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر ، عن عمرو . وقال ابن المكّى : فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز ، وأوله :

* تبكى الحمامة شجوها فتهيجنى *

من هى عاتكة ؟

أخبرنى الحسينُ بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبى ، وقال محمدُ بن كُناسة : حدثنى أبو دُكين بنُ زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر : قال : رأيت عاتكة التى يقول فيها الأحوص :

* يا بيت عاتكةَ الذى أتعزل *

وهى عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالا من نيلج [2] تتملّح به

أخبرنى الحرمىّ عن الزبير ، عن محمد بن محمد العمرىّ : قال :

عاتكة التى يُشبّب بها الأحوصُ عاتكةُ بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .

أخبرنى الحرمىّ ، عن الزبير ، عن إسحاق بن عبد الملك :

---

(١) ف : « إنى أحنّ » .
(٢) النيلج : دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر .

أن الأحوص كان لَيِّنًا ، وأن عاتكة التى يَنْسِب بها ليست عاتكةَ بنتَ عبد الله ابن يزيد بن معاوية ، وإنما هو رجل كان ينزل قُرًى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة

أخبرنى الحرمىّ عن الزبيرىّ عن يعقوب بن حكيم : قال :

كان الأحوص لَيِّنًا، وكان يلزم نازلا بالأشراف ، فنهاه أخوه عن ذلك ، فتركه فَرَقًا من أخيه ، وكان يمرّ قريبا من خيمة النازل بالأشراف ويقول:

يا بيت عاتكة الذى أتعزّل   حذر العدا وبه الفؤاد موكل

يكنى عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه .

الفرزدق وكثير يزوران الأحوص

أخبرنى الحرمى ، عن الزبيرى، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم : قال: حدثنى عبد العزيز بن عمران : قال :

قدم الفرزدق المدينة ، فقال لكُثَيِّر ؟ هل لك بنا فى الأحوص نأتيه ونتحدث عنده ؟ فقال له : وما نصنع به ؟ إذا والله نجد عنده عبداً حالكا أسود حلوكا يؤثره علينا ، ويَبِيتُ مضاجعه ليلته حتى يصبح ، قال الفرزدق : فقلت : إن هذا من عداوة الشعراء بعضِهم لبعض، قال: فانْهَضْ بنا إليه إذاً — لا أبَ لغيرك — قال الفرزدق : فأردفتُ كُثَيِّرًا ورائى على بَغْلَتى ، وقلت : تلفّفْ(١) يا أبا صخر ، فمثلُك لا يكون رَدِيفًا ، فخمّر رأسه وألصق فىّ وجهه ، فجعلتُ لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا : من هذا وراءك يا أبا فراس ؟ فأقول : جارية وَهبَها لى الأمير، فلما أكثرت عليه من ذلك، واجتاز على بنى زُرَيق ، وكان يُبغِضهم، فقلتُ لهم ما كنت أقول قبل ذلك ، كشف عن رأسه وأومَض(٢) وقال : كذَب ، ولكنى كرِهتُ أن أكون له رديفًا (٣ وكان حديثُه لى مُعجبًا٣) ، فركبت وراءه ، ولم تكن لى دابة أركبُها إلا دابته ، فقالوا : لا تعجل يا أبا صَخر ، ههنا دَوابُّ كثيرة تركَبُ

(١) يريد بتلففة أن يتنكر ، حتى لا يعرفه الناس
(٢) أومض : أشار إشارة خفيفة رمزا أو غمزا
(٣–٣) التكملة من مو ، ف .

منها ما أردت ، فقال: دَوابّكم والله أبغضُ إلى من رِدْفه ، فسكتوا عنه . وجعل يتغشّم(١) عليهم ، حتى جاوز أبصارهم ، فقلت: والله ما قالوا لك بأسا ، فما الذى أغضبك عليهم ؟ فقال : والله ما أعلم نفراً أشدّ تعصبا للقرشيين من نفر اجتزتُ بهم ، قال : فقلت له : وما أنتَ — لا أمّ(٢) لك ولقريش — قال : أنا والله أحدهم ، قلت : إن كنتَ أحدَهم فأنت والله دَعيُّهم ، قال : دَعِيُّهم خيرٌ من صَحيح نسب العرب ، وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم ، أنا أحد بنى الصَّلْت بن النضر ، قلت : إنما قريش ولد فهرْ بن مالك ، فقال : كَذَبت . فقال : ما عِلمُك يا بن الجَعْراء بقريش ؟ هم بنو
النَّضْر بن كنانة ، ألم تر إلى النبى صلى الله عليه وسلم انتسب إلى النَّضْر بن كنانة ، ولم ١٩٩ / ١٨
يكن ليجاوز أكرمَ نسبه ، قال : فخرجنا حتى أتينا الأحوص ، فوجدناه فى مشربة له ، فقلنا له : أنرقَى إليك أم تنزل إلينا ؟ قال : لا أقدر على ذلك ، عندى أمّ جعفر ، ولم أرها منذ أيام ، ولى فيها شُغل ، فقال كُثيِّر : أم جعفر والله بعضُ عبيد الزّرانيق(٣) فقلنا له : فأنشدنا بعضَ ما أحدثتَ به ، فأنشدنا قوله :

يا بَيْتَ عاتكةَ الذى أتعزّل حذرَ العِدا وبه الفؤادُ مُوكَّل

حتى أتى على آخرها ، فقلت لكثير : قاتله الله ، ما أشعره ، لولا ما أفسد به نفسَه ، قال : ليس هذا إفسادا ، هذا خَسْفٌ إلى التُّخوم ، فقلت : صدقت ، وانصرفنا من عنده ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : إن شئت فمنزلى ، وأحملُك على البغلة ، وأهب لك المِطْرف ، وإن شئت فمنزلك ولا أرزؤك شيئا ، فقال : بل منزلى ، وأَبْذُلُ لك ما قدرت عليه ، وانصرفنا إلى منزله ، فجعل يحدثنى ويُنشدنى حتى جاءت الظّهر ، فدعا لى بعشرين

(١) يتغشم : يتجنّى .

(٢) ب ، س ، م : « لا أرض لك » .

(٣) الزرنوق : النهر الصغير ، وتزرنق : استقى على الزرنوق بالأجرة ، فالمراد بعبيد الزرانيق الذين يكرون السقى .

دينارا وقال : استعِن بهذه يا أبا فرس على مقدمك ، قلت : هذا أشد من حُمْلَان بنى زُرَيق ، قال : والله إنك ماتأنف من أخذ هذا من أحد ، غيرِ الخليفة ، قال الفرزدق: فجعلت أقول فى نفسى : تالله إنه لمن قريش ، وهممت ألا أقبل منه . فدعتنى نفسى — وهى طَمِعَةٌ — إلى أخذها منه ، فأخذتها .

من هى الجعراء ؟

معنى قول كُثَيِّر للفرزدق : يابن الجعراء : يُعَيِّره بِدُغَة ، وهى أم عمرو بن تميم ، وبها يُضرب المثل فى الحماقة ، فيقال : هى أحمق من دُغَة ، وكانت حاملا ، فدخلت الخلاء ، فولدت ، وهى لا تعلم ما الولد ، وخرجت وسَلاها[1] بين رجليها ، وقد استهل ولدها ، فقالت : يا جارتا ، أيَفتح الجعر فاه[2] فقالت جارتها : نعم يا حمقاء ، ويدعو أباه ، فبنو تَمِيم يُعَيَّرُون بذلك ، ويقال للمنسوب منهم : يا بن الجعراء .

ملاحاة بينه وبين السرى

أخبرنى الحرمىّ ، عن الزبير قال : حدّثنى سُليمانُ بن داود الجمحىّ : قال :

اجتاز السّرِىّ بنُ عبدِ الرّحمنِ بنِ عُتبة بن عُوَيْمر بن ساعدة الأنصارىّ بالأحوص وهو ينشد قوله :

* يا بيتَ عاتـكةَ الذى أتعزّل *

فقال السّرىّ :

يابيت عاتـكةَ المُنَوَّهَ باسمِـه ... اقعُد على مَنْ تحتَ سَقْفِك واعْجَل

فواثبَه الأحوصُ ، وقال فى ذلك :

فأنت وشتمى فى أكاريسِ[3] مالك ... وسَبِّى به كالـكلْب إذ يَنْبح النَّجْما

(١) السلا : جلدة يكون فيها الولد من الناس والمواشى .

(٢) الجعر : ما يبس من العذرة .

(٣) الأكاريس : جمع أكراس ، وأكراس جمع كرس بمعنى الجماعة ، وفى مو : «وسبّى له»

تَداعَى(١) إلى زَيْد وما أنتَ منهم تُحقُّ أبًا إلّا الولاءَ ولا أمَّا
وإنّك لو عَدّدْتَ أحسابَ مالك وأيامها فيها ولم تنطق الرَّجْما
أعادتْك عَبْداً أو تنقَّلت كاذِبًا(٢) تَلَمَّسُ فى حىٍّ سوى مالك جِذْما
وما أنا بالمَحْسوس فى جِذْمِ مالك ولا بالمُسَمَّى ثم يلتـــزم الإسما
ولـكن أبِى لَوْ قد سألتَ وجدتَه توسَّطَ منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْما

فأجابه السَّرِىُّ فقال :

سألتُ جميـــعَ هذا الخلق طُرًّا متى كان الأُحَيْوص من رجالِى

وهى أبيات ليست بجيدة ولا مختارة ، فألغَيْتُ ذِكرها .

شعره يسعف دليل المنصور

٢٠٠
١٨

أخبرنى محمد بن أحمد بن الطلاّس أبو الطّيب ، عن أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنى ، وأخبرنى به الحَرَمِىّ ، عن الزبير : قال : حدثنى عمى — وقد جمعت روايتيهما —

أنّ المنصورَ أمر الرّبيع لما حجّ أن يُسايره برجل(٣) يعرف المدينة وأهلَها وطرقَها ودُورَها وحيطانها ، فـكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الربيع زمانا ، وهو رجل من الأنصار ، فقال له : تهيأ فإنى أظن جَدَّك قد تحرّك ، إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطانها ودورها فتَحسَّسْ(٤) موافقته ولاتبتدئه بشىء حتى يسألك ، ولا تـكتُمه شيئا ، ولا تسأله حاجة ، فغدا عليه بالرجل ، وصلَّى المنصور، فقال : يا ربيعُ ، الرجل ، فقال : ها هو ذا ، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر(٥) من أبيات المدينة ، فأقبل عليه المنصور ، فقال : من أنت أولا ؟ فقال : من لا تبلغُه

(١) تداعى : مضارع حذفت منه إحدى التاءين ، وفى ف : «تدعى» ، والمعنى على كليهما : تنسب إلى زيد ولست منهم .
(٢) ب «أعادتك عبدا وانتقلت مكذبا» .
(٣) م ، مو ، ف : «أن يبغيه رجلا» .
(٤) ف ، م : «فتحمر» بدل «فتحسس» ، وفى ب : «فتحسن» .
(٥) ندر : خرج .

معرفتُك — هكذا ذكر الخرّاز وليس فى رواية الزبير — فقال : مالك من الأهل والولد؟ فقال : والله ما تزوجتُ ، ولا لِى خادمٌ ، قال : فأين منزلك ؟ قال : ليس لى منزل ، قال : فإن أميرالمؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم ، فرمى بنفسه فقبَّلَ رجله ، فقال له : اركب ، فركب ، فلما أراد الانصراف قال للربيع : يا أبا الفضل ، قد أمَرَ لى أمير المؤمنين بصلة ، قال : إيه ، قال : إن رأيت أن تنجِّزَها لى ، قال : هيهات ، قال : فأصنع ماذا ؟ قال : لا أدرى والله — وفى رواية الخراز أنه قال : ما أمر لك بشىء ، ولو أمربه لدعانى ، فقال: أعْطه أو وقِّعَ إلىّ — فقال الفتى : هذا همٌّ لم يكن فى الحساب ، فلبِثتُ أياما ، ثم قال المنصور للربيع : ما فعلَ الرجل ؟ قال : حاضر ، قال : سايرنا به الغداة ، ففعل ، وقال له الربيع : إنه خارج بعد غد ، فاحتلْ لنفسك ، فإنه والله إن فاتك فإنه آخرُ العهد به ، فسار معه ، فجعل لا يمكنه شىء حتى انتهى إلى مسيره ، ثم رجع وهو كالمُعْرِض عنه ، فلما خاف فوتَه أقبل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيتُ عاتكة ، قال : وما بيتُ عاتكة ؟ قال : الذى يقول فيه الأحوصُ .

* يا بيتَ عاتكة الذى أتعزل *

قال : فَمَهْ ، قال : إنه يقول فيها :

إنّ امرأً قد نال منك وسيلةً ... يرجُو منافعَ غيرِها لمضلَّلُ
وأراكَ تفعَلُ ما تقول وبَعضُهم ... مَذِقُ الحديث يقول مالا يَفْعَل

فقال الزّبير فى خبره: فقال له : لقد رأيتُك أذكرتَ بنفسك ، يا سليمان بنَ مخلد ، أعطه أربعة آلاف درهم ، فأعطاه إياها ، وقال الخرّاز فى خبره : فضحك المنصور ، وقال: قاتلك الله ، ما أظرفك ، يا ربيعُ أعطِه ألف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعةَ آلاف درهم ، فقال: ألفٌ يُحَصَّل خير من أربعة آلاف لا تُحصَّل .

ابن المقفع يتمثل بمطلع لاميته

وقال الخراز فى خبره : حدّثنى المدائنى : قال :

أُخِذ قومٌ من الزنادقة ، وفيهم ابنٌ لابنِ المقفع ، فمرّ بهم على أصحاب المدائن ، فلما رآهم ابنُ المقفع خَشِى أن يُسَلِّم عليهم فيُؤْخَذ، فتمثَّل :

يابيتَ عاتكةَ الذى أتعزّلُ حذَر العِدا وبه الفؤادُ مُوكَّلُ

الأبيات ، فَفَطِنوا لما أراد ، فلم يُسلّموا عليه ، ومضى .

هو ومعبد يردان اخبار جارية

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ عن ابن شَبَّة : قال :

بلغنى أنّ يزيدَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله أن يُجَهِّز إليه الأحوصَ الشاعر ومعبداً المُغَنِّى .

٢٠١ / ١٨

فأخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : حدثنا عبدُ الله بنُ شبيب : قال : حدثنى إسماعيل ابن أبى أويس : قال : حدثنى أبى : قال : حدثنا سلمة بن صفوان الزّرقى ، عن الأحوص الشاعر — وذكر إسماعيل بن سعيد[1] الدمشقى — : أنّ الزُّبير بن بكّار حدثه عن ابن أبى أويس ، عن أبيه ، عن مسلمة بن صفوان ، عن الأحوص ، وأخبرنى به الحرمى ، عن الزبير ، عن عمه ، عن جرير المدينىّ المغنى ، وأبو مسكين : قالوا جميعا :

كتب يزيدُ بن عبد الملك فى خلافته إلى أمير المدينة — وهو عبدُ الواحد ابن عبد الله النّصرىّ — أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومَعْبدًا المغنى مولى ابن قَطَن قال : فَجُهِّزنا وحُمِلنا إليه ، فلما نزلنا عُمانَ أبصرنا غديرا وقصورا ، فقعدنا على الغدير وتحدثنا وذكرْنا المدينة ، فخرجتْ جارية من بعض تلك القصور ، ومعها جرة تريد أن تَستقِى فيها ماء ، قال الأحوص : فتغنّت بمدحى فى عُمَر بن عبد العزيز :

* يا بيت عاتكةَ الذى أتعزل *

فتغنت بأحسن صوت ما سمعْتهُ قط ، ثم طرّبت ، فألقت الجرة فكسرتها ، فقال مَعبد : غنائى والله ، وقلت : شعرى والله ، فوثبنا إليها ، وقلنا لها : لمن أنت يا جارية ؟ قالت : لآل سَعيد بن العاص — وفى خبر جرير المغنى : لآل الوليد بن عقبة — ثم اشترانى

---

(١) ف : « أحمد بن سعيد » .

رجل من آل الوَحيد بخمسين ألفَ درهم ، وشُغف بى ، فَغَلَبَتْه بنتُ عم له طرأت عليه ، فتزوّجها على أمرى ، فعاقَبتْ منزلتُها منزلتى ، ثم علا مكانُها مكانى ، فلم تزدها الأيامُ إلا ارتفاعا ، ولم تزدنى إلا اتضاعا ، فلم ترضَ منه إلا بأن أخدمها ، فوكلتنى باستقاء الماء ، فأنا على ما تريان ، أخرج أستقى الماء ، فإذا رأيت هذه القصورَ والغدرانَ ذكرتُ المدينة ، فطربت إليها ، فكسَرْتُ جرتى ، فيعذلنى أهلى ، ويلوموننى . قال : فقلت لها : أنا الأحوص ، والشعر لى ، وهذا مَعْبد ، والغناء له ، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين ، وسنذكرك له أحسنَ ذكر . وقال جرير فى خبره ووافقه وكيع ، ورواية عمر بن شبة : قالوا : فأنشأت الجارية تقول :

إن تروْنى الغداةَ أسعى بجرٍّ ... أستقِى الماء[1] نحو هذا الغدير
فلقد كنتُ فى رخاء من العيـ ... ـش وفى كل نعمةٍ وسُرورِ
ثم قد تبصِران ما فيه أمسَيْـ ... ـتُ وماذا إليه صار مَصيرى
فإلى الله أشتـكى ما ألاقى ... من هَوانٍ وما يُجِنُّ ضَميرى
أبلغا عنّىَ الإمامَ وما يعـ ... ـرف صِدقَ الحديث غيرُ الخَبير[2]
أننى أضرَبُ الخلائق بالعُو ... د وأحْكاهمُ ببَمٍّ وزِير[3]
فلعـلّ الإلهَ يُنقِـذ مما ... أنا فيه فإننى كالأسـير
ليتنى متّ يوم فارقتُ أهلى ... وبلادى فزُرت أهلَ القبورِ
فاسمعا ما أقول لقّا كما ... الله نجاحا فى أحسن التيسير

فقال الأحوص من وقته :

(١) ف : « أستقى فيه ماء » .

(٢) ف : « مثل الخبير » .

(٣) مو : « بالعود وقد كنت فى سرير الوزير » والبم والزير من آلات الطرب .

صـــوت

إنّ زينَ الغديرِ من كسرِ الجرْ ... دِ وغَنّى غِنـاء فحلٍ مُجيـد

قلتُ : من أنتِ يا ظعينُ فقالت : ... كنتُ فيما مضى لآل الوليدِ

وفى رواية الدّمشقى :

قلت : من أينَ ياخَلوبُ فقالت : ... كنتُ فيما مضى لآلِ سعيد ٢٠٢ / ١٨

ثم أصبحْتُ بعد حَىّ قريشٍ ... فى بنى خالد لآل الوحيـد

فغنائى لمعبَـد ونَشيدى ... لفتى الناس الأحْوَص الصِّنديد

فتباكيْتُ ثم قلت : أنا الأحْـوص والشيخ مَعْبَدٌ فأعيدى

فأعادت لنا بصـوتٍ شجِىٍّ ... يترك الشيخُ فى الصِّبا كالوليدِ

وفى رواية أبى زيد :

فأعادت فأحسنَتْ ثم ولّتْ ... تَتهادَى فقلتُ قـولَ عميـدِ

يعجِزُ المالُ عن شِراكِ ولكن ... أنتِ فى ذِمّـة الهُمـام يزيدِ[1]

ولك اليــومَ ذِمّتى بوفاء ... وعلى ذاكِ من عِظام العهودِ

أنْ سَيجْرِى لك الحديثُ بِصوت ... مَعبدىّ يَرُدُّ حَبْلَ الوريدِ[2]

يفعل الله ما يشاء فظُنّى ... كُلّ خير بنا هناكَ وزيدِى

قالت القينةُ الكَعابُ : إلى اللهِ أمورى وأرْتجى تَسْديدِى

غَنّاه معبد ثانى ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشامى وغيرهما ، وهى طريقة هذا الصوت ، وأهلُ العِلْمِ بالغناء لا يصححونه لمعبَد .

---

(١) ف : « الإمام »

(٢) ب ، مو : « يدر » بدل « يرد » .

قال الأحوص : وضع فيه معبدٌ لحنا فأجادَه ، فلما قَدِمنا على يزيد قال : يا مَعْبَد أَسْمِعنى أحدثَ غِناء غنَّيتَ وأَطْرَاه ، فغناه معبد :

إنّ زينَ الغدير من كَسَرَ الجرّ وغنى غناء فحْل مُجيدِ

فقال يزيد : إن لهذا لَقِصَّة فأَخْبِرانى بها ، فأخْبراه ، فكتب لعامله بتلك الناحية : إنّ لآل فلان جاريةً ، من حالها « ذيت وذيت »، فاشْتَرِها بِما بَلَغَت، فاشتراها بمائة ألف درهم ، وبعث بها هديةً ،وبعث معها بألطافٍ كثيرة ، فلما قَدِمَتْ على يزيد رأى فضلا بارِعًا فأُعْجِبَ بها ، وأجازها ، وأَخْدَمَها ، وأقطعها ، وأفرد لها قصرا ، قال : فو الله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكُساً وطُرَف .

يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثل بشعره عند النكسة

وقال الزبير فى خبره عن عمّه : قال :

أظن القصة كلَّها مصنوعة ، وليس يشبه الشِّعرُ شعرَ الأَحوص ،ولا هو من طرازِه ، وكذلك ذَكَرَ عمرُ بن شبّة فى خبره .

أخبرنى الحرَمىّ ، عن الزّبير قال :

سمعت هشامَ بنَ عبد الله بن عِكْرِمة يحدّث[1]عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام : قال :

كنتُ مع يزيد بنِ عُمَرَ بن[1]هبيرة ليلة الفرات ، فلما انهزم الناسُ التفتَ إلىّ فقال : ياأَبَا الحارث ، أمسَيْنَا والله وهُم كما قال الأحوص :

أَبْكِى لما قَلَبَ الزمانُ جديدَه خلَقًا وليس على الزمان مُعَوَّلُ

بيتان من شعره يؤذنان بزوال الدولة الأموية .

أخبرنى الحَرمىّ عن الزبير عن محمد بن محمد العُمَرىّ :

أنّ عاتكةَ بنتَ عبد الله بنِ يزيدَ بن معاوية رُئيت فى النّوم قبل ظُهورِ دَوْلة بَنِى العباس على بَنِى أمية كأنّها عُريانة ناشِرَةٌ شعرَها تقول :

(١–١) التكملة من ف ، م ، مو .

أينَ الشّبابُ وعيشُنا اللّذُّ الذى   كُنّا به زَمنًا نُسَرُّ ونُجذَل

ذهبت بَشاشتُه وأصبَح ذِكرُه   حزْنا يُعَلُّ به الفؤادُ ويُنْهَل

(١فتأول الناس ذلك بزَوال دنيا بنى أمية ، فكان كما قالوا .

أخبرنى بهذا الخبر الحسن بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الجمحى ، عن شيخ من قريش :

أنه رأى فى النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد ، وهى حاسرة فى يديها عود وهى تضرب به وتغنى :

أينَ الشباب وعيشنا اللذ الذى   كنا به يوما نُسرّ ونجذل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره   حزنًا يُعلّ به الفؤاد وينهل١)

قال : فما لبثنا إلا يسيرا حتى خرج الأمر عن أيديهم ، وقتل مروان .

(٢قال إسحاق : المنامة : الدكان وجمعها منايم٢)

(١–١) التكملة من هد ، هج .

(٢–٢) التكملة من ف

صــــوت

٢٠٣/١٨ ياهندُ إنّكِ لوعلـــتِ   بعاذلَيْنِ تتابعـا
قالا فلمْ أسمعْ لِما[1]   قالا وقلتُ بل اسْمَعا
هندٌ أحبُّ إليَّ من   مالى وروحىَ فارْجِعا
ولقد عَصَيْتُ عَواذِلى   وأطعْتُ قلباً مُوجَعا

الشعر لعبد الله بنِ الحسن بنِ الحسن عليهم السلام ، والغناء لابن سُرَيْج ، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل ، الأوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رَمَل بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، ذكر أبو العُبَيْس أنه لابن سريج وذكر الهشامى وابنُ المكىّ أنه للغريض ، وذكر حَبَش أن لإبراهيم فيه رملاً آخر بالبنصر ، وقال أحمدُ بنُ عُبَيْد : الذى صح فيه ثقيل الأول وخفيفه ورمله ، وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لابن عبّاد .

(١) فى المختار : «قالا فلم يسمع لما ... »

ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن

عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

نسبه

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — عليهم السلام — وقد مضى نسبُه فى أخبار عمِّه الحسينِ صلواتُ الله عليه فى شِعرِه الذى يقول فيه :

لعمـــرُكَ إننى لأُحِبُّ دارا ... تَحلُّ بِهاَ سُكَيْنَةُ والرَّبابُ

ويُـكْنى عبدُ الله بنُ الحسن أبا محمد ، وأمُّ عبدِ الله بنِ الحَسَن بن الحَسَن فاطمةُ بنتُ الحُسَيْن بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، وأمُّها أم إسحاق بنتُ طلحةَ بن عبيد الله ، وأمُّها الجرباء بنت قُسامةَ بن رومان عن طَيِّئٍ .

سميت جدته الجرباء لحسنها

أخبرنى أحمد بن سعيد : قال : حدثنا يحيى بنُ الحسن : قال : إنما سُمِّيت الجَرباء لِحُسْنِها ، كانت لا تقف إلى جنبها امرأةٌ ، وإن كانت جميلة إلا استُقْبِحَ منظرُها لجمالها ، وكان النساء يتحامَيْنَ أن يَقِفْنَ إلى جنبها ، فشُبِّهت بالنَّاقة الْجَرباء التى تتوقَّاها الإبلُ مخافةَ أن تُعْدِيَها .

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خُلقًا ، ويقال : إن نساء بنى تَيْم كانت لهنّ حُظْوةٌ عند أزواجهنّ على سوء أخلاقهنّ ، ويروى أن أمّ إسْحاقَ كانت ربّما حملت وولدت وهى لا تُـكَلِّمُ زَوْجَها .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير بن بكار عن عمِّه بذلك : قال :

وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام ، فلما حضرتْه الوفاةُ دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له : يا أخى إنى أرضى هذه المرأة لك ، فلا تَخْرُجَنَّ من بيوتـكم ، فإذا انقضت عِدَّتُها فتَـزَوَّجْها . فلما تُوفِّى الحَسَن عنها تزوجها الحسين عليه السلام ، وقد كانت ولدت من الحسن عليه

السلام⁽¹⁾ ابنهَ طلحة بن الحسن ، فهو أخو فاطمة لأمها⁽¹⁾ وابن عمها ، وقد درج طلحة ولا عقب له .

جمال وسوء خلق

ومن طرائف أخبار التَّيْمِيَّات من نساء قريش فى حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أُخبرنا به الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله : قال :

كانت أمُّ سلمة بنتُ محمد بنِ طلحة عند عبد الله بن الحسن[٢] وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتُغْلِظ له ، ويَفْرَق منها ولا يخالفها ، فرأى يوما منها طيبَ نَفْس ، فأراد أن يشكو إليها قسوتها، فقال لها : يا بنتَ محمد ، قد أُحرِق والله قلبى ... فَحَدَّدَتْ له النَّظَرَ ، وجمعت وجهها وقالت له : أحرقَ قلبَك ماذا ؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها : سوء خُلقك ، فقال لها : حُبُّ أبى بَكْرٍ الصِّدِّيق ، فأمسكتْ عنه .

٢٠٤ / ١٨

وتزوَّجَ الحسنُ بن الحسن فاطمةَ بنتَ الحُسَيْن فى حَياة عَمِّه ، وهو — عليه السلام — زوَّجَهُ إيّاها .

زواجه فاطمة بنت الحسين

أُخبرنى الطوسىّ والحَرمىّ ، عن الزبير ، عن عمه بذلك ، وحدثنى أحمدُ بنُ محمد ابنِ سعيدٍ عن يحيى بن الحَسَن عن إسماعيلَ بن يعقوبَ : قال : حدثنى جَدِّى عبدُ الله ابنُ مُوسَى بن عبد الله بن الحسن ، قال :

خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحُسَين — صلوات الله عليه — وسأله أن يزوِّجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين عليه السلام . اخترْ يا بُنَيَّ أحبَّهما إليك ، فاستَحْيا الحسن ، ولم يُحْرِ جوابا ، فقال له الحسين عليه السلام : فإنى اخترتُ منهما لك ابنتى فاطمة ، فهى أكثر شبها بأمّى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنى الطوسىّ والحرمىّ عن الزبير عن عمه مصعب :

(١-١) التكملة من ف .

(٢) ف : « موسى بن عبد الله بن الحسن » .

أنَّ الحَسَن لمَّا خيَّره عمُّه اختار فاطمة ، وكانوا يقولون : إنَّ امرأةً ، سُكَيْنة مردودتها ، لمنقطعةُ القَرين فى الجمال .

أخبرنى الطوسىّ والحرمىّ بن أبى العلاء ، عن الزبير بن بكار ، وأخبرنى محمد ابن العباس اليزيدىّ ، عن أحمد بن يحيى وأحمدَ بن زهير ، عن الزبير ، وأخبرنى أحمدُ بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن الزبير بن بكار واللفظ للحَسَن بن على ، وخبرُه أتمّ : قال : قال الزبير : حدثنى عمى مصعب ولم يذكر أحدا .

ليس بمخضوب البنان يمين

وأخبرنى محمدُ بن يحيى عن أيوبَ ، عن عمر بن أبى المَوالِى قال الزبير : وحدثنى عبد الملك بنُ عبد العزيز بنِ يُوسُف بنِ الماجَشون ، وقد دخل حديثُ بعضهم فى بعض حديثِ الآخرين :

أنّ الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاةُ جَزِع ، وجعل يقول : إنى لأجِد كَرْبًا ليس إلا هو كربَ الموت ، وأعاد ذلك دفعات ، فقال له بعض أهله : ما هذا الجزع ، تَقْدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جَدُّك وعلى عَلِىّ والحَسَن والحُسَيْن — صلوات الله عليهم — وهم آباؤُك ؟ فقال : لعمرى إنّ الأمر لكذلك ، ولكن كأنى بعبد الله بن عمرو ابن عثمان حين أموت وقد جاء فى مُضَرَّجَتَيْن[1] أو مُمَصَّرتين وهو يُرَجِّل جُمَّتَه يقول : أنا من بنى عبد مناف جئتُ لأَشْهَد ابنَ عمِّى ، وما به إلا أن يخطُب فاطمة بنتَ الحُسَين ، فإذا جاء فلا يَدْخُلْ عَلَىَّ ، فصاحت فاطمة : أتسمع ؟ قال : نعم ، قالت : أعتقت كل مملوك لى ، وتصدقت بكل ملك لى إن أنا تزوجتُ بعدك أحدا أبدا ، قال : فسكن الحسن وما تنفّس ولا تحرّك حتى قَضَى ، فلما ارتفع الصِّياح أقبل عبدالله على الصِّفَةِ التى ذكرها الحسن ، فقال بعضُ القوم : نُدخِله ، وقال بعضهم : لا يَدْخُل ، وقال قوم : لا يضرّ دُخولُه ، فدخل وفاطمة تَصُكُّ وجهها ، فأرسل إليها وصيفا كان معه ، فجاء يتخطى النَّاسَ حتى دنا منها فقال لها : يقول لك مولاى أبقى على وجهك فإن لنا فيه أَرَبًا ، قال :

(١) ضرج الثوب : صبغه باللون الأحمر .

فأرسلت يدَها فى كُمّها واختمرتْ وعُرِف ذلك منها ، فما لَطَمَتْ وجهَها حتى دُفِن صلوات الله عليه . فلما انقضت عِدَّتُها خَطَبَها فقالت : فكيف لى بِنَذْرِى ويمينى ؟ فقال : نخلف عليك بكل عبد عبدين ، وبكل شىء شيئين ، ففعل وتزوجته ، وقد قيل فى تزويجه إياها غيرُ هذا .

أخبرنى به أحمدُ بن محمد بن إسماعيل الهمدانىّ ، عن يحيى بن الحسن العلوىّ ، عن أخيه أبى جعفر ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الله البكرىّ :

أنّ فاطمة لما خطبها عبدُ الله أبت أن تتزوَّجه ، فحلفتْ عليها أُمُّها لتتزوجَنَّه ، ٢٠٥/١٨

وقامَتْ فى الشّمس ، وآلت لا تبرَح حتى تتزوجه ، فكرهت فاطمةُ أن تُحْرَج ، فتزوجته .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أهله وسيّداً من ساداتهم ومقدَّماً فيهم فَضْلاً وعلما وكرما ، وحبسه أبو جَعْفر المنصور فى الهاشمية بالكُوفة لَمَّا خرج عليه ابناه محمدٌ وإبراهيمُ فمات فى الحَبْسِ ، وقيل : إنَّه سقط عليه ، وقيل غير ذلك .

كان من أجمل الناس وأفضلهم

أخبرنى أحمدُ بنُ محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن عن علىِّ بن أحمد الباهلىّ : قال : سمعتُ مُصعباً الزبيرىّ يقول :

انتهَى كلّ حُسْنٍ إلى عبد الله بن حسن ، وكان يقال : مَنْ أحسنُ الناس ؟ فيقال : عبدُ الله بنُ الحسن ، ويقال : مَنْ أفضلُ الناس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن .

حدثنى محمد بن الحسن الخَثْعَمِىُّ الأشنانى[1] والحسن بن علىّ السلولىّ قالا : حدثنا عبّاد بن يعقوب قال :

حدثنا تليدُ بن سليمان ، قال : رأيت عبدَ الله بن الحسن ، وسمعتُه يقول : أنا أقربُ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدَتْنى بنتُ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

(١) ب : « الأشناندانى » .

(٢) ف ، مو ، م : « ولدنى رسول الله » ، أى أنه ينتسب إلى الرسول من جهتين .

حدثنى أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن، عن إسماعيل بن يعقوب، عن عبد الله بن موسى، قال:

أوّلُ من اجْتَمَعَت له وِلادةُ الحسنِ عليه السلام والحسينِ — صلوات الله عليهما — عبدُ الله بن الحسن عليه السلام:

حدثنى محمد بن الحسن الأشنانىّ، عن عبد الله بن يعقوبَ، عن بُنْدقة بن محمد بن حِجازة الدّهان قال:

رأيت عبدَ الله بن الحسن، فقلت: هذا والله سَيّدُ الناس، كان مكسُوًّا نورا من قَرْنه إلى قَدَمه.

قال علىٌّ بن الحسين: وقد رُوِىَ ذلك فى أخبار أبى جعفر محمد بن علىّ عليه السلام، وأُمّه أمُّ عبد الله بنتُ الحسن بن على عليه السلام.

حدثنى أحمدُ بن محمد بن سَعِيد، عن يحيى بن الحسن، عن القاسم بن عبد الرزّاق: قال:

جاء منظورُ بنُ زَبّانَ الفَزارِىُّ إلى حَسَنِ بن حَسَن — وهو جَدُّه أبُو أمّه — فقال له: لعلك أحْدَثْتَ بعدى أهلا، قال: نعم، تزوجت بنت عَمّى الحسين بنِ علىّ — عليهما السلام — قال: بِئْسَما صنعتَ، أما علمت أن الأرحام إذا الْتَقَت أضْوَتْ(١)، كان ينبغى أن تتزوج فى الغُرُبِ، قال: فإن الله جل وعز قد رزقنى منها ولداً، قال: أرنيهِ، فأخرج إليه عبَدَ الله بن الحسن فسُرَّ به، وقال: أنجبت، هذا والله ليثُ غاب ومَعْدُوٌّ عليه، قال: فإن الله تعالى قد رزقنى منها ولدا ثانيًا، قال: فأرنيه(٢)، فأخرج إليه حسن بن حسن ابن حسن، فسُرَّ به، وقال: أنجبت، وهذا دون الأول، قال: فإن الله قد رزقنى منها ولدا ثالثا، قال: فأرنيه(٢). فأراه إبراهيمَ بنَ الحسن.

(١) مو: «إذا تشابكت أضوت». وأضوت: دقت وضعفت.
(٢-٢) التكملة من م، ف.

غمزة ترجى بها شفاعة

حدثنى أبو عُبَيْدٍ محمد بن أحمد الصيرفىّ : قال : حدثنا محمد بن على بن خلف قال : حدثنا عمر بن عبد الغفار قال : حدثنا سعيد بن أبانٍ القُرشىُّ قال :

كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عبد الله بن الحسن عليه ، وهو يومئذ شاب فى إزارٍ ورِداء ، فرحَّبَ به وأدناه وحيّاه ، وأجلسه إلى جنبه وضاحكه ، ثم غمز عُكْنة من بطنه ، وليس فى البيت حينئذ إلا أموِىّ ، فقيل له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى ؟ قال : إنى لأرجو بها(١) شفاعةَ محمد صلى الله عليه وسلم .

يعطى جائزة

حدثنى عمر بن عبد الله بن جميل العتكىّ ، عن عمرَ بن شبّة ، عن إسماعيلَ بن جعفر الجعفرىّ : قال :

حدثنى سعيد بن عقبة الُجهَنِىّ قال : إنى لعِندَ عبدِ الله بن الحسن إذ أتانى آتٍ ، فقال : هذا رجل يدعوك ، فخرجت ، فإذا أنا بأبى عَدِىٍّ الشاعرِ الأموىّ ، فقال : أعْلِم أبَا محمد ، فخرج إليه عبدُ الله ، وهم خائفون ، فأمر له بأربعمائة دينار ، وهِنْدٍ(٢) بمائتى دينار ، فخرج بستمائة دينار . وقد روى مالكُ بن أنس عَنْ عبدِ الله بنِ الحسنِ الحديث .

٢٠٦/١٨

كان يسدل شعره

حدثنى أحمدُ بن محمد بنِ سَعِيدٍ عن يحيى بن الحسن قال :

حدثنا علىُّ بنُ أحمد الباهلىُّ عن مُصْعَبِ بن عبد الله قال : سئل مالكٌ عن السَّدْل(٣) قال: رأيت مَنْ يرْضَى بفِعْله ؛ عبد الله بن الحسنِ يفعلُه ، والسبب فى حَبْس عبدِ الله بنِ الحسن وخروج ابْنَيه وقتلِهما يَطولُ ذِكرهُ . وقد أتَى عُمَرُ بن شَبَّة منه بما لا يَزِيدُ عليه أحدٌ إلا اليَسِير ، ولـكن من أخباره ما يَحسُن ذكره هاهنا فنذكرهُ .

أخبرنى عُمرُ بن عبد الله العتكى عن عُمرَ بنِ شَبَّة ، قال : حدثنى موسى بن سَعِيد

---

(١) « إنى لأرجو بها » أى بالغمزة المفهومة من المقام ، لا بالبطن .

(٢) الهند : المائة من الإبل ، وفى ف : « بعد بمائتى دينار وآنية بأربعمائة دينار » .

(٣) سدل الشعر سدلا : أرخاه .

السبب فى حبسه وقتل ابنيه

ابن عَبْد الرحمن وأيوبُ بنُ عُمرٍ عن إسماعيلَ بنِ أبى عَمْرو قالوا :

لمّا بنى أبو العبّاس بناءه بالأنبار الذى يُدعَى الرُّصافةَ : رصافةَ أبى العباس قال لعبدِ الله بن الحسن : ادخل فانظر ودخل معه ، فلما رآه تمثل :

ألم ترَ حَوْشَباً أمسَى يُبَنِّى بِناءً نَفْعُه لبنِى نُفَيْله[(١)]
يُؤمِّل أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ وأمرُ اللهِ يحدُثُ كلَّ لَيْلَة[(٢)]

فاحتَملَه أبُو العبّاس[(٣)] ولم يُبَكِّتْه بها .

أخبرنى عَمّى عن ابن شبّة عن يعقوب بنِ القاسم عن عَمْرو بن شهاب ، وحدّثنى أحمدُ بنُ محمدّ بنِ سَعِيدٍ عن يَحْيى بنِ الحَسَن عن الزُّبير عن محمد ابنِ الضَّحّاكِ عن أبيه قالوا :

إن أبا العبّاس كتب إلى عبد الله بن الحَسَن فى تَغَيُّب ابنَيْه :

أُريد حَياتَه ويُرِيد قَتْلِى عَذيرَكَ من خَليلِك من مُرادِ[(٤)]

قال عُمرُ بنُ شَبّة : وإنما كتب بها إلى محمد ، قال عمر بن شَبَّة : فبعثوا إلى عبد الرحمن بنِ مسعود مَوْلى أبى حنين[(٥)] ، فأجابه[(٦)] :

وكيف يُرِيدُ ذاكَ وأنتَ منه بِمنزلة النِّياط من الفُؤادِ

---

(١) مو : « قصورا نفعها » بدل «بناء نفعه». وحوشب : اسم رجل . وفى المختار :
ألم تر حوشبا يبنى قصورا ليبقى نفعها لبنى نفيلة
(٢) ف : « وأمر الله يطرق كل ليلة » .
(٣) يريد بقوله : « فاحتمله أبوالعباس » أى لم يؤاخذه بالتمثل بهذين البيتين اللذين يتطير منهما .
(٤) يشير أبو العباس بهذا البيت إلى أن ابنى عبد الله بن الحسن يضمران له السوء مع إحسانه إليه وإليهما .
(٥) كذا فى ف ، وفى مو : « مولى أبى منصور » .
(٦) ف : « فأجاب عنها . وقال الزبير : أجابه عبد الله بن الحسن فقال » .

وكيف يُريد ذاكَ وأنتَ منه وزَنْدُكَ حين تقدح من زِنادِ[١]
وكيف يُريد ذاكَ وأنتَ منه وأنتَ لِهاشمٍ رأسٌ وَهادِ

أخبرنى عُمرُ بن عبد الله بن شَبَّة عن عِيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على ابن أبى طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال :

بينا أنا فى سَمَر أبى العباس ، وكان إذا تَثاءب أو ألقى المِرْوحة من يَدِه قمنا ، فألقاها ليلة فقمنا ، فأمسكَنى فلم يبقَ غيرى ، فأدخل يدَه تحت فراشه ، وأخرج إضْبارةَ كُتُب وقال : اقرأ يا أبا محمد ، فقرأت فإذا كتابٌ من مُحمدِ بن هِشام بن عمرو التَّغلبىّ يدعوه[٢] إلى نَفْسِه ، فلما قرأتهُ قلت له : يا أمير المؤمنين ، لك عهدُ الله وميثاقُه ألاّ ترى منهما شيئا تكرهه ما كانا فى الدنيا .

أخبرنا العتكىّ عن ابن شَبَّة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر ، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال :

لما استُخلِف أبو جعفر ألحَّ فى طلب مُحمَّد والمسألةِ عنه ، وعمّن يُؤْويه ، فدعا بَنِى هاشمٍ رجلا رجلا ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول : قد عَلِم أمير المؤمنين أنك قد عَرَفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، ولا يريد لك خلافا ، ولا يحب لك معصية ، إلاّ الحسن بن زيد فإنه أخبره خبرَه[٣] ، فقال : والله ما آمنُ وُثوبَه عليك ، وأنه لا ينامُ فيه فَرَ[٤] رأيك فيه قال ابن أبى عبيدة : فأيقَظَ مَن[٥] لا ينام . ٢٠٧ / ١٨

---

(١) فى المختار : « ... حين يقدح فى زناد » .
(٢) أى يدعو عبد الله بن الحسن ليخرج معه على الخليفة .
(٣) فإنه أخبره خبره ، أى أخبر الحسن بن زيد الخليفة خبر محمد .
(٤) أمر من الفعل « رأى » ، وفى ب : « فما رأيك فيه » .
(٥) فأيقظ من لا ينام ، أى سلط عليه الخليفة العيون والأرصاد .

أخبرنى عمر بن عبد الله بن شبّة عن عيسى بن عَبْدِ اللهِ بنِ مَحمّد بن عُمَر بن على ابن أبى طالب عليه السلام عن محمدِ بن عِمْران عن عُقْبَةَ بن سَلْم :

أنّ أبا جَعْفرٍ دعاه ، فسأله عن اسمه ونَسَبه ، فقال : أنا عُقْبَةُ بن سَلْم بنِ نافعٍ بنِ الأَزْدهَانىّ ، قال : إنى أرى لك هَيْئَةً وموضعاً ، وإنى لأريدك لأمرٍ أنا به معنىّ ، قال : أرجو أن أُصدِّقَ ظنَّ أميرِ المؤمنين، قال : فأخفِ شخصَك، وائتِنى فى يوم كذا وكذا ، فأتيتهُ ، فقال : إن بَنِى عَمّنا هؤلاء قد أبَوْا إلا كَيْدًا بمُلكنا ، ولهم شِيعَةٌ بخراسانِ بقَرْية كذا وكذا ، يُكاتبونهم ، ويرسلون إليهم بصدقات وأَلْطاف ، فاذهب[1] حتى تأتيَهم مُتنكِّرا بكتاب تكتبُه عن أهل تلك القرية ، ثم تسير ناحيتَهم ، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك، وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله ابن الحسن متخشعا ، وإن جَبَهَك — وهو فاعل — فاصبر وعاوده أبدًا حتى يأنسَ بك ، فإذا ظهر لك ما فى قلبه فاعجل إلىّ ، ففعَل ذلك ، وفُعِل به حتى أَنِس عبد الله بناحيته، فقال له عقبة : الجواب ، فقال له : أمّا الكتاب فإنى لا أكتُب إلى أحد ، ولكن أنت كتابى إليهم ، فأقرِئهم السلام ، وأخبرهم أنّ ابنى خارج لوقت كذا وكذا ، فشخص عُقْبَةُ حتى قدِم على أبى جعفر ، فأخبَره الخبَر .

أخبرنى العتكىّ عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق ، قال :

سأل أبو جعفر عبدَ الله بن الحسن عن ابنيه لما حَجّ ، فقال : لا أعلم بهما حتى تغالظا ، فأمضّه[2] أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأىّ أمهاتى تُمِضُّنى ؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمة بنت الحسين — عليهم السلام — أم بأم إسحاق بنت طلحة ؟ قال : لا ولا بواحدة منهنّ ، ولكن بالجرباء بنت قسامة

---

(١) ف : « فاخرج بكساً وألطاف »

(٢) أمضه : أحزنه وأحفظه .

فوثب المُسَيَّب بنُ زهير ، فقال : يا أمير المؤمنين، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زيادُ بن عبيد الله، فألقى عليه رداءه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هبه لي ، فأنا المستخرج لك ابنيه ، فتخَلَّصَه منه .

قال ابنُ شَبَّة : وحدثني بكر بنُ عبد الله مولى أَبي بكر ، عن علي بن رباح أخي إبراهيم بن رباح ، عن صاحب المُصَلَّى : قال :

إني لواقفٌ على رأس أبي جعفر وهو يتَغَدَّى بأوطاس[1] ، وهو مُتوجِّه إلى مكة ، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجَعْفَرِيّ وجماعة من بني العباس ،فأقبل على عبد الله بن الحسن، فقال : يا أبا محمد ، محمدٌ وإبراهيمُ أراهما قد استوحَشا من ناحِيتي، وإني لأُحِب أن يأنسا بي ويأتِياني فأصِلَهُما وأزوِّجهما،وأخلطهما بنفسي ، قال : وعبد الله يطرق طويلا ، ثم يرفع رأسه ويقول : وحَقِّك يا أمير المؤمنين مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد عِلم ، ولقد خرجا عن يَدِي ، فيقول :لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى من يُوصِّل كتابك إليهما، قال : وامتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله ، وعَبدُ الله يحلف أنه لا يعرف موضِعَهما ، وأبو جَعْفر يكرر عليه :لا تَفْعل يا أبا محمد.

قال ابن شبة : فحدَّثني محمد بن عباد عن السِّندي بن شاهك :

أن أبا جعفر قال لعقبة بن سَلْم : إذا فرغنا من الطَّعام فلحَظْتُك فامثُل بَيْن يدي عبد الله ، فإنه سيَصْرِف بَصَره عنك ، فَدُرْ حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك ، حتى يملأ عَيْنَيه منك ، ثم حسبُك وإياك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل ذلك عُقبةُ ، فلما رآه عبدُ الله وثب حتى جثا بين يَدَي أبي جعفر ، وقال : يا أمير المؤمنين أقِلْني أقالك الله ، ٢٠٨ / ١٨ قال : لا أقالني الله إن أَقَلْتُك ، ثم أمر بحَبسه .

قال ابنُ شبة ، فحدَّثني أيوبُ بنُ عمر ، عن مُحَمَّد بن خلف المَخْزومِيّ قال : أخبرني العباسُ بنُ محمد بن علي بن عَبْد الله بن عباس قال :

---

(١) أوطاس : اسم واد .

لمّا حَجَّ أبو جعفر فى سنة أربعين ومائه أتاه عبد الله وحسن ابنا حَسَن، فإنهما وإياى لعنده، وهو مَشغولٌ بكتاب ينظر فيه إذ تكلّم المهدىُّ فلَحَن، فقال عبدُ الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر بهذا من يُعدِّل لسانَه، فإنه يفعل فِعْل الأمة، فلم يَفْهم، وغمزْتُ عبد الله فلم يَنْتَبه، وعاد لأبى جعفر فأُحْفِظ من ذلك، وقال له: أين ابنك؟ قال: لا أدرى، قال: لتأتينى به، قال: لو كان تحت قدمىّ ما رفعتُهما عنه، قال: يا رَبيعُ فمُرْ به إلى الحبس.

جته هند بنت أبى عبيدة

أخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن قال:

توفى عبد الله فى مَحْبسه بالهاشمية وهو ابن خَمْس وسَبْعين سنة فى سنة خمس وأربعين ومائة وهند التى عناها عبدُ الله فى شعره الذى فيه الغناء زوجته هند بنت أبى عُبَيدة بن عبْد الله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى بن قُصىّ، وأمها قرينة بنتُ يزيد بن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعة بن الأسود بن المُطَّلب.

وكان أبو عبيدة جواداً ومُمَدَّحًا، وكانت هندُ قبلَ عبد الله بن الحسن تحت عَبدِ الله بن عَبْد الملك بن مروان، فمات عنها.

فأخبرنى الحرمىّ عن الزبير عن سليمان بن عيّاش السعدىّ قال:

لما توفى أبوعبيدة وَجِدَتْ ابنتُه هِنْد وَجْدًا شديدا، فكلّم عبدُ الله بن الحسن مُحَمد ابن بشير الخارجى أن يدخل على هندَ بنْتِ أبى عُبَيدة، فيُعزّيَها ويُؤسّيَها عن أبيها، فدخل معه عليها، فلما نظر إليها صاح بأبْعد صوته.

قومى اضربى عينيك يا هندُ لن تَرَىْ أبًا مثلَه تسمو إليه المَفاخِرُ(1)

وكنت إذا أسبَلْتِ فوقك والدا تَزينى (2) كما زان اليدين الأساوِرُ

(1) البيت من الطويل، ودخله الخرم.

(2) كان الأوفق أن يقال: تُزانى بدل تزينى، فلعل الشاعر أراد تزينى نفسك، وحذف المفعول.

فصَكَّت وجهَها، وصاحت بحَرَبها وجهدها، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دخلت؟ فقال الخارجيّ: وكيف أُعزَّى عن أبى عُبَيْدة وأنا أُعَزَّى به!

أخبرنى العَتَكىّ، عن شَبَّة: قال: حدثنى عبدُ الرحمن بن جعفر بن سليمان، عن علىّ بن صالح، قال:

زوّج عبد الملك بنُ مروان ابنه عبد الله هِندَ بنتَ أبى عُبيدة وريطةَ بنت عبد الله ابن عبد المدان لِمَا كان يقال إنه كائنٌ فى أولادهما، فمات عنهما عبدالله أوطلقهما، فتزوج هندا عبدُ الله بن الحسن، وتزوج ريطة محمدُ بن علىّ، فجاءت بأبى العباس السفاح.

أخبرنى العتكىّ عن عمر بن شبة عن ابنِ داجة[1] عن أبيه قال:

لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هِند بميراثها منه، فقال عبد الله بن حسن لأمه فاطمة: اخطُبى علىّ هندا، فقالت: إذًا ترُدَّك، أتطمع فى هند وقد وَرِثت ما وَرِثته، وأنت تَرِبٌ لا مالَ لك؟ فتركها ومضى إلى أبى عبيدة أبى هند، فخطبها إليه، فقال: فى الرُّحْب والسَّعَة، أمّا منِىّ فقد زوّجتك، مكانك لا تَبْرَحْ، ودخل على هند، فقال: يا بنية، هذا عبدالله بن حسن، أتاك خاطباً، قالت: فما قلت له؟ قال: زوجته. قالت: أحسنت. قد أجزتُ ما صنعتَ، وأرسلت إلى عبد الله: لا تبرح حتى تدخلَ على أهلك. قال: فتزيّنَتْ له فبات بها مُعَرِّسًا من ليلته، ولا تشعر أمّه، فأقام سبعا، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمّه وعليه رَدْع[2] الطيب، وفى غير ثيابه التى تَعرِف، فقالت له: يابنىّ، من أين لك هذا؟ قال: من عند التى زَعمْتِ أنها لا تريدنى.

٢٠٩ / ١٨

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ وعمّى عبدُ العزيز بنُ أحمد بن بَكّار: قالا: حدثنا الزبير: قال: حدثتنى ظبية مولاة فاطمة: قالت:

كان جدّك عبدُ الله بنُ مَصْعَب يستنشدنى كثيراً أبيات عَبْدِالله بن حسن ويُعْجَب بها:

إنّ عينى تعوّدت كُحْل هِندٍ ... جَمَعت كَفُّها مع الرِّفق لِينا

(١) ف: عن أبى داحة.

(٢) الردع: أثر الطيب فى الجسد.

صـــوت

يا عِيدُ مالكَ من شوقٍ وإيراقِ ومرِّ طَيْفٍ على الأهوال طرّاقِ[1]
يَسْرِى على الأيْنِ والحيَّاتِ مُخْتفِياً نفسى فِداؤُكَ من سارٍ على ساقِ

عروضه من البسيط . العيد : ما اعتاد الإنسانَ من هَمّ أو شوق أو مرض أو ذِكْر . والأين والأيم : ضرب من الحيات . والأين : الإعياء أيضا ، وروى أبو عَمْرو :

* يا عيد قلبُك من شوق وإيراق *

الشعر لتأبط شَرّا ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من رواية يحيى المكى وحَبَش ، وذكر الهشامى أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز .

(١) هد : « براق » بدل « طراق » .

أخبار تأبط شرا ونسبه

نسبه ولقبه

هو ثابت بن جابر بن سُفيان بن عُمَيْثل[1] بن عدىّ بن كعب بن حزن . وقيل: حرب بن تميم[2] بن سعد بن فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

وأمّه امرأة يقال لها : أميمة ، يقال : إنها من بنى القَيْن بَطْن من ، فَهْم ولدت خمسة نَفَر : تأبط شرا ، ورِيش بِلَغْب[3] ، وريش نسر ، وكعب جُدِر ، ولا بَوَاكِى له[4] ، وقيل : إنها ولدت سادسا اسمه عمرو .

وتأبط شرا لقب لُقّب به ، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشا فى الصحراء ، فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يَبول عليه طُولَ طريقه ، فلما قَرُبَ من الحىّ ثَقُل عليه الكَبْش ، فلم يُقِلّه فرمى به فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما تأبطت يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا : لقد تأبطت شرًّا فسمّى بذلك .

وقيل: بل قالت له أمه : كل إخوتك يأتينى بشىء إذا راح غيرَك ، فقال لها : سآتيك الليلة بشىء ، ومضى فصاد أفاعىَ كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فلما راح أتى بهن فى جراب متأبِّطا له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته ، فتساعَيْن فى بيتها ، فوثبت ، وخرجت ، فقال لها نساء الحى : ماذا أتاكِ به ثابت ؟ فقالت : أتانى بأفاعٍ فى جراب . قلن : وكيف حَمَلها ؟ قالت : تأبّطها . قلن : لقد تأبط شرا ، فلزمه تأبط شرا .

---

(١) ف ، هد : « عسل » .

(٢) ف ، هد : « تيم » .

(٣) ب : « ريش لقب » تحريف ، والمثبت من ف ، مو ، وقد ورد فى القاموس : ريش بلغب ، لقب كتأبط شرا وحرك عينه الكميت ، ووهم الجوهرى فى قوله : « ريش لقب » وقد وردت رواية الجوهرى فى هامش مو ، وأردفها بقوله : وهو الفاسد أخو تأبط شرا .

(٤) ولا بواكى له ، هو الاسم الخامس لأولاد أم تأبط شرا ، وهو من قبيل التسمية بالمركب الإسنادى ، كتأبط شرا ، وبرق نحره .

حدثنى عمّى قال حدثنى على بن الحسين بن عبد الأعلى عن أبى مُحلِّم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها :

أنّ أُمّه قالت له فى زمن الكمأة : ألا تَرَى غِلمانَ الحى يجتنون لأهليهم الكمأة، فيروحون بها ؟ فقال أعطينى جرابَكِ ، حتى أجتنى لك فيه ، فأعطته، فملأه لها أفاعىَ ، وذكر باقى الخبر مثلَ ما تقدم.

ومَن ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره فى هذا المعنى ، فإنه يصف لقاءه إيّاها فى شعره كثيرا ، فمن ذلك قوله : ٢١٠ / ١٨

فأصبحت الغُولُ لى جارةً ... فيا جارتا لك ما أهولا[1]
فطالبتُها بُضْعَها فالتوت ... علىَّ وحاولتُ أن أفعلا[2]
فمن كان يسأل عن جارتى ... فإنّ لهـا باللِّوى مَنْزِلاَ

كان أحد العدائين المعدودين

أَخبرنى عمّى عن الحَزنبل عن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى قال : نزلت على حى من فهم إخوة بنى عَدْوان من قيس ، فسألتهم عن خبر تأبط شرا ، فقال لى بعضُهم : وما سُؤالك عنه ، أتريد أن تكون لصا ؟ قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدّائين ، فأتحدّثَ بها ، فقالوا : نحدثك بخبره : إن تأبط شرا كان أعدَى ذِى رِجْلَيْن[3] وذى ساقَيْن وذى عَيْنَيْن ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظِّباء فينتقى على نظره أسمَنها ، ثم يجرى خلفه فلا يَفُوته ، حتى يأخذه ، فيذبحه بسَيْفه ، ثم يَشْويه فيأكُلَه . وَإنما سُمِّى تأبط شرا لأنه — فيما حُكِىَ لنا — لَقِىَ الغُولَ فى ليلة ظلماء

يصف غولا افترسها

فى موضع يقال له رَحَى بَطْحان[4] فى بلاد هُذَيل ، فأخذتْ عليه الطّريق فلم يزَل بها، حتى

(١) مو : « ماأغولا » . ولعل لك متعلق بجار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره ، يقال لك .

(٢) ف ، مو : « وحاولت أن تفعلا » . والمثبت من ب ، هد ، والبضع : الفرج .

(٣) ف ، هد : « ذى كعبين » .

(٤) ف ، هد : « رحى بطان » .

قَتَلَها ، وبات عليها ، فلمّا أصبَح حَمَلها تحت إبِطه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : لقد تأبّطت شرّا ، فقال فى ذلك :

تأبّط شرّا ثم راح أو اغْتَدَى ... يُوائم غُنْمًا أو يَشِيف على ذَحْلِ

— يوائم : يوافق ، ويشيف : يقتدر . وقال أيضا فى ذلك :

ألا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحَى بطانِ[1]
وأنّى قد لقيتُ الغولَ تهوى ... بسَهْبٍ كالصحيفة صحصحانِ[2]
فقلت لها كلانا نِضْوُ أيْنٍ[3] ... أخو سفرٍ فخلِّى لى مكانى
فشدّت شدّةً نحوى فأهْوَى ... لها كفّى بمصقولٍ يمانِى
فأضربها بلا دَهَشٍ فخرّت ... صريعا لليَدَين وللجِرانِ[4]
فقالت : عُدْ ، فقلت لها : رُوَيْدًا ... مكانَكِ إننى ثَبْتُ الجنانِ
فلم أنفكّ مُتّكِئًا عليها ... لأنظر مُصبِحا ماذا أتانى[5]
إذا عينان فى رأسٍ قبيحٍ ... كرأس الهِرِّ مَشْقوق اللّسانِ
وساقا مُخْدَجٍ وشَواةُ كلْبٍ ... وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنانِ[6]

لم لا تنهشه الحيات ؟

أخبرنا الحسين بن يحيى : قال : قرأت على حمّاد : وحدثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللّهبى : قال :

(١) فهم : قبيلة الشاعر ، ورحى بطان : اسم موضع . وفى المختار : « ... فتيان قومى »
(٢) السهب : الفلاة . والصحصحان : ما استوى من الأرض .
(٣) المختار : « نضورهن » .
(٤) ف : « بلا جزع » . والدهش : التحير . والجران : مقدم العنق .
(٥) مو : « ماذا دهانى » .
(٦) أخدجت الناقة : ألقت ولدها لغير تمام ، والشواة : قحف الرأس ، والشنان . جمع شن ، وهو القربة البالية .

قيل لتأبط شرًّا : هذه الرجال غلبتَها ، فكيف لا تنهشك الحيّات فى سُراك ؟ فقال : إنى لأسرى البَرْدَين - يعنى أولَ الليل ، لأنها تمور خارجة من حُجْرتها ، وآخرَ الليل تمُورُ مُقبِلة إليها .

يبيع ثقفيا أحمق اسمه بطيلسانه

قال حمزةُ : ولقى تأبّط شرًّا ذات يوم رَجُلاً من ثَقيف يقال له أبو وَهْب ، كان جَبانا[1] أهوجَ ، وعليه حُلّة جَيّدة ، فقال أبو وَهْب لتأبّط شرًّا : بِمَ تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما أرى دَميمٌ ضَئيل ؟ قال : باسمى ، إنما أقول ساعة ما ألقى الرَّجُل : أنا تأبط شرًّا ، فينخلع قَلْبُه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقفى : أقط[2] قال : قطّ ، قال : فهل لك أن تبيعنى اسمَك ؟ قال : نعم ، فبم تبتاعُه ؟ قال : بهذه الحُلّة وبكنيتك

٢١١ / ١٨

قال له : أفعل ، ففعل ، وقال له تأبط شرًّا : لك اسمى ولى كنيتك[3] ، وأخذ حُلّته وأعطاه طِمْرِية ، ثم انصرف ، وقال فى ذلك يخاطب زوجة الثّقفىّ :

ألا هل أتى الحسناء أنّ حَلِيلَها ... تأبط شَرًّا واكتنيتُ أبَا وَهْب
فهبه تَسَمّى اسْمِى وسُمِّيتُ باسمِه[4] ... فأين له صبرى على مُعْظَمِ الخطب ؟
وأين له بأسٌ كبأسى وسَوْرتى ... وأين له فى كل فادحةٍ قَلْبى ؟

يخونه نشاطه أمام الحسان

قال حمزة : وأحبّ تأبط شرًّا جارية من قومه ، فطَلَبها زمانا لا يقدر عليها ، ثم لقيتْه ذاتَ ليلة فأجابته وأرادها ، فعجز عنها ، فلما رأت جزَعه من ذلك تناومت عليه فآنسته وهدأ ، ثم جعل يقول :

---

(١) ف ، هد : « كان حُسّانا أهوج » وهو تحريف .

(٢) أقط : أتغلب بهذا فقط ، وقط هنا بمعنى فحسب .

(٣) ف ، هد ، مو : « لك اسمى ولى اسمك » .

(٤) ف ، هد ، مو « وسماى اسمه » بدل « وسميت باسمه » وكذا فى المختار أيضا .

مالكَ من أيرٍ سُلِبْتَ الخلّه   عجزْتَ عن جارية رِفَلّه[1]

تمشى اليك مشيةً خوزلّه[2]   كمشية الأرخِ تريد العلّه

الأرخ : الأنثى من البقر التى لم تُنتَج . العلة تريد أن تُعل بعد النهل ، أى أنها قد رويت فمِشْيتُها ثقيلة . والعل : الشرب الثانى .

لو أنها راعيةٌ فى ثُلّه   تحمل قِلْعَين لها قبَلّه

لصرتُ كالهراوة العُتُلّه[3]

قصته مع بجيلة

أخبرنى الحسن بن على عن عبد الله بن أبى سعد عن أحمد بن عمر عن أبى بركة الأشجعى قال :

أغار تأبط شرًّا — وهو ثابت بن العميثل الفهمى ، ومعه ابن براق الفهمىّ على بَجيلة — فأطْرَدا لهم نَعَمًا ، ونَذِرت بهما بجيلة ، فخرجت فى آثارهما ومضيا هارِبَين فى جبال السَّراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بَجيلة فى السهل فسبقوهما إلى الوَهط — وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف — فدخلوا لهما فى قصبة العين ، وجاءا ، وقد بلغ العَطش منهما ، إلى العَيْن ، فلما وقفا عليها قال تأبط شرًّا لابن برّاق : أقِلّ من الشّراب فإنها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذى أعدو بطيره ، إنّى لأسمع وجيبَ قلوب الرجال تحت قدمىّ . وكان من أسمَع العرب وأكيدِهم . فقال له ابن بُرّاق : ذلك وجيب قَلْبِك . فقال له تأبّط شرا : والله ما وَجَب قطّ ، ولا كان وَجّابا ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع

---

(١) جارية رفله : سمينة ، وفى المختار : « ... سلبت الحَلّة » .

(٢) ف ، هد ، مو والمختار : « هرولة » . والخيزلى والهرولة : نوعان من المشى .

(٣) الثلة : جماعة الغنم ، وقبله ، كذا فى الأصول ، وهى مأخوذة من القبل بمعنى الحول ، وفى القاموس : اقبالّت المرأة ، أى أصيبت بالقبل ، والعتل : الجافى الغليظ ، والرمح الغليظ ، وفى ب ، ف : « العبله » ولعلها مأخوذة من العبل ، بمعنى السِّمن وامتلاء الجسم .

فقال : والذى أعدو بطيره ، إنى لأسمع وَجِيبَ قلوبِ الرّجال ، فقال له ابنُ برّاق : فأنا أنزل قبلك ، فنزل فبرك وشرب وكان أَكْلَ القومِ عند بجيلة شوكةً(١) ، فتركوه وهم فى الظلّمة ، ونزل ثابت ، فلما توسط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفا ، وابنُ برّاق قريب منهم لا يطمعون فيهِ لِمَا يَعلمون من عَدْوه ، فقال لهم ثابت : إنه من أَصْلَف الناس وأشدّهم عُجْبا بعدوه ، وسأقول له : استأسِرْ معى ، فسيدعوه عُجبه بعَدْوه إلى أن يَعْدُو من بين أيدِيكم ، وله ثلاثة أطلاق : أولها كالرّيح الهابّة ، والثانى كالفرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويعثر ، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإنى أُحِب أن يصير فى أيديكم كما صِرت إذ خالفنى ولم يقبل رأيى ونصحى له ، قالوا : فافعل ، فصاح به تأبط شرًّا : أنت أخى فى الشدّة والرّخاء ، وقد وعدنى القومُ أن يَمُنّوا عليك وعلىّ ، فاستأسِرْ ، وَوَاسنى بنفسك فى الشدة ، كما كنتَ أخى فى الرخاء ، فضحك ابنُ بُرّاق ، وعلم
٢١٢ / ١٨
أنه قد كادهم ، وقال : مهلا ياثابت ، أيستأسر مَنْ عنده هذا العَدْو ؟ ثم عدا فعدا أول طَلَق مثل الريح الهابة كما وصف لهم ، والثانى كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويَعْثُر ويقع على وجهه . فقال ثابت : خذوه ، فعدوا بأجمعهم ، فلما أن نَفّسهم عنه شيئا عدا تأبط شرا فى كتافه ، وعارضه ابن بُرّاق ، فقطع كتافه ، وأفلتا جميعا ،(٢) فقال تأبط شرا قصيدته القافية فى ذلك(٢) :

يا عيدُ مالك من شوقٍ وإيراقِ ... ومَرِّ طيفٍ على الأهوال طرّاقِ
يسرى على الأَيْنِ والحيّاتِ محتفِياً ... نفسى فداؤُك من سارٍ على ساقِ(٣)
طَيْف ابنة الحُرِّ إذ كنّا نواصلُها ... ثم اجْتُنِبْتُ بها من بعد تَفراقِ(٤)

(١) أكل القوم عند بجيلة شوكة ، يريد صغر شأنه عند بجيلة ، لذلك تركته واتجهت إلى تأبط شرا وفى المختار : « وكان ألد القوم » ...
(٢-٢) تكملة من المختار .
(٣) الأين : الحية أو الذكر من الحيات ، والأين أيضاً : التعب والإعياء . محتفيا : حافيا .
(٤) هذا البيت ليس فى الأغانى وهو فى المختار .

لتَقرعِنّ عليَّ السِّنَّ من نَدَمٍ … إذا تذكّرتِ يوما بعضَ أخلاقي[١]
تالله آمنُ أنثى بعــدما حَلَفَتْ … أسماءُ بالله من عهــدٍ وميثاقِ[٢]
ممزوجَةَ الودِّ بينا واصلَتْ صَرَمَتْ … الأوّلُ اللَّذْ مَضَى والآخِرِ الباقي
فالأوّلُ اللَّذْ مضى قالٍ مودّتَها … واللَّذُّ منها هُذاءٌ غــيرِ إحقاقِ[٣]
تُعْطِيك وعـــدَ أمانيٍّ تَغُرُّ به … كالقَطْرِ مَرَّ على صَخْبانَ بَرّاقِ[٤]
إنّى إذا خُلّةٌ ضَنّتَ بنائلها … وأمسَكَت بضعيفِ الحَبْلِ أحْذَاقِ[٥]
نجوْتُ منها نجائى من بجيلةَ إذْ … ألقَيْتُ للقوم يوم الرّوع أرواقي[٦]

وذكرها ابن أبى سعيد فى الخبر إلى آخرها .

وأما المفضّل الضّبيّ فذكر أن تأبط شرًّا وعمرو بن بَرّاق والشَّنْفَرَى — وغيره يجعل مكان الشنفرى السُّليك بن السُّلَكَة — غَزَوا بَجيلة فلم يظفروا منهم بغِرّة ، وثاروا إليهم فأسروا عمراً ، وكتّفوه ، وأفلَتهم الآخران عَدْوًا ، فلم يقدروا عليهما ، فلما علما أن ابن بَرّاق قد أُسِر قال تأبط شرا لصاحبه : امضِ فكن قريبا من عَمْرٍو ، فإنى سأتراءى لهم وأطمعهم فى نفسى حتى يَتَباعَدُوا عنه ، فإذا فعلوا ذلك فحُلّ كِتافَه وانْجُوَا ، ففعل ما أمره به ، وأقبل تأبط شرًّا ، حتى تراءى لبَجِيلة ، فلما رأوْه طمعوا فيه ، فطلبوه ، وجعل يُطمِعهم فى نفسه، ويعدو عدواً خفيفاً يُقرِّبُ فيه ، ويسألهم تخفيف الفِدية وإعطاءه الأمانَ، حتى يستأسر لهم ، وهم يُجيبونه إلى ذلك، ويطلبونه وهو يُحضِر إحضاراً خفيفاً، ولا يتباعد ، حتى علا تَلْعَةً

(١) جاء هذا البيت فى المفضليات آخر القصيدة .
(٢) لم يرد هذا البيت فى الأغانى أو المفضليات وجاء فى المختار .
(٣) اللذ : بمعنى الذى ، والهذاء : الهذيان ، ولم يرد هذا البيت أيضاً فى المفضليات أو الأغانى ولكنه فى مختار الأغانى .
(٤) الصخبان : الشديد الصخب ، ولم يرد البيت فى الأغانى أو المفضليات ولكنه فى مختار الأغانى .
(٥) حبل أحذاق : قطع ، وجاء البيت فى قصيدة المفضليات الثالث فى الترتيب .
(٦) ألقى أرواقه : أسرع فى عدوه ، وجاء البيت فى قصيدة المفضليات الرابع فى الترتيب .

أشرف منها على صاحبَيْهِ ، فإذا هما قد نَجَوَا ، فَفَطِنت لهما بَجِيلة، فألحقتهما طلبا ففاتاهم ، فقال : يامعشر بَجِيلة أأعجبكم عَدْوُ ابن برّاق اليوم ، والله لأعدونّ لكم عَدْواً أُنسيكم به عَدْوَه ، ثم عدا عدوا شديداً ، ومضى وذلك قوله :

* ياعِيدُ مالَكَ من شَوقٍ وإبراقِ *

وأمّا الأصمعيّ فإنه ذكر فيما أخبرنى به ابنُ أبى الأزهر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عمه :

أنّ بَجِيلة أمهلتْهُم حتى وَرَدُوا الماء وشَرِبوا وناموا ، ثم شَدُّوا عليهم ، فأخذوا تأبّط شرا ، فقال لهم : إن ابن برّاق دَلّانى فى هذا ، وإنه لا يقدر على العَدْو لعقْرٍ فى رجليه، فإن تبعتموه أخذتموه ، فكتّفوا تأبّط شرًّا ، ومضوا فى أثر ابن براق ، فلما بعدوا عنه عدا فى كتافه ففاتهم ، ورجعوا .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا أبو سَعِيد السكرىّ قال : حدثنا ابن الأثرم ، عن أبيه . وحدثنا محمدُ بن حَبِيب ، عن أبى عمرو ، قالا :

كان تأبّط شرًّا يَعدُو على رجليه ، وكان فاتِكاً شَدِيدا ، فبات ليلة ذات ظلمة وَبرْق ورعد فى قاع يقال له رحَى بِطَان ، فلقيتْه الغُولُ فما زال يُقاتلها ليلتَه إلى أن أصبَح وهى تَطْلُبه ، قال : والغول : سَبُعٌ من سِباع الجنّ ، وجعل يراوغها ، وهى تطلبه ، وتلتمس غِرّة منه ، فلا تقدر عليه ، إلى أن أصبح ، فقال تأبط شرًّا :

أَلا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحَى بِطانِ
بأنّى قد لقيت الغولَ تَهوِى ... بسهبٍ كالصحيفة صَحصحانِ
فقلت لها : كلانا نِضْوُ أينٍ ... أخو سَفَرٍ فخَلِّى لى مكانى
فشدّت شدّةً نحوى فأهوى ... لها كفّى بمصقولٍ يمانِى
فأضربها بلا دَهَشٍ فخَرّت ... صريعًا لليـدين وللجِرانِ

فقالت عُدْ، فقلتُ لها : رويدًا مكانَك إننى ثَبْتُ الجَنانِ
فلم أنفكَّ متّكئًا عليها لأنظرَ مُصبِحًا ماذا أتانى
إذا عينان فى رأسٍ قبيحٍ كرأسِ الهِرِّ مشقوق اللّسان
وساقا مُخْدَجٍ وشواةُ كلبٍ وثوبٌ من عَباءٍ أوشِنانِ(١)

٢١٣/١٨

قالوا : وكان من حديثه أنه خرج غازيًا يريد بجيلة هو ورجل معه ، وهو يريد أن يَغْتَرّهم، فيصيب حاجته ، فأتى ناحية منهم ، فقتل رجلا ، ثم استاق غنما كثيرة ، فنَذِروا به ، فتبعه بعضُهم على خيل ، وبعضُهم رَجّالة ، وهم كثير ، فلما رآهم، وكان من أبصَر الناس عرف وجوههم ، فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ، ولن يُفارِقونا اليوم حتى يُقاتِلونا أو يظفَروا بحاجتهم ، فجعل صاحبُه ينظر، فيقول : ما أتبيّن أحداً، حتى إذ دهوهما قال لصاحبه : اشتدَّ فإنى سأمنعك مادام فى يدى سَهْم ، فاشتد الرجل ، ولقيهم تأبّط شرًّا، وجعل يَرْميهم حتى نَفِدت نبلُه ، ثم إنه اشتدَّ فمرَّ بصاحبه فلم يطق شَدَّه ، فقتل صاحِبَه ، وهو ابن عمٍّ لزَوْجته ، فلما رجع تأبّط شَرًّا وليس صاحبُه معه عرفوا أنه قد قُتِل، فقالت له امرأته : تركتَ صاحبَك وجئت مُتباطِئًا ، فقال تأبط شرا فى ذلك : **يفر ويدع من معه**

ألا تِلكما عرسى منيعةُ ضُمِّنت من اللهِ إثمًا مُستِسرًّا وعالِنا(٢)
تقول : تركتَ صاحبًا لك ضائعًا وجئت إلينا فارقا مُتباطنا(٣)
إذا ما تركتُ صاحبى لثلاثة أو اثْنَيْن مِثْلَينا فلا أُبْتُ آمِنا(٤)

---

(١) آثرنا إثبات هذه الأبيات مع سبق إيرادها تمشياً مع النسخ : ب ، ف ، مو ، أما هد فقد اجتزأت بذكر المصراع الأول من البيت الأول ، وأردفته بقولها : « وقد تقدمت » .

(٢) عرسه : زوجته ، يريد أنه ألحق بها إثما أسرَّه فى نفسه فظهر ، وذلك بقتل ابن عمها .

(٣) فى هد ، ف تقول : « تركت صاحبى بمضيعة » . وفارقا متباطنا : فارقته وجئت متخفيا ، وقد يكونان من الفرقة والبطنة بمعنى جئتنا خائفاً ممتلىء البطن .

(٤) يدعو على نفسه إن كان ترك صاحبه لعدد قليل ، وإنما هو جمع لا قبل لهما به ، وفى بعض النسخ : « إذا ما تركت صاحبى خوف واحد أو اثنين » ... الخ .

وما كنت أبّاء على الخِلّ إذدعا ... ولا المرء يدعونى مُمِرًّا مُداهِنا(١)
وكَرِّى إذا أُكْرِهتُ رهطًا وأهلَه ... وأرضا يكون العَوْصُ فيها عُجاهِنا(٢)
ولمّا سمعت العَوصَ تدعو تنفّرت ... عصافيرُ رأسى من غُواةٍ فَراتِنا(٣)
ولم أنتظر أن يَدهمــونى كأنهم ... ورائىَ نَحْل فى الخليّة واكِنا(٤)
ولا أن تُصِيب النّافذاتُ مقاتلى ... ولم أكُ بالشدّ الذَّليــق مُدايِنا(٥)
فأرسلتُ مثنيًّا عن الشدّ واهنًا ... وقلتُ تزحزحْ لا تكونَنّ حائنا(٦)
وحثحثتُ مشعوفَ النّجاء كأنه ... هِجفّ رأى قصرا سِمالاً وداجِنا(٧)

---

(١) الممر من إمرار الحبل بمعنى إحكام فتله ، أو من المرارة ، والمداهن : من دهنه بمعنى ضربه ، يريد أنه لايتخلى عن خله إذا كان ذا بأس وقوة ، وفى مو « وما كنت أباء على الخيل ... ضميراً مداهنا» ولعل المعنى عليه أننى ما كنت أضن بالنجدة حتى على من لا يخلص لى ، متى كان فيه غناء .

(٢) كرى معطوف على الخل فى البيت السابق أى ما كنت أبّاء على الكر ، ورهط : اسم موضع ، وهو مفعول كر ، والعوص : اسم قبيلة ، والعجاهن : من معانيه القنفذ ، والمعنى– فيما يبدو لنا – ما كنت أمتنع عندما أكره عن غزو رهط وأهله وأرض العوص ، وهم فيها مسلحون شاكون كالقنافذ والعوص بفتح فسكون كما فى ف ، وفى هد ، مو : بضم فسكون .

(٣) تدعو أى إلى الحرب ، تنفرت عصافير رأسى : كناية عن الغضب والثورة ، والعصافير : جمع عصفور ، والمراد به هنا قطعة من الدماغ تفصلها عنه جليدة رقيقة ، والفراتن : جمع فرتنى ، وهى المرأة الزانية ، أو الأمة .

(٤) واكنا : حال من نحل ، وسوغ مجىء الحال من النكرة هنا وصفها بشبه الجملة بعدها ، ويقال : وكن الطائر : دخل عشه . ومعنى البيت وما قبله : لما همت بى رجال العوص لم أتقاعس ، بل حملت عليهم ، ولم أنتظر أن يحيطوا بى إحاطة النحل بالخلية .

(٥) الشد الذليق : الحديد الماضى أى لم أكن مسوقاً للهجوم .

(٦) حائن : هالك ، وفى بعض الأصول " منبت " بمعنى متقطع بدل « مثنى » يريد أنه نحى صاحبه حين أنس منه الضعف وعدم القدرة على الشد .

(٧) حثحث : حث وحض ، والمشعوف : المجنون أو المذعور ، والنجاء : السير السريع ، والهجف : الظليم ، وقصرا هنا : وقت اختلاط النهار بالظلمة ، والسمال : الماء فى الحوض ، وداجنا : غيثا ممطرا . يريد : أننى انبريت وحثثت جوادى على الحرب فحمل وهو مجنون السرعة كأنه ذكر نعام ظمآن رأى عند الغروب حوض ماء أو ماء مطر فعدا إليه ليشرب .

مِن الحُصِّ هِزْروفٌ يطير عِفاؤه   إذا استدرج الفَيْفا ومَدَّ المغابِنا(١)
أزجُّ زَلوجٌ هِـذْرفٌّ زفازفٌ   هِزَفٌّ يبذُّ الناجيات الصَّوافِنا(٢)
فزحزحت عنهم أو تجئْنى مَنِيَّتى   بغبراءَ أو عرفاءَ تَفْرِى الدَّفائنا(٣)
كأنى أراها الموتَ لا درَّ دَرُّها   إذا أمكنَتْ أنيابَها والبراثنا(٤)
وقالت لأخرى خلفها وبناتِها   حتوف تُنقَّى مخَّ مَنْ كان واهنا(٥)
أخاليجُ ورَّادٍ على ذى محافل   إذا نزعوا مدّوا الدِّلا والشّواطنا(٦)

وقال غيره : بل خرج تأبّط شرا هو وصاحبان له، حتى أغاروا على العوص من بجيلة ، فأخذوا نعما لهم ، واتبعتهم العَوْص ، فأدركوهم ، وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة ، فلما رأى تأبّط شرًّا ألّا طاقة لهم بهم شَمَّر وتركهما ، فقُتِل صاحباه ، وأُخذت النعم ، وأفلتَ ، حتى أتى بنى القَيْنَ من فَهْم ، فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها ، فلما أراد أن

(١) الحص : جمع أحص ، وطائر أحص : قليل الريش . هزروف : سريع . العفاء : الشعر والوبر . المغابن : بواطن الأفخاذ : يشبه جواده بطائر قليل الريش ، ويقول : إنه سريع العدو يطير شعره إذا استدرج الفلوات ومد أفخاذه فى عدوه .

(٢) أزج : بعيد الخطو . زلوج : سريع العدو . هزرفى : كثير الحركة . زفازف : جمع زفزف بمعنى الريح . الهزف : السريع أو النافر . الناجيات : الجياد السريعة . الصوافن : جمع صافن وهو الحصان يقف على ثلاث قوائم . يصف فرسه بما تقدم من الأوصاف ، ويردفها بأنه يفوق غيره من الخيول الصافنات .

(٣) تزحزحت : تزحزحت . تجئنى : مضارع مجزوم للضرورة ، ولعله محرف عن « تجىء » . غبراء : اسم أنثى الذئب ، وعرفاء : اسم الضبع . يقول : فأفلت منهم ، ولو لم أفعل للاقيت منيتى بناب ذئبة أو ضبع تنبش القبور .

(٤) لا در درها : يدعو على الضبع . والبراثن : المخالب .

(٥) مقول القول محذوف تقديره هلمّ ونحوه . يريد أنه إن مات تمكنت الضبع منه ، وأنشبت مخالبها فى جسمه ، ولم تكتف بنفسها ، بل دعت صواحبها وبناتها ، وهن مسعورات ينقين المخ من عظام الجسم الواهن الذى لا حراك به .

(٦) أخاليج : جمع أخلج وهو الحبل . ويراد بذى المحافل البئر ، والشواطن : الحبال . يقول : إن الضباع تتوافد عليه إذا مات كما تتوافد الحبال على البئر مرة بعد أخرى . وقد اختلفت الأصول فى رواية هذا البيت اختلافاً بيناً ، وأغلب الروايات لا يستقيم معه المعنى .

٢١٤ / ١٨ يأتى قومه دَهنتهُ ورَجَّلته ، فجاء إليهم وهم يبكون ، فقالت له امرأتُه : لعنك الله تركت صاحبيك وجئت مُدَّهنا . وإنه إنما قال هذه القصيدة فى هذا الشأن ، وقال تأبّط شرًّا يرثيهما وكان اسمُ أحدهما عمرًا :

أبعد قتيل العَوْص آسَى على فتًى ... وصاحبِه أو يأمُلُ الزّادَ طارقُ؟

أأطرُدُ فَهمًا آخرَ الليل أبتغِى ... عُلالةَ يومٍ أن تَعُوقَ العوائقُ[(1)]

لعَمرُ فتًى نِلتم كأنّ رداءه ... على سرحةٍ من سرح دومة سامقُ[(2)]

لأطرُدُ نَهْبًا أو نرودَ بفتيةٍ ... بأيمانهم سُمْرُ القَنَا والعقائقُ[(3)]

مَساعَرَةٌ شُعْثٌ كأنّ عيونَهم ... حريقُ الغضا تُلْفَى عليها الشقائقُ[(4)]

فعُدُّوا شهورَ الحُرْمِ ثم تعرّفوا ... قتيلَ أناسٍ أو فتاةً تعانقُ[(5)]

محاولة قتله هو وأصحابه بالسم

قال الأثرم : قال أبو عمرو فى هذه الرواية : وخرج تأبط شرًّا يريد أن يغزو هذيلا فى رهط ، فنزل على الأحلّ بن قنصل — رَجُلٍ من بجيلة — وكان بينهما حِلْف، فأنزلهم ورحّب بهم ، ثم إنه ابتغى لهم الذّراريح[(6)] ليسقيهم فيستريح منهم ، ففطن له تأبّط شرا ،

(١) طرد القوم : أتاهم ، يريد : أأتعجل العودة إلى فهم آخر الليل خشية أن تعوقنى العوائق ، وقد خلفت صاحبى صريعين ؟ وقد اختلفت الأصول فى رواية البيت ، وكلها مما لا يستقيم معه المعنى ، والمثبت من ف .

(٢ـ٣) السرحة : الشجرة ، دومة : مكان ، سامق : طويل : صفة لفتى ، والعقائق : جمع عقيقة بمعنى السيف الشبيه بالبرق ، يقسم بصاحبه الذى قتلوه بعد أن وصفه بالطول حتى كأن ثيابه على شجرة عالية يغزو قاتليه بفتية يحملون القنا والسيوف الماضية. وفى رواية « شائق » بدل « سامق » بمعنى عظيم الرأس. وفى رواية : « الفتائق » بدل العقائق بمعنى السيوف الحديدة الشفرتين .

(٤) مساعرة : جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب ، وشعث : جمع أشعث بمعنى أغبر ، والغضا : شجر يتخذ منه الوقود ، والشقائق : نبات أحمر . يصف هؤلاء الفتية بالمران على الحرب، وبأن حدق عيونهم تحمر احمرار الجمر فى ميادين القتال .

(٥) يتهددهم بالحرب بعد انقضاء الأشهر الحرم ، فيقول : إذا انقضت هذه الأشهر فعدوا قتلاكم ، وعدوا فتياتكم السبايا .

(٦) الذراريح : جمع ذراح كزنار وسكين وقدوس : دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، وهى من السموم .

فقام إلى أصحابه ، فقال : إنى أحب ألا يعلم أنا قد فطنّا له ، ولكن سابُّوه حتى نحلف ألا نأكل من طعامه ، ثم أغترّه فأقتله لأنه إن علم حَذِرنى — وقد كان مالأ ابنَ قنصل رجلٌ منهم يقال له لُكَيْز قتلت فَهْمٌ أخاه — فاعتلّ[1] عليه وعلى أصحابه فسبُّوه وحلفوا ألّا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه ، ثم خرج فى وَجْهه ، وأخذ فى بَطْن وادٍ فيه النّمور ، وهى لا يكاد يسلم منها أحد ، والعرب تسمى النمر ذا اللونين ، وبعضهم يسميه السّبنتى ، فنزل فى بطنه وقال لأصحابه : انطلقوا جميعا فتصيّدوا ، فهذا الوادى كثير الأَرْوى ، فخرجوا وصادوا ، وتركوه فى بطن الوادى فجاءوا فوجدوه قدقتل نمراً وحده ، وغزا هُذَيْلا فغنِم وأصاب ، فقال تأبّط شرًّا فى ذلك :

أقسمتُ لا أنسى وإن طال عيشُنا صنيع لُكَيْزٍ والأَحلّ بن قنصل[2]
نزلنا به يوما فساء صَباحُنا فإنك عَمْرى قد ترى أىّ منزل[3]
بَكَى إذ رآنا نازلين ببابه وكيف بُكاءُ ذى القليل الْمُعَيَّل[4]
فلا وأبيك ما نزلنا بعامرٍ ولا عامر ولا الرئيس ابن قَوقل[5]

— عامر بن مالك أبو براء مُلاعِب الأسِنَّة ، وعامر بن الطُّفَيْل ، وابن قوقل : مالك ابن ثَعْلَبة أحد بنى عوف بن الخزرج —

ولا بالشّليل[6] ربّ مروان قاعداً بأحسن عَيْش والنُّفاثىّ نوفَلِ

(١) فاعل اعتل ضمير تأبط شراً ، عليه أى على ابن قنصل ، وما بين الشرطتين اعتراض
(٢) البيت من الطويل دخله الخرم .
(٣) فى هد : فشاب صبوحنا ، والصبوح : شراب الصباح . والمصراع الثانى تعجب من هذا المنزل .
(٤) المعيل : ذو العيال ، والمراد أن من نزلوا به كان فقيراً معيلا ، فكان بكاؤه حاراً .
(٥) فى مو : « ما نزلنا بحاتم » ، والمثبت من ب ، ف ، هد . وقوقل : أبو بطن من الأنصار ، كان إذ أتاه مستجيراً قال له : قوقل فى هذا الجبل – أى اصعد – فقد أمنت .
(٦) ف ، هد : ولا « بالسليك » . وفى مو : « بالسليل » .

— رَبّ مروان : جرير بن عبد الله البَجَلى . ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر ابن يعمر أحد بنى الدِّيل بن بكر —

ولا ابن وَهيب كاسبِ الحمد والعُلاَ ... ولا ابن ضُبَيْعٍ وسط آل المُخبَّل
ولا ابنِ حُلَيْسٍ قاعدا فى لِقاحِه(١) ... ولا ابن جُرَىٍّ وسط آل المغفَّل
ولا ابنِ رياحٍ بالزُّلَيفاتِ دارُه ... رِياح بن سعد لا رياح بن مَعْقِلِ
أولئك أعطَى للوَلائد خِلْقَةً ... وأدْعَى إلى شحم السَّديف المُرَعْبَل(٢)

يتخذ من العسل مزلقا على الجبل فينجو من موت محقق

وقال أيضاً فى هذه الرواية : كان تأبَّط شرًّا يَشْتار عَسَلا فى غار من بلاد هذيل ، يأتيه كل عام ، وأنّ هذيلا ذكرته ، فرصدوه لإبّانِ ذلك ، حتى إذا جاء هو وأصحابُه تَدَلَّى ، فدخل الغار ، وقد أغاروا عليهم فأنفروهم ، فسبقوهم ووَقَفوا على الغار ، فحركوا الحبل ، فأطْلع تأبّط شراً رأسه ، فقالوا : اصعد ، فقال : ألا أُراكم ، قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فعلام أصعد ، أعلى الطَّلاقة أم الفداء ؟ قالوا : لا شرط لك ، قال : فأراكم قاتلىّ وآكلى جَنَاىَ ، لا والله لا أفعل ، قال : وكان قبل ذلك نقب فى الغار نقباً أعدّه للهرب ، فجعل يُسِيل العسل من الغار ويُهرِيقه ، ثم عمد إلى الزّق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سَلِيما وفاتهم ، وبين موضعه الذى وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث ، فقال تأبط شرًّا فى ذلك :

أقول للحيانٍ وقد صَفِرت لهم ... وِطابِى ويَوْمى ضَيِّقُ الحَجْر مُعوِرُ(٣)
هما خُطَّتا إما إسارٌ ومِنَّةٌ ... وإما دَمٌ والقتلُ بالحُرِّ أجدَرُ(٤)

(١) اللقاح : النوق الحوامل ، يكنى بذلك عن غناه وميسرته .
(٢) أعطى ، أدعى : أفعلا تفضيل . والسديف : لحم السنام . والمرعبل : المقطع .
(٣) صفرت : خلت . والوطاب جمع وطب ؛ وهو سقاء يتخذ من الجلد . ومعور أى بين العور والمراد أنه يوم عصيب . والحجر : الناحية ، ولعلها تصحيف الجحر .
(٤) خطتا مضاف والجملة بعده مضاف إليه ، وقد اختلفت الأصول فى رواية هذا البيت وأنسبها ما أثبتناه نقلا عن هد ، مو . وفى المختار « إما إسار وفدية » .

وأخرى أُصادِى النّفسَ عنها وإنها ... لموردُ حَزْمٍ إن ظَفِرت ومَصدَرُ (١)
فرَشْتُ لها صَدرى فزَلّ عن الصّفا ... به جؤجؤٌ صَلْبٌ ومتنٌ مُخصَّرُ (٢)
فخالطَ سهلَ الأرض لم يكدح الصّفا ... به كَدْحةً والموتُ خَزيانُ ينظُرُ
فأُبْتُ إلى فَهمٍ وما كُنتُ آئبـاً ... وكم مثلها فارقتُها وهى تَصْفِرُ (٣)
إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جَدّ جِدّه ... أضاع وقاسَى أمرَه وهو مُدبِرُ
ولكن أخُو الحَزْمِ الذى ليس نازلاً ... به الأمرُ إلا وهْو للحزم مُبْصِرُ (٤)
فذاك قَرِيعُ الدّهر ما كان حوّلاً ... إذا سُدّ منه مَنْخِرٌ جاش مَنْخِرُ
فإنّك لو قَايَسْت باللِّصب حيلَتى ... بلُقْمان لم يَقْصِر بى الدهرَ مُقْصِرُ (٥)

غارة يتصرف فيها على العوص

وقال أيضاً فى حديث تأبّط شرا: إنه خرج فى عِدّة من فَهْم، فيهم عامر بن الأخنس، والشَّنْفَرَى، والمُسيَّب، وعمرُو بن برّاق، ومُرّة بن خليف، حتى بيتوا العوص وهم حىّ من بجيلة، فقتلوا منهم نفراً، وأخذوا لهم إبلا، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة، فاعترضت لهم خَثْعَم وفيهم ابنُ حاجز، وهو رئيس القوم، وهم يومئذ نحو من أربعين رجلا، فلما نظرت إليهم صعاليك فَهْم قالوا لعامر بن الأخنس: ماذا ترى؟ قال: لا أرى لكم إلاّ صِدق الضِّراب، فإن ظفرتم فذاك، وإن قُتِلتم كنتم

---

(١) «أصادى النفس عنها» أى أحدثها بها، والمراد بالخطة الأخرى، خطة الانزلاق التى نجا بها، وفى المختار: «ان فعلت» بدل «ان ظفرت».

(٢) ف، هد: «عبل» بدل «صلب». وزل: انزلق، والصفا: الصخر، والجؤجؤ: عظام الصدر. ومتن مخصر: ظهر نحيل الخصر. وفى المختار: «به جؤجؤ عبل».

(٣) الضمير فى مثلها يعود إلى الورطة المفهومة من المقام، وقوله: وهى تصفر كناية عن الندم.

(٤) ف: «به الخطب إلا وهو للقصد مبصر».

(٥) اللصب: الشعب فى الجبل، ولقمان: صاحب قصة النسور المشهورة فى إطالة العمر. يريد أن هذه الحيلة لو قيست بحيلة لقمان، ما قصر عمره مقصر. وفى ب «قاسيت» بدل «قايست»، «لحيان» بدل «لقمان».

قد أخذتم ثأركم ، قال تأبط شرًّا : بأبى أنت وأمّى ، فنعم رئيسُ القوم أنت إذا جَدّ الجِدّ ، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإنى أرى لكم أن تحملوا على القوم حَمْلَةً واحدة فإنكم قليل والقوم كثير ، ومتى افترقتم كَثَركم القومُ ، فحملوا عليهم فقتلوا منهم فى حملتهم ، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت ، وأقبل ابن حاجز فأسند فى الجبل فأعجز ، فقال تأبط شرا فى ذلك :

جَزَى اللهُ فِتيانا على العوْص أمطرت ... سَماؤُهُم تحت العَجاجة بالدَّم
وقد لاح ضَوءُ الفجر عَرْضا كأنه ... بلَمْحتــه إقراب أبْلَق أدْهَم (١)
فإنَّ شِفاءَ الداء إدراكُ ذَحْلةٍ ... صباحًا على آثار حوم عَرَمْرَم (٢)
وضاربْتُهم بالسفح إذ عارَضَتْهُمُ ... قبائلُ من أبنـــاء قسرٍ وخثعم (٣) ٢١٦ / ١٨
ضِرابا عَدَا منه ابنُ حاجز هاربا ... ذُرا الصَّخر فى جوف الوجين المُدَيَّم (٤)

وقال الشَّنفرى فى ذلك :

دَعينى وقُولِى بَعدُ ما شئتِ إنّنى ... سَــيُغْدَى بنَعْشِى مرةً فأُغيَّب
خرجنا فلم نعهد وقَلَّت وصاتنا ... ثمانيةٌ ما بعــــدها مُتعتَّبُ (٥)
سراحِينُ فتيانٍ كأن وُجوهَهم ... مصابيحُ أو لونٌ من الماء مذهب (٦)

(١) أقرب المهر : دنا ، والأبلق : ما فيه بياض وسواد ، والأدهم : الأسود ، يريد أن ضوء الفجر دنا فى الليل دنو فرس اختلط سواده ببياضه .

(٢) الحوم : الجماعة ، والعرمرم : الكثير ، والذحلة : الثأر .

(٣) قسر أو نسر – كما فى بعض الأصول – وخثعم : قبيلتان .

(٤) الوجين : شط الوادى ، المديم : الممطور ، وابن حاجز : اسم رجل ، ومنعه من الصرف للضرورة .

(٥) يريد لم نعهد إلى أحد ممن يخلفنا من قومنا ، وقلت وصايانا ، وكنا قلة ، لا يعتب عاتب علينا إذا ظفر بنا ، وكل هذا كناية عن الاستماتة .

(٦) السراحين : جمع سرحان : وهو الذئب ، ومذهب : فى لون الذهب .

نَمُرُّ بِرَهْوِ الماءِ صَفْحاً وقد طَوَتْ   ثَمائلُنـا والزّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ (١)
ثلاثاً على الأَقدام حتى سما بنا   على العَوْص شَعْشاعٌ من القوم مِحْرَبُ (٢)
فثاروا إلينا فى السواد فَهَجْهَجُوا   وصَوَّتَ فينا بالصَّباح المُثَوِّبُ (٣)
فشنَّ عليهم هِزَّةَ السيف ثابِتٌ   وصَمَّمَ فيهم بالحُسام المُسَيَّبُ
وظَلْتُ بفتيانٍ معى أَتّقيهمُ   بهنَّ قليلا ســاعةً ثم جَنَّبوا (٤)
وقد خَرَّ منهم راجلان وفارسٌ   كَمِيٌّ صرعناه وحَوْمٌ مسلّبُ (٥)
يَشُقُّ إليـه كلَّ رَبْعٍ وقَلْعَةٍ   ثمانيـةٌ والقوم رَجْلٌ ومِقْنَبُ (٦)
فلمـا رآنا قومنـا قيل أفلَحُوا   فقلنا : اسألوا عن قائلٍ لا يُـكَذَّبُ

وقال تأبط شرًّا فى ذلك :

أرى قدمَىَّ وقعُهما خَفيفٌ   كتحليل الظَّليم حَدَا رِئالَه (٧)
أرى بهما عذاباً كلَّ يومٍ   بِخَثْعَمَ أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَه (٨)

---

(١) رهوا : يسير سيراً هيناً ، والثمائل : جمع ثميلة ، وهى الحب أو السويق أو التمر ، يريد أننا خرجنا ولم نهتم بادخار الماء، وقد نفد زادنا ، ولا أمل لنا فى زاد جديد ، وهذا كله كناية عن المغامرة .

(٢) الشعشاع : الطويل ، والمحرب : المدرب على الحرب . يصف قائد الركب الذى هو فيه .

(٣) الجهجهة : صياح الجيش عند القتال ، وثوب – بالتشديد –: رجع . أى ثاروا عليهم فى الليل ، وأعادوا الكرة عليهم فى الصباح .

(٤) بهن أى بالسيوف المفهومة من سياق البيت السابق، وجنبوا : انكشفوا ومالوا: يريد الأعداء .

(٥) الكمى : الشجاع ، وحوم : جمع ، وفى رواية « وقرم » بمعنى بطل ، ومسلب : عليه سلب كثير أى مدجج بالسلاح .

(٦) رجل : جمع راجل ، والمقنب : الخيل يبلغ عددها أربعين . وضمير إليه يعود إلى الحوم المسلب فى البيت السابق ، وثمانية فاعل يشق ، ويريد بالقوم الأعداء .

(٧) التحليل : ضرب من المشى ، ومنه المحلل: ثالث الجياد فى السباق ، والظليم : ذكر النعام ، والرأل : ولد النعامة ، وجمعه رئال .

(٨) خثعم ، وبجيلة ، وثمالة : قبائل .

(١)فَفَرَّق تأبّط شرًّا أصحابَه ، ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم ، وساق تأبط شرا وأصحابُه الإبَل حتى قدم بها عُلْيَا مكةَ(١)

عود إلى سبب تسميته

وقال غيره : إنما سمى تأبط شرًّا ببيت قاله ، وهو :

تأبط شرًّا ثم راح أو اغتدَى يُوائم غُنْمًا أو يَشِيفُ على ذَحْل(٢)

غارته على مراد

قال : وخرج تأبط شرًّا يوماً يريد الغارةَ ، فلقِىَ سَرْحاً لمراد فأطرده ، ونذرت به مراد ، فخرجوا فى طلبه ، فسبقهم إلى قومه ، وقال فى ذلك :

إذا لاقيتَ يومَ الصِّدق فارْبَع عليــه ولا يَهمّك يومُ سَــوِّ
على أنّى بِسَرْح بنى مــــرادٍ شجوتُهم سِبــــاقًا أىَّ شجوِ
وآخر مثله لا عيبَ فيــه بَصَرتُ به ليــــوم غيرِ زوٍّ(٣)
خَفَضتُ بساحةٍ تجرى علينا أباريق الكرامـــة يومَ لَهْوِ(٤)

مع غلام من خثعم

أغار تأبط شرًّا وحده على خثعم ، فبينا هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيّد الأرانبَ ، معه قوسُه ونبلُه ، فلما رآه تأبط شرًّا أهوى ليأخذه ، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى ، وضربه تأبط شرًّا فقتله ، وقال(٥) فى ذلك :

وكادتِ وبيتِ الله أطناب ثابت تقوّضُ عن لَيْلَى وتبكى النّوائح
* تمنّى فتى منّـــا يلاقى ولم يَـكد غلامٌ نمتْهُ المُحْصنات الصَّرائح(٦)

(١ – ١) تكملة من هج ، هد .

(٢) يريد بالشر الذى تأبطه سلاحه ونحوه . الذحل : الثأر .

(٣) الزو : القرينان ، يريد أنه يوم لا مثيل له .

(٤) ف ، هد : «خفضت بجأشه» ، وخفض : من الخفض بمعنى الدعة ، وضمير ساحة يعود على السرح الآخر فى البيت قبله . والكرامة : غطاء رأس الحب ، وكأنه استعار الحب لدنّ الخمر ونحوه .

(٥) عقب فى بعض الأصول على هذه الأبيات بأنها لشاعر من قوم الغلام ، وهو الصواب .

(٦) ف : «تمنى فتى منا فلاقى ولم يكد غلاماً ... الخ» . والصرائح : الخالصات النسب .

غلام نمَى فوق الخُماسيِّ قدره ودون الذى قد ترتجيه النواكح(١)
فإن تك نالته خطاطيف كفّه بأبيض قصّال نمى وهو فادح(٢)
فقد شد فى إحدى يديه كِنانه يُداوِى لها فى أسود القلب قادح(٣)

٢١٧/١٨ — هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شرا —

قالوا لها لا تنكحيه

قال : وخطب تأبط شرا امرأة من هذيل من بنى سَهْم فقال لها قائل : لا تنكحيه ، فإنه لأول نصل غداً يُفقَدُ(٤) فقال تأبط شرا :

وقالوا لها : لا تَنكِحِيه فإنّه لأول نَصْلٍ أن يُلاقِى مَجْمَعا(٥)
فلم تَرَ مِنْ رأيٍ فتيلا وحاذرت تأيُّمها من لابس الليلِ أروَعا(٦)
قليلِ غِرارِ النوم أكبرُ همّه دمُ الثأر أو يلقى كَمِيا مُقَنَّعا(٧)
قليلِ ادّخارِ الزادِ إلاّ تعِلّةً وقد نَشَزَ الشُّرسُوفُ والتصق المِعَى(٨)

(١) الخماسى : الغلام طوله خمسة أشبار ، ودون اللى قد ترتجيه النواكح : لم يبلغ مبلغ الزواج

(٢) الخطاطيف : جمع خطاف ، وهو الحديدة الحجناء ، وضمير كفه يعود على تأبط شرا ، والقصال : السيف القاطع ، وهذا البيت من هد ، وهج .

(٣) ف ، هد : «فقد شد فى إحدى يديه حرابه» بدل «كنانه» ، وفى هد : «يداوى لها» بدل «قد اوى» . والكنانة : جعبة السهام ، وقادح : صفة لجرح محذوف ، يريد أن أسهم الغلام تحدث جراحا عميقة فى سويداء القلوب .

(٤) لأول نصل غدا يفقد : معرض للموت فى كل لحظة .

(٥) لأول نصل ، أى يموت لأول ضربة سيف ، والمصدر المؤول بدل من نصل أى يموت لأول لقائه جمعا من المغيرين .

(٦) الفتيل : الخيط فى شق النواة ، ولابس الليل : كثير الغارات ليلا ، وأروع : ذكى الفؤاد ، أو يعجب بشجاعته ، يريد أنها لم تعر عرض الزواج منها التفاتاً خشية أن تصبح أيما منه .

(٧) غرار النوم : النوم الخفيف ، وكميا مقنعا : شجاعا ملثما .

(٨) الشرسوف : الطرف اللين من الضلع مما يلى البطن ، والمعى : واحد الأمعاء ، يريد أنه دائم الطوى ، حتى لتبرز أضلاعه ، وتلتصق أمعاؤه بعضها ببعض ، لخلوها من الطعام .

تُناضِله كلٌّ يشجّع نفسَه وما طبُّه فى طرْقه أن يُشجَّعا[1]
يبيت بمغنى الوحش حتى ألِفنه ويصبح لا يحمى لها الدهرَ مرتعا[2]
رأين فتًى لا صَيْدُ وحش يهمّه فلَوْ صافحت إنسًا لصافَحْنَه معا[3]
ولكنّ أربابَ المخاض يشقّهم إذا افتقدوه أو رأوه مُشيّعا[4]
وإنى — ولا عِلمٌ — لأَعلَمُ أننى سألقَى سِنانَ الموت يرشُق أضلعا[5]
على غِرّةٍ أو جَهرةٍ من مُكاثِرٍ أطال نِزالَ الموت حتى تَسَعْسَعا[6]

— تسعسع : فنى وذهب . يقال : قد تسعسع الشّهْر ، ومنه حديثُ عُمَر رضى الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال : « إن هذا الشهر قد تَسَعْسَع » —

وكنتُ أظن الموت فى الحى أو أرى ألَذّ وأَكرَى أو أموتَ مُقَنَّعا[7]
ولستُ أبِيتُ الدّهرَ إلا على فتى أسلّبه أو أُذعِرُ السِرْبَ أجمَعَا[8]
ومن يَضربُ الأبطالَ لا بدّ أنه سيَلقَى بهم من مَصْرع الموت مَصْرعا[9]

(١) ف « تنازله » بدل « تناضله » ، ولعل المراد : تناضله نفسه ، وطرق : جمع طريق أى أنه لا يحتاج إلى مشجع حين يسلك الطرق المخوفة ، بخلاف الناس .

(٢) المغنى : المقام : يريد أنه ألف الوحوش وألفته ، فهو يبيت معها آمناً ، فاذا أصبح أغار عليها .

(٣) ضمير « رأين » للوحوش ، أى أنها تحسبه لا يهمه صيد الوحوش ، فتكاد تصافحه .

(٤) ف : « مسمعا » بدل « مشيعا » . ويشقهم : يؤرقهم ، يريد أن الوحش تأنس به ، ولكن أرباب الإبل يخشونه على ابلهم ، فهم يفزعون حين يفتقدونه فلا يجدونه ، أو حين يرونه مشيعا إلى رحلة .

(٥) ولا علم أى لى ، والجملة اعتراضية ، يرشق أضلعاً يرى أضلعه ، كناية عن الموت . وفى هد « يبرق أضلعاً » وفى ف : « وإنى إن عمرت » .

(٦) غرة : غفلة ، مكاثر : كثير الغارات : يعنى نفسه .

(٧) كنت أظن الموت فى الحى : كنت أعدنى ميتا ما لبثت فى الحى . أكرى : أزيد . المقنع : من يلبس البيضة على رأسه . يقول : إننى فى عداد الأموات ما أقمت فى موطن ، حتى أخرج للغزو . فأتلذذ به ، وأزيد متعة ، أو أموت وعلى رأسى البيضة .

(٨) يقول : لا يقر قرارى إلا إذا أصبت فردا أفوز بسلبه ، أو أغرت على سرب من الحيوان لأصيده فيذعر عند رؤيتى ، أى أننى أقضى حياتى بين صيد وقنص .

(٩) من فى البيت : موصولة لا شرطية .

عود إلى فزاره وترك صاحبيه

قال : وخرج تأبط شرا ومعه صاحبان له : عمرو بن كلاب أخو المسيَّب ، وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذِروا بهم ، وهم فى جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطَّريق ، فقاتلوهم فقُتِل صاحبا تأبَّطَ شرا ونجا ، ولم يكد حتى أتى قومه . فقالت له امرأته وهى أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن على بن إبراهيم ابن رياح : هَرَبْتَ عن أخى وتركتَه وغررته ، أما والله لو كنت كريمًا لما أسلمته ، فقال تأبط شرا فى ذلك :

ألا تِلكما عِرْسى مَنيعة ضُمِّنَت ... من الله خِزْيًا مُسْتسرًا وعاهنا[1]

وذكر باقى الأبيات .

وإنما دعا امرأتَه إلى أن عَيَّرَتْه أنه لمَّا رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها ، وهى من بنى القَيْن بن فهم ، فبات عندها ، فلما أصبح غدا إلى امرأته وهو مُدَّهن مُتَرَجِّل ، فلما رأته فى تلك الحال علمت أين بات ، فغارت عليه فعيَّرته .

يغير على خثعم

وذكروا أن تأبط شرا أغار على خثعم ، فقال كاهن لهم : أرونى أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه ، فكفئوا على أثره جَفْنة ، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلما رأى أثره قال : هذا ما لا يجوز فى صاحبه الأَخذ ، فقال تأبط شرا :

ألا أبلغ بنى فَهْم بن عمرو ... على طولِ التَّنائى والمَقالَه[2]

مقَال الكاهن الجامِىّ لمَّا ... رأى أثرى وقد أُنهِبتُ مالَه[3]

٢١٨
١٨

رأى قدمَىّ وقعُهما حثيثٌ ... كتحليل الظليم دعا رئالَه[4]

أرى بهما عذابًا كلّ عام ... لخثعمَ أو بجيلةَ أو ثُمالَه[5]

---

(١) تقدم شرح هذا البيت .

(٢) يريد على طول التنائى وطول طريق الرسالة التى يريد إبلاغها إليهم .

(٣) أُنهبت « بالبناء للمجهول » ، وماله مفعول ثان .

(٤ ، ٥) تقدم هذان البيتان وشرحهما .

وشرٌّ كان صُبَّ على هذيل   إذا علِقت حِبالهمُ حِبالَه(١)
ويومُ الأزد منهم شرّ يوم   إذا بَعُدوا فقد صَدَقتْ قالَه(٢)

فزعموا أن ناساً من الأزد ربئوا لتأبط شرا ربيئة(٣) وقالوا : هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره ، فأقيموا فيه حتى يأتيكم، فلما دنا من القوم توجس، ثم انصرف، ثم عاد فنهضوا فى أثره حين رأوه لا يجوز ، ومر قريباً فطمعوا فيه ، وفيهم رجل يقال له حاجز ؛ ليث من ليوثهم سريع ، فأغروه به فلم يلحقه ، فقال تأبط شرا فى ذلك :

تَتعتعتُ حِضْنَىْ حاجزٍ وصحابِه   وقد نبذوا خُلقانَهم وتشنَّعوا(٤)
أظن وإن صادفتُ وعثا وأنْ جرَى   بِىَ السَّهلُ أو متنٌ من الأرض مَهيَعَ(٥)
أُجارِى ظلالَ الطير لو فات واحدٌ   ولو صدقوا قالوا له هو أسرع(٦)
فلو كان من فتيان قيسٍ وِخِندفٍ   أطاف به القُنَّاصُ من حيث أُفزِعوا(٧)
وجاب بلاداً نصفَ يوم وليلة   لآبَ إليهم وهو أشوسُ أروَع(٨)
فلو كان منكم واحدٌ لكُفِيتُه   وما ارتجعوا لو كان فى القوم مطمع(٩)

---

(١) ضمير حباله يعود على الكاهن ، يريد أن هذيلا لو استعانت بالكاهن أيضاً ما أجداها ذلك
(٢) القال هنا بمعنى القول ، والضمير فى قاله يعود على الكاهن .
(٣) ربئوا له ربيئة : أقاموا عليه جاسوساً .
(٤) الحضن : مادون الإبط إلى الكشح ، يريد أنه كد أحضان حاجز ورفاقه من الجرى خلفه ، والخلقان : ما بلى من الثياب ، وشنع الخرقة : شمثها ، أى أنهم تخففوا من بعض ثيابهم ، وشمثوا ما بقى لها من طول الجرى ،
(٥) الوعثاء : الطريق يصعب سلوكه ، والمهيع عكسه ، يصف نفسه بسرعة العدو ، فيقول : إنه حين يعدو يظن أن الأرض تجرى به ، وإن كانت طرقها ملتوية على السالك .
(٦) فى ف « ولو صدقوا قالوا بل أنت أسرع » يريد أنه يسبق الطير .
(٧ ، ٨) ضمير كان يعود على حاجز ، وأفزعوا « بالبناء للمجهول » ، وجملة أطاف ... الخ حال من اسم كان ، لآب جواب لو ، أشوس هنا بمعنى ينظر بمؤخر عينه غيظاً ، وأروع هنا من الروع بمعنى الفزع أى لو كان حاجز من بجيلة وخندف ، ومعه لفيف من القناصة الفزعين ، وجروا وراءه مدة طويلة لآب إلى قبيلته بالفشل .
(٩) يريد لو كان من يطلبنى واحداً لظفرت به ، ولو كان لمن تبعوه مطمع فيه ما رجعوا بالخيبة

فأجابه حاجز :

فإن تك جاريْتَ الظــلال فربما سُبِقْتَ ويومُ القِرْنِ عُريان أسْـنَع[١]
وخلّيْتَ إخوان الصفــاء كأنهم ذبائحُ عَنزٍ أو فَحِيلٌ مُصرَّع[٢]
تبكّيهمُ شجوَ الحمامة بعــد ما أرحْتَ ولم تَرْفَع لهم منــك إصْبَع[٣]
فهذى ثلاثٌ قد حويت نجاتَها وإن تنجُ أُخرى فهى عندك أربع

أخبرنى[٤] عمّى قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد قال ذكر علىُّ بن محمد المدائنىُّ ، عن ابن دَأْب قال :

خير أيامه

سُئِل تأبط شرا : أىّ يوْم مَرَّ بك خَيْر ؟ قال: خرجت حتى كنت فى بلاد بَجِيلة ، أضاءَت لى النارُ رجلا جالساً إلى امرأة . فصَمَدتُ إلى سيفى فدَفَنْتُه قريباً ، ثم أقبلتُ حتى استأنَسْت ، فنَبَحَنى الكَلبُ ، فقال : ما هذا ؟ فقُلتُ : بائس . فقال :ادنُه ، فدنَوْتُ ، فإذا رَجُلٌ جِلْحاب آدم[٥] ، وإذا أضْوَى[٦] الناس إلى جانبه ، فشكوتُ إليه الجوعَ والحاجةَ ، فقال : اكْشِف تلك القَصْعة ، فأتيتُ قَصْعَةً إلى جَنْب إبله ، فإذا فيها تمرٌ ولبن ، فأكلتُ منه حتى شَبِعْت ، ثم خَررتُ مُتناوماً ، فوالله ما شئت أن أضْطَجِع حتى اضْطَجَع هو ورفع رِجْله على رِجْله ثم اندفع يُغَنّى وهو يقول :

---

(١) القرن : القرين المنافس ، عريان : صحو لا غيم فيه ، أسنع : أفضل ، يقول : إن تك عداء تسبق الظلال فربما سبقك القرن فى يوم جميل موات .

(٢) الفحيل : فحل الإبل إذا كان كريما

(٣) شجو مفعول مطلق لفعل محذوف ،أى وأنت تشجو شجو الحمامة ، أرحت : عدت إلى حيك ، ولم ترفع لهم منك إصبع : لم تحاول الدفاع عنهم .

(٤) من أول هذا الخبر إلى آخر الترجمة ساقط من نسخة ب ولكنه مثبت فى ف وبعض الأصول

(٥) جلحاب: ضخم ، آدم : أسمر .

(٦) أضوى : من الضوى ، بمعنى دقة العظم وقلة اللحم ، كأنه يصفها بالرشاقة وعدم الترهل . وربما كانت محرفة عن أضوأ من الضوء .

خَيرُ اللَّيالى إن سألت بليلة ... ليل بخيمة بين بيشَ وعَثَّرِ(١)
لِضَجيعِ آنسةٍ كأنَّ حديثها ... شَهدٌ يُشاب بمزجةٍ من عنبرَ
وضجيعِ لاهيةٍ ألاعِبُ مثلَها ... بيضاء واضحةٍ كَظَيظِ المِئزَرِ(٢)
ولأنتِ مثلُهما وخيرٌ منهما ... بعد الرُّقاد وقبل أن لم تُسْحِرى(٣)

قال : ثم انحَرَف فنام ، ومالت فنامت : فقلتُ : ما رأيتُ كاللَّيلة فى الغِرَّة ، فإذا عَشْر عُشَراوات(٤) بين أثلات(٥) فيها عبد واحد وأَمَة ، فوثبتُ فانتضيت سيفى ، وانتحيْتُ للعَبْد فقتلته وهو نائم ، ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفى على كبده حتى أخرجتُه من صُلْبه ، ثم ضربت فخذ المرأة فجلستْ ، فلما رأته مقتولا جزِعت ، فقلت : لا تخافى ، أنا خير لك منه . قال : وقمتُ إلى جُلّ متاعها فرحلته على بعض الإبل أنا والأَمَة فما حللتُ عَقْده حتى نزلت بصَعْدة بنى عوف بن فِهْر ، وأعرستُ بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتى وغنَّيت :

بحَليلة البجلىّ بِتُّ من ليلها ... بين الإزار وكَشْحِها ثم الصَّقِ(٦)
بأنيسةٍ طُويت على مَطْويِّها ... طىَّ الحمالةِ أو كطَىّ المِنطقِ(٧)

---

(١) خيمة ، بيش ، عثر : أماكن ، وفى المختار : «... ان أبيت بليلة» بدل «ان سألت بليلة» .
(٢) كظيظ : من الكظة ، وهى امتلاء البطن ، يصفها بضخامة العجز ، وهى غير صاحبته الضاوية .
(٣) الإسحار : الدخول فى السحر ، يفضل صاحبته الضاوية على من ذكرهما فى البيتين السابقين عند المضاجعة بعد الرقاد ، وقبل السحر .
(٤ ، ٥) عشراوات : جمع عشراء ، وهى من مضى على حملها عشرة أشهر من النوق ، والأثلات : جمع أثلة : شجر معروف .
(٦) فى المختار : «... بت بليلة» بدل «بت من ليلها» .
(٧) الحمالة : حمالة السيف التى تتصل بجرابه ، والمنطق : مايتمنطق به ، يريد أنها مجدولة جدل هاتين . وفى المختار : «طويت على أقرابها» بدل «على مطويها» .

فإذا تقوم فصَعدةٌ في رَمْلَة ... لبَدَت بِرِيّق دِيمة لم تُغْدق[١]
وإذا تجيء تجيء شحب خلفها ... كالأيْم أصْعَد في كَثيبٍ يرتقي[٢]
كَذَب الكَواهِنُ والسَّواحِرُ والهُنا ... أن لا وقاء لعاجزٍ لا يَتَّقِي[٣]

قال : فهذا خَيْرُ يوم لَقيتُه .

شر أيامه

وشَرُّ يوم لَقيت أنّي خَرجتُ ، حتى إذا كنتُ في بلاد ثُمالَة أطوف ، حتى إذا كُنتُ من القفير[٤] عَشيًّا إذا أنا بسبع خلِفات[٥] فيهن عَبْد ، فأقبلْت نحوَه وكأنّي لا أُريدُه وحذرني فجَعل يَلُوذُ بناقَة فيها حَمراء ، فقلتُ في نَفسي : والله إنه ليَثِق بها . فأفوّق له ، وَوَضَع رِجلَه في أرْجُلها وجَعل يدُور معها ، فإذا هو على عَجُزها . وأرميه حين أشْرف فوضعتُ سَهْمِي في قَلْبه فخرَّ ، وندَّت الناقةُ شَيْئا وأتبعتُها فرجَعت فسُقتُهُنَّ شيئا ثم قلت : والله لو رَكِبْت الناقَةَ وطَرَدْتُهُنَّ ، وأخذت بعُثْنُون[٦] الحَمْراء فوثبت ، فساعَة استويت عليها كَرّت نحو الحَيّ تريع وتَبِعتها الخلفات ، وجَعلتُ أُسَكِّنها وذهبت ، فلمَّا خَشيت أن تَطْرحَني في أيدِي القَوْم رَميتُ بنَفْسي عنها ، فانكَسَرت رِجْلي ، وانطَلَقَتْ والذَّودُ[٧] معها . فخرجْتُ أعرّج ، حتى انخنَسْتُ[٨] في طرف كثيب وَجازني الطَّلب ،

(١) الصعدة : القناة المستوية ، كناية عن حسن القوام . لبدت : تلبدت . الديمة : السحابة لم تغدق : لم يكن مطرها غزيراً ، يصفها بالترنح في مشيتها ، كأنها تمشي على أرض تلبدت بمطر خفيف .

(٢) الشحب : العمود ، كأنه يريد خيالها . وفي هج : « وإذا تجيء أتت بنجد خلفها » كأنه يصفها بضخامة العجز ، والأيم : الحية الأبيض اللطيف النظر ، وفي المختار : « ... تجي بجيد خلفها » .

(٣) كذا في معظم الأصول . وفي هج : « أن لا وقاء » بدل « أن لا وفاء » . ونرجح أن « الهنا » محرف « النهى » والمعنى على ذلك أن العاجز الذي لا يحتاط قد تكتب له السلامة . . والمقصود بالبيت تحبيذ المغامرات التي يخوضها . وفي المختار : « زعم الكواهن والسواحر والرقا » .

(٤) القفير : علم على الماء .

(٥) الخلفات : جمع خلفة ، وهي الناقة الحامل .

(٦) العثنون : شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير .

(٧) الذود : جماعة الإبل .

(٨) انخنس : تأخر ، أي التجأ إلى طرف الكثيب .

فمكثت مكانى حتى أظلمت، وشبّت لى ثلاثةُ أنوار فإذا نار عظيمة ظننت أن لها أهلا كثيرا، ونارٌ دونها، ونُويْرة صغيرة، فهويت للصُّغرى، وأنا أجمِز(١)، فلما نبحنى الكلبُ نادى رجل فقال: مَنْ هذا؟ فقلت: بائس، فقال: ادنُهْ، فدنوتُ وجلست وجعل يسائلنى، إلى أنْ قال: والله إنى لأجد منك ريح دم. فقلت: لا والله، ما بى دمٌ. فوثب إلىّ فنفضنى، ثم نظر فى جعبتى فإذا السهم، فقلت: رميت العشيّةَ أرنبا، فقال كذبت، هذا ريحُ دم إنسان، ثم وثب إلىّ ولا أدفعُ الشرَّ عن نفسى فأوثقنى كتافا، ثم علّق جعبتى وقوسى، وطرحنى فى كِسْر البيت ونام، فلما أسحرتُ حرّكت رجلى، فإذا هى صالحة وانفتل الرِّباط فحللته، ثم وثبت إلى قوسى وجعبتى فأخذتهما ثم هممت بقتله فقلت: أنا(٢) ضَمِنُ الرِّجل، وأنا أخشى أن أُطلب فأُدرك ولم أقتل أحدا أحب إلى، فولّيت ومضيت. فوالله إنى لفى الصّحراء أحدّثُ نفسى إذا أنا به على ناقة يتبعنى، فلمّا رأيته قد دنا منى جلست على قوسى وجعبتى وأمنته، وأقبل فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم أقبل إلىّ، وعهدُه بى عهدُه، فقلت له: وَيْلَكَ، ما تريد منّى؟ فأقبل يشتمنى، حتى إذا أمكننى، وثبتُ عليه فما ألبثته أن ضربتُ به الأرض، وبركت عليه أربطه، فجعل يصيح: يا لثمالة، لم أرَ كاليوم. فجنبته إلى ناقته وركبتها، فما نزعت حتّى أحللته فى الحىّ، وقلت:

أغرّكَ منّى يا بنَ فَعْلة عِلّتى ... عَشيّةَ أن رابت علىّ روائبى(٣)

وموقد نيران ثلاثٍ فشرُّها ... وألأمُها إذ قُدتُها غير عازب(٤)

سلبتَ سلاحى بائسا وشتمتنى ... فيا خيرَ مسلوب ويا شرَّ سالب(٥)

(١) يجمز: يثب كالجواد فى القيد لأنه كان مصابا فى رجله.
(٢) ضمن الرجل، يقال: جواد ضمن: متلكئ لا يسير إلا بالضرب.
(٣) فعلة: كناية عن اسم أم من يسبه. الروائب: جمع رائبة أى الحادثة المؤذية.
(٤) غير عازب: غير منصرف عنها، وفى المختار: «وألأمها أوقدتها غير عازب» بدل «إذ قدتها ...».
(٥) فى المختار: «وسلت سلاحى ...» بدل «سلبت ...».

فإن أكُ لم أخْضِبك فيها فإنَّها   نُيوبُ أساوِيد وشَوْل عَقارِبِ[1]
ويا رَكْبة الحَمْراء شَرَّة رَكْبةٍ   وكادَتْ تكون شَرَّ رَكبةِ راكِبِ[2]

مقاتلة يظفر فيها

قال: وخرج تأبَّط غازِياً يُرِيد الغارةَ على الأزْد في بعضِ ما كان يُغِير عليهم وَحدَه، فنَذَرت به الأزْد، فأهْمَلُوا له إبلا، وأمرُوا ثلاثةً من ذَوِى بأْسِهِم: حاجزَ بنَ أُبَىّ، وسَوادَ بنَ عمْرو بنِ مالك، وعوْفَ بنَ عَبْد الله، أن يتبعوه حتّى يَنام فيأْخذُوه أخذاً، فكَمنوا له مَكْمناً، وأقبل تأبّط شرًّا فبصُرَ بالإبِل، فطرَدَها بعضَ يومِهِ. ثم تركها ونَهَض فى شِعْب لينْظُر: هل يَطْلُبه أحدٌ؟ فكَمَنَ القومُ حين رَأوْه ولم يرَهُم، فلما لم يرَ أحداً فى أثره عاود الإبِل فشَلَّها[3] يومه ولَيْلَتَه والغد حتى أمسَى، ثم عقَلَها، وصَنَع طَعاماً فأَكَلَه، والقومُ يَنْظُرون إليه فى ظله، ثم هيّأ مُضْطَجعا على النّار، ثم أخمَدها وَزحَفَ على بَطْنِهِ ومعه قوسُه، حتى دَخَل بين الإبل، وخَشِى أن يكونَ رآه أحد وهو لا يعْلَم، ويأبى إلا الحذَر والأخْذ بالحَزْم، فمكَث ساعة وقد هيّأ سَهْما على كَبِد قَوسِه، فلما أحسُّوا نومَه أقبلوا ثلاثتُهم يَؤُمّون المِهادَ الذى رأوه هيّأه، فإذا هو يرمِى أحدَهم فيقْتُلُه، وجال الآخران، ورَمَى آخَرَ فقتَله، وأفْلَت حاجزٌ هارِباً، وأخذ سَلَبَ الرَّجُلَين، وأطلق عقل الإبل وشَلّها حتى جاء بها قومه، وقال تأبّط فى ذلك:

تُرَجِّى نِساءُ الأزْدِ طلعةَ ثابتٍ   أسِيراً ولم يَدْرِين كيف حَوِيلى[4]

(١) فيها: الضمير يعود على السلاح، وهو يذكر ويؤنث. والأساويد: الحيات. وشول العقارب: العقارب رافعة أذنابها.

(٢) يريد بالحمراء، الناقة التى كانت سببا فى إصابة رجله. وفى المختار: «ولقد كدت ألقى بعدها غير راكب».

(٣) شل الإبل: طردها.

(٤) الحويل: الاحتيال والمهارة.

فإنّ الألى أوصَيْتُم بَيْنَ هارِبٍ طَرِيدٍ ومَسْفُوحِ الدِّماءِ قَتِيلِ (١)
وخدتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم وراب عليهم مَضْجَعِى وَمَقِيلِى (٢)
مَهدتُ لهم حتى إذا طاب رَوعُهم إلى المَهْدِ خاتَلْتُ الضِّيا بِخَتِيلِ (٣)
فلما أحسُّوا النَّوم جاءوا كأنَّهم سِباعٌ أصابت هجمةً بِسَلِيلِ (٤)
فقلّدتُ سَوَّارَ بنَ عَمْرِو بنِ مَالِكٍ بأسْمَرَ جَسْرِ القُذَّتَيْنِ طَمِيلِ (٥)
فخرَّ كأنّ الفِيلَ ألقَى جِرانَه عليه بريّان القِواءِ أسيلِ (٦)
وظل رعاع المَتْنِ من وقع حاجزٍ يخرُّ ولو نَهْنَهْتَ غيرَ قَليلِ (٧)
لأبتَ كما آبا ولو كُنتَ قَارِنًا لجئتَ وما مالكتَ طولَ ذَمِيلِى (٨)

---

(١) فى المختار : « فان الألى أوصيتهم بين هارب » .

(٢) الوخد : ضرب من السير ، وراب عليهم : التبس عليهم . ومقيلى : موضع راحتى عند القيلولة . وفى المختار : « وطال عليهم مضجعى ومقيلى » . بدل « وراب عليهم » .

(٣) فى بعض النسخ : « طال روعهم » ونرجح أنها «طاب» لا «طال» . والروع : القلب ، كناية عن الاطمئنان ، وخاتلت : خادعت ، وفى بعض بعض النسخ أيضا : « الصبا » بدل « الضيا » ولعل المراد : أنه خدعهم نهاراً ، والمعنى الإجمالى للبيت غير خاف .

(٤) السليل : وسط الوادى ، أو جرى الماء فيه .

(٥) الأسمر : يريد السهم ، والجسر : الضخم ، والقذة : ريش السهم ، والطميل : العريض النصل ، يريد أنه أضحى سوارا بسهم هذه صفته ، وفى المختار : « ... جمر القذتين طويل » .

(٦) الجران : مقدم العنق ، والقواء : الأرض القفر ، والأسيل : المستوى الأملس أى خر لا حراك به كأن الفيل ألقى عليه بعنقه فوق أرض قفراء ملساء مخضلة بالماء ، وكل هذه الصفات مما يزيد التصاقه بالأرض ، بل غوصه فيها ، وفى المختار : « عليه بثرثار القواء ... الخ » . وفى هد ، هج : « عليه بريان الفؤاد أسيل » .

(٧ ، ٨) الرعاع : من لا فؤاد له ، وحاجز اسم رجل : نهنهت : زجرت نفسك عن الفرار ، القارن : حامل النبل أو السيف ، والذميل : نوع من السير : يقول : وظل الجبان بعد أن خر حاجز يقع من الخوف ، ولو أنك نهنهت نفسك عن الفرار للحقت بزميليك ، ولو كنت ذا سيف أو نبل لثبتّ ، ولم تلجأ إلى الجرى . وفى المختار : « ولو نهنهت سوق قليل » وكذا فى هج .

فَسرَّكَ نَدْماناكَ لمَّا تَتَابَعَا   وأنَّكَ لم تَرْجِع بعَوْصٍ قَتيلِ(١)

سَتَأتى إلى فَهْمٍ غَنِيمَةُ خِلْسَةٍ   وفى الأزد نَوْحٌ وَيْلَةٍ بِعَوِيلِ

فقال حاجزُ بنُ أبىّ الأزدى يُجيبُه :

* سألتُ فلم تُكلِّمنى الرُّسوم *

وهى فى أشعار الأزد .

فأجابه تأبَّط شرًّا :

لقــد قال الخِلىُّ وقال خَلْسًا   بظهر الليل شُدَّ به العُكومُ(٢)

لِطَيفٍ من سُعادَ عَناكَ منها   مُراعاةُ النُّجوم ومَنْ يَهيمُ(٣)

وتلك لئن عُنِيتَ بها رَداحٌ   من النِّسوان مَنْطِقُها رَخيمُ(٤)

نِياقُ القُرطِ غَرَّاءُ الثَّنايَا   ورَيْداءُ الشَّباب ونِعْمَ خِيمُ(٥)

ولــكن فاتَ صاحبُ بَطْنِ رَهْوٍ   وصاحبه فأنتَ به زَعيمُ(٦)

أُؤَاخِذُ خُطَّةً فيها ســـواء   أَبِيتُ وَليلُ واتِرها نَؤُومُ(٧)

---

(١) العوص : الشدة أو الداهية ونحوها . يقول : سرك صاحباك حينما صرعا ، ولم تصرع مثلهما . وفى المختار : «وأنك لم ترجع بعرض قتيل» .

(٢ ، ٣) خلسا : خلسة وخفية ، العكوم : ما تشد به الرحال ، أى قال الخلى خفية لطيف سعاد فى ليل شدت به الرحال : قال عنك : إنك من هواها تراقب النجوم سهرا وتتفكر فى العشق والعاشقين .

(٤) الرداح : الممتلئة الجسم ، المنطق الرخيم : اللين .

(٥) النياق : جمع ناقة ، والمراد هنا بها كواكب مصطفة على هيئة الناقة ؛ يشبه قرطها بالكواكب ، غراء الثنايا : بيضاء الأسنان ، وريداء الشباب : كذا فى الأصول ، وهو مصغر ورداء ، ولم نجد ورداء فى اللغة ، فلعلها رويداء من قولهم : رويداء ، بمعنى ترفق ، أى رقيقة الشباب ، الخيم : الصفات ، أى نعمت صفاتها ، وفاعل نعم هنا غير جار على الأصول النحوية المعروفة .

(٦) انتقال من الغزل إلى الملاحاة ، ولعله يريد بصاحبى بطن رهط من صرعهما ، ويقول لمن يلاحيه : أنت بهما زعيم أى كفيل .

(٧) يريد أنه يأخذ بخطة مستوية فى الأخذ بالثأر ، يبيت من أجلها يقظان ، ويبيت الواتر عنها نائماً .

ثأرتُ به وما اقترفت يَدَاه   فظلَّ لها بنا يومٌ غَشُومُ(١)
تحزُّ رقابَهم حتى نَزَعْنا   وأنفُ الموتِ مَنْخِرُه رَمِيمُ(٢)
وإن تَقَع النُّسُور على يومًا   فلَحْمُ المُعْتَفِي لَحْمٌ كَرِيمُ(٣)
وَذِي رَحِمٍ أحالَ الدَّهرُ عنه   فليْسَ له لذِى رَحِمٍ حَرِيمُ(٤)
أصاب الدَّهرُ آمنَ مَرْوَتَيْه   فألقاه المُصاحِبُ والحَمِيمُ(٥)
مَدَدتُ له يَميناً من جَناحِي   لها وَفْرٌ وكافِيَةٌ رَحُومُ(٦)
أُواسِيه على الأيَّام إنِّي   إذا قَعَدت به اللُّؤَما أَلُومُ(٧)

موت أخيه عمرو

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المُسْتَغَل(٨)؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شرًّا لمن حضر من قومه: لا واللات والعُزّى لأرجع حتى أُغير على بني عُتَيْر من هذيل، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما، فأطردوا إبلا لبني عُتَير فأتبعهم أرباب الإبل، فقال عمرو: أنا كارٌّ على القوم ومُنَهْنِهُهم(٩) عنكما، فامْضِيا بالإبل. فكرّ عليهم فنهنهم طويلا، فجَرَح في القوم رئيسا، ورماه رجل من بني عُتَيْر بسهم فقتله، فقالت بنو عُتَير: هذا عمرو بن جابر، ما تَصْنَعُون

---

(١) ضمير به يعود على قتيل يقصده، وما اقترفت يداه أي لم يدفع عن نفسه، وضمير لها يعود على الخطة، واليوم الغشوم: الظلوم لكثرة من مات فيه.

(٢) رميم: بال، وهو كناية عن أن الموت كان طوع أيديهم، لا يستعصي عليهم.

(٣) المعتفى: للرائد، أو طالب الفضل.

(٤) أحال الدهر عنه: تحول عنه، أي أخنى عليه، فليس له لذى رحم حريم، أي لم تعد له حرمة عند أقاربه.

(٥) المروة: جبل بمكة. يريد بآمن مروتيه آمن حصنيه.

(٦) رحوم: كثير الرحمة، مثل رحيم، يريد أنه لم يقصر في مواساته.

(٧) يريد: إذا تنكر له اللؤما ــ مقصور اللؤماء ــ وفي هج «اللؤمى».

(٨) هج: «المسقل» بدل «المستغل».

(٩) نهنهم: زجرهم وردهم.

أن[1] تلحقوا بأصحابه ؟ أبعدها اللهُ من إبل ، فإنا نخشى أن نَلحقَهم فيقتل القومُ منا ، فيكونوا قد أخذوا الثَّأر ، فرجعوا ولم يُجاوِزوه . وكانوا يَظنون أن معه أناسا كثيرا ، فقال تأبّط لمّا بلغه قَتلُ أخيه :

وحرّمتُ النساء وإن أُحلّت ... بشَور أو بمزج أو لِصابِ[2]
حياتى أو أزور بنى عُتَير ... وكاهلها بجمْع ذى ضَباب[3]
إذا وَقَعت لكَعْب أو خثيم ... وسيار يَسُوغ لها شَرابِى[4]
أظُنّى مَيّتا كَمَدا ولَمّا ... أطالِعْ طلعةً أهلَ الكِراب[5]
ودُمْتُ مُسَيّرا أهدِى رعيلا ... أؤم سوادَ طَوْدٍ ذِى نِقاب[6]

فأجابه أنسُ بنُ حذيفةَ الهُذلىُّ :

لعلك أن تجيء بك المَنايَا ... تُساق لِفتْيَة منا غضاب
فتنزلَ فى مَكَرّهمُ صريعا ... وتنزلَ طُرْقةَ الضّبُع السِّغاب[7]
تأبّطَ سَوْأةً وحملتَ شَرّا ... لعلك أن تكون من المُصاب[8]

---

(١) ما تصنعون أن تلحقوا : بأن تلحقوا ، يريد ، لا فائدة باللحاق بهم .

(٢) الشور : العسل ، والمزج : نوع منه أيضا . والصاب : شجر مر ، ولعل المعنى : حرمت على نفسى النساء الحلال ، سواء كانت عسلا أو صابا .

(٣) الكاهل : مقدم الظهر مما يلى العنق ، يريد : أبلل حياتى ، أو أغزو عتيرا التى قتلت أخاه ، ويتوغل فى غزوها حتى يقف على كاهلها بجمع كثيف كأنه الغبار الذى يكتنفه ضباب .

(٤) فاعل وقعت محذوف ، تقديره المنية ، أى إذا أوقعت بهؤلاء يحل لها شرابى ، وضمير لها يعود على حياتى .

(٥) الكراب : مجارى الماء فى الوادى .

(٦) رعيلا ، أى جماعة من الفرسان ، يقول : أظننى ميتا إن لم أغزهم ، وأظل أسوق اليهم الفرسان تخترق كل جبل تغطيه السحب .

(٧) مكرهم : موضع الكر ، أى الميدان . السغاب : الجياع .

(٨) السوأة : العورة ، وفى البيت التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وقوله من المصاب أى من النفر المصاب ، وقد وردت كذلك فى الأصول ، ولعلها مع المصاب ، ويعنى بالمصاب أخاه ، أى لعلك تلحق به .

أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو

ثم أن السّمع بن جابر أخا تابّط شرًّا خرج فى صعاليك من قومه يريد الغارة على بنى عُتَير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر، حتى إذا كان ببلاد هذيل لقى راعيا لهم، فسأله عنهم، فأخبره بأهل بيت من عُتَير كثير مالُهم، فبيَّتهم، فلم يُفلت منهم مخبر، واستاقوا أموالهم، فقال فى ذلك السّمع بن جابر:

بأعلى ذى جماجم أهلُ دارٍ إذا ظعنت عشيرتُهم أقاموا(١)
طرقتُهمُ بفتيانٍ كرامٍ مَساعيرٍ إذا حَمِىَ اللِّقامُ
متى ما أدعُ من فَهْم تجبْنى وعدوان الحماة لهم نظامُ(٢)

إصابته فى غارة على الأزد

ذكروا أن تأبّط شرًّا خرج ومعه مُرّة بن خُلَيف يريدان الغارة على الأزد، وقد جعلا الهداية بينهما، فلما كانت هداية مُرّة نعس، فجار عن الطريق، ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم، فقال تابّط شرا: هلكنا واللات يامرّة، ما وَطِئ هذا المكان إنسٌ قبلنا، ولو وطئته إنسٌ ما باضت الطيرُ بالأرض، فاختر أية هاتين القُنّتين شئت، وهما أطول شىء يُريان من الجبال، فأصعدُ إحداهما وتصعد أنت الأخرى، فان رأيت الحياة فألِحْ بالثوب وإن رأيت الموت فألِح بالسيف، فإنى فاعل مثلَ ذلك، فأقاما يومين. ثم إن تأبط شرا ألاح بالثّوب، وانحدرا حتى التقيا فى سَفْح الجبل، فقال مُرّة: ما رأيتَ يا ثابت؟ قال: دخانا أو جرادا. قال مُرّة: إنك إن جزعت منه هلكنا، فقال تأبّط شرا: أما أنا فإنّى سأخرُم بك من حيث تهتدى الريح، فمكثا بذلك يومين وليلتين، ثم تبعا الصّوت، فقال تأبط شرًّا: النَّعَمُ والنّاس. أما والله لئن عُرفنا لنُقتلنّ، ولئن أغرنا

---

(١) بأعلى ذى جاجم: يريد الجبل الذى ينزلون به.

(٢) متى ما أدع: متى ما أدعهم، وعدوان الحماة لهم نظام: جملة حالية، أى عداوة الأبطال نظامهم، ونرجح أن الحماة تحريف الحياة، أى يجيبوننى وهم يكرهون الحياة ويحبون الموت. وفى المختار: متى ما أدع فى فهم بدل «من فهم» وفيه: «وعدوان الكرام لهم نظام» بدل «وعدوان الحماة».

لنُدْرَكَنّ ، فأتِ الحىّ من طَرْف وأنا من الآخر ، ثم كُنْ ضيفا ثلاثا ، فإن لم يرجع إليك قلبُك فلا رَجَع ، ثم أغِر على ما قِبلَك إذا تدلّت الشمس فكانت قدرَ قامة ، وموْعِدُك الطريق . ففعلا ، حتى إذا كان اليوم الثالث[(1] أغار كل واحد منهما على ما يليه ، فاستاقا النعم والغنم ، وطردا يوما وليلة طردا عنيفا حتى أمسيا الليلة الثانية[1)] دَخلا شِعْبا ، فنَحرا قَلُوصًا ، فبينا هما يَشْويان إذ سمعا حِسًّا على باب الشِّعب ، فقال تأبط : الطَّلبُ يامُرّة ، إن ثَبَتَ فلم يدخل فهم مُجِيزون ، وإن دخل فهو الطلب ، فلم يلبث أن سَمِع الحِسَّ يدخل ، فقال مُرّة : هلكنا ، ووضع تأبط شرا يده على عضد مُرّة ، فإذا هى تُرْعد ، فقال : ما أُرْعِدت عضدك إلا من قِبَل أمك الوابشية[2] من هذيل ، خذ بظَهْرِى ، فإن نجوتُ نجوتَ ، وإن قُتِلتُ وقيتُك . فلما دنا القوم أخذ مُرّة بظهر تأبط ، وحمل تأبط فقَتل رجلا ، ورموه بسهم فأعلقوه فيه ؛ وأفلتا جميعا بأنفسهما ، فلما أَمِنا وكان من آخر الليل ، قال مُرّة : ما رأيت كاليوم غنيمة أُخِذت على حين أشرفنا على أهلنا ، وعض[3] مُرّةُ عضده ، وكان الحى الذين أغاروا عليهم بجيلة ، وأتى تأبّط امرأتَه ، فلما رأت جراحتَه وَلْوَلَت ، فقال تأبّط فى ذلك :

وبالشِّعب إذ سدّت بجيلةُ فَجَّهُ ... ومن خَلْفه هَضْبٌ صغار وجامل[4]

شدَدْتُ لنفس المرء مُرّةَ حَزْمَه ... وقد نُصِبتْ دون النَّجاء الحبائلُ[5]

وقلت له : كن خلفَ ظهرى فإننى ... سأفديك وانظر بعدُ ما أنتَ فاعِل[6]

(1-1) ساقط من نسخ الأغانى والزيادة عن المختار .

(2) فى هج : « الوالبية » بدل « الوابشية » ، وفى هد « الوانسية » . وفى المختار : « الوائلية »

(3) فى هد : « وعصر عضله » .

(4) الجامل : الجمال ، وفى المختار « هضب طوال وجامل » .

(5) فى المختار : « شددت لأنجى المرء مرة عزمة ... » .

(6) فى المختار : « ما أنا فاعل » .

فعاذ بحدّ السيف صاحبُ أمرهم وَخلَّوْا عن الشيء الذى لم يحاولوا(١)
وأخطأهم قَتلى ورفّعتُ صاحبى على الليل لم تُؤخذ عليه المخاتلُ(٢)
وأخطأ غُنْمَ الحىّ مُرَّة بعدما حوته إليه كفُّه والأناملُ
يعض على أطرافه كيف زَوْلُه ودونَ الملا سهلٌ من الأرض ماثل(٣)
فقلت له : هذى بتلك وقد يَرَى لها ثمنًا من نفسه ما يُزاول(٤)
تُوَلْوِل سُعدى أن أتيتُ مُجرّحا إليها وقد مَنّت علىّ المَقاتلُ(٥)
وكائنْ أتاها هاربًا قبل هذه ومن غانمٍ فأين مِنكِ الوَلاوِل(٦)

يثبث مع قلة من أصحابه فيظفرون

فلما انقضت الأشهرُ الحُرمُ خرج تأبط والمُسَيَّب بنُ كلاب فى ستة نفر يريدون الغارةَ على بَجيلَة ، والأخذ بِثَأر صاحبَيْهم عَمْرو بنِ كِلاب وسَعْدِ بن الأشرس. فخرج تأبط والمُسَيَّب بن كلاب وعامرُ بن الأخنس وعمرو بن برّاق ومُرَّةُ ابن خليف والشّنفَرَى بنُ مالك ، والسِّمع وكَعْبُ حِدا رابنا جابر أخَوا تأبّط. فَمضَوْا حتى أغاروا على العَوْص ، فقتَلوا منهم ثلاثة نفر : فارِسَيْن وراجِلا ، وأطردوا لهم إبلا ، وأخذوا منهم(٧) امرأتين ، فمضوا بما غَنِموا ، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خَثْعَم فى نحو من أربعين رجلا ، فيهم أُبَىُّ بنُ جابر الخثعمىّ ، وهو رئيس

(١) يريد أنهم استقلوا السلب ، وجرحوه ، واكتفوا بذلك ، ولم يطلبوا ما لا سبيل إليه .
(٢) المخاتل : المخادعات ، يعنى لم يحيطوا بصاحبه ، ولم يؤذوه ، وفى بعض الأصول : على بدل عليه. وفى المختار : « .. ونجيت صاحبى » بدل « ورفعت صاحبى » .
(٣) الزول : مصدر زال بمعنى ذهب ، والملا : السير الشديد ، أى كيف يذهب الغنم منه ، وقد كان هناك مجال الفرار ؟ والضمير فى زوله يعود على الغنم . وفى المختار : « كيف فاته » .
(٤) هذى بتلك : نجاتك بخسران الغنيمة ، فاعل يرى ضمير صاحبه ، والضمير فى لها يعود على الغنيمة أى وقد يرى صاحبى للغنيمة من نفسه ثمنا ، لا يزاول بمعنى لا يحاول ، ولا يقدر .
(٥) منت على المقاتل : أخطأتنى المقاتل ، ومنت على بالحياة .
(٦) يريد : كم عاد إليها قبل اليوم هاربا من الموت ، أو ظافرا فأبعدى عنك الولولة والنواح .
(٧) فى س : « وأخذوا منهم أفراسا » .

القوم ، فقال تأبّط : يا قَوْم ، لا تُسلِموا لهم ما في أيديكم حتى تُبلُوا عُذْرا ، وقال عامر ابن الأخْنَس : عليكم بصدق الضِّراب وقد أدركتم بثأركم ، وقال المُسَيَّب : اصدُقُوا القَوْمَ الحملةَ ، وإيّاكم والفَشَل ، وقال عَمرُو بنُ بَرّاق : ابْذُلوا مُهَجَكم ساعة ، فإن النصر عند الصّبر . وقال الشَّنْفَرَى :

نحن الصّعاليكُ الحُماةُ البُزَّلُ إذا لَقِينا لا نُرَى نُهَلَّلُ(١)

وقال مُرّةُ بن خُلَيف :

يا ثابتَ الخيْرِ ويا بنَ الأخنسِ ويابنَ بَرّاقِ الكَرِيمِ الأشْوسِ(٢)
والشّنفَرى عند حُيودِ الأنفسِ أنا ابن حامِي السِّربِ في المنمَّسِ(٣)
نحن مساعِيرُ الحُروبِ الضُّرَّسِ(٤)

وقال كعب حِدار أخو تأبّط :

يا قوم أمّا إذ لَقِيتم فاصْبِرُوا ولا تَخيمُوا جزَعًا فتُدْبِرُوا(٥)

وقال السِّمعُ أخو تأبّط :

يا قوم كونوا عنـدها أحْرارا لا تُسلِموا العُونَ ولا البِكارا(٦)
ولا القَناعيسَ ولا العِشَارا لخَثْعَمٍ وقـد دَعَوْا غِرَارَا(٧)
ساقوهمُ المَوْت معًا أحـرارا وافتخِرُوا الدّهر بها افتِخارا

(١) البزل : جمع بازل ، وهو البعير طلع نابه ، وذلك بعد ثمان سنين أو تسع . وفى هج ، هد ، ف « الهبل » .
(٢) منع براق من الصرف للضرورة ، والأشوس : من ينظر بمؤخر عينه تكبراً .
(٣) المنمس : الأمر الشديد البالغ الشدة ، ولعلها تحريف المخمس بمعنى الجيش الخميس .
(٤) الحروب الضرس : التى تطحن الأبطال بضرسها ، وفى هد ، ف : « نحن مساعير الزبون الضرس » .
(٥) خام يخيم : نكص وجبن .
(٦) العون : جمع عوان ، وهى من البقر والخيل التى نتجت بعد بطنها البكر .
(٧) القنعاس من الإبل : العظيم وجمعه قناعيس ، والعشار جمع عشراء وهى الناقة الحامل فى نحو ثمانية أو عشرة أشهر ، وقد دعوا غرارا أى دعوا شفار سيوفهم .

فلما سَمِع تأبط مَقالَتهم قال : بأبى أنتم وأمى ، نِعْم الحماة إذا جَدّ الجِدّ ، أما إذا أجمع رأيُكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرّقوا ، فإن القوم أكثر منكم ، فحَملُوا عليهم فقَتَلوا منهم، ثم كَرُّوا الثانيةَ فقتلوا ، ثم كرّوا الثالثة فقتلوا فانهزمت خَثْعم وتفرقت فى رُؤُوس الجِبال ، ومضى تأبَّط وأصحابُه بما غَنِموا وأسلابِ مَنْ قتلوا ، فقال تأبّط من ذلك :

جزَى اللهُ فِتْياناً على العَوْصِ أشرقت سيوفهم تحت العَجاجَة بالدَّمِ

الأبيات . . .

وقال الشَّنْفَرى فى ذلك :

دَعِينى وقُولى بعد ما شئتِ إننى سُيغدى بنَفْسى مَرّةً فأُعيَّبُ

الأبيات . . .

وقال الشَّنفَرى أيضا :

ألا هل أتَى عَنّا سُعادَ ودُونَها مهامِهُ بِيدٍ تَعتَلى بالصَّعالِكِ(١)
بأنّا صَبَحْنا القوم فى حُرّ دارِهِم حِمامَ المنايا بالسُّيوف البَواتِك(٢)
قَتَلْنا بعمرو منهمُ خيْرَ فارس يزيدَ وسعدا ، وابنَ عوفٍ بمالك(٣)
ظَلَلْنا نُفَرِّى بالسّيوف رُؤُوسَهم ونَرشُقهم بالنَّبل بين الدَّكادِكِ(٤)

---

(١) مهامه : جمع مهمه ، وهو المفازة البعيدة ، أو البلد القفر .
(٢) فى هد : « فى وسط دارهم » ، وفى ف : « فى عقر دارهم » ، والبواتك : القواطع .
(٣) أى قتلوا يزيد بعمرو وسعدا وابن عوف بمالك .
(٤) الدكادك : جمع دكدك ، وهو ما غلظ من الأرض .

ينهزم أمام النساء

قال : وخرج تأبط فى سَرِيّة من قومه ، فيهم عَمْرو بن برّاق ، ومُرّة بن خُلَيف ، والمُسَيّب بن كلاب ، وعامر بن الأخنس ، وهو رأسُ القوم ، وكعب حِدار ، وريش كعب ، والسّمع وشريس بنو جابر إخوةُ تأبط شرا ، وسعد ومالك ابنا الأقرع ، حتى مروا ببنى نفاثة بن الدّيل وهم يريدون الغارة عليهم ، فباتوا فى جبل مُطِلٍّ عليهم ، فلما كان فى وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسَه ، فوجد وتَرَها مُسْتَرخيا ، فجعل يوتّرها ويقول له تأبط : بعض حطيط وَتَرك[1] يا عامر ، وسَمِعه شيخٌ من بَنى نُفاثة ، فقال لبنات له : أنصِتْن فهذه والله غارة لبنى ليث — وكان الذى بينهم يومئذ متفاقما فى قتل حُمَيْصة بن قيس أخى بلعاء ، وكانوا أصابوه خطأ — وكانت بنو نُفاثة فى غزوة والحىّ خاوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لاطُبَاخ[2] بهم ، فقالت امرأة منهم : اجهروا الكلام ، والبَسُوا السّلاح ، فإن لنا عِدّة ، فواللاتِ ماهُم إلا تأبّط وأصحابه . فبرزن مع نوفل وأصحابه . فلما بصُرَ بهم قال : انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم ، فأبوا عليه إلا الغارة فَسلّ تأبّط سيفه وقال : لئن أغرتم عليهم لأتّكئن على سيفى حتى أنفذه من ظهرى ، فانْصَرَفُوا ولا يحسبون إلا أن النساء رجال ، حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها ، فلحِقهم غلام من بنى جُنْدَع بن ليث ؟ فقال : يا عامر بن الأخنس ، أتهاب نِساءَ بَنى نُفاثَة وتُغِير على رجال بَنِى لَيْث ؟ هذه والله إبِلٌ لبلعاءَ بن قيس . فقال له عامر : أوكان رجالهم خلوفا ؟ قال : نعم ، قال : أقرِئْ بَلْعاء مِنّى السّلام ، وأخبره بَرَدّى إبله ، وأعْلمه أنى قد حبستُ منْها بَكراً لأصحابى ، فإنا قد أرملنا[3] ، فقال الغلام : لئن حبست منها هُلبة[4] لأعلمنّ ، ولا أطرد منها بعيرا أبداً . فحمل عليه تأبّط فقتله ، ومَضَوا بالإبل إلى قومهم ؛ فقال فى ذلك تأبط :

---

(١) بعض حطيط وترك : خفض من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعوه .

(٢) الطباخ : الإحكام والقوة .

(٣) أرمل القوم : نفد زادهم .

(٤) الهلبة : شعرة من شعر الذنب .

أَلا عَجِبَ الفِتيانُ من أُمِّ مالكٍ تقول: أراكَ اليومَ أشعثَ أغبرا
تَبوعاً لآثار السَّرِيَّة بعد ما رأيتُكَ بَرَّاقَ المَفارق أيْسَرا(١)
فقلتُ لها: يومانِ يومُ إقامة أهزُّ به غُصْناً من البانِ أخضرا
ويومٌ أهزُّ السَّيفَ في جيدِ أغيد له نِسوةٌ لم تلقَ مثلي أنكرا(٢)
يخفن عليه وهو ينزع نفسَه لقد كنت أبناء الظلامة قَسْورا(٣)
وقد صِحْتُ في آثار حَوْمٍ كأنها عَذارَى عُقيل أو بَكارةُ حِمْيرا(٤)
أبعد النُّفاثيّين آمل طُرقةً وآسَى على شيء إذا هو أدْبَرا(٥)
أكفكف عنهم صُحْبتى وإخالهم من الذلّ يَعْراً بالتّلاعة أعفرا(٦)
فلو نالت الكَفّان أصحابَ نوفل بمهمهةٍ من بطن ظَرْء فَعَرْعَرا(٧)
ولمّا أبَى الليثيُّ إلا تَهَكُّماً بِعرضى وكان العِرضُ عِرضى أوفرا(٨)
فقلت له: حقَّ الثناءُ فإننى سأذهب حتى لم أجد متأخَّرا(٩)
ولما رأيتُ الجهلَ زاد لَجاجةً يقول فلا يألوكَ أن تتشوَّرا(١٠)

---

(١) الأيسر: اللين السهل.

(٢) فى ف: «فى جيد شادن».

(٣) القسور: الليث.

(٤) الحوم: القطيع من الإبل يشبه بالعذارى والأبكار جمال إبله.

(٥) آمل طرقة: أتجه إلى طريق، يفرح نفسه على خوفه من نساء النفاثيين.

(٦) اليعر: الجدى، والتلاعة: ماء لبنى كنانة والأعفر: ماخالط بياضه حمرة، يقول: خفتهم، ولا أخالهم بعد معرفة خديعتهم إلا فى ذلة الجدى الأعفر.

(٧) لو للتمنى. وظرء، وعرعر: مكانان.

(٨) الليثى: يريد به الغلام الليثى الذى منعه غمرة من الإبل.

(٩) حق الثناء: لعل ذلك من باب التهكم بالغلام، أو المراد بالثناء الذم، لأن الثناء يطلق على الذم كما يطلق على المدح.

(١٠) تشور الرجل: فعل فعلا قبيحاً أى أن الغلام لم يقصر فى فعل القبيح.

دنوت له حتى كأنّ قَميصَه تَشرَّب من نضح الأخادِع عُصفُرا(1)
فمن مُبْلغٌ ليثَ بنَ بكرٍ بأننا تركنا أخاهم يوم قِرْنٍ مُعفَّرا(2)

قال : غزا تأبط بني نفاثة بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خُلُوفٌ ، ليس في دراهم رَجُل ، وكان الخبرَ قد أتى تأبط ، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحيّ وهم أسفلَ منه ، فرأته امرأة فطرح نَفَسه ، فعلمت المرأة أنه تأبط ، وكانت عاقلةً ، فأمرت النّساء فلبسنَ لِبسَة الرجال ، ثم خرجن كأنْهن يطلُبْن الضالّة ، وكان أصحابه يتفلتون ويقولون : اغزُ ، وإنما كان في سَرِيّة من بين السّتة إلى السبعة ، فأبى أن يدعهم ، وخرج يُرِيد هذيلا ، وانصرف عن النّفاثيّين ، فبينا هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حَليفا له مِنْ هذيل ، فقال له : العجبُ لك يا تأبط ، قال : وما هو ؟ قال : إن رجال بني نفاثة كانوا خُلوفا فمكَرت بك امرأة ، وأنهم قد رجعوا .

فقي ذلك يقول :

ألا عَجِب الفتيان من أمّ مالك تقول : لقد أصبحت أشعثَ أغبرا

وذكر باقي الأبيات المتقدّمة .

وقال غيره : لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهميّ ، وكان من حديث عامر بن الأخنَس أنه غزا في نفَر ، بضعةٍ وعِشْرين رجلا ، فيهم عامرُ بن الأخنس ، وكان سَيّدا فيهم ، وكان إذا خرج في غزو رَأَسَهم ، وكان يقال له سَيّدُ الصعاليك ، فخرج بهم حتى باتوا على بَني نُفاثة بن عَدِي بن الدِّيل مُمْسين ، ينتظرون أن ينام الحيّ ، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راعٍ من الحي قد أغدر ، فمعه غديرته(3) يسوقها

(1) الأخدع : عرق متصل بالوريد ، والعصفر : نبت أحمر ، كناية عن سيلان دمه على قميصه .
(2) قرن : مكان .
(3) الغديرة : الناقة يتركها الراعي .

فبَصَر بهم وبمكانهم ، فخلى الغَدِيرة وتَبِع الضَّراءَ ضَراء(١) الوادى ، حتى جاء الحى فأخبرَهم بمكان القوم وحَيْث رآهم ، فقاموا فاختاروا : فتيانَ الحى فسلحوهم ، وأقبلوا نحوهم ، حتى إذا دنَوْا منهم قال رجل من النُّفاثيِّين : والله ما قوسى بمُوتَرَة(٢) فقالوا : فأوتِرْ قَوسَك ، فوضع قَوْسَهُ فأوتَرها ، فقال تأبطَ لأصحابه :

اسكُتُوا ، واستَمَع فقال : أُتِيتم والله ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا والله أسمع حَطِيط وتَرِ قَوْس . قالوا : والله ما نسمع شيئا ، قال : بلى والله إنى لأسمعه ، يا قوم النَّجاءَ ، قالوا : لا والله ما سَمِعْت شيئا ، فوثب فانطلق وتركهم ، ووثب معه نفر ، وبيَّتهم(٣) بَنُو نفاثة فلم يفْلِت منهم إنسان ، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه ، وقُتِل تلك الليلةَ عامِرُ بنُ الأخنس .

قال ابنُ عُمَيْر : وسألت أهلَ الحجاز عن عامرِ بن الأخنس ، فزعموا أنه مات على فِراشه .

فلما رجع تأبَّط قالت له امرأته : تركتَ أصحابَك ، فقال حينئذ :

ألا عَجِب الفِتيان من أمِّ مالِك تقول : لقد أصبحْتَ أشعثَ أغْبَرا

مصرعه على يد غلام دون المحتلم

فلما رجع تأبَّط وبلغه ما لَقِى أصحابُه قال : والله ما يَمَسُّ رأسى غُسْل ولا دُهْن حتى أثأر بهم . فخرج فى نَفَر من قَومه ، حتى عَرَض لهم بَيْتٌ من هذيل بَيْن صُوى(٤) جبل ، فقال : اغنَموا هذا البيت أولا ، قالوا : لا والله ، ما لنا فيه أرَب ، ولئن كانت

---

(١) الضراء : الشجر الملتف فى الوادى ، أو أرض مستوية تأويها السباع ، وبها نبذ من الشجر .
(٢) أى يسمع صوت وضع الوتر فى القوس .
(٣) بيتوهم : دهموهم ليلا .
(٤) الصوى : جمع صوة ، وهى علامة يهتدى بها فى الطريق ، أو ما غلظ وارتفع من الأرض .

فيه غَنيمة ما نستطيع أن نَسُوقَها . فقال : إنى أتفاءل أن أنزل ، ووقف ، وأتت به ضَبُع من يساره ، فكرهها ، وعَاف[1] على غَيْر الذى رأى ، فقال : أبشرى أُشْبِعك من القوم غدا . فقال له أصحابه : ويحك ، انطلق ، فو الله ما نرى أن نقيم عليها . قال : لا والله لا أريم حتى أصبح . وأتت به ضَبُع عن يساره فقال : أشبعك من القوم غَداً . فقال أحدُ القوم : والله إنى أرى هاتين[2] غداً بك ، فقال : لا والله لا أريم[3] حتى أصبح . فبات ، حتى إذا كان فى وجه الصبح ، وقد رأى أهل البيت وَعَدَّهم على النار ، وأبصر سواد غلام من القوم دون المُحْتَلَم ، وَغَدَوا على القوم ، فقتلوا شيخاً وعجوزا ، وحازوا جارِيَتَيْن وإبلا . ثم قال تأبط : إنى قد رأيت معهم غلاماً ، فأين الغلامُ الذى كان معهم ؟ فأبصر أثره فاتَّبعه ، فقال له أصحابه : ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئا ، فلتَّبعه ، واستتر الغلام بقتادة[4] إلى جنب صخرة ، وأقبل تأبّط يقُصّه[5] وفوّق الغلامُ سهما حين رأى أنه لا يُنْجيه شىء ، وأمهله حتى إذا دنا منه قَفَزَ قفزة ، فوثب على الصخرة ، وأرسل السهم ، فلم يسمَع تأبّط إلا الحبْضة[6] فرفع رأسه ، فانتظمَ السهمُ قَلبَه ، وأقبل نحوه وهو يقول : لا بأس ، فقال الغلام : لا بأسَ ، والله لقد وضعتُه حيث تكره ، وغشيه تأبّط بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقَتادة ، ويضربها تأبط بحُشاشته[7] ، فيأخذ ما أصابت الضّربةُ منها ، حتى خلص إليه ، فقتله ، ثم نزل إلى

(١) يقال : عاف الطير : زجرها بمعنى اعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فسعد أو تشاءم ، والمراد أنه تطير من مرور الضبع عن يساره .

(٢) لعل المراد : إنى أرى هاتين ذاهبتين غداً بك ، أو تكون كلمة « غداً » تحريف « غدرتا » .

(٣) لا أريم : لا أنتقل .

(٤) القتاد : شجر معروف .

(٥) يقصه : يقتفى أثره .

(٦) الحبضة : نبضة السهم عند انطلاقه .

(٧) الحشاشة : بقية الروح فى الجريح أو المريض .

أصحابه يَجُر رجله ، فلما رأوه وَثَبوا ، ولم يدروا ما أصابه ، فقالوا : مالك ؟ فلم يَنطق ، ومات فى أيديهم ، فانطلقوا وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سَبُع ولا طائر إلا مات ، فاحتَمَلته هُذَيل ، فألقته فى غارٍ يقال له غارُ رَخْمان ، فقالت ريطةُ أخته وهى يومئذ متزوجة فى بَنِى الدِّيل :

نِعْمَ الفَـــتَى غادَرتُم برُخْمانْ ثابتُ بنُ جابرِ بنِ سُفْيانْ[(1)]

وقال مُرّة بن خُلَيْف يَرْثيه :

إن العَزِيمةَ والعزّاء قــد ثَوَيا أكفانَ ميت غدا فى غار رُخْمانِ[(2)]
إلّا يَـكُن كُرسفٌ كُفِّنتَ جَيِّدَه ولا يكن كَفَنٌ من ثَوْبِ كَتّانِ[(3)]
فإن حُرًّا من الأنساب ألبسه ريشَ الندى ، والنّدَى من خير أكفانِ[(4)]
وليـــلةٍ رأسُ أفعاها إلى حجرٍ ويومِ أورٍ من الجــوزاء رنّانِ[(5)]
أمضيتَ أولَ رهطٍ عنـد آخره فى إثر عـاديةٍ أو إثر فتيانِ[(6)]

وقالت أم تأبط ترثيه :

* وابنـاهُ وابنَ اللّيل[(7)] *

(١) رخمان ، بضم الراء كما فى القاموس ، فقد ذكرها ، وأشار إلى أن تأبط شراً قتل فيها ، وفى ف : «رجمان» . والبيت من السريع ، وثابت بدل من الفتى ، ونوّن للضرورة .

(٢) العزاء : السنة الشديدة ، ولا مكان لها هنا ، فلعله يعنى الغراء مؤنث الأغر ، أى إن العزيمة والنفس الغراء قد ثويا .... الخ .

(٣ ، ٤) الكرسف : القطن : يقول : إن لم تكفن فى قطن أو كتان فقد كفنت فى ثياب المجد والكرم .

(٥ ، ٦) رأس أفعاها إلى حجر : لعله كناية عن عدم انزوائها فى جحرها ، فهى متهيئة للدغ ، وأور : جمع أوار بمعنى الحر الشديد ، والجوزاء : برج فى السماء ، ولعلها كانت رمزاً لاشتداد الحرارة عند العرب ، والرهط : يراد به هنا القم أى تناول الطعام : يقول : رب ليلة لا تنام أفاعيها ، ويوم شديد الحرارة قضيته قانصاً فى إثر وحوش عادية أو غازياً فى إثر فتيان ، وأنت طاوى البطن .

(٧) انظر تعليقنا على هذا الكلام عند ما يكرره المؤلف بعد قليل ص ١٧١ .

مقتله

قال أبو عمر الشَّيبانى : لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابتُ بنُ جابر بنِ سُفْيان ، وكان جريئاً شاعرا فاتِكا أنه خَرَج من أهله بغارة من قَوْمه ، يُريدون بَنِى صاهلة ابنِ كاهل بن الحارث بن سَعيد بن هُذَيل ، وذلك فى عقب شَهْر حرام مِمَّا كان يُحرِّم أهلُ الجاهلية ، حتى هَبَط صدر أُدَم(١) ، وخفض عن جماعة بنى صاهلة ، فاستقبل التَّلاعة ، فوجد بها دارا من بنى نُفاثة بن عدى ، ليس فيها إلا النساء ، غير رجل واحد ، فبصُر الرجل بتأبط وخَشِيه ، وذلك فى الضُّحى ، فقام الرجل إلى النساء ، فأمرهنّ فجَعَلْن رؤوسهن جُمَماً وجعلن دروعهن أردِيَة ، وأخذن من بيوتهن عُمُدًا كهيئة السيوف فجَعلن لها حَمائل ، ثم تأبطنها ثم نَهَضن ونَهَضْنَ معه يغريهن كما يُغرِى القوم ، وأمرهن أن لا يُبْرِزن خَدًّا ، وجعل هو يَبرُز للقوم ليَروه ، وطفق يُغرِى ويَصيح على القوم ، حتى أفزع تأبّط شرًّا وأصحابَه وهو على ذلك يُغرِى(٢) ، فى بقية لَيْلة أو لَيْلَتين من الشَّهر الحرام ، فنَهضوا فى شِعب يقال له شِعْب وَشَل(٣) ، وتأبط يَنْهض فى الشِّعب مع أصحابه ، ثم يقف فى آخرهم ، ثم يقول : يا قوم لكأنما يطردكم النساء ، فيصيح عليه أصحابه فيقولون : انجُ أدركك القوم ، وتأبى نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبّط فى ذلك :

أبعد النّفاثيين أزجر طائرا   وآسَى على شىء إذا هو أدبرا(٤)
أُنَهْنِهِ رِجلِى عنهم وإخالهم   من الذّلّ يَعْرًا بالتّلاعة أعفرا
ولو نالت الكَفَّان أصحابَ نوفل   بمَهْمَهَة من بين ظَرْء وعرعرا

(١) أدم : اسم موضع .
(٢) أى وهو مع توجسه يغرى أصحابه بالاقتحام .
(٣) وشل : اسم جبل ، واسم أيضاً لموضعين .
(٤) تقدمت أيضاً هذه الأبيات فى الترجمة نفسها .

قال : ثم طلعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذّ من بنى قُرَيْم ذنب نمار(١) فظل يراقبهم حتى أمسوْا ، وذلك البيت لساعدةَ بنِ سفيانَ أحدِ بنى حارثةَ ابنِ قُرَيْم ، فحصرهم تأبط وأصحابُه حتى أمسَوْا . قال : وقد كانت قالت وليدةٌ لساعدةَ : إنى قد رأيت اليومَ القَوم أو النفر بهذ الجبل ، فبات الشيخ حَذِرا قائما بسيفه بساحة أهله وانتظر تأبط وأصحابُه أن يغفلَ الشيخ ، وَذلِك آخرَ ليلة من الشهر الحرام فلما خشُوا أن يَفْضحَهم الصبحُ ، ولم يقدِرُوا على غِرّة مشَوْا إليه وغَرُّوه ببقية الشهر الحرام ، وأعطَوْه من مواثيقهم ما أقنعه ، وشَكَوْا إليه الجوع ، فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيرا حين مشى . قال : ومضى تأبط شرا إلى ابن له ذِى ذؤابةٍ ، كان أبوه قد أمره فارتَبأ(٢) من وراء ماله ، يقال له : سُفيانُ بنُ ساعدةَ . فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بِمَجنّة ، فلما خَشِى الغلام أن يناله تأبَّط بسيفه وليس مع الغلام سَيْف ، وهو مُفَوَّق سهما ، رمى مجنَّ تأبط بحَجَر ، فظن تأبط أنه قد أرسل سهمه ، فرمى مِجَنَّه عن يده ، ومشى إليه فأرسل الغلامُ سهمَه فلم يُخْطِ لَبَّتَه حتى خرج منه السهم ، ووقع فى البطحاء حَذْوَ القوم ، وأبوه ممسك ، فقال أبو الغلام(٣) حين وقع السهم : أخاطئهُ سفيانُ ؟ فحَرَدَ(٤) القوم ، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ، ومات

فقالت أمُّه — وكانت امرأةً من بنى القَيْن بن جَسْرِ بنِ قُضاعةَ —

---

(١) نمار ككتاب : اسم جبل ، وكغراب : اسم واد ، وذنب ظرف مكان بمعنى أسفل ، أو لعلها محرفة عن جنب .

(٢) ارتبأ : اختبأ وراء ربيئة ؛ هضبة مرتفعة .

(٣) تقدم أن أبا الغلام قد قتل ، فلعل المراد أنه قال وهو يحتضر ، أخاطئة سفيان ؟ : استفهام عن الرمية .

(٤) حرد القوم : اعتزلوا .

قتيلٌ ماقتِيلُ بنى قُرَيْمٍ إذا ضَنَّت جُمادى بالقِطارِ (١)
فــــتى فَهْمٍ جميعا غادَرُوه مقيما بالحُرَيْضَةِ من نُمارِ (٢)

وقالت أمّه ترثيه [أيضا]:

ويلُ آمّ طِرف غادروا برُخْمانْ بثابت بن جابر بن سفيان (٣)
يجدّل القِرنَ ويُروِى النَّدمانْ ذو مأقِطٍ يحمى وراء الإخوان (٤)

وقالت ترثيه أيضا:

وابناه وابنَ اللّيلْ ، ليس بزُمَّيْلْ ، شَرُوبٍ للقَيْل ، رقودٍ بالّلَيْلْ ، وَوادٍ (٥) ذى هَوْل ، أجزتَ باللّيلْ ، تضرب بالذَّيْل ، برَجْلٍ (٦) كالثَّوْلْ .

قال: وكان تأبط شرا يقول قبل ذلك:

ولقد علمتُ لتعــــــدُوَنَّ م علىَّ شتَمٌ كالحساكل (٧)

---

(١) قتيل ما: هذا قتيل عظيم ، كريم حين تضنّ جمادى بالمطر ، ويبدو أن شهر جمادى فى ذلك الوقت كان شهر محل .

(٢) الحريضة: موضع فى بلاد هذيل ، نمار ككتاب: اسم جبل ، وكغراب: اسم واد .

(٣) تقدم هذا البيت برواية أخرى ، وويل أم فلان: عبارة يقصد بها التعجب أو الترحم .

(٤) المأقط: مكان الحرب ، تريد أنه فارس ميدان ، ومفعول يحمى محذوف ، أى يحمى الظهور ، وهذه رواية هد ، وهج ، وفى بعض الأصول « الاضوان » .

(٥) اختلفت الأصول فى رواية هذه الفقرات كل الاختلاف ، وقد حاولنا إخضاعها لبعض ضروب الرجز فلم يمكن ، فلنعتبرها مجرد كلام مسجوع ، الزميل: الجبان ، القيل: شراب اللبن فى القيلولة ، تريد أنه لا يهدأ نهاراً أو ليلا .

(٦) الرجل: جمع راجل ، والثول: جماعة النّحل: تقول له: كم واد مخوف ، جزته ليلا ، تضرب بذيلك ، كما يضرب الجواد ، ومعك أصحابك فى عدد النحل .

(٧) تضاربت الأصول كل تضارب فى اللفظين الأخيرين من هذا البيت ، والذى نختاره « شتّم كالحساكل » . الشّتم: جمع شتيم ، وهو الأسد الكريه المنظر ، والحساكل: جمع حسكل كزبرج ؛ وهو ما تطاير من شرر الحديد المحمى .

يأكلن أوصالا ولحـــما كالشَّكاعِى غيرَ جاذِلِ(١)
يا طيرُ كُلْنَ فإننى سُمٌّ لكُنَّ وذو دَغَاوِلِ(٢)

وقال قبل موته :

لعلّ ميِّتٌ كمـــدًا ولمَّا أطالع أهلَ ضيم فالكرابِ(٣)
وإن لم آتِ جمع بنى خُثيم وكاهلها برَجْل كالضَّباب
إذا وقعتْ بكعب أو قُرَيْمٍ وسيَّار فيا سَوْغَ الشَّراب(٤)

فأجابه شاعر من بنى قريم :

تأبّطَ سَوْأةً وحملتَ شرًّا لعلك أن تكونَ من المُصابِ(٥)
لعلك أن تجىء بك المنايا تُساقُ لفتيةٍ منا غِضاب
فتُصبحَ فى مَكَرِّهمُ صريعاً وتصبحَ طرفة الضَّبُع السِّغاب
فزلتم تهربون ولو كرهتم تسوقون الحرائمَ بالنقاب(٦)

---

(١) الشكاعى : جمع شكاعة كثمامة : شوكة تملأ فم البعير ، غير جاذل ، من الجذل ، وهو ما عظم من أصول الشجر ، كناية عن عدم السمن .

(٢) الدغاول : الدواهى ، وهذا البيت وما قبله كناية عن أن لحمه مر .

(٣) تقدم هذا البيت وما بعده فى الترجمة نفسها .

(٤) فاعل وقعت محذوف تقديره الواقعة ونحوها ، أى إذا ثأر من هذين الحيين ساغ له الشراب الذى حرمه على نفسه .

(٥) تقدمت الأبيات الثلاثة الأولى فى الترجمة نفسها .

(٦) وزلتم : من زال التامة بمعنى ذهبتم ، وفى س « الجرائم » ، وهو تصحيف والمثبت من ف وهج ، أى ذهبتم مجدين فى الهرب تسوقون حريمكم متنقباً .

وزال بأرضكم منّا غـلامٌ   طليعةُ فتيةٍ غُلْبِ الرقاب[1]

ونَذْكُر هاهنا بعد أخبار تأبط شرا أخبار صاحبيه عَمْرِو بن بَرّاق والشَّنْفَرَى ونبدأُ بما يُغَنَّى فيه من شعريهما، ونُتبعهُ بالأخبار.

فأما عمرو بنُ بَرّاقٍ فمّا يغنّى فيه من شعره قولُه:

(١) زال: نهض، من زالت الخيل بركبانها بمعنى نهضت، وغلب الرقاب: غلاظ الأعناق؛ جمع أغلب.

صــــوت

مَتى تَجمعِ القلبَ الذكىَّ وصارما   وأنفا حَمِيًّا تجتنبْكَ المَظالِمُ[1]
وكنت إذا قومٌ غَزَوْنى غَزَوتهم   فهل أنا فى ذا يا لَهَمْدَانَ ظَالِمُ !
كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها   مراغمـــةً ما دام للسيف قائِمُ[2]
ولا صُلْحَ حتى تعثُرَ الخيلُ بالقَنا   وتُضْرَبَ بالبيضِ الرِّقاقِ الجَماجِمُ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن بَرّاق وقيل ابن بَرّاقة . والغناء لمحمد ابنِ إسحاقَ بنِ عمرِو بنِ بَزِيعَ ثقيل أول مطلق فى مجرى الوسطى عن الهِشامى .

(١) القلب الذكى : المتوقد حماسة ، والأنف الحمى : كناية عن الأنفة وإباء الضيم .

(٢) ضمير تأخذونها يعود على الإبل ونحوها .

عمرو بن براق (*)

أخبرنى علىُّ بنُ سليانَ الأخفش قال : حدَّثنا السُّكرىُّ عن ابنِ حبيبَ قال : وأخبرنا الهَمدانىّ ثعلب ، عن ابن الأعرابى ، عن المُفَضَّل ، قالا :

يسلبه حريم ماله فيسترده منه

أغار رجل من هَمْدان(1) يقال له حُرَيم على إبل لعمرِو بنِ برّاقٍ وخيل ، فذهب بها ، فأتى عمرو امرأةً (2) كان يتحدّث إليها ويزورها فأخبرها أن حُرَيْما أغار على إبله وخَيله فذهب بها ، وأنه يريد الغارة عليه ، فقالت له المرأة : ويحك لا تَعْرِضْ لتلفَات حُرَيم فإنى أخافهُ عليك ، قال : نخالفَها ، وأغار عليه ، فاستاق كلَّ شىء كان له ، فأتاه حُرَيم بعد ذلك يطلب إليه أن يردَّ عليه ما أخذه منه ، فقال : لا أفعل ، وأبى عليه ، فانصرف ، فقال عمرو فى ذلك :

تقول سُلَيمى. لا تعرَّضْ لتَلفةٍ ... وليلُك عن ليل الصعاليك نائمُ(3)
وكيف ينامُ الليلَ من جُلّ مالهِ ... حُسامٌ كلون المِلح أبيضُ صارمُ
صَمُوتٌ إذا عضَّ الكريهةَ لم يَدَعْ ... لها طَمعًا طوعُ اليَمينِ ملازمُ(4)

(*) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة .

(1) فى الأمالى ٢/١٢١ : من مراد .

(2) عبارة الأمالى : « فأتى عمرو امرأة ، اسمها سلمى ، وكانت بنت سيدهم ، وعن رأيها كانوا يصدرون .

(3) جملة : « وليلك ... الخ » حالية ، أى واقض ليلك نائماً ، وخل الصعاليك ساهرين . وإسناد النوم إلى الليل مجاز .

(4) صموت – كما فى ف ، هج – صفة السيف المتقدم فى البيت السابق ، أى كثير الصمت ، وفى س « وصوت » بدل صموت ، وهو تحريف ، وقوله : « إذا عض الكريهة ... الخ » يعنى أنه إذا خاض الحرب لم يدع لها طمعاً فى صاحبه ، وهو طيع ، لا يفارق يمينه ، وفى س «مكارم» بدل « ملازم » والمثبت من الأمالى .

نَقَدْتُ به ألفًا وسامحتُ دونه ... على النقدِ إذ لا تُستطاع الدراهمُ(١)
ألم تعلمى أنّ الصعاليكَ نومُهم ... قليلٌ إذا نام الدَّثُور المُسالِمُ(٢)
إذا الليل أدجى واكفهرّت نجومه ... وصاح من الإفراطِ هامٌ جواثم(٣)
ومال بأصحاب الكرى غالباتُه ... فإنى عـلى أمر الغَواية حازم(٤)
كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مُراغمةً مادام للسيف قائمُ
تَحالفَ أقـوامٌ علىّ ليسمَنُوا ... وجروا علىّ الحربَ إذا أنا سالِمُ(٥)
أفالآن أُدْعى للهَوادة بعدما ... أُجيل على الحىّ المَذاكِى الصّلادِمُ(٦)
كأنّ حُرَيمًا إذ رجا أن يَضُمَّها ... ويُذْهِبَ مالى يا بنةَ القوم حالِمُ(٧)
متى تجمعِ القلبَ الذكِىّ وصارمًا ... وأنفًا حَمِيًّا تجتنبْك المظالِمُ
ومَن يَطلبِ المالَ المُمنَّعَ بالقَنا ... يَعِشْ ذا غِنًى أو تخترِمْه المَخارِمُ(٨)

---

(١) ألفا : ألف درهم ، يريد أنه دفع فيه ألف درهم من سماحة نفس فى وقت قلت فيه الدراهم .

(٢) الدثور : الرجل البطن الخامل النئوم ، وفى ف : « الخلى » بدل « الدثور » .

(٣ و ٤) أدجت نجومه : غابت ، أو غطاها السحاب ، والإفراط : من معانيه تباشير الصباح ، وقد يكون المراد الإفراط فى الظلام ، وصاحت هام جواثم : غطت – من الغطيط – رءوس نائمة ، وجواب الشرط « فإنى على أمر الغواية حازم » أى حازم أمرى ، وفى هج : « غالباً لم » بدل « غالباته » ، وعليه يكون فاعل « مال » ضمير الليل .

(٥) فى ف « ليسلموا » بدل « ليسمنوا » وسالم : بمعنى مسالم .

(٦) الفاء عاطفة على معطوف محذوف ، أى أأسالم فأدعى ، ونحو ذلك ، والهوادة : الملاينة والمسالمة ، المذاكى الصلادم : الجياد الشديدة الصلبة ، وذلك كناية عن الحرب التى انتصر فيها ، يريد أنهم جاءوه مسالمين طالبين مهادنته بعد أن رجحت كفته فى حربهم .

(٧) الضمير فى يضمها عائد على الإبل ونحوها .

(٨) تخترمه المخارم : تهلكه المهالك ، وفى ف « طلب » بدل « يطلب » و « ماجدا » بدل « ذا غنى » والمعنى لا يتغير

وكنتُ إذا قومٌ غَزَونِى غزَوتُهم فهل أنا فى ذا يالَهمْدان ظالمُ

فلا صُلْحَ حتى تعثُر الخيل بالقنا وتُضْرب بالبيض الرِّقاقِ الجَماجِمُ

وأما الشنفرى فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد[١].

ومما يُغَنَّى فيه من شِعره قوله :

(١) فى هد ، هج : الأوس بن حجر بن الهن »

صــوت

ألا أمُّ عَمْرو أزمعت فاستقلّت   وما ودّعت جيرانها إذ تولّت[1]
فواندَما بانَت أُمامةُ بعدما   طَمِعتُ فهبْها نِعمةً قد تولّتِ[2]
وقد أعجَبَتْنِى لا سَقُوطًا خِمارُها   إذا ما مشَت ولا بذاتِ تَلَــفُّتِ[3]

غَنَّى فى هذه الأبيات إبراهيم ثانى ثقيل بالبِنصر عن عَمْرو بن بانةِ .

(١) أزمعت : عزمت على الرحيل .
(٢) يلاحظ تكرار كلمة « تولت » فى بيتين متتالين ، وهو من عيوب القافية .
(٣) لا سقوطا خمارها : يصفها بالتصون والتحشم ، أى لا تتعمد إسقاط خمارها ، كى يرى الناس جمالها ، ويبدو أن هذه العادة كانت مألوفة فى النساء ، ولذلك ينفى النابغة عن المتجردة تعمد إسقاط النصيف فى قوله :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطــــه   فتناولتــه واتقتنــا باليــــد

أخبار الشنفرى ونسبه[1]

نسبه ونشأته في غير قومه

وأخبرني بخبره الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا أبو يحيى المؤدب وأحمد بن أبي المنهال المهلبي، عن مؤرّج عن أبي هشام محمدِ بنِ هشامٍ النُّمَيْرِيّ:

أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنْو بن الأزد[2] بن الغوث، أسرته بنوشبابةَ بن فهم بنِ عمرِو بنقيسِ بن عَيْلانَ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سَلامانَ بنِ مفرِّج بن عوفِ بن ميدعان بنِ مالكِ بن الأزدِ رجلا من فهم، أحدَ بنى شبابة فَفَدَته بنو شبابة بالشَّنْفَرى قال: فكان الشنفرى في بنى سلامان بنِ مفرِّج لا تحسبه إلا أحدَهم حتى نازعتْه بنتُ الرجل الذى كان في حِجْره، وكان السُّلامى اتخذه ولدا وأحسن إليه وأعطاه، فقال لها الشنفرى: اغسِلِي رأسي يا أُخَيَّةُ وهو لا يشك في أنها أخته؛ فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته، فذهب مغاضبا حتى أتى الذى اشتراه من فهم، فقال له الشنفرى: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائةً بما استعبدتموني، ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلا، وقال الشنفرى للجارية السّلامية التي لطمته وقالت: لست بأخي:

ألا ليتَ شِعْرى والتَّلَهُّفُ ضَلّةٌ بما ضَرَبتْ كَفُّ الفتاة هَجِينَها؟[3]

---

(1) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

(2) فى ف «الأسد» بدل «الأزد».

(3) «والتلهف ضلة»: جملة معترضة، أى والتلهف على الشيء ضلال، وما من بما ضربت استفهامية، وإنما مدت لضرورة الشعر، والهجين: اللئيم، أو العربي الذى أمه أمة، يقول: ليتني أعلم لم تضرب هذه الفتاة الفتى الحقير فى نظرها؟

ولو علمت قُعسوسُ أنساب والدى ووالدِها ظَلّت تقاصَرُ دونها[١]
أنا ابن خيار الحُجْر بيتا ومَنْصِبا وأمى ابنةُ الأحرار لوْ تعرِفينها

قال: ثم لزم الشَّنفَرى دار فَهْم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تَبِعه من فَهْم، وكان يغير وحده أكثر من ذلك، وقال الشنفرى لبنى سلامان:

وإنى لأهوَى أن أَلُفّ عجاجتى على ذى كساء من سَلامانَ أو بُرد[٢]
وأصبحَ بالعضْدَاء أبغى سَراتَهم وأسلكَ خَلاً بين أرباع والسَّرد[٣]

غارته على من نشأ فيهم

فكان يقتل بنى سلامان بنِ مُفرّج حتى قعد له رَهْط من الغامديين من بنى الرّمداء فأعجزهم فأشلَوْا[٤] عليه كلبا لهم يقال له حُبَيْش ولم يضعوا له شيئا، ومرّ وهُو هارب بقرية يقال لها دَحِيس برجُلين من بنى سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشى الطلب فقال:

قتيلَىْ فِجارٍ أنتُما إن قُتِلتُما بجوف دَحِيس أو تبالةَ يا اسمعا[٥]

يريد: يا هذان اسمعا، وقال فيما كان يُطالب به بنى سلامان:

فإلّا تزرنى حَتْفتى أو تُلاقِنى أمشِّ بدَهْرٍ أو عذافَ فنوّرا[٦]

(١) قعسوس: اسم الفتاة، كما يبدو من السياق، أى لو علمت حسبى وحسب أبيها لتقاصر عنقها أمامى.

(٢) يعنى على كل لابس كساء أو برد، وذلك كناية عن الشمول، ولف العجاجة: كناية عن الغارة، والعجاجة: غبار الحرب ونحوها.

(٣) سراتهم: أشرافهم، والخل: الطريق ينفذ فى الرمل، والعضداء وأرباع والسرد: أسماء أماكن، وفى ف، هج، هد: «أمشى» بدل «أصبح».

(٤) أشلوا عليه كلباً: أغروه به، من أشلى الدابة: أراها الخلاة لتأتيه، وقوله: ولم يضعوا له شيئاً، لعله يريد أنهم لم يضعوا الكلب طعاماً مبالغة فى الإغراء.

(٥) دحيس، وتبالة: مكانان؛ وخبر أنتما ناقص، فلعله فى أبيات تالية.

(٦) حتفتى: موتتى، تلاقنى: معطوف على تزرنى، أمش: جواب الشرط، من مشى المضعف، ودهر، وعذاف ونور: أماكن، يريد أنه إن مد فى أجله فسيزور هذه الأماكن ليغزو بنى صعب.

أمشى بأطراف الحماطِ وتــارةً ... تنفِّضُ رجلى بَسْبُطاً فعصَنْصَرا (١)

وأبغى بنى صَعب بن مُرٍّ بلادَهم ... وســوف ألاقيهم إنِ اللهُ يسّرا (٢)

ويوما بذاتِ الرأس أو بطن مِنجَلٍ ... هنالك تَلْقَى القــاصِىَ المُتَغَوِّرا (٣)

يقتلونه بعد أن يسملوا عينه

قال : ثم قعد له بعد ذلك أُسَيْدُ بن جابر السلامانى وخازم الفهمىّ بالناصف من أَبِيدةَ ومع أُسَيْد ابن أخيه ، فمر عليهم الشنفرى ، فأبصر السواد بالليل فرماه ، وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائناً ما كان ، فشك (٤) ذراع ابن أخى أسيد إلى عضده ، فلم يتكلم ، فقال الشنفرى : إن كنتَ شيئاً فقد أصبتُك وإن لم تكن شيئاً فقد أمنتُك ، وكان خازمٌ باطحا : يعنى مُنبَطِحاً بالطريق يرصده ، فنادى أسيد : يا خازم أصلِت ، يعنى اسْلُلْ سيفَك . فقال الشنفرى : لكلٍّ أصلت (٥) ، فأصلت الشنفرى فقطع إصبعين من أصابع خازمٍ الخِنصَر والبِنصَر ، وضبطه (٦) خازمٌ حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة ، فأخذ أسيد سلاح الشنفرى وقد صرع الشنفرى خازما وابنَ أخِى أسيدٍ ، فضبطاه وهما تحته ، وأخذ أسيدٌ برجل ابن أخيه ، فقال أسيد : رِجْل مَنْ هَذِه ؟ فقال الشنفرى : رِجْلى ، فقال ابن أخى أسيد : بل هى رجلى يا عم فأسروا الشَّنْفَرى ، وأدّوْه إلى أهلهم ، وقالوا له : أنشدنا ،

(١) الحباط : جمع حبطة ، وهى بقية الماء فى الحوض . وبسبط ، وعصنصر : مكانان .

(٢) بلادهم : بدل من بنى صعب ، أى أطلب بلاد بنى صعب ويحتمل أن تكون بلادهم مفعولا ثانياً لأبغى ، فهو متعد لاثنين ، ومنه قوله تعالى : (يبغونكم الفتنة) والمعنى لا يتغير .

(٣) ذات الرأس ومنجل : مكانان ، القاصى : البعيد ، المتغور : الموغل فى الأرض ، أو الموغل فى الغارة ، ويعنى بالقاصى المتغور نفسه .

(٤) فى ف : « فشل » بدل « فشك » .

(٥) قوله : « لكل أصلت » أى ، إنك لا تقول كلمة «أصلت» لصاحبك فقط ، بل تقولها لكل منا ، يريد أنك تحتاج إلى الاستمداد .

(٦) ضبطه : سيطر عليه ومنعه الحركة .

قال : أمّا النشيد على المَسَرّة ، فذهبت مَثَلا ، ثم ضربوا يدَه فتعرضت ، أى اضطربت فقال الشّنفرى فى ذلك :

لا تَبْعَدِى إمّا ذَهَبْتِ شامَهْ فرُبَّ وادٍ نفَرَتْ حَمامَهْ[1]
ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلتْ عِظامَهْ

ثم قال له السَّلامى : أأطرِفُك[2] ؟ ثم رماه فى عينه فقال الشنفرى له : كأنّ كُنّا نفعل ؛ أى كذلك كُنَّا نَفْعل ، وكان الشنفرى إذارمى رجلا منهم قال له : أأطْرِفُكَ ؟ ثم يرمى عينه . ثم قالوا له حين أرادوا قتله : أين نَقبُرك ؟ فقال :

لا تَقبُرونى إنّ قَبرِى مُحرَّم عليكم ولكن أبشرِى أمَّ عامر[3]
إذا احْتَمَلَتْ رأسى وفى الرأس أكثَرِى وغُودِر عند المُلْتَقَى ثَمّ سائِرِى[4]
هنالك لا أرجو حياةً تَسُرُّنِى سَمِيرَ الليالى مُبْسَلاً بالجَرائِرِ[5]

وقال تأبَّط شَرًّا يرثى الشَّنْفَرَى : تأبط شراً يرثيه

علىالشَّنْفَرَى سارى الغمام ورائحٌ غزيرُ الكُلَى، وَصَيِّبُ الماءِ باكرُ[6]

---

(١) يريد بالشامة شامة سوداء كانت فى يده ، كما سيأتى بعد ، يخاطب يده ، ويحدث عنها قائلا : كم نفرت من حمام الأودية ، كناية عن الصيد .

(٢) طرف عينه : أدخل فيها ما جعلها تدمع .

(٣) البيت من الطويل دخله الخرم ، أم عامر : كنية الضبع ، يريد ألا يقبروه ، بل يتركوه للضبع تأكل لحمه .

(٤ ، ٥) سائرى : ما بقى منى ، سمير الليالى : طول الليالى ، مبسلا بالجرائر : مرهوناً بآثامى وجرائمى ، يقول : إذا قتلت ، فقطع رأسى ، وغودر جسمى فما حاجتى إلى قبر أحيا فيه حياة أخرى مثقلا بجرائمى إلى الأبد ؟ وقوله : وفى الرأس أكثرى ، يريد به أن الرأس وحده يرجح باقى جسمه لكبره ، أو لما يحتويه من الحواس ، وفاعل احتملت ضمير أم عامر ، أو القبيلة التى قتلته ، وقد ضبط هذا الفعل مبيناً للمجهول فى بعض الأصول ، ويلزم عليه تأنيث الرأس ، مع أنه مذكر .

(٦) الكلى : جمع كلوة ، وتطلق على أسفل السحاب ، يدعو له بأن يسقى قبره سارى الغمام والسحاب الغزير الماء .

عليكَ جزاءٌ مثلُ يومِكَ بالجَبا   وقد أرعفَتْ منكَ السُّيوفُ البواتِرُ (١)
ويومِكَ يومِ العيكَتَيْنِ وعطفةٍ   عطفتَ وقد مَسَّ القلوبَ الحناجِرُ (٢)
تجولُ ببزِّ الموتِ فيهم كأنَّهم   بشوكتِكَ الحُدّى ضَئِينٌ نوافِرُ (٣)
فإنكَ لو لاقيتَنى بعدَ ما ترى ـــ   وهل يُلقَيَنْ مَنْ غيَّبَته المقابرُ ـــ (٤)
لألفيتَنى فى غارةٍ أنتمى بها   إليكَ وإمّا راجعاً أنا ثائرُ (٥)
وإن تكُ مأسوراً وظلْتَ مُخيِّماً   وأبليتَ حتى ما يكيدُكَ واترُ (٦)
وحتى رماكَ الشَّيبُ فى الرأسِ عانساً   وخيرُكَ مبسوطٌ وزادُكَ حاضرُ (٧)
وأجملُ موتِ المرءِ إذ كانَ ميتاً   ـ ولا بدَّ يوماً ـ مَوتُه وهو صابرُ
فلا يَبعَدَنَّ الشَّنفَرى وسِلاحُه الْ   حَديدُ وَشَدٌّ خَطْوُه متواترُ (٨)
إذا راعَ رَوْعُ الموتِ راعَ وإن حَمَى   حَمَى معه حُرٌّ كريمٌ مُصابرُ (٩)

(١) الجبا : مكان كانت فيه — على ما يبدو — موقعة الشنفرى ، أرعفت منك السيوف البواتر : قطرت دماً منك السيوف القواطع ، يقول : عليك جزاء من الغيث بمقدار ما أسالته سيوفك من الدم فى هذا اليوم .

(٢) العيكتين : جبلين ، ويومك : معطوف على يومك فى البيت قبله ، وعطفة : معطوف أيضاً ، يعدد أيامه التى أبلى فيها ، وقوله : « وقد مس القلوب الحناجر » ، يريد به أن الأصوات فى الحرب كانت تمس شغاف القلوب من وقع تأثيرها .

(٣) البز — بفتح الباء وكسرها — : السلاح ، والحدى : مؤنث الأحد بمعنى المرهف الحد ، والضئين : جمع ضائن ، وهو ما عدا الماعز من الغنم ، يقول : كأن الأعداء ينفرون من سلاحك نفور النعاج والخراف

(٤، ٥) جملة : « وهل يلقين من غيبته المقابر ؟ » اعتراض بين الشرط وجوابه ، أنتمى : أنتسب ، ثائر : آخذ بالثأر ، يقول : إنى بعد موتك إما مقدم على غارة ، أو راجع من ثأر ، كما كنت تفعل فى حياتك .

(٦، ٧) هذان البيتان متعلقان بما قبلها ، أى أنا أفعل كذا وكذا وإن كنت أنت أسير قبرك ، مخيما فيه ، بعد أن أبليت فى الحروب ، حتى لم يكن ينال منك واتر ، وحتى رماك الشيب ، وأنت عانس — والعانس : الجمل السمين — وكان خيرك فياضاً ، وزادك مبذولا للضيفان ، وقد يكون المراد بقوله : « عانساً » لم تتزوج ، فإن هذا الوصف يطلق على الذكر والأنثى على السواء .

(٨) وشد معطوف على سلاحه ، والمراد بالشد الحملة على الأعداء ، متواتر : يتلو بعضه بعضاً .

(٩) فاعل « راع » الثانية يعود على الشد أو السلاح ، والمعنى إذا أفزع فزع الموت الناس أفزعهم سلاحك أوشدك ، وإن حمى هذا أو ذاك حريما حمى معه كريم صابر ، يعنى الشنفرى نفسه .

رواية أخرى فى مقتله

قال: وقال غيره : لا بل كان من أمر الشنفرى وسَبَبِ أَسره ومقتله أنّ الأزد قتلت الحارثَ بن السّائب الفَهْمِىّ فأبوا أن يبوءوا[1] بقتله ، فباء بقتله رَجُلٌ منهم يقال له حزام بن جابر قَبلَ ذلك ، فمات أخو الشنفرى ، فأنشأت أمه تبكيه ، فقال الشنفرى، وكان أوّل ما قاله من الشعر :

ليس لوالدة هوءُهـــا ولا قولُها لابنها دَعْدَعِ[2]
تُطيف وتُحـدِث أحوالَه وغـيْرُكِ أملكُ بالمَصْرَعِ[3]

قال : فلما ترعرع الشّنفرى جعل يُغِير على الأزد مع فَهْم: فيقتل مَنْ أدركَ منهم ، ثم قدم مِنًى وبها حزامُ بن جابر ، فقيل له : هذا قاتل أبيك[4] ، فشَدَّ عليه فقتله ، ثم سبق الناسَ على رجليه فقال :

قتلتُ حزاماً مُهْدِياً بمُلَبِّــدٍ ببطن مِنًى وسْط الحجيج المُصَوِّتِ[5]

قال : ثم إن رجلا من الأزد أتى أُسيدَ بن جابر ، وهو أخو حزام المقتول فقال : تركتُ الشنفرى بسوق[6] حُباشة ، فقال أسيد بنُ جابر : والله لئن كنت صادقا لا نرجع

---

(١) يقال : باء بقتله : أقر به .

(٢) البيت من المتقارب دخله الخرم ، والهوء : الهمة والرأى ، دعدع : أمر من دعدع بمعنى جرى ، أى ، ليس للأم أن تفكر فى ثأر ابنها ، أو أن تأمر أخاه بالسعى فى ذلك .

(٣) « تطيف وتحدث أحواله » : لعل المراد أنها لا تفتأ تطيف بابنها ، وتجدد أحوال إثارته على قتل أخيه ، وقوله : « وغيرك أملك بالمصرع » التفات ، أى ، كفى عن هذا ، فغيرك أدرى بمصارع الرجال .

(٤) تقدم أن الميت أخوه لا أبوه ، وقد يكون المراد بهذا الأب الحارث بن السائب الفهمى ، وعلى كل فالعبارة لا تخلو من التواء .

(٥) مهديا : مقدما الهدى فى الحج ، الملبد : مكان التلبيد ، وكان من عاداتهم فى الحج أن يدهنوا شعورهم بشىء من الصمغ لتلبد ، المصوت : الذى يجهر بالدعاء ونحوه ، وفى ف ، هد : « المحصب » ، والمحصب : الذى يرمى الجمار ، وبالفتح : مكان رميها .

(٦) سوق حباشة : سوق كانت معروفة عند العرب .

حتى نأكلَ من جَنى أليفٍ أبيدة[1] ، فقعد له على الطريق هو وابنا حزَام ، فأحسُّوه فى جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعلاً ليخفىَ وطأه ، فلما سمع الغلامان وطأه قالا : هذه الضَّبُع ، فقال أسيد : ليست الضَّبُعَ ، ولكنه الشنفرى ، ليضعْ كل واحد منكما نعلَه على مَقْتله ، حتى إذا رأى سوادهم نكص ملياً لينظر هل يتبعه أحد ، ثم رجع حتى دنا منهم ، فقال الغلامان : أبْصَرَنا ، فقال عمهما : لا والله ما أبصركما ، ولكنه أطرد ؛ لكيما تتبعاه ، فليضَعْ كلُّ واحد منكما نعلَه على مقتله . فرماهم الشنفرى فخسق[2] فى النعل ولم يتحرك المرْمىّ . ثم رمى فانتظم ساقَىْ أسيد ، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم ، فوثبوا عليه ، فأخذوه فشدُّوه وَثاقا ، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم ، فطرحوه وسطهم ، فتمارَوْا بينهم فى قتله ، فبعضهم يقول: أخوكم وابنكم ، فلما رأى ذلك أحدُ بنى حزَام ضربه ضربةً فقطع يده من الكوع ، وكانت بها شامةٌ سوداء ، فقال الشنفرى حين قُطِعتْ يده :

لا تَبعَدى إمّا هلكت شامَهْ ... فربَّ خَرقٍ قطَعتْ قتامَهْ[3]

* وربَّ قِرْنٍ فصَلت عظامَه *

وقال تأبط شرًّا يرثيه :

لا يبعَدنَّ الشَّنفرى وسلاحُه الـ ... ـحديدُ وشَدٌّ خَطْوُه مُتواتر

إذا راع رَوْعَ الموتِ راعَ وإن حَمَى ... حَمى معه حُرٌّ كريمٌ مُصابِرُ[4]

قال : وذُرِع[5] خَطوُ الشنفرى ليلة قتل فوُجِد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين

---

(١) أبيدة : اسم مكان كان قريباً — على مايبدو — من سوق حباشة ، وفى هامش هد : « من صمارير أبيدة » . والصمارير : حمل شجرة يكون مثل الأبهل والفلفل وغيره مما فيه صلابة .

(٢) خسق فى النعل : أصاب السهم النعل ، وأخطأ الهدف .

(٣) سبقت هذه الأبيات برواية أخرى .

(٤) تقدم هذان البيتان .

(٥) ذرع : قيس بالذراع .

خطوةً ، ثم الثانية سبعَ عشرةَ خطوةً .

قال : وقال ظالم العامرىّ فى الشّنفرى وغاراتِه على الأزد وعَجْزِهم عنه ، ويحْمَدُ أُسَيْدَ ابن جابرٍ فى قتله الشنفرى :

فمالَـكُمُ لم تدركوا رِجْلَ شنفرى ... وأنتم خِفافٌ مثلُ أجنحة الغِرْبِ[1]

تعاديتُمُ حتى إذا ما لحقـتُمُ ... تباطأْ عنكم طالبٌ وأبو سَقْبِ[2]

لعمركَ لَلسّاعى أُسَيْدُ بنُ جابرٍ ... أحقُّ بهامِنْـكم بَنِى عقبِ الـكلبِ[3]

قال : ولما قُتِل الشّنفرى وطُرِح رأسُه مرّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه ، فعُقِرت قدمُه فمات منها ، فتمّت به المائةُ .

من شعر الشنفرى

وكان مما قاله الشنفرى فيهم من الشعر وفى لطمة المرأة التى أنـكرته الذى[4] ذكرتُه واستغنى عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفرى ، وقال الشنفرى فى قتله حزاما قاتلَ أبيه:

أرى أمَّ عمرو أجمعت فاستقلّتِ ... وما ودَّعت جيرانَها إذْ تولّتِ[5]

فقد سبقتنا أمُّ عمرو بأمرهـــا ... وقد كان أعناقُ المَطىِّ أظلّتِ[6]

فواندمَا على أميمـةَ بعدما ... طمِعتُ فَهبْها نِعمةَ العيش ولّتِ[7]

أُميمةُ لا يُخزِى نَثاها حليـلَها ... إذا ذُكِر النسوان عَفّت وجَلّتِ[8]

(١) الغرب : جمع غراب .

(٢) طالب وأبو سقب : رجلان — كما يبدو — كانا يعارضان فى قتل الشنفرى .

(٣) اللام من للساعى لام الابتداء ، بنى عقب الكلب : منادى .

(٤) الذى اسم كان من قوله : « وكان مما قاله الشنفرى » .

(٥) تقدم هذا البيت ، وفى هد : « أزمعت » بدل « أجمعت » والمعنى لا يتغير .

(٦) أظلت : إظلال أعناق المطى كناية عن الرحيل .

(٧) تقدم هذا البيت برواية أخرى ، وهما متقاربتا المعنى .

(٨) النثا : الحديث ، يريد أن حديثها عن زوجها دائماً ذكر بالخير ، وفى س « ثناها » بدل « نثاها » .

يَحُلّ بمنجاةٍ من اللوم بيتُها إذا ما بُيوتٌ بالمَلامة حُلّت
فقد أعجبتنى ، لا سَقُوطٌ قِناعُها إذا ما مَشت ولا بذات تَلَفُّت[١]
كأنّ لها فى الأرض نِسْياً تَقُصُّه إذا ما مشت وإن تُحدِّثك تَبلت[٢]

— النِّسْىُ : الذى يسقط من الإنسان وهو لا يدرى أين هو ؛ يصفها بالحياء ، وأنها لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تبرج . ويروى :

* تقصه على أمها وإن تُكلِّمك *

فدَقّت وجلّت واسْبَكرّت وأُكْمِلَتْ فلو جُنّ إنسانٌ من الحُسْن جُنّتِ[٣]
تبيتُ بُعَيْدَ النوم تُهدِى غَبُوقَها لجاراتها إذا الهديّة قَلّت

— الغبوب : ما غبّ عندها من الطعام أى بات ويروى : غبوقها —

فبِتنا كأنّ البيت حُجِّر حولنا بريحانةٍ راحت عِشاءً وطُلّتِ[٤]
بريحانةٍ من بطن حلْيَةَ أمْرعت لها أرَجٌ مِنْ حَولها غيرُ مُسْنِت[٥]
غدوتُ من الوادى الذى بين مَشْعَل وبين الجَباهِيهات أنسأتُ سُربتى[٦]
أمشِّى على الأرض التى لن تضيرَنى لأكسِبَ مالا أو ألاقِىَ حُمّتِى[٧]
إذا ما أتتنى حَتْفتى لم أبالها ولم تُذْرِ خالاتى الدموع وعمّتِى

(١) تقدم ذكر هذا البيت فى الترجمة نفسها .
(٢) أى تبلت الكلام وتقطعه بما يعتريها من البهر ، وانظر اللسان (بلت) .
(٣) اسبكرت الجارية : اعتدلت واستقامت .
(٤) حجر البيت ونحوه : وضع حوله حجارة وسوره . طلت : أصابها الطل ، فهى مخضلة .
(٥) حلية : مكان ، أمرعت : خصبت ، أرج : عبير ، غير مسنت : غير مجدب .
(٦) مشعل والجبا : مكانان ، أنشأت سربتى : أبعدت سربتى أى ما أبعد الموضع الذى منه ابتدأت مسيرى وانظر اللسان (سرب) .
(٧) الحمة : المنية

وهُنِّئَ بى قومٌ وما إن هنأْتُهم   وأصبحتُ فى قوم وليسوا بمَنْبِتِى(١)
وأُمِّ عيالٍ قد شهدتُ تَقُوتُهم   إذا أَطْعَمَتْهم أَوْتَحَتْ وأقَلَّت(٢)
تخاف علينا الجوعَ إنْ هى أَكثرت   ونحن جياعٌ ، أىَّ أَلْىٍ تألَّت(٣)
عُفَاهِيَةٌ لا يقصرُ السِّترُ دونَها   ولا تُرْتَجَى للبَيْت إن لم تُبَيِّتِ(٤)
لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَلْجَمًا   إذا ما رأت أُولَى العَدِىِّ اقْشَعَرَّت(٥)
وتأتى العَدِىَّ بارزاً نصفُ ساقِها   كعَدْوِ حِمار العانةِ المتفَلِّت(٦)
إذا فُزِّعت طارت بأبيضَ صارمٍ   وراحت بما فى جُفْرِها ثم سَلَّت(٧)
حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُه   جُرَازٍ من اقطار الحديد المنعَّت(٨)
تراها كأذناب المَطِىِّ صوادرًا   وقد نَهِلَتْ مِنَ الدِّماء وعَلَّت(٩)

---

(١) وفى ف « وليسوا قبيلتى » والمعنى لا يتغير .

(٢) الواو من « وأم عيال » واو رب ، أوتحت : قللت طعامهم ، يصفها بالتدبير .

(٣) الألْة : المجاعة ، فلعله يعنى أية مجاعة أجاعتنا : أجاعتنا مجاعة عظيمة .

(٤) عفاهية : ضخمة . لا يقصر الستر دونها : كناية عن أنها مقصورة بمعنى محجبة ، البيت من معانيه : فرش البيت ، والمراد أنها مخدومة لا تقوم بإعداد فرش البيت ، بل يقوم به خدمها .

(٥) الوفضة : الجعبة توضع فيها السهام ونحوها ، السلجم : النصل ، اقشعرت : اضطربت وارتعدت ، والمراد بأولى العدى أولى سرايا العادين عليها ، أو أولى خطواتهم أو نحو ذلك ، يصفها بأنها مستعدة متنبهة لمن يسطو عليها .

(٦) العدى : جماعة العادين ، والمراد بالحمار الحمار الوحشى ، والعانة : القطيع منه ، يريد أنها تسرع إلى « العدو » شبه منكشفة كالحمار الوحشى الذى أفلت من القطيع ، وفى ف : « العدو » بدل « العدى » .

(٧) الجفر : تخفيف جفر — بضم الفاء — : جمع جفير بمعنى جعبة السهام والبيت كله كناية عن خوضها المعركة وفى س : « وراقت بما فى جو فها » وهو تحريف ، والمثبت عن هد ، هج .

(٨) الجراز : القاطع ، أقطار : جمع قطر — بكسر القاف — وهو ذوب الحديد ، المنعت : الموصوف ، يصف السيف بأنه من ذوب الحديد الصلب ، وفى ف « حزاز » بدل « جراز » .

(٩) لعله يعنى أن شعرها بعد المعركة تخضب بالدم ، فأشبه أذناب المطى حين تصدر عن الحروب وقد نهلت وعلت من الدماء ، أى شربت مرة بعد أخرى منهما .

سنجزى سَلامانَ بنَ مُفْرِجَ قرضَهم ... بما قدَّمت أيديهمُ وأَزَلَّت[١]
شفَيْنا بعبد الله بعضَ غليلنا ... وعوفٍ لدى المَعْدَى أوانَ استهلَّت[٢]
قتلنا حزاما مُهديا بمُلَبِّدٍ ... محلّهما بين الحجيج المصوِّت[٣]
فإن تُقبلوا تُقبل بمَنْ نِيلَ منهمُ ... وإن تُدبِروا فأمَّ مَنْ نِيلَ فُتَّت[٤]
ألا لا تزرنى إن تشكيت خُلَّتى ... كفانى بأعلى ذى الُحمَيرة عُدْوَتى[٥]
وإنى لَحلوٌ إن أُريدت حلاوتى ... ومُرٌّ إذا النفس الصَّدوفُ استمرَّت[٦]
أبِىٌّ لما آبى وشيكٌ مَفيئتى ... إلى كُلِّ نفس تَنْتَحِى بمودَّتى[٧]

وقال الشَّنفرى أيضا :

ومرقبةٍ عَنْقاء يَقصُرُ دونها ... أخو الضَّرْوة الرَّجْل الحفىُّ المخَفَّف[٨]
نَميتُ إلى أعلى ذراها وقد دنا ... من الليل ملتَفٌّ الحديقةِ أسدَف[٩]

---

(١) سلامان بن مفرج : قبيلة تقدم ذكرها ، أزلت : من الزلل وهو الخطأ يهدد هذه القبيلة بقوله : سنرد إليهم دينهم ، أى العدوان الذى اعتدوه علينا ، وخفف « مفرج » للضرورة .

(٢) عبد الله وعوف : قبيلتان ، المعدى : مكان ، استهلت : برزت للقتال .

(٣) تقدم هذا البيت فى الترجمة نفسها .

(٤) بمن نيل منهم : بدماء من نيل منهم ، وأم من نيل ، يعنى أم رأسهم ، يقول : إن تحاربوا نحاربكم ونحن حاملون دماء من قتلناه منكم ، وإن نكصتم فقد فتتنا رءوس من أصبنا منكم بلا قود .

(٥) الخلة : الحاجة والفقر ، ذو الحميرة : مكان ، العدوة — بضم العين وكسرها : المكان المرتفع ، يقول لصاحبه : لا تزرنى إذا احتجت ، فإنى عند الحاجة أكتفى بالاعتكاف فى عدوتى ، وكنى بالزيارة عن المساعدة .

(٦) الصدوف : من صدف بمعنى مال وانصرف ، يعنى أنه نافع لمن يبغى نفعه ، ضار لمن ينحرف عنه .

(٧) مفيئتى : من فاء يفىء بمعنى رجع .

(٨ ، ٩) مرقبة : مرتفع من المضاب ونحوها ، عنقاء : طويلة العنق ، الضرورة : من ضرا يضرو بمعنى استخفى ، الرجل : الساعى على رجليه ، الحديقة : الشجر الكثيف ، يقول : رب هضبة مرتفعة محدودبة لا يستطيع أن يتسلقها برجليه الخفيف الحركة الذى يريد الاختفاء عن العيون — رب هضبة شأنها هذا تسلقت أنا أعلى ذراها ، وقد أقبل الليل بظلمته كأنه أشجار ملتفة كثيفة لا تنفذ أشعة الشمس من خلالها ، وقد يكون مراده بأخى الضرورة ... الخ الكلب ونحوه .

فبِتُّ على حَدّ الذّراعين أحدبًا ... كما يَتَطَوّى الأرقَم المُتَعَطِّفُ(١)
قليلٌ جَهازِى غيرُ نعلين أسحقَت ... صُدورُهما مخصورةً لا تُخَصَّفُ(٢)
ومِلْحَفَةٍ دَرْسٍ وَجَرْدٍ مُلَاءةٍ ... إذا أنهجت من جانب لا تَكفَّفُ(٣)
وأبيضُ من ماء الحديد مهنّـدٌ ... مِجذٌّ لأطراف السّواعد مِقطفُ(٤)
وصفراءُ من نبعٍ أبيٌّ ظَهيرةٌ ... تُرِنّ كإرنان الشّجِىّ وَتَهتِفُ(٥)
إذا طال فيها النّزعُ تأبى بعَجْسها ... وترمى بذَرْوَيْهَا بهنّ فتَقذِفُ(٦)
كأنّ حفيفَ النّبل من فوق عَجْسها ... عوازبُ نحلٍ أخطأَ الغارَ مُطْنِفُ(٧)
نأت أمُّ قيسٍ المرْبَعَين كليهما ... وتحذَر أن ينأى بها المتصيَّفُ(٨)

---

(١) يتطوى : ينطوى ، الأرقم : الثعبان ، المتعطف : الملتف بعضه حول بعض ، يقول : فبت على حد ذراعى هذه الهضبة محدودب الظهر منطوياً بعضى على بعض انطواء الثعبان .

(٢) أسحقت : بليت ، مخصورة : دقيقة الوسط ، لا تخصف : لا تقبل الخرز ، يقول : إنه خفيف الحمل عند السفر لا يلبس إلا نعلين باليتين ، لا تقبلان الإصلاح .

(٣) درس : دارسة بالية ، الجرد : البالى . أنهجت : بليت ، البيت متعلق بما قبله ، يقول : لا ألبس سوى ملحفة بالية ، فوقها ملاءة بالية أيضاً ، تستعصى على الإصلاح حين تتفتق ، وفى س : « وصبية جرد وأخلاق ريطة » ، والمثبت من هد ، والمعنى لا يتغير .

(٤) وأبيض من ماء الحديد ، يعنى سيفه ، ورفعه على تقدير « ومعى أبيض » مجذ : قطاع ، مقطف : قطاع أيضاً ، يصف سيفه بأنه قطاع للأطراف .

(٥) صفراء : قوس صفراء ، النبع : شجر صلب تتخذ منه القسى ، ظهيرة : معينة ، ترن : تصوت عند إطلاقها صوتاً كأنين العاشق المهجور .

(٦) العجس — بتثليث العين — مقبض القوس ، ذروا القوس : طرفاها ، والضمير من بهن يعود على السهام المفهومة من المقام .

(٧) عوازب نحل : ذواهب نحل ، مطنف : من الطنف ، وهو رأس الجبل ، يشبه حفيف النبل بسرب النحل ، وفى مطنف إقواء إن جعلناها صفة لنحل ، وقد تكون خبراً ثانياً لكأن ، فيسلم البيت من الإقواء .

(٨) يعنى بالمربعين الشتاء والربيع من باب التغليب ، المتصيف : اسم زمان من تصيف ، ومنع قيس الصرف للضرورة .

وإنكِ لو تَدرينَ أنْ رُبَّ مشربٍ   مخوفٍ كداء البطن أو هو أخوفُ[١]
وردتُ بمأثورٍ ونبلٍ وضالةٍ   تخيَّرتها مما أريش وأرصُفُ[٢]
أُركِّبها فى كل أحمر عاتِرٍ   وأقذف منهن الذى هو مقرِف[٣]
وتابعتُ فيه البَرْىَ حتى تركتُه   يَزِفُّ إذا أنفذتُه ويزفزفُ[٤]
بكفِّىَ منها للبغيض عُراضَةٌ   إذا بعتُ خلاً ما له مُتَخَوَّفُ[٥]
ووادٍ بعيدِ العُمق ضنكٍ جِماعُه   بواطِنُه للجنّ والأسْدِ مألَفُ[٦]
تعسَّفتُ منه بعد ما سقط الندى   غَماليلَ يخشى غِيلَها المُتعسِّفُ[٧]
وإنى إذا خامَ الجبانُ عن الرَّدى   فلِى حيثُ يَخشى أن يُجاوِزَ مَخسَفُ[٨]
وإن امرأً أجار سعدَ بنَ مالكٍ   علىّ وأثوابِ الأُقَيْصِرِ يَعنُفُ[٩]

(١ ، ٢) جواب لو محذوف تقديره « لرأيت شيئاً عجباً » ونحو ذلك ، المأثور : السيف المؤثر ، الضالة : السلاح عامة ، أو السهام خاصة ، راش السهم : وضع عليه ريشاً ، رصف السهم : شد على مدخل سنخ نصله العقبة ، يقول لأم قيس : آه لو تعرفين كم مشرب مخوف الورد وردته أنا ومعى سيفى وقوسى ..الخ.

(٣) العاتر : الشديد ، المقرف : غير الحسن ، يريد أنه لا يستعمل فى قوسه إلا السهام الصلبة ، ولو قال : « أركب فيها كل أحمر عاتر » لكان أوضح .

(٤) يزف : يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه ، وبسط جناحيه ، والزفزفة : شدة الجرى ، أو تحريك الريح للحشيش وصوتها فيه .

(٥) العراضة : الهدية ، والمراد هنا التهكم ، والمراد بقوله : « ماله متخوف » تفاهة الخل وحقارة شأنه .

(٦ ، ٧) جماع الشىء : مجتمع أصله ، تعسف : مشى على غير هدى ، الغماليل : الدوابى ، الغيل : الأشجار الكثيفة . يقول : رب واد ضيق الأصل تألفه الآساد والجن صعدت عند سقوط الندى روابيه التى لا يجرؤ على صعودها إنسان .

(٨) خام : جبن وضعف ، مخسف : من خسف الطريق بمعنى ذلله وقطعه .

(٩) سعد بن مالك — على ما يبدو — من أعداء الشاعر ، الواو من وأثواب للقسم ، الأقيصر : صنم مقدس عندهم ، وفى هد ، وهج « ف « وأبواب » بدل « وأثواب »

وقال الشنفرى أيضا :

ومُستبسلٍ ضافى القميصِ ضَغَتُّه   بأزرقَ لا نِكسٍ ولا مُتَعَوِّجِ(١)
عليه نُسارِىٌّ على خُوطِ نَبْعةٍ   وفُوقٌ كعرقوب القطاة مُحَدْرَجِ(٢)
وقاربتُ من كفّىَّ ثم فَرَجْتها   بنزع إذا ما استُكره النزعُ مُخْلِجِ(٣)
فصاحت بكفى صيحةً ثم رجَّعَت   أنينَ الأميمِ ذى الجراح المُشَجَّجِ(٤)

وقد روى : فناحت بكفى نوحة .

رواية ثالثة فى مقتله

وقال غيره : لا بل كان من أمر الشنفرى أنه سَبَتْهُ بنو سَلامان بنُ مُفَرِّج بنِ مالكِ بنِ هَوازن(٥) بنِ كعب بنِ عبدِ الله بنِ مالكِ بن نصرِ بنِ الأزد الشنفرى(٦) — وهو أحدُ بنى ربيعةَ بنِ الحِجْرِ بنِ عمرانَ بنِ عمرو بن حارثةَ بن ثعلبةَ ابنِ امرىء القيسِ بنِ مازنِ بنِ الأزدِ — وهو غلام ، فجعله الذى سَبَاه فى بَهْمة يرعاها مع ابنة له ، فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبّلها ، فصكّت وَجْهَه ، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته ، فخرج إليه ليقتلَه ، فوجده وهو يقول :

---

(١) الواو واو رب ، ضافى القميص : كناية عن طوله ، ضغت الشىء : لاكه بالأنياب والنَّواجذ ، ويريد بالأزرق ... الخ السهم ، يقول : رب شجاع باسل فارع الجسم أصبته بسهم نافذ جرىء معتدل .

(٢) ضمير عليه يعود على « أزرق » فى البيت السابق ، نسارى : ريش نسر الخوط ، النبعة : شجرة صلبة تتخذ منها السهام ، الفوق من السهم : حيث يثبت الوتر منه ، والمحدرج : الأملس .

(٣) مخلج : من أخلج الشىء بمعنى انتزعه .

(٤) الأميم : المضروب على أم رأسه ، المشجج : من شج رأسه .

الأبيات الثلاثة فى وصف السهم وكيف يرميه ، وكيف يئن عند الرمى أنين من ضرب على أم رأسه .

(٥) فى ف ، هج ، هد « زهران » بدل « هوازن » .

(٦) مفعول سبت فى السطر السابق .

أَلاَ هل أَتى فِتيانَ قومى جَماعةً ... بما لطمت كفُّ الفتاة هجينَها ؟[١]
ولو علمتْ تلك الفتاةُ مَناسبى ... ونِسبتَها ظلّت تقاصَرُ دونها
أليس أبى خيرَ الأَواسِ وغيرِها ... وأُمى ابنةُ الخَيْرِينَ لو تَعلمينها[٢]
إذا ما أَرُومُ الودَّ بينى وبينها ... يؤمُّ بياضُ الوجه منّى يمينَها[٣]

قال : فلما سمع قوله سأله : مِمَّن هو ، فقال : أنا الشنفرى ، أخو بنى الحارثِ بنِ ربيعةَ ، وكان من أقبح الناس وجهاً ، فقال له : لولا أنى أخاف أن يقتلنى بنو سَلامان لأنكحتُك ابنتى . فقال : علىَّ إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم ، فأنكحه ابنته ، وخلّى سبيله ، فسار بها إلى قومه ، فشدت بنو سلامان خلافه[٤] على الرجل فقتلوه ، فلما بلغه ذلك سكت ولم يُظهر جزعاً عليه ، وطفق يصنع النبل ، ويجعل أفواقَها من القُرُون والعظام ، ثم إن امرأتَه بنتَ السلامانىّ قالت له ذات يوم : لقد خِسْتَ[٥] بميثاق أبى عليك ، فقال :

كأَنْ قَدْ — فلا يغرُرْكِ منى تَمَكُّثِى — ... سلكتُ طريقا بين يَرْبَغ فالسَّردِ[٦]
وإنّى زعيمٌ أن تثور عَجاجتى ... على ذى كِساء من سَلامان أو بُرد
همُ عرفونى ناشئاً ذا مَخِيلة ... أُمشِّى خلال الدار كالفرس الوَرْدِ[٧]
كأنى إذا لم يُمسِ فى الحى مالكٌ ... بتَيهاء لا أهدَى السَّبيلَ ولا أهدِى[٨]

---

(١) تقدم هذا البيت وما بعده فى الترجمة نفسها برواية تختلف قليلا عن هذه والمعنى لا يتغير .
(٢) الخيرين : جمع خير بعد تخفيف الياء .
(٣) يريد أنه حين يريد تقبيلها لا يضع وجهه إلا على يدها التى تتلقى بها القبلة ، ثم تصفعه بها ، وقد ضبطت بعض الأصول يمينُها بالرفع على أنه إقواء .
(٤) خلافه : بعده ، أى بعد رحيل الشنفرى .
(٥) خست بالميثاق : لم تف به .
(٦) جملة « فلا يغررك منى تمكثى » معترضة أى ، كأنى قد سلكت ... الخ ، ويربغ والسرد : مكانان يمر بها عند ما يؤم بنى سلامان .
(٧) مخيلة : خيلاء ، الفرس الورد : الأحمر .
(٨) لعل مالكاً هذا صهره الذى يثأر له ، التيهاء : الصحراء يضل فيها السالك ويروى : « بتيهاء » .

قال : ثم غزاهم فجعل يقتُلهم ، ويعرفون نَبلَه بأفواقها فى قَتْلاهم ، حتى قتلَ مِنْهم تسعة وتسعين رجلا ، ثم غزاهم غزوة ، فنذَرُوا به ، فخرج هاربًا ، وخرجوا فى إثره ، فمر بامرأة مِنْهم يلتمس الماء فعرفَتْهُ ، فأطعمته أقِطًا ليزيد عَطَشا ، ثم استسْقَى فسقته رائبا ، ثم غيّبت عنه الماء ، ثم خرج من عندها ، وجاءها القوم فأخبرتهم خبرَه ، ووصفت صفته وصِفةَ نبله ، فعرفوه ، فرصدوه على رَكِيٍّ لهم ، وهو رَكِيّ ليس لهم ماء غيره ، فلما جنّ عليه الليل أقبل إلى الماء ، فلما دنا منه قال : إنى أراكم ، وليس يرى أحداً إنما يريد بذلك أن يُخرِج رَصَدًا إن كان ثَمّ ، فأصاخ القوم وسكتوا . ورأى سواداً ، وقد كانوا أجمعوا قبلُ إن قُتِلَ منهم قتيل أن يُمسكه الذى إلى جنبه لئلا تكون حركةٌ ، قال : فرمى لمّا أبصر السواد ، فأصاب رجلا فقتله ، فلم يتحرك أحد ، فلما رأى ذلك أمن فى نفسه وأقبل إلى الرَّكِيّ ، فوضع سلاحه ، ثم انحدر فيه ، فلم يَرُعْه[(١)] إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج . فضرب بعضهم شِماله فسقطت ، فأخذها فرمى بها كبد الرجل ، فخر عنده فى القليب[(٢)] ، فوطئ على رقبته فدقها . وقال فى قطع شِماله :

لا تبعَدِى إمَّا ذهبتِ شامهْ فرُبَّ وادٍ نفَرتْ حَمَامَهْ[(٣)]
وربّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عظامَهْ وربَّ حيٍّ فرّقت سَوامَهْ

قال : ثم خرج إليهم ، فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاماً أو عامين مصلوبا وعليه من نذره رجل ، قال : فجاء رجل منهم كان غائباً ، فمر به وقد سقط فركض رأسَه برجله ، فدخل فيها عظم من رأسه فعلَّت عليه فمات منها ، فكان ذلك الرجلُ هو تمام المائة .[(٤)]

---

(١) المراد : فلم يرعه إلا بصره بهم .
(٢) القليب : البئر .
(٣) تقدمت هذه الأبيات .
(٤) لا شك أن حكاية المائة من القتلى — وكيف تمت — بادية الافتعال .

صـــوت

ألا طرقتْ فى الدّجى زينبُ   وأحببْ بزينبَ إذ تَطْـرُقُ
عجبتُ لزينبَ أنَّى سَـرَت   وزينبُ من ظلّها تَفـرَقُ[١]

عروضه من المتقارب ، الشعر لابن رُهَيْمة ، والغناء لخليل المعلم رمل بالبنصر ، عن الهشامى وأبى أيوبَ المدنىِّ .

(١) تفرق : تخاف ، يعجب كيف زارته ليلا ، ولم تعبأ بظلام الليل ، أو تخف أهلها ، مع أنها تخاف خيالها .

أخبار الخليل ونسبه[١]

نسبه

هو الخليلُ بنُ عمرو ، مكىٌّ ، مولى بنى عامرِ بنِ لؤىٍّ ، مُقِلٌّ لا تُعرَف له صنعة غيرُ هذا الصوت .

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنُ مَهْرُويه قال : حدثنا عبدُ الله ابن أبى سعدٍ قال : حدثنى القَطرانىّ المغنى ، عن محمد بنِ حسين[٢] ، قال :

يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله

كان خَليل المعلم يلقب خُلَيْلَانَ ، وكان يؤدبّ الصِّبْيان ويلقنهم القرآن والخط ، ويعلِّم الجوارىَ الغناء فى موضع واحد ، فحدثنى مَنْ حضره قال : كنت يوما عنده وهو يردّد على صبى يقرأ بين يديه ﴿ ومن النَّاسِ مَنْ يَشْتَرى لَهْوَ الحديثِ لِيُضِلَّ عن سَبيل الله بغَيْر عِلْمٍ ﴾[٣] ثم يلتفت إلى صَبِية بين يديه فيردّد عليها :

اعتادَ هذا القلبَ بلبالُهُ أن قُرِّبتْ للبَيْنِ أجمالُهُ[٤]

فضحكتُ ضحكا مفرطا لِمَا فعلَه ، فالتفت إلىّ فقال : ويلك مالك ؟ فقلت : أتنكر ضَحِكى مما تفعَل ؟ والله ما سَبَقك إلى هذا أحد ! ثم قلت: انظر أىَّ شىء أخذت على الصبىّ من القرآن ، وأىَّ شىء هوذا تُلْقِى على الصبية ، والله إنى لأظنك مِمّن يشترى لهو الحديث ليُضِلّ عن سبيل الله ، فقال : أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله .

يسىء الأزدى فهم غنائه

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرِّدُ قال : حدثنى عبد الصمد بن المعذَّل قال :

كان خُلَيلانُ المعلم أحسَن الناس غناء ، وأفتاهم وأفصحهم ، فدخل يوما على عُقبةَ

---

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق ، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة

(٢) فى هد ، هج « جبر » بدل «حسين» .

(٣) سورة لقمان : ٦ .

(٤) البيت من السريع .

ابنِ سَلْمٍ الأزدىِّ المنائىّ فاحتبسه عنده ، فأكل معه ثم شرب ، وحانت منه التفاتةٌ ، فرأى عودا معلّقا ، فعلم أنه عرَّضَ له به ، فدعا به وأخذه فغناهم :

يا بنةَ الأزدىّ قلبى كَئيبُ ... مُستَهام عنـــدها ما يُنيبُ(١)

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبةَ بنِ سلمٍ متغيرا(٢)، وقد ظن أنه عرّض به ، ففطن لما أراد فغنّى :

ألا هَـــزِئت بِناقْوَ شِـ ... ـيَّةٌ يهـــتزُّ موكِبُها(٣)

فسُرِّىَ عن عقبةَ وشرب ، فلما فرغ وضع العود من حجره ، وحلف بالطلاق ثلاثا أنه لا يغنى بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمُه عليه .

نسبة هذين الصوتين

يا بنةَ الأزدىِّ قلبى كئيبُ ... مستهـام عنــدها ما يُنيبُ
ولقد لامـوا فقلتُ : دعونى ... إنّ مَنْ تَنهوْنَ عنه حَبيبُ
إنما أبلَى عِظامِـى وجِسْمِى ... حُبُّها والحُبُّ شىءٌ عَجيبُ
أيها العائبُ عندى هَواهَا ... أنتَ تَفدى مَن أراكَ تَعيبُ(٤)

عروضه من المديد(٥)، والشعر لعبد الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ الصديق — رضى الله عنه — والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاقَ ، وفيه لمالكٍ خفيف ثقيل أول بالخنصر فى مجرى البنصر عنه ، وفيه خفيف رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى

(١) ما ينيب : ما يرجع .
(٢) يبدو أن تغير وجه عقبة سببه أنه ظن خليلان يشبب بابنته .
(٣) فى ف « منكبها » بدل « موكبها » .
(٤) يريد : « جعلت فداها » ، فجملة « أنت تفدى من أراك تعيب » دعائية .
(٥) فى ف ، هد : عروضه من الرمل ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

لم ينسُبْه إسحاقُ إلى أحد ، ووجدتُه فى روايات لا أثق بها منسوبا إلى حُنَين ، وقد ذكر يُونُس أن فيه لَحْنَيْن ولمالكٍ كلاهما ، ولعل هذا أحدهما ، وذكر حَبَش أن خفيف الرمل لابن مُحْرِز ، وذكر الهِشامىّ وعلىّ بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثانى ثقيل ، وذكر الهشامى أن فيه لطُويسٍ هزجا مطلقا فى مجرى البنصر ، وذكر عمرو بن بانة أنّ لمالك فيه ثقيلا أول وخفيفه ، ولمعبد خفيف ثقيل آخر :

صــوت

ألا هزِئت بنا قُرَشِيَّـــةٌ م يهـــتزُّ موكبُهـــا
رأت بى شَيْبَةً فى الرأ س منّى ما أُغَيِّبُهـــا
فقالت لى : ابنُ قَيْسٍ ذا ؟ وبَعضُ الشيب يُعجِبها
لها بعل خَبيثُ النفْس يحصُرُهـــا ويحْجُبُهـــا
يرانى هـكذا أمشِى فيُــوعِدُها ويَضْرِبُهـا

عروضه من الوافر[1] ، الشعرُ لابن قَيْس الرقيات ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى ، وفيه ليونُس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشامىّ .

(١) صوابه : مجزوء الوافر .

صـــوت

هل ماعلمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حَبلُها إذ نأتك اليومَ مَصرومُ
أم هل كثيبٌ بكى لم يقضِ عبرتَهُ ... إثْرَ الأحِبَّةِ يـوم البين مَشْكـومُ(١)
يَحملن أُتْرُجَّةً ، نَضْخُ العبيرِ بها ... كأنَّ تَطيابَها فى الأنف مَشْمومُ(٢)
كأنَّ فَأْرَةَ مسكٍ فى مفارقها ... للباسط المُتعاطى وَهْــو مزكـومُ(٣)
كأنَّ إبريقَهم ظبىٌ على شرف ... مُفَـدَّمٌ بسَبَا الـكَتَّان ملثُومُ(٤)
قد أشْهدُ الشَّربَ فيهم مِزْهرٌ صَدِحٌ ... والقــومُ تصرعهم صهباءُ خُرطومُ(٥)

الشعر لعلقمة بَنِ عَبَدَةَ، والغناء لابن سُريج ، وله فيه لحنان أحدهما فى الأول والثانى خفيف ثقيل أول بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق ، والآخرُ رمل بالخنصر فى مجرى البنصر فى الخامس والسادس من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانةَ أن فى الأربعة الأبيات الأُول المتوالية لمالك خفيفَ ثقيل بالوسطى ، وفيها ثقيل أول نسبه الهِشامىّ إلى الغَرِيض ، وذكر حَبَش أن لحن الغَرِيض ثانى ثقِيل بالبنصر ، وذكر حبش أن فى الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج .

(١) مشكوم : من شكم الفرس بمعنى وضع الشكيمة فى فمه ، كناية عن أنه لا يستطيع اللحاق بالأحبة .

(٢) الأترجة : يكنى بها عن محبوبته ، نضخ : بلل : يريد أن رحالها تنفح ريحاً طيبة .

(٣) فأرة المسك : وعاؤه ، الباسط المتعاطى : لمن يبسط يده بطلب العطاء ، ولعلها المتاشق .

(٤) يعنى إبريق الخمر ، يشبهه بالظبى الواقف على مكان مرتفع ، مفدم : مسدود بالفدام، وهو الخرق ونحوها ، وسبا الكتان: خرقه ، ملثوم : لابس اللثام : وذلك كله كناية عن أن خمرهم مهيأة للشراب ، ويبدو أن بين هذا البيت وما قبله أبيات لم تذكر .

(٥) الشرب : جماعة الشاربين ، المزهر : آلة من آلات الغناء ، صدح : صيغة مبالغة من صدح الصهباء : الخمر ، الخرطوم : السريعة الإسكار .

أخبار علقمة ونسبه[1]

هو علقمة بن عَبَدةَ بنِ النّعمانِ بنِ ناشرةَ بن قيس بن عُبَيد بن ربيعةَ بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياسَ بن مضرَ بن نزار .

واش يلقى جزاءه

وكان زيدُ مناةَ بن تميم وَفَد هو وبكر بن وائل — وكانا لِدَةَ عصر واحد — على بعض الملوك ، وكان زيدُ مناة حسوداً شرهاً طَمّاناً[2] ، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكراً داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى[3] من الملك بفائدة ، ويقلَّ معها حظُّه ، فقال له : يا بكر لا تلقَ الملك بثياب سفرك ، ولكن تأهَّبْ للقائه وادخل عليه فى أحسن زينة ، ففعل بكر ذلك ، وسبقه زيد مناة إلى الملك ، فسأله عن بكرٍ ، فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّى لهن ، وقد حدّث نفسه بالتعرض لبنت الملك ، فغاظه ذلك ، وأمسك عنه ، ونَمَى الخبرُ إلى بكر بن وائل ، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ، وصَدَقه عنه ، واعتذر إليه مما قاله فيه عذراً قبله ، فلما كان من غد اجتمعا عند الملك ، فقال الملك لزيد مناة: ما تحب أن أفعل بك ، فقال : لا تفعل ببكر شيئاً إلا فعلتَ بى مِثْلَيْه ، وكان بكر أعورَ العين اليمنى ، قد أصابها ماء فذهب بها ، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور ، فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له : ما تحب أن أفعل بك يا بكر ، قال : تفقأُ عينى اليمنى ، وتُضعفُ لزيد مناة ، فأمر بعينه العوراء ففُقِئت ، وأمر بعينَىْ زيدِ مناة ففقئتا ، فخرج بكر وهو أعور بحاله ، وخرج زيد مناة وهو أعمى .

وأخبرنى بذلك محمد بن الحسن بن دريد ، عن أبى حاتم ، عن أبى عبيدة .

سبب تسميته بعلقمة الفحل

ويقال لعلقمة بنِ عَبَدة عَلْقَمَةُ الفَحل ، سُمِّى بذلك لأنه خلف على امرأة امرىء

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق ، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة
(٢) فى ف ، هج ، هد : « طماعاً » بدل « طمانا » .
(٣) فاعل يحظى ضمير بكر .

القيس لما حكمت له على امرىء القيس بأنه أشعَر منه فى صفة فرسه ، فطلّقها ، فخالفه عليها ، ومازالت العرب تسميه بذلك ، وقال الفرزدق :

والفحلُ عَلقمةُ الذى كانت له حُلَلُ الملوك كلامُه يُتَنَحَّـــلُ (١)

قصيدتاه سمطا الدهر

أخبرنى عَمِّى قال : حَدَّثنى النَّضرُ بن عمرو قال : حدثنى أبو السَّوّار ، عن أبى عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى ، عن حَمَّادٍ الراويةِ قال :

كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولا ، وما ردوه منها كان مردوداً ، فقَدِم عليهم علقمةُ بن عَبَدة ، فأنشدهم قصيدته التى يقول فيها :

هل ما علمتَ وما استُودِعتَ مكتوم أم حَبْلُها أَنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا: هذه سِمطُ (٢) الدهر ، ثم عاد إليهم العامَ المقبلَ فأنشدهم :

طحابكَ قلب فى الحِسَان طروبُ بُعَيْد الشَّباب عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

فقالوا : هاتان سِمْطا الدهر .

يسرقون شعره

أخبرنى الحسن بن علىٍّ قال : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك ، عن حماد بن إسحاق قال : سمعت أبى يقول :

سرق ذو الرُّمة قوله :

* يطفو إذا ماتلقّته الجراثيمُ (٣) *

من قول العجّاج :

* إذا تلقّتْه العقاقيلُ طفا (٤) *

(١) يتنحل : يدعيه الشعراء لأنفسهم من بلاغته .

(٢) السمط : القلادة .

(٣) الجراثيم : جمع جرثومة ، وهى التراب المتجمع فى أصول الشجر تسفيه الريح ، ويبدو أن هذا شطر بيت فى وصف غزال أو فرس ، يريد أنه يشتد عدوه عندما تسفى الريح عليه التراب .

(٤) العقاقيل : جمع عقال ، وهو داء يصيب رجل الدابة ، يريد أن الداء لا يعطل عدوه ، بل يسرع به .

وسرقه العجّاج من علقَمَةَ بن عَبَدة فى قوله :

* يطفو إذا ما تلقته العقاقِيل *

أيهما أوصف للفرس هو أم امرىء القيس

أخبرنى عمّى قال : حدثنا الكُرانِيُّ قال : حدثنا العُمَرِىّ عن لَقِيط ، وأخبرنى أحمد ابن عبد العزيز قال : حدثنا عُمَر بنُ شَبَّة قال : حدثنى أبو عُبَيْدَة قال :

كانت تحت امرئ القيس امرأةٌ من طيئ تزوجها حين جاور فيهم ، فنزل به علقمةُ الفَحْل بن عَبَدة التَّميمىّ ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك، فتحا كما إليها ، فأنشد امرؤ القيس قوله :

* خليلىَّ مُرَّا بى على أمّ جُنْدُبِ *

حتى مرّ بقوله :

فللسَّوط أُلهوبٌ وللسَّاق دِرَّةٌ وللزَّجر منه وَقْعُ أَخْرجَ مُهذِبِ[1]

— ويروى : « أهوجَ مِنْعَبِ[2] » —

فأنشدها علقمة قوله :

* ذَهَبْتَ من الهِجران فى غير مَذْهَب *

حتى انتهى إلى قوله :

فأدركه حتى ثنى من عِنانه يمُرُّ كغيثٍ رائحٍ مُتَحَلِّبِ[3]

فقالت له : علقمةُ أشعرُ منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنك زجرت فرسَك ،

(١) الألهوب : اجتهاد الفرس فى عدوه حتى يثير الغبار ، الدرة : حث الفرس على العدو ، الأخرج من الخيل : ما خالط بياضه سواد ، مهذب : مسرع . يريد أنه يستحث جواده تارة بسوط ، وأخرى بساقه ، ومرة ثالثة بالزّجر . وفى المختار : « وللسوط منه وقع ... » بدل « وللزجر ... »

(٢) المنعب كمنبر : الجواد يمد عنقه عند عدوه كالغراب .

(٣) الهاء من أدركه تعود على غزال أو نحوه ، وفى المختار :

فأدرك منه ثانيا من عنانه يمر كمرّ الرائح المتحلب

وحرّكته بساقك ، وضربته بسوطك . وأنه جاء هذا الصيد ، ثم أدركه ثانياً من عِنانه ، فغضب امرؤ القيس وقال : ليس كما قلتِ ، ولكنك هَوِيتِه ، فطلّقها ، فتزوجها علقمة بعد ذلك ، وبهذا لُقِّبَ علقمةَ الفَحْل .

ربيعة بن حذار يحكم له

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكُرانىّ قال : حدثنا العُمَرى ، عن لقيط قال :

تحاكم علقمةُ بن عبدة التميمى والزِّبرقانُ بن بَدْر السعدى ، والمُخَبَّل ، وعمرو بن الأهتم ، إلى ربيعة بن حُذار الأسدىّ ، فقال : أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضِج فيُؤكلَ ، ولا تُرِك نَيِّئاً فيُنتفعَ به ، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبُرْد حِبَرة يتلألأ فى البصر ، فكلما أعدته[1] فيه نقص ، وأما أنت يا مُخَبَّل فإنك قصّرت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام ، وأما أنت يا علقمة فإن شعرك كمزادة[2] قد أُحكِم خَرْزُها فليس يَقْطر منها شىء .

بيت من أبياته يضرب المتمثل به عشرين سوطاً

أخبرنى محمدُ بن الحسنِ بن دُريد قال : حدثنى عمى ، عن العباس بن هشام ، عن أبيه قال :

مرّ رجل من مُزينَة على باب رجل من الأنصار ، وكان يُتَّهم بامرأته ، فلما حاذى بابَه تنفّس ثم تمثّل :

هل ماعلمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ ... أم حبلُها إذ نأتك اليوم مصرومُ ؟

قال : فتعلّق به الرجل : فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه ، فاستعداه عليه ، فقال له المُتَمثِّل : وما علىّ فى أن أنشدتُ بيتَ شعر ، فقال له عمر رضى الله عنه : مالك لم تُنْشِدْه قبل أن تبلغ بابه ؟ ولكنك عَرّضت به مع ما تعلم من القالَة فيه ، ثم أمر به فضُرِب عِشْرين سَوْطًا .

(١) الماء من أعدته تعود على البصر .
(٢) المزادة : إناء صغير من الجلد يحمل فيه الماء .

صـــوت

فوالله لا أنسَى قتيلاً رُزِيتُه ... بجانب قَوسَى ما حييتُ على الأرض (١)
بلى إنها تَعفُو الكُلومُ وإنما ... نُوكَّلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمضِى (٢)
ولم أدرِ مَن أَلْقَى عليه رداءه ... ولكنه قد بُزَّ عن مَاجدٍ محضِ (٣)

الشعر لأبى خراش الهذلى ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكى أنه لابن مُسجِح وذكر الهشامى أنه ليحيى المكى ، نحله بن مسجح ، وفى أخبار معبد أن له فيه لحناً .

(١) قوس – كسكرى – بلدة بالسراة وبها قتل عروة أخو أبى خراش .

(٢) تعفو الكلوم : تندمل الجراح ، يريد أن المصائب ينسى بعضها بعضا ، وأن الأثر الشديد يكون للمصيبة القريبة ، وإن كانت القديمة فادحة .

(٣) الهاء من عليه تعود على ابنه خراش ، وألقى عليه رداءه : كناية عن إجارته وإنقاذه من الموت ، المحض : الخالص من كل شىء ، يقول : لا أدرى من الذى أجار ابنى بإلقاء ردائه عليه ، على أن هذا الرداء ما خلعه إلا ذو مجد صميم ، وعبارة الحماسة والديوان : « قد سل » بدل « قد بز » .

ذكر أبى خراش الهذلى وأخباره[1]

أبو خِراش اسمه خُوَيلد بن مُرَّة، أحدُ بنى قِرْد، واسمُ قرد عمرو بن معاوية بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلامَ فأسلَمَ وعاش بعد النبى صلى الله عليه وسلم مدة، ومات فى خلافة عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه، نَهَشَتْه أفعى فمات، وكان ممن يَعْدو فيسبِقُ الخيل فى غارات قومه وحروبهم.

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى وعمِّى والحسن بن علىٍّ قالوا:

حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال: حدثنا أحمدُ بنُ عُمَيْر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثنى أبو بركة الأشجعىُّ من أنفُسهم قال:

خرج أبو خِراش الهُذلىّ من أرض هُذَيل يريد مَكّةَ، فقال لزوجته أمِّ خِراش: ويحك إنى أُريدُ مَكّةَ لبعض الحاجة، وإنك من أفَكّ[2] النساء، وإنّ بنى الدِّيل يطلبوننى بتراتٍ فإيّاكِ وأنْ تذكُرينى لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها! قالت: معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب.

قال: فخرج بأم خراش وكَمَنَ لحاجته وخرجت إلى السوق لتشترىَ عِطْراً أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن، فجلستْ إلى عطّار فمر بها فتيانٌ من بنى الدِّيل، فقال أحدُهما لصاحبه: أمّ خِراش وربِّ الكعبة وإنّها لمن أفكّ النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلّنا عليه، قال: فوقفا عليها فسلما وأحْفيا[3] المسألة والسلام، فقالت: مَن أنتما

يتربصون به فيفلت منهم

---

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة

(٢) أفك النساء: أكذبهن.

(٣) أحفيا: أبديا الحفاوة والتلطف.

بأبى أنتما ؟ فقالا : رجلان من أهلِكِ من هذيل ، قالت : بأبى أنتما . فإن أبا خراش معى ولا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشيَّة ، نخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولًى لهم يقال له مَخْلَدٌ وكان من أجود الرجال عَدْوًا ، فكمنوا فى عَقَبة على طريقه ، فلما رآهم قد لاقوه فى عين الشمس قال لها : قَتَلْتِنِي وربِّ الكعبة لِمَنْ ذكرتنى؟ فقالت : والله ماذكرتك لأحد إلا لِفَتَيَيْنِ من هذيل ، فقال لها : والله ماهما من هذيل ولكنهما من بنى الدِّيل وقد جلسا لى وجمعا علىَّ جماعة من قومهم فاذهبى أنت فإذا جُزْتِ عليهم فإنهم لن يعرِضوا لكِ لئلا أستَوْحِشَ فأفوتَهم ، فاركُضِى بعيرَكِ ، وضعِى عليه العَصَا ، والنجاء النجاء .

قال: [فانطلقت][1] وهى على قَعُودٍ عُقَيْلى يسابق الريح ، فلما دنا منهم وقد تلثَّموا ووضعوا تمرًا على طريقه على كساء ، فوقف قليلا كأنه يُصلحُ شيئًا ، وجازت بهم أم خِراش فلم يَعرِضُوا لها لئلا ينفِرَ منهم ، ووضعت العصا على قعودها ، وتواثبوا إليه ووثب يعدُو.

قال : فزاحمه على المحجَّة [2] التى يَسْلُكُ فيها على العقبة ظَبْيٌ ، فسبقه أبو خراش ، وتصايح القومُ : يا مخلد أَخْذًا أَخْذًا .

قال : ففات الأخذ . فقالوا : ضربا ضربا ، فسبق الضرب ، فصاحوا : رَمْيًا رَمْيًا فسبق الرمى ، وسَبَقَت أُمُّ خراش إلى الحىِّ فنادت : ألا إنَّ أبا خراش قد قُتِل ، فقام أهلُ الحىِّ إليها ، وقام أبوه وقال : ويحك ما كانت قصَّتُهُ ، فقالت : إن بنى الدِّيل عرضوا له الساعة فى العقبة ، قال : فما رأيتِ ، أو ماسمعتِ ؟ قالت : سمعتهم يقولون : يامخلد أخذاً أخذاً ، قال : ثم سمعتِ ماذا ؟ قالت : ثم سمعتُهم يقولون : ضربًا ضربًا ، قال : ثم سمعتِ ماذا ؟ قالت : سمعتهم يقولون : رميًا رميًا ، قال : فإن كنتِ سمعتِ رميًا رميًا

(١) زيادة يقتضيها المقام .
(٢) المحجة : الطريق .

فقد أفلت ، وهو منا قريب ، ثم صاح : يا أبا خراش ، فقال أبو خراش : يا لبَّيْكَ ، وإذا هو قد وافاهم على أثرها . وقال أبو خراش في ذلك :

رَفَوْنِي وقالوا يا خُوَيْلِدُ لم تُرَعْ فقلت وأنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ

رَفَوْنِي بالفاء : سكّنوني وقالوا : لا بأس عليك .

فغارَرْتُ شيئًا والدَّرِيسُ كأنما يزعزعُه وعْكٌ من المُومِ مُرْدِمُ(١)

غارت : تلبثت . والدَّريس : الخَلَقُ من الثياب ، ومثلهُ الجَرْدُ والسَّحق والحشيف . ومُرْدِم : لازم .

تذكّرتُ ما أينَ المفرُّ وإنني بحبلِ الذي يُنْجِي من الموت مُعْصِمُ(٢)

فواللهِ ما رَبْداءُ أو عِلْجُ عَانَةٍ أقبُّ وما إنْ تَيْسُ رَمْلٍ مُصَمَّمُ(٣)

بأسرعَ منّي إذ عرفتُ عَدِيَّهُمْ كأني لأولاهُمْ من القُرْبِ تَوْأَمُ(٤)

وأجودَ منّي حينَ وافيتُ ساعيًا وأخطأني خَلْفَ الثَّنِيَّةِ أسهُمُ(٥)

أَوَائِلُ بالشَّدِّ الذَّلِيقِ وحَثَّنِي لدى المَتْنِ مشبوحَ الذراعين خَلْجَمُ(٦)

---

(١) غاررت شيئاً : تلبثت قليلا — والوعك : أذى الحمى ، والموم : الحمى الشديدة ، كأنه يقول : تلبثت قليلا وجسمي ينتفض ، فتنتفض معه ثيابي الخلقة ، كأن بجسمي حمى ملازمة .

(٢) «ما» زائدة ، معصم : من أعصم به ، أي استمسك ، يريد أنه معتمد على الله .

(٣ ، ٤) ربداء : صفة موصوف محذوف ، أي غزالة ربداء ، والربداء : المغبرة اللون ، والعلج : حمار الوحش ، العانة : القطيع من حمر الوحش ، أقب : دقيق الخصر ضامر البطن ، مصمم : جاد في سيره ، العدى : جماعة القوم يعدون ، لاولاهم : لأولى سراياهم . يقول : أقسم أني حين أبصرتهم يعدون خلفي كنت أسرع من الغزالة وحمار الوحش الضامر والتيس المصمم ، وقد كادوا يدركونني ، فقد كنت لأولى سراياهم من القرب كأني توءم لها .

(٥) الثنية : الطريق في الجبل ، وقوله : «أجود» معطوف على «أسرع» أي ما كانت هذه الحيوانات أسرع مني ، ولا أجود جريا حين وصلت سالما ، وأخطأني أسهمهم .

(٦) وائل : طالب النجاة ، الشد الذليق : الجرى السريع . وفي س «السيف الذليق» ولا معنى له ، والمثبت من هد : هج . حثني لدى المتن : أسرع بي على الجرى ، والمتن ، اللحاب في الأرض ، ومشبوح الذراعين : عظيمهما ، الخلجم كجعفر : الجسم العظيم ، أو الطويل المنجذب الخلق . يقول : طلبت النجاة بسرعة الجرى ، وساعدني على ذلك جسمي القوى البنيان .

تَذَكَّرَ ذَحْلاً عندنا وهْو فاتكٌ ... من القوم يَعرُوه اجتراءٌ ومَأْثَمُ(١)
تقول ابنتى لمّا رأتنى عشيَّةً : ... سلمتَ وما إن كِدتَ بالأمس تَسلَمُ
فقلتُ وقد جاوزتُ صارَى عشيَّةً : ... أجاوزتُ أُولَى القوم أم أنا أحلُمُ(٢)
فلولا دِرَاكُ الشدِّ آضتْ حليلَتِى ... تخيَّرُ فى خُطَّابِهَا وَهْىَ أَيِّمُ(٣)
فتسخَطُ أو ترضَى مكانِى خليفةً ... وكادَ خِراشٌ عنـد ذلك يَيْتَمُ(٤)

يسابق الخيل فيسبقها

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ ومحمد بن الحسين الكندىّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا : حدثنا الرياشىّ قال : حدثنا الأصمَعِىّ قال : حدثنى رجل من هذيل قال :

دخل أبو خراش الهُـذَلِىُّ مكّةَ وللوليد بن المغيرة المخزومىّ فرسانِ يريد أن يُرسِلَهما فى الحلْبة ، فقال للوليد : ما تجعلُ لى إنْ سبقتُهُمَا ؟ قال : إن فعلت ، فهمَا لك ، فأُرسِلاَ ، وعَدَا بينهما فسبقهما فأخذهما .

قال الأصمعىّ : إذا فاتك الهذلىُّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه .

وأخبرنى بما أذكرُه من مجموع أخبار أبى خراش علىُّ بنُ سُلَيْمان الأخفش ، عن أبى سعيد السكرىّ ، وأخبرنى بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سَعيد ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابى ، عن أبى حاتم ، عن أبى عبيدة ، وعن ابن حبيبَ عن أبى عمرو .

يملح دية حياً ويرثيه ميتاً

وأخبرنى بِبعضه محمدُ بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنا الرياشىّ ، عن الأصمعىّ ،

---

(١) تذكر ذحلا ... الخ : يتحدث عن خصمه ، ويصفه بالفتك والجرأة وارتكاب المآثم .
(٢) صارى : جبل قبلى المدينة : وأولى القوم : أولى سراياه ، يعنى أنه نجا ، ولم يصدق بالنجاة .
(٣) آضت : رجعت ، يعنى لولا سرعة جريه لرجعت حليلته — وهى أيم — تتخير خطيبا لها لها بعد موته ، وفى بعض الأصول «آظت» ، وفى بعضها «قاظت» ، وفى المختار : «أمست» .
(٤) خليفة مفعول لتسخط وترضى ، وخراش هو ابنه ، والبيت كله : كناية عن هلاكه .

وقد ذكرتُ ما رواه فى أشعار هذيل وأخبارها كل واحد منهم عن أصحابه فى مواضعه ، قال السكرىّ : فيما رواه عن ابن حبيب عن أبى عمرو قال :

نزل أبو خِراش الهذلى على دُبَيَّةَ السُّلمىّ — وكان صاحبَ العُزَّى التى فى غطفان وكان يَسْدُنها ، وهى التى هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها . فهدمَهَا وكسرها وقتل دُبَيَّةَ السُّلمِىَّ — قال : فلما نزل عليه أبو خراش أحْسَنَ ضيافَتَهُ . ورأى فى رجله نَعلَيْن قد أخلقتا ، فأعطاه نعلين من حذاء السِّبْت[1] فقال أبو خراش يمدحه :

حذَانِىَ بعد ما خَذِمَتْ نِعالى   دُبَيَّةُ إنَّه نِعمَ الخليلُ[2]
مُقابَلَتين من صَلَوَىْ مُشِبٍّ   من الثيرانِ وصلُهما جميلُ[3]
بمثلِهما يروح المرءُ لَهوًا   ويقْضى الهمَّ ذو الأربِ الرَّجيلُ[4]
فنِعم مُعرَّسُ الأضيافِ تُذْحِى   رحالَهُم شآمِيةٌ بَلِيلُ[5]
يُقاتل جوعَهم بمُكلَّلاتٍ   من الفُرْنِىِّ يَرْعَبُها الجَميلُ[6]

قال أبو عمرو : الجَمِيلُ : الإهَالةُ ، ولا يقال لها جميل حتى تُذَاب إهَالَةً كانت أو شَحْمًا ،

(١) السبت : الجلد المدبوغ .

(٢) خلم الحذاء — كسمع — : انقطع .

(٣) صلوى : تثنية صلا ، والصلا : الظهر ، يريد أنه أعطاه نعلا من جلد ظهر فتىّ من الثيران ، وقوله : مقابلتين ، يعنى نعلين إحداهما تقابل الأخرى ، ما أجمل وصلهما .

(٤) الرجيل : الراجل ، أو المشاء ، أى يمثل هاتين النعلين يلهو المرء ، ويقضى ما هم به من المآرب إذا كان راجلا أو كثير المشى .

(٥) المعرس : اسم مكان من عرس بالتشديد بمعنى نزل ، والشآمية البليل : الريح التى تهب من جهة الشام رطبة لينة . ويريد بالمعرس منزل دبية وتلسى : تسوق وتطرد ، وانظر اللسان (ذحا) .

(٦) بمكللات : بجفان مملوءات ، الفرنى : نوع مخصوص من الخبز ، يرعبها : يملوها ، الجميل : الاهالة ، وهى الشحم ، أو كل ما يؤتدم به ، يقول : إن مضيفه كريم يقابل الجوع بجفان مكللة بالخبز المأدوم بالشحم أو اللحم وغيره من أنواع الإدام .

وقال أبو عمرو: ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدم عُزّى غطفان، وكانت ببطن نَخْلَة، نَصَبَها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دُبَيَّةَ فقال أبو خراش الهذلي يرثيه:

ما لِدُبَيَّةَ منذُ اليوم لم أرَهُ ... وسْطَ الشُّرُوبِ ولم يُلْمِمْ ولم يطفِ(١)

لو كان حيًّا لغاداهم بمُترَعَةٍ ... فيها الرَّواويق من شِيزَى بني الهَطِفِ(٢)

بنو الهَطِفِ: قوم من بني أسد يَعْملون الجِفان.

كابي الرماد عظيمُ القِدْرِ جَفْنَتُهُ ... حين الشتاء كحَوْضِ المُنْهَلِ اللَّقِفِ(٣)

— المُنْهل: الذي إبله عطاش. واللَّقِفُ: الذي يضربُ الماءُ أسفلَه فيتساقط وهو ملآن —

أمسى سَقامٌ خَلاءً لا أنيسَ به ... إلا السِّباعُ ومَرُّ الريح بالغَرَفِ(٤)

مصرع زهير ابن العجوة

وقال الأصمعيّ وأبو عمرو في روايتهما جميعا:

أخذ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم حُنَين أسارى، وكان فيهم زهيرُ بن العَجْوَةِ أخو بني عمرو بن الحارث، فمرَّ به جميلُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حبيبِ بنِ وهبِ بن حُذافَةَ بن جُمَحَ، وهو مربوطٌ في الأسرى، وكانت بينهما إحنةٌ في الجاهلية، فضرب عُنُقَه، فقال أبو خراش يرثيه:

فَجَّعَ أصحابي جميلُ بن معمَرَ ... بذي فَجَرٍ تأوي إليه الأراملُ(٥)

---

(١) الشروب: القوم يشربون.

(٢) مترعة: مملوءة، الرواويق: جمع راووق: الخمر، إناؤها، وما تروق به، والشيزى: الجفنة.

(٣) كابي الرماد: عظيمة، كناية عن الكرم.

(٤) سقام — بفتح السين — اسم واد الحجاز يبدو أن المرثي كان ينزل به.

(٥) فجع ... الخ: بيت من الطويل دخله الخرم، والفجر — بفتح الفاء والجيم —: العطاء والكرم.

طويلُ نِجادِ السيفِ ليس بجيْدَرٍ … إذا قام واستَنَّت عليه الحمائلُ(١)

إلى بَيْتِهِ يأوِي الغريبُ إذا شتا … ومُهتَلِكٌ بالِي الدَّرِيسَيْنِ عائِلُ(٢)

تروَّحَ مقرورا وراحت عشيَّة … لها حَدَبٌ تحتثُّه فيُوائِلُ(٣)

تكاد يداه تُسْلِمَان رداءه … من القُرِّ لمَّا استقبلتْه الشمائلُ(٤)

فما بالُ أهلِ الدَّارِ لم يتصدَّعوا … وقد خفَّ منها اللَّوذعيُّ الحُلاَحِلُ(٥)

فأُقسِمُ لو لاقيتَه غيرَ موثَقٍ … لآبكَ بالجِزْعِ الضِّباعُ النَّواهلُ(٦)

لظلَّ جميلٌ أسوأَ القومِ تَلَّةً … ولكنَّ ظَهْرَ القِرْنِ للمَرْءِ شاغلُ(٧)

فليس كعهدِ الدار يا أمَّ مالكٍ … ولكنْ أحاطت بالرقاب السلاسلُ(٨)

(١) طويل نجاد السيف : كناية عن طول قامته ، الجيدر: الغليظ السمين ، استنت : اضطربت ، يعني أنه طويل القامة ، حين يهتز حمائل سيفه على جانبه لا تجد غلظا ولا سمنا . وفي ف: «تسترخي» بدل : «واستنت» .

(٢) المهتلك : الذي لا هم له إلا أن يتضيفه الناس ، الدريسين : مثنى دريس ، وهو الثوب الخلق .

(٣) الحدب : شدة البرد ، تحتثه : تسرع به ، يوائل : يطلب النجاة ، البيت وصف لمهتلك في البيت السابق ، يريد أنه راح يشكو القر ، وراحت عليه عشية باردة تجعله يغذ السير طلبا للنجاة .

(٤) هذا البيت كسابقه في وصف مهتلك ، أي تكاد الرياح الباردة تمزق ثوبه ، فتنبذه يداه لما خلق منه ، وفي ديوان الهذليين «من الجود» بدل من «القر» كأنه جعل البيت وصفا للمرثي ، والسياق يؤيد ما أثبتناه .

(٥) اللوذعي : الخفيف الذكي ، أو الحديد الفؤاد والنفس ، أو اللسن الفصيح ، الحلاحل : السيد في قومه ، أو الكريم الجواد ، يعجب من أهل داره كيف لم تتصدع أكبادهم بعد فراقهم إياه .

(٦) «لآبك بالجزع الضباع النواهل» : لوردت دمك الضباع العطاش ، كناية عن قتل زهير لجميل لو لم يكن موثقا ، والجزع – بفتح الجيم وكسرها – : منعطف الوادي ووسطه .

(٧) تلة : صَرْعَةً ، الظهر : إصابة الظهر ، القرن : القرين في الشجاعة وما إليها ، والمعنى أن جميلا أسوأ الناس إصابة ، لأنه أهلك سيدا شجاعا موثقا لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، ولكن القرن ينشغل دائما بإصابة ظهر قرنه ، ليتخلص منه ، وفي س «ولكن قرن المرء للظهر شاغل» ولم نجد لها معنى ، والمثبت من ف .

(٨) اسم ليس ضمير الشأن ، ولعله يعني بإحاطة السلاسل بالرقاب ، فتح خالد لتلك النواحي .

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائلٍ سوى الحقِّ شيئا فاستراح العواذلُ(١)
ولم أنسَ أيامًا لنا ولياليًا بِحَلْيَةَ إذ نلقَى بها ما نحاول(٢)

وقال أيضا يرثيه :

أَفِى كلِّ مُمْسَى ليلةٍ أنا قائل من الدهر لا يبعَدْ قتيلٌ جميلِ(٣)
فما كنتُ أخشى أن تصيبَ دماءنا قريشٌ ولـــــا يُقتلوا بقتيل(٤)
فأبرحُ ما أُمِّرْتُمُ وعَمَرْتُمُ مدَى الدهر حتى تُقْتَلُوا بِغَلِيلِ(٥)

يستنقذ أسرى بنى ليث

وقال أبو عمرو فى خبره خاصة : أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القِرْدِىّ فى بضعةَ عشر رجلا من بنى قِرْد يطلبون الصيد فبينا هم بالمَجْمَعَةِ من نخلة لم يَرُعْهُم إلا قومٌ قريبٌ من عدتهم فظنّهم القِرْدِيُّون قوما من بنى ذُؤَيبة أحدِ بنى سعدِ بن بكرِ بن هوازنَ أومن بنى حبيب أحدِ بنى نصرٍ ، فعدا الهذليُّون إليهم يطلبونَهم وطَمِعُوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعًا ، وإذا هم قومٌ من بنى ليثِ بنِ بكرٍ ، فيهم ابنا شَعوب أسرهما صُهَيْبٌ القِردى ، فهمَّ بقتلهما ، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعًا من أصحابه وأطلقهم ، فقال أبو خراش فى ذلك يمُنُّ على ابنىْ شَعُوبَ أحد بنى شِجْعٍ بنِ عامر بنِ ليثٍ فعلَه بهما :

---

(١) لعله يعنى بهذا البيت دخول القوم فى الإسلام ، وأن الجميع دانوا بالحق ، وانثنوا عن اللهو والباطل ، فلم يبق مكان للعواذل .

(٢) حلية : اسم مكان .

(٣) لا يبعد : لا يهلك ، وهو دعاء يقال فى مقام الرثاء كثيراً ، ويجوز أن يكون من البعد ضد القرب .

(٤) «ولما يقتلوا» جملة معترضة ، أى ما كنت أخاف أن تقتل قريش منا قتيلا دون أن ننال منهم .

عدونَا عدوةً لا شكَّ فيها وخِلناهمْ ذُؤَيبةَ أو حَبيبا(١)
فنُغرِى الثائرين بهم وقلنا شفاءُ النفس أنْ بَعَثوا الحروبا(٢)
مَنَعْنا من عدِىٍّ بنى حُنَيفٍ صِحابَ مضرّسٍ وابنى شَعوبا(٣)
فأَثْنُوا يا بنى شِجْعٍ علَيْنَا وحقٌّ ابنى شعُوب أنْ يُثيبا
وسائلْ سَبرةَ الشِّجْعِيَّ عنا غــداة نخالهم نَجْوًا جَنيبا(٤)
بأنَّ السّابقَ القِرْدِىَّ ألقَى عليه الثوبَ إذ ولَّى دبيبا(٥)
ولولا ذاكَ أرهقَه صُهيبٌ حسـامَ الحَدِّ مطروراً خشيبـا(٦)

يزهد زهد الهنود

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخزاعىّ قال : حدثنا الرياشى : قال : حدثنا الأصمعىّ قال : أقفر أبوخراش الهذلىّ من الزّادِ أياما ، ثم مرّ بلمرأةٍ من هذيل جزلةٍ شريفةٍ ، فأمرت له بشاة فَذُبِحَتْ وشُوِيَتْ ، فلما وَجَدَ بطنُهُ ريحَ الطعام قرقر(٧) ، فضرب بيده على بطنه وقال : إنكَ لتقرقر لرائحة الطعام، والله لاطعِمْتَ منه شيئاً ثم قال: يا ربّةَ البيت، هل عندكِ شىء من صَبِرٍ أو مُرٍّ؟ قالت: تصنع به ماذا ؟ قال: أريدُه ، فأتته منه بشىء فاقتمحه ، ثم أهوَى إلى بعيرِه فركبه ، فناشدتْه المرأةُ فأبَى، فقالتْ له : يا هذا ، هل رأيتَ بأساً أو أنكرتَ شيئاً ؟ قال : لا والله ، ثم مضى وأنشأ يقول :

---

(١) خلناهم : خلنا من أغرنا عليهم ، ذؤيبة وحبيب : قبيلتان .
(٢) نغرى الثائرين بهم : نسلطهم عليهم ونمكنهم منهم .
(٣) عدى بنى حنيف : جماعة العادين منهم ، ومضرس : اسم رجل من بنى ليث المعدو عليهم ، وشعوب : اسم رجل ، ولكنه منع الصرف ، لأنه فى الأصل علم على المنية .
(٤) ضمير نخالهم يعود على المأسورين ، النجو : ما أهمل من قطع الخشب ، أو ما خرج من البطن ، والجنيب : المبعد المنحى . يقول : سائل الشجعى عنا غداة أسرنا قومه ، وظنناهم ممن لا وزن لهم .
(٥) لعل المراد بإلقاء الثوب عليه التعرف عليه ، وأنه من ليث بن بكر ، لا من ذؤيبة أو حبيب .
(٦) حسام الحد : سيفا قاطع الحد ، مطرورا : مسنونا ، خشيبا : مسلولا ، أى لولا التعرف عليه لقتلك به صهيب .
(٧) قرقر بطنه : أحدث من الجوع صوتا يشبه القرقرة .

وإنى لأثوِى الجوعَ حتى يَملَّنى ... فأحيا ولم تدنَس ثيابى ولا جِرمى[1]
وأَصْطبحُ الماءَ القَراحَ فأكتفى ... إذا الزادُ أضحى للمزلَّجِ ذَا طَعْمْ[2]
أردُّ شجاعَ البطن قد تَعلمينه ... وأُوثر غيرِى من عيالكِ بالطُّعْمْ[3]
مخافةَ أن أحيا برَغمٍ وذلّةٍ ... فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ على رُغْم

يفتدى أخاه عروة فيلطمه

وأخبرنى عمِّى عن هارون بن محمد الزيات ، عن أحمدبن الحارث ، عن المدائنى بنحو مما رواه الأصمَعِىُّ . وقال أبو عمرو :

أَسَرَتْ فَهْمٌ عروةَ بنَ مرة أخا أبى خراش — وقال غيره : بل بنو كنانة أسرتْه — فلما دخلتْ الأشهرُ الحرمُ ، مضى أبو خِراش إليهم ومعه ابنُهُ خراش ، فنزل بسيِّد من ساداتهم ولم يُعَرِّفْهُ نَفْسَه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قِرَاه ، فلما تحرَّم به انتسب له ، وأخبره خبرَ أخيه ، وسأله معاونتَه حتى يشتريَهُ منهم ، فوعَدَهُ بذلك ، وغدا على القوم مع ذلك الرجل ، فسألَهُمْ فى الأسير أن يهبُوه له ، فما فعلوا ، فقال لهم : فبيعُونيهِ ، فقالوا : أما هذا فنعم ، فلم يزل يساومُهُم حتى رضُوا بما بذله لهم ، فدفع أبو خراش إليهم ابنَه خِراشاً رهينةً ، وأطلق أخاه عُروةَ ومضيا ، حتى أخذ أبو خراش فِكَاكَ أخيه ، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إيَّاه وأخذ ابنه . فبينما أبو خراش ذات يوم فى بيتهِ إذ جاءه عبدٌ له فقال : إن أخاكَ عروةَ جاءنى وأخذ شاة من غنَمِك ، فذبحها ، ولطمنى لمَّا منعتُه منها ، فقال له : دعْه ، فلما كان بعد أيام عاد ، فقال له : قد أخذ أخرى ، فذبحها ، فقال : دعه ، فلما أمسى قال له : إن أخاكَ اجتمع مع شَرْب من قومه ، فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلِكَ ، لينحرَها لهم فعاجِلْه ، فوثب أبو خراش إليه ، فوجده قد أخذ الناقة ، لينحرها ، فطردها أبو خِراش ، فوثب أخوه عروةُ إليه

(١) أثوى الجوع — من أثوى — : أسكنه بطنى ، والجرم : الجسد .

(٢) الماء القراح : الخالص ، واصطبحه : شربه صباحا ، المزلج : الرجل اللى لاقوة له على احتمال المكروه . يقول : أكتفى بالماء القراح إذا حمل الجشع الرجل الدنىء على الزاد اللذيذ الطعم .

(٣) الشجاع : الثعبان : شبه أمعاءه بالثعابين لما ترمى إليه من المهالك ، والطعم : الطعام ، والخطاب للمرأة التى استضافته .

فَلطم وجهه ، وأخذ الناقةَ ، فنحرها ، وانصرف أبو خِراش ، فلما كان من غد لامه قومُه، وقالوا له : بئست لعمرُ الله المكافأة ، كانت منك لأخيك ؛ رهَنَ ابنَه فيك ، وفداك بماله ، ففعلتَ به ما فعلتَ ، فجاء عروة يَعْتذر إليه ، فقال أبو خِراش :

لَعلَّكَ نافعي ياعُروَ يوماً   إذا جاورْتُ مَنْ تحتَ القبور
أخذتَ خُفَارَتي ولطمتَ عَيْني   وكيف تُثيبُ بالمنِّ الكبيرِ(١)
ويومٍ قد صبرْتُ عليكَ نفسي   لدى الأشْهَادِ مُرْتَدِيَ الحرورِ(٢)
إذا ما كان كَسُّ القوم رَوْقاً   وجالت مقلتا الرجل البصير(٣)
بما يمتُه وتركْتُ بِكْري   وما أطْعِمْتَ من لحم الجَزُور(٤)

قال معنى قوله بِكري أي بِكْرُ ولدي أي أولُهم .

خبر أخويه الأسود وأبى جندب

وقال الأصمعيُّ وأبو عبيدة وأبو عمرو وابنُ الأعرابي :

كان بنو مرة عَشَرة : أبو خراش(٥)، وأبو جُندَب ، وعروة ، والأبحّ ، والأسوَد ، وأبو الأسود، وعمرو، وزهير، وجنّاد، وسفيان، وكانوا جميعا شعراء دهاة سِراعا لايُدْرَكونَ عَدْواً ، فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من دَاءَة(٦) وهو غلام شاب، فوردت عليه إبلُ

( ) خفارتي : يعني مالي الذي أحرسه ، المن : العطاء .

(٢) ويوم – بالكسر – معطوف على المن في البيت قبله ، أي كيف تثيب على هذا وذاك ؟ الأشهاد : جمع شهد ، شهد : جمع شاهد ، ومرتدي الحرور : لابسا الحر .

(٣) الكس : الدق الشديد ، روقا : زائداً ، لعله يريد أن يقول : إنى صبرت نفسي عليك إذ كان دق القوم بمعنى ضربهم شديداً زائداً ، وجالت العيون في المآق ، وذلك كناية عن أنه خاض الحرب من أجله .

(٤) بما يمته : بما قصدته من إحسنى إليك ، ومتعلق الجار والمجرور «كيف تثيب» في البيت الثاني أي كيف ثيبني بإحساني إليك ورهن ولدي من أجلك ، وما أكلته من لحم جزوري بلطمك وجهي ؟

(٥) كان القياس أن يقول : أبا خراش بالنصب على البدلية من عشرة ، ولكن هكذا ورد في الأصول على تقدير «هم فلان وفلان» .

(٦) دامة – كما في القاموس – موضع لهذيل وفي المختار : «فإنه كان – على ما مَرّ – داهية» .

رِئاب بن ناضِرَةَ بن المؤمَّل من بنى لِحْيَان ، ورئابٌ شيخ كبير ، فرمى الأسودُ ضَرْعَ ناقة من الأبل فعقرها ، فغضب رئابٌ ، فضربه بالسيف ، فقتله ، وكان أشدَّهم أبو جندب ، فعرف خبر أخيه ، فغضب غضبا شديدا ، وأسف ، فاجتمعت رجالُ هذيل إليه يكلمونه وقالوا : خذ عَقْل [(١)] أخيك ، واستبقِ ابنَ عمك ، فلم يزالوا به حتى قال : نعم ، اجْمَعُوا العقل ، فجاءوه به فى مَرّة واحدةٍ ، فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا لَهُ : أَرِحنا : اقبضْه منا ، فقال : إنى أريد أن أعتمِر فاحبسُوه حتى أرجِع ، فإن هلكت [(٢)] فَلِإمٍّ ما أنتم — هذه لغة هذيل يقولون: إِمّ بالكسر، ولا يستعملون الضم — وإن عشتُ فسوف ترون أمْرِى ، وولَّى ذاهبا نحو الحَرَم ، فدعا عليه رجال من هذيل ، وقالوا : اللهم لا تَرُدَّه ، فخرج فقدم مكة فواعَدَ كلَّ خَلِيع وفاتِك فى الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيبَ بهم قومه ، فخرج صادراً ، حتى أخذتهُ الذُّبَحة فى جانب الحرم ، فمات قبل أن يرجع ، فكان ذلك خبره .

خبر أخيه زهير

قالوا : وأما زهيرُ بن مرة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء [(٣)] الحَرَم ، حتى ورد ذاتَ الأُقَيْرِ [(٤)] من نعمان ، فبينا هو يسقِى إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثُمَالة ، فقتلوه ، فله يقول أبو خراش ، وقد انبعث يغزو ثُمَالَةَ ويُغِير عليهم ، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارينِ ، أى حِلَّتين من ثُمالة.

خذوا ذلكم بالصُّلْحِ إنى رأيتكُمْ ... قتلتم زُهيرا وهو مهدٍ ومُهْمِلِ

(١) عقل أخيه : ديته .

(٢) فلأم ما أنتم : فأنتم تنتسبون إلى أصل عظيم ، وأم كل شيء : أصله وعماده ، والمراد بالعبارة : إن هلكنا فافعلوا ما ترون ، فأنتم لا تجتمعون على ضلال .

(٣) اللحاء : قشر الشجر .

(٤) ذات الأقير : جبل بنعمان (معجم ياقوت)

مهدٍ أى أهدَى هديا للكعبة . ومهمَلْ : قد أهمَل إبلَه فى مراعيها .

قتلتم فتى لا يفجُرُ اللهَ عامــداً ولا يجتــويه جارُه عامَ يُمْحِلِ(١)

ولهم يقول أبو خِراش .

إنّى امرؤٌ أسْألُ كيما أعلَما مَنْ شَرُّ رهْطٍ يَشْهَدُون الموسمَا ؟

وجدتُهم ثُمالةَ بنَ أسلمَا

وكان أبو خراش إذا لقيهم فى حروبه أوقع بهم ويقول :

إليــك أمَّ ذِبّانْ ماذاكِ من حلْبِ الضّانْ(٢)

لكنْ مِصاع الفِتيانْ بكل لِيْنٍ حَرّانْ(٣)

خبر أخيه عروة وابنه خراش

قال : وأما عروةُ بنُ مرةَ وخراشُ بنُ أبى خراشٍ فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال ، وكانوا متجاورين ، فخرج عروةُ بنُ مرة وابنُ أبى خراش أخيه مغيرَيْنِ عليهم طمعا فى أن يظفروا من أموالهم بشىء ، فظفِرَ بهما الثماليون ، فأما بنو رِزام فنهوا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلا قتلَهما ، حتى كاد يكون بينهم شر ، فألقى رجل من القوم ثوبَه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عروة ، ثم قال له : انجُ ، وانحرَفَ القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل ، وكانوا أسلموه إليه ، فقالوا : أيْنَ خِراش ؟ فقال : أفْلَتَ منى ، فذهب ، فسعى القوم فى أثره ، فأعجزهم ، فقال أبو خراش فى ذلك يرثى أخاه عُروةَ ، ويذكر خَلاصَ ابنه :

---

(١) لا يفجر الله : لا يفجر بالله ، على حذف الخافض ، لا يجتويه : لا يكرهه . عام يمحل : سنة القحط ، يصف أخاه بالاستقامة والعطف على الجار .

(٢) الأبيات من منهوك المنسرح « مستفعلن مفعولات » ، أم ذبان : من الذبنة — بضم الدال — بمعنى ذبول الشفتين من العطش ، كأنه يكنى بأم ذبان عن شفتيه العطشيين ، يقول لشفته : إليك عن الرى ، لا تطلبيه فى الحرب ، فليس لبن الضأن يسقى فيها .

(٣) مصاع : من صاع الأقران : أنامهم من نواحيهم ، بكل لين « بتخفيف الياء » حران : لعله يقصد بكل سنان لدن عطشان إلى الدماء ، والمعنى — على ما يبدو لنا — ليس فى الحرب رى بماء أو لبن ، ولكنها مصارع الفتيان بكل سنان ظامىء إلى الدماء .

حمدتُ إلَهِى بعد عُروةَ إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشر أهونُ من بعض
فواللهِ لا أنسىَ قتيــلاً رُزِيتهَ بجانب قَوْسَى ما حييتُ على الأرض(١)
بلى إنها تَعفـو الـكلومُ وإنمـا نُوَكَّلُ بالأدنى وإن جلَّ ما يَمضِى
ولم أدرِ مَن ألقَى عليــه رداءهُ سوى أنه قد سُلَّ عن ماجِدٍ محضِ
ولم يكُ مثلوجَ الفؤاد مهبَّلاً أضاع الشبابَ فى الرَّبِيلَةِ والخفض(٢)
ولـكنهُ قد نازعتـــــه مَجاوِعٌ على أنه ذو مرة صدْق النهض(٣)

قال: ثم إن أبا خراش وأخاه عروة(٤) استنفرا حيًّا من هذيل يقال لهم بنو زُلَيفَةَ ابن صَبِيح ليغزوا ثُمَالَةَ بهم طالبَين بثأر أخيهما، فلما دنَوَا من ثمالة أصاب عروةَ وِرْدُ حُمَّى، وكانت به حُمَّى(٥) الرِّبْع فجعل عروة يقول:

أصبحتُ مورداً فترَبَّبُونى إلى سواد الحىِّ يَدْفِنونى
إنَّ زهيراً وسطَهم يَدعونى رَبَّ المَخاض واللِّقاحِ الجُون(٦)

---

(١) تـدم هذا البيت والبيتان اللذان بعده فى الترجمة نفسها .

(٢) مثلوج الفؤاد : كناية عن الدعة والخور ، والمهبل : من يقال له : هبلتك أمك ، بمعنى ثكلتك ، يعنى أنه لم يكن يجرؤ أحد على سبه . الربيلة والخفض : معناهما واحد ، هو الدعة والنعمة ، يصف المرثى بأنه كان يركب الأهوال.

(٣) ف : مخامص ، ذو مرة : ذو قوة ، صادق النهض : شجاع إذا نهض إلى الحروب

(٤) هنا اضطراب بين فى سياق الحديث ، ففيما سبق أن عروة قد قتل ، وهنا ما يفيد أنه ما زال حيا ، فلعل هذا الكلام رواية أخرى تتعلق به ، أو لعل ثمة تحريفاً بوضع عروة موضع عمرو ، والعجيب أن تتفق الأصول التى بين أيدينا على هذه الرواية .

(٥) حمى الربع : هى التى تصيب المريض يوماً وتدعه يومين ، ثم تعود اليه فى اليوم الرابع .

(٦) الجون : يريد رب الإبل التى فى لونها دهمة أى سواد .

فلبثوا إلى أن سكنتْ الحىّ ، ثم بَيَّتوا ثُمالةَ ، فوجدوهم خُلُوفا ليس فيهم رجال ، فقتلوا من وجدوا من الرجال ، وساقوا النساء والذرارىّ والأموال ، وجاء الصائح إلى ثُمالةَ عشاء ، فلحقوهم ، وانهزم أبو خراش وأصحابُه ، وانقطعت بنو زُليفة ، فنظر الأكنَعُ الثُّمالىّ — وكان مقطوعَ الأصبع — إلى عروة فقال : يا قوم ، ذلك والله عروة ، وأنا والله رامٍ بنفسى عليه ، حتى يموت أحدنا ، وخرج يمعج(١) نحو عروةَ ، فصاح عروة بأبى خراش أخيه : أى أباخراش ، هذا والله الأكنعُ وهو قاتِلى ، فقال أبو خراش : أمْضِه(٢) ، وقعد له على طريقه ، ومر به الأكنع مصمّما على عروة ، وهو لا يَعْلَم بموضع أبى خراش ، فوثب عليه أبو خراش ، فضربه على حبْلِ عاتقِه حتّى بلَغَت الضَّرْبة سَحَرَه(٣) ، وانهزمت ثُمالةُ ، ونجا أبو خراش وعروة . وقال أبو خراش يرثى أخاه ومَن قتلته ثمالةُ وكنانةُ من أهله ، وكان الأصمعىّ يفضّلها :

فَقَدْتُ بنى لُبْنَى فلما فقدتُهم ... صبَرتُ فلم أقطعْ عليهم أباجِلى(٤)

الأَبْجَلُ : عرق فى الرِّجل .

رماحٌ من الخطِّىِّ زُرْقٌ نِصالُها ... حِدادٌ أعاليها شِدادُ الأسافل
فلَهفِى على عمرِو بن مُرّةَ لهفةً ... ولَهفِى على ميْتٍ بقَوسَى المعاقل(٥)
حِسانُ الوجوه طيِّبٌ حُجُزاتُهم ... كريمٌ نثاهم غيرُ لُفٍّ مَعازلِ(٦)

(١) يمعج : يسرع .
(٢) أمضه : اجعله يمضى خلفك .
(٣) السحر : ما اتصل بالحلقوم من رئة وغيرها .
(٤) بنى لبنى ، يريد إخوته لأن اسم أمهم جميعا لبنى ما عدا سفيان .
(٥) يعنى بقتيل قوسى أخاه عروة ، كما مر .
(٦) حجزا جمع حجزة — بضم الحاء — وهى موضع التكة من السراويل ، وذلك كناية عن العفاف ، والنثا : الحديث ، لف : جمع ألف ، وهو الثقيل البطىء ، أو الفه العيى ، المعازل : المجردون من السلاح .

قتلتَ قتيلاً لا يُحالِفُ غَدْرَةً ولا سُبَّةً لا زِلتَ أسفلَ سافلِ(١)
وقد أمِنُونِى واطمأنَّتْ نفوسُهم ولم يعلموا كلَّ الذى هو داخلى
فمن كان يرجو الصلحَ منِّىَ فإنه كأحمرِ عاد أو كُلَيْبِ بن وائلِ(٢)
أُصيبتْ هُذيلٌ يا بن لُبْنَى وجُدِّعت أنوفُهُمُ باللَّوْذعىِّ الحُلاَحِلِ(٣)
رأيتُ بنى العَلاَّتِ لما تضافروا يَحوزون سَهْمِى دونَهمْ بالشَّمائلِ(٤)

أخبار اخوته

قالوا: وأما أبو الأسود فقتلته فَهْمٌ بَياتاً تحت الليل، وأما الأبَحُّ فكان شاعراً، فأمسى بدار بعَرْعَرَ من ضِيمٍ، فذكر لسارية بن زُنَيْمٍ العبدىِّ أحدِ بنى عبد بن عَدِىٍّ ابن الدِّيل، فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه، فوجدوهم قد ظعنوا. وكان بينَ بنى عبدِ بن عدى بن الدِّيل وبينهم حرب، فقال الأبَحُّ فى ذلك:

لعمرُكَ ساريَ بنَ أبِى زُنَيْمٍ لأنْتَ بعَرْعَرَ الثأرُ المنيمُ(٥)
تركتَ بنى معاويةَ بنِ صخرٍ وأنت بمَرْبَعٍ وهُمُ بضِيمِ(٦)
تُساقيهمْ على رَصَفٍ وظُرٍّ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ(٧)

---

(١) قتلت قتيلا: الخطاب لقاتل أحد إخوته، وقوله: «لازلت أسفل سافل» دعاء عليه.

(٢) يكنى بقوله: «كأحمر عاد أو كليب بن وائل» عن استبعاد الصلح واستحالة السلام.

(٣) اللوذعى: الخفيف الذكى، الحلاحل: السيد الشجاع، وجدعت أنوفهم كناية عن ذلهم واستكانتهم بعد موته.

(٤) بنو العلات: من أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة، ولعله يقصد بهم القبائل التى تضافرت عليه، وقتلت إخوته، يقول: إنهم حين تألبوا عليه لم تؤثر سهامه فيهم، بل تلقوها بأيديهم. الشمائل: كناية عن عدم الإصابة.

(٥) سارى: ترخيم سارية، عرعر: مكان، وقوله: «الثأر المنيم» يريد الثأر الذى إذا أدركه أهله ناموا واستراحوا، وفى ف «لأنت بعرعر الثاوى المقيم» ويبدو من السياق أن بنى معاوية المشار إليهم فى البيت التالى كانوا وتروا سارية، فخشيهم، ونام عن طلب الثأر.

(٦) فى هد «معاوية بن بكر» بدل «معاوية بن صخر»، ومربع، وضيم: مكانان متقاربان، يقول: تركتهم دون أن تثأر منهم، وهم عن كثب منك.

(٧) المراد بالمساقاة، المسالة والمصافاة، الأديم: الجلد، وحلم: أصابته الحلمة، وهى دودة تأكله، فإذا دبغ وَهَى موضع الأكل، والمراد أنك تصافيهم وتساقيهم على غش خشية بأسهم والبيت فى اللسان (رصف)

رَصَفٌ وظُرٌ : ماءان ، ومربع وضِيم : موضعان .

فلم نتركهُمُ قصداً ولـكنْ   فرِقْتَ من المصالِتِ كالنّجوم(١)
رأيتَهمُ فوارسَ غـيرَ عُزْلٍ   إذا شَرِقَ المُقاتِلُ بالـكُلومِ(٢)

فأجابه سارية ، فقال :

لعلك يا أُبَيَّ حسِبْتَ أنّى   قتلتُ الأسودَ الحسَنَ الـكريما
أخـذتمْ عقلَه وتركتُمُوه   يسوق الظُّمْىَ وَسْطَ بنى تميماَ(٣)

عيَّرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم ، وأنهم لم يدركوا بثأره ، وبنو تميم من هذيل .

قالوا : وأما جُنَادة وسفيان فماتا ، وقتل عمرو ، ولم يُسَمَّ قاتِلُه . قالوا : وأمهم جميعاً لُبْنَى إلا سُفَيان بن مرة ، فإن أمه أم عمرو القِرْدِيَّة ، وكان أَيْسَرَ القوم وأكثرَهم مالا .

وقال أبو عمرو : وغزا أبو خراش فهماً(٤) ، فأصاب منهم عجوزا ، وأتى بها منزل قومه ، فدفعها إلى شيخ منهم ، وقال : احتفظ بها حتى آتيك ، وانطلق لحاجته ، فأدخلتهُ بيتا صغيرا ، وأغلقت عليه ، وانطلقت ، فجاء أبو خراش ، وقد ذهبت ، فقال :

سَدَّتْ عليه دَوْلَجًا ثم يَمَّمَت   بنى فالجٍ بالليث أهلَ الخزائمِ(٥)

---

(١) فرقت : خفت ، المصالت : الشجعان .

(٢) عزل : جمع أعزل ، الكلوم : الجراح ، يريد أنك خشيت بأسهم ، لأنهم يجيدون استعمال السلاح فى الحروب التى يشرق فيها المحارب بالدم .

(٣) عقله : ديته ، الظمى : جمع ظمياء ، وهى الناقة القليلة لحم الفخذين ، كناية عن الهزال ، يقول له على سبيل التهكم : لست أنا قاتل أخيك الأسود ذى الحسب والنسب ، ولكن ابحث عن قاتله فى بنى تميم الذين تركتم لحم دمه ، واكتفيتم منهم بديته من الإبل العجاف .

(٤) فى ف « تميا » بدل « فهما » .

(٥) ضمير عليه يعود على الرجل الذى استودع العجوز ، وفاعل سدت ضمير العجوز .

الدولج : بيت صغير يكون للبُهْم ، والليث:ماء لهم ، والخزائم البقر واحدتها خَزُومَة .

وقال له : دَنِّخْ مكانَكَ إننى   سألقاكَ إن وافيتَ أهلَ المواسم

يقال : دَنّخَ الرجلُ ودمّخَ إذا أكبَّ على وجهه ويديه .

وقال أبو عَمْرو : دخلت أميمةُ امرأةُ عروَة بن مرة على أبى خِراش وهو يلاعب ابنه فقالت له : يا أبا خراش تناسَيْتَ عُروةَ ، وتركتَ الطلبَ بثأرة ، ولهوتَ مع ابنك ، أما والله لو كنت المقتول ما غفَل عنك ، ولطلب قاتلكَ حتى يقتلَه ، فبكى أبو خِراش ، وأنشأ يقول :

لعمرى لقد راعتْ أُميمةَ طلعَتى   وإنَّ ثَوائى عندها لقليلُ[(١)]

وقالت: أُراه بعد عُرْوة لاهِياً   وذلك رُزْءٌ لو علمْتِ جليلُ

فلا تحسبى أنى تناسَيْتُ فَقْدَهُ   ولكنَّ صبرى يا أُميمَ جميلُ[(٢)]

ألم تعلمِى أنْ قَدْ تفرّق قبلَنا   نديما صفاء مالكٌ وعقيلُ[(٣)]

أبى الصبرَ أنّى لا يزال يَهيجُنِى   مبيتٌ لنا فيما خلا ومَقيلُ[(٤)]

وأنى إذا ما الصّبحُ آنَسْتُ ضوءَه   يعاودنى قُطْعٌ علىّ ثقيلُ[(٥)]

---

(١) طلعتى فاعل راعت ، وأميمة مفعول ، وجملة المصراع الثانى حالية ، يقول : ظنت أنى نائم عن ثأر أخى ، ولم تعلم أنى أضمر ذلك ، ولن يطول مقامى معها .

(٢) فى المختار : « تحسبى أنى تناسيت عهده » .

(٣) مالك وعقيل هما نديما جذيمة الأبرش وبهما يضرب المثل فى التلازم طول الألفة ، وإليهما يشير متمم بن نويرة بقوله بعد أن قتل خالد بن الوليد أخاه مالك بن نويرة .

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(٤) الصبر مفعول ، والمصدر المؤول فاعل ، المبيت : موضع البيت ، المقيل : موضع القيلولة ، يقول : نفى الصبر عنى تذكر عشرته القديمة وطول مدتها ، وفى المختار : « أبى الصبر أنى لا أزال بمهجتى » .

(٥) القطع : انقطاع النفس وضيقه .

قال أبو عمرو : فأما أبو جُندب أخو أبى خراش فإنه كان جاور بنى نُفَاثَةَ ابن عدىّ بن الدِّيل حينا من الدهر ، ثم إنهم همّوا بأن يغدروا به ، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة ، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة ، وإذا به كُلُومٌ ، فقال له أبو جندب : مالك ؟ فقال : ضربنى رجل من جيرانك ، فأقبل أبو جندب ، حتى أتى جيرانَه من بنى نفاثة ، فقال لهم : ياقوم ، ماهذا الجِوار ؟ لقد كنت أرجو من جوارِكم خيراً من هذا ، أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا ؟ .

فقالوا : أو لم يكن بنو لحيان(١) ، يقتلوننا ، فوالله ما قَرّتْ دماؤنا ، وما زالت تَغلِى ، والله إنك للثأْرُ المُنيم (٢) ، فقال : أما إنه لم يُصِبْ أخى إلاَّ خَيْر ، ولكنما هذه معاتبة لكم ، وفَطِنَ للذى يريد القومُ من الغدر به ، وكان بأسفلِ دُفاق(٣) ، فأصبحوا ظاعنين ، وتواعَدُوا ماء(٤) ظَرٍّ ، فنفَذ الرجالُ إلى الماء ، وَأَخّروا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا ، واتخذوا الحِياضَ للإبل ، فأمر أبو جندب أخاه جُنادةَ وقال له : اسْرَح مع نَعَم القوم .

ثم توقَّفْ ، وتأخَّرْ ، حتى تمرّ عليك النَّعَم كلُّهَا ، وأنت فى آخرها سارحٌ بإبلك ، واتركها متفرقة فى المرعى ، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك ، واطرُدها نحو أرضنا ، ومَوعدُك نجد أَلْوَذَنِيَّة (٥) ، فى طريق بلاده ، وقال لامرأته أمّ زِنباع وهى من بنى كلب بن عوف : اظعَنِى وتمكَّثِى ، حتى تخرج آخر ظعينة من النساء ، ثم توَجَّهِى ، فموعدُك ثَنِيَّة يَدعانَ من جانب النخلة ، وأخذ أبو جندب دَلوه ،

(١) يشير ن إلى حادثة سيأتى ذكرها .
(٢) الثأر المنيم : الذى إذا أدرك استراح صاحبه ، ونام .
(٣) دفاق : مكان .
(٤) ظر : فى القاموس : ماء ، فى معجم البلدان : ماء ظرّاء « بالفتح المد »
(٥) فى هد « الودنية » وفى هج « الوثنية » ، والمثبت من ف .

وَورد مع الرجال ، فاتّخذ القومُ الحياض ، واتّخـذ أبو جندب حوضا ، فملأه ماء ، ثم قعد عنده ، فمرّت به إبل ثمّ إبل ، فكلّما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون : قد بلغتْ ، تركناها بالضَّجْن(١) .

ثم قدمت النسـاء كلما قدمت ظعينة سألها عن أهله ، فيقولون : بَلَغَتْكَ ، تركناها تظعن ، حتى إذا وَرد آخرُ النَّعم وآخرُ الظّعن قال : وَالله لقد حَبَس أهلى حابسٌ ، أَبْصِرْ يا فلان ، حتى أستأنِس أهلى وإبلى ، وطرح دلوه على الحوض . ثم ولىّ ، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم ، فقال أبو جندب فى ذلك :

أقول لأُمِّ زِنبـــاعٍ أَقيمى ... صُـدورَ العِيسِ شطرَ بنى تميم(٢)
وغَرَّبْتُ الدّعَاء وأَيْنَ مـنّى ... أُناسٌ بين مرّ وذى يَدومِ(٣)

غربت الدُّعَاء : دعوت من بعيد .

وَحَىٍّ بالمنـاقب قـد حَمَوْهـا ... لدى قُرَّانَ حتى بطنِ ضِيمِ(٤)
وأحياء لدى سـعْدِ بن بكر ... بأَمـلاحٍ فظـاهرةِ الأديم(٥)
أُولئكَ معشرى وهُمُ أرومى ... وبعض القوم ليس بذى أَروم(٦)
هنالِكَ لو دَعَوْت أَتَاكَ منهم ... رجالٌ مثل أرميـةِ الحَمِيمِ

الأَرْمِيَةُ : السحاب الشديد الوقع ، واحدها رَمِىّ ، والحَميم : مطر القيظ .

* أَقَـلَّ الله خَـيْرَهُم أَلَمَّا ... يَدَعْهُم بعضُ شرّهُمُ القـديم(٧)

---

(١) ف « الصحن » تحريف . والضجن : واد فى بلاد هذيل بتهامه .
(٢) العيس : الإبل ، يريد التوجه إلى بنى تميم .
(٣) مر ، وذو يدوم : مكانان بها آله وأنصاره .
(٤ ، ٥) المناقب ، قران ، بطن ضيم ، وأملاح ، وظاهرة الأديم : أمكنة أيضاً بها آله وأنصاره .
(٦) الأروم : أصل الشجرة ، واستعير لأصل الإنسان وحسبه .
(٧) أقل الله ... الخ : دعاء عليهم .

* ألمَّـا يَسلم الجيرانُ منهم   وقد سال الفِجاج من الغميم[١]
غداةَ كأنَّ جنَّادَ بن لُبنَى   به نضـخُ العبيرِ من الـكُلوم[٢]
دعا حَـوْلى نُفاثةُ ثم قالوا :   لعلك لستَ بالثـأْر المنيـم

المنيم : الذى إذا أُدْرِكَ استراح أهله وناموا .

نعوْا مَنْ قَتَّلَتْ لِحيَانُ منهم   ومن يغترُّ بالحرب القروم[٣]

قالوا جميعاً : وكان أبو جندب ذا شرٍّ وبأس ، وكان قومه يسمونه المشئوم ، فاشـتكى شـكوى شديدة ، وكان له جار من خزاعة يقالُ له حاطِم ، فوقعت به بنو لحيان ، فقتلُوه قبلَ أنْ يَسْتَبِلَّ[٤] أبو جندب من مرضه ، واستاقوا أُمواله ، وقتلوا امرأَته ، وقد كان أبو جُنْدب كلّم قومَه ، فجمعوا لجاره غنماً ، فلما أَفاق أَبو جندب من مرضه خرج من أهله ، حتى قدم مكة ، ثم جاء يمشى حتى استلم الركن ، وقد شق ثوبَه عن استه ، فعرف الناس أنه يريد شراً ، فجعلَ يصيح ويقول :

إنّى امرؤ أبـكى على جـاريَهْ   أبـكِى على الـكعبىِّ وَالـكعبيَّهْ[٥]
ولو هَـلـكتُ بَـكَيـا عـليَّهْ   كانا مكَان الثوب من حَـقْوَيَهْ[٦]

---

(١) الغميم : نوع مخصوص من اللبن ، أو من النبات ، ولعل المراد أنه إلى الآن يسيئون جيرانهم وقد كثر خيرهم ، وامتلأت فجاجهم بالنبات ، أو باللبن .

(٢) العبير : الكثير ، يقول : يسلم الجيران منهم غداة اعتدوا على أخيه جنادة ، فجاء والدم يسيل من جراحه الكثيرة .

(٣) نعوا ... الخ : يشير إلى حادثة ستأتى ، القروم : من القرم ، وهو شدة شهوة أكل اللحم ، يصف الحرب بالسعار ، ويحذرهم من ويلاتها وفى ف : « العدوم » بدل « القروم » .

(٤) يستبل : يتم شفاؤه .

(٥) الهاء من جاريه ، هاء السكت ، ولعله يعنى بالكعبى والكعبية جاره حاطما وامرأته . وتلك هى الحادثة التى أشار إليها فى شعره سابقاً .

(٦) الحقو : الخصر ، والهاء من « عليه » و « حقويه » هاء السكت .

فلما فرغ من طوافه ، وقضى حاجتَه من مكةَ خرج فى الخُلَعَاء من بكر وخزاعة ، فاستجاشهم على بنى لحيانَ ، فقتل منهم قتلى ، وسبى من نسائهم وذراريهم سَبَايا ، وَقال فى ذلك :

لقــد أمسَى بنو لِحْيَـان مـنّى بحمـد الله فى خِزْيٍ مُبـين
تركتهمُ على الرَّكَباتِ صُعْراً يُشِيبُون الذَّوائب بالأنـين[1]

يشكو إلى عمر فراق ابنه

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ ، قال : حدثنى عبد الرحمن ابنُ أخى الأصمعىّ قال : حدثنى عمى قال :

هاجر خِراشُ بن أبى خراش الهذلىّ فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وغزا مع المسلمين ، فأوغل فى أرض العدو ، فقدم أبو خراش المدينة ، فجلس بين يدى عمر ، وشكا إليه شوقَه إلى ابنه ، وأنه رجل قد انقرضَ أهلُه ، وقُتِل إخوته ، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خِراش ، وقد غزا وتركه ، وأنشأ يقول :

ألا مَن مُبلغٌ عنى خِراشـاً وقد يأْتيك بالنّبأ البعيــدُ
وقد يأتيكَ بالأخبار مَنْ لا تُجَهِّزُ بالحِــذاء ولا تُزِيدُ

— تُزِيد وتُزوِّد واحد ، من الزاد —

يُنــاديه ليَغْبِقَه كَلِيبٌ ولا يأتى ، لقد سَفُهَ الوليــدُ[2]

---

(١) صعرا : جمع أصعر ، والصعر : داء يصيب الإبل تلوى أعناقها منه استعاره للإنسان ، أوهو ميل فى أحد شق الجسم ، والمراد أنى أوقعت بهم على الركبات – اسم مكان – فأنوا أنينا يشيب الذوائب .

(٢) الكليب : من الكلب بمعنى الظمأ ، يغبقه : يسقيه مساء ، فاعل يناديه كليب ، والهاء من يناديه ضمير خراش ، أى ينادى أبو خراش الظامئُ خراشا ليسقيه اللبن مساء ، فلا يجيب ، وهذا سفه وعقوق منه .

فردَّ إناءه لا شىءَ فيــــه ... كأنّ دموعَ عينيه الفَريد (١)

وأصبحَ دون عابِقهِ وأمسى ... جبالٌ من حِرارِ الشام سُود (٢)

ألا فاعلم خِراشُ بأنّ خيرَ المهـا جر بعـد هجرته زهيد (٣)

رأيتك وابتغـاء البِرِّ دونى ... كمحصور اللَّبان ولا يصيد (٤)

قال : فكتب عمر رضى الله عنه بأنْ يُقْبِل خراش إلى أبيه ، وألا يغزوَ من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذَنَ له .

مصرعه

أخبرنى حبيبُ بن نصر المهلبىّ ، قال : حدثنا عمر بن شبةَ : قال: حدثنا الأصمعىّ . وأخبرنى حبيبُ بن نصر ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا علىّ ابن الصبّاح ، عن ابن الكلبىّ ، عن أبيه .

وأخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ الخزاعىّ قال : حدثنا أبو غسّانَ دمَاذُ : قال أبو عبيدة : وأخبرنى أيضا هاشم ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ، عن عمه ، وذكره أبو سعيد السكرىّ فى رواية الأخفش عنه عن أصحابه ، قالوا جميعا :

أسلم أبو خراش فحسُن إسلامه ، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدِمُوا حُجّاجاً ، فنزلوا بأبى خراش والماء منهم غير بعيد ، فقال : يابنى عمى ، ما أمْسَى عندنا ماء ، ولكن هذه شاة وبُرمة وقِربة ، فرِدُوا الماء ، وكلوا شاتكم ، ثم دَعُوا بُرْمتَنا وقِربتنا على الماء ، حتى نأخذها ، قالوا : والله ما نحن بسائرين فى ليلتنا هذه ، وما نحن ببارحين حيث أمسينا ، فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قِربته ، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استَقى ، ثم أقبل

(١) فاعل « رد » ضمير كليب ، والفريد : اللؤلؤ ، شبه الدمع باللؤلؤ فى الصفاء .

(٢) الماء من « عابقه » تعود على كليب : أبى خراش . حرار : جمع حرة ، الأرض فيها حجارة سوداء ، أى أصبح بين أبى خراش وساقيه — يعنى خراشا — جبال ...

(٣) يقول له : إن جهادك فى سبيل الله مع تركى زهيد الأجر .

(٤) اللبان : موضع اللبب من الصدر ، والمحصور : المشدود ، يقول : إنك حين تبتغى الأجر بجهادك تاركاً أباك كمن يريد الصيد ، وهو مكتوف . ويروى : « كمخضوب اللبان »

صادراً ، فنهشته حية قبل أن يصل إليهم ، فأقبلَ مُسْرِعاً حتى أعطاهم الماء ، وقال : اطْبخوا شاتَكم وكلوا ولم يُعلِمهم بما أصابه ، فباتوا على شاتهم يأكلونَ حتى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش فى الموت ، فلم يبرحوا حتّى دفنوه ، وقال وهو يعالج الموت :

لعمرُكَ والمنايا غالباتٌ على الإنسان تطلُع كلَّ نجدِ
لقد أهلكتِ حيّةَ بطنِ أنفٍ على الأصحاب ساقاً ذاتَ فقد(١)

وقال أيضا :

لقد أهلكتِ حيةَ بطن أنفٍ على الأصحاب ساقاً ذاتَ فضلِ
فما تركتْ عدوًّا بين بُصْرَى إلى صنعاء يطلبُهُ بذَحْلِ(٢)

قال : فبلغ عُمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه خَبرُه ، فغضب غضبا شديدا ، وقال : لولا أن تكون سُنّة لأمَرْتُ ألاّ يُضافَ يمانٍ أبدا ، ولكتبت بذلك إلى الآفاق . إن الرجل ليَضيف أحدَهم ، فيبذل مجهودَه فيسخَطُه(٣) ولا يقبله منه ، ويطالبُه بما لا يقدر عليه ، كأنه يطالبه بدين ، أو يَتَعَنَّته ليفضَحَه ، فهو يكلفه التكاليف ، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلا مسلما ، وقتله ، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبى خراش فيُغرِّمَهم دِيَتَه ، ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم جزاء لأعمالهم .

---

(١) أنف : مكان ، وحية منادى محذوف منه حرف النداء ، ويريد بقوله : « ذات فقد » أن ساقه عداءة يترك فَقْدُها فراغاً لا يسد .

(٢) الذحل : الثأر ، وليس المراد أنه لم يترأحدا بين بصرى وصنعاء ، فيطالبه بالترة ، بل المراد أنه قضى على الموتور والواتر معاً ، حتى لم يعد هناك من يطالبه بثأر ، أو المراد أنه أخذ كل ثأر ، فلم يبق من يطالبه أبو خراش بثأر .

(٣) يسخطه من سخط الثلاثى : سخط عليه .

صــــوت

تَهِيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى　　سواها ولا يُنسيك نَأْىٌ ولا شُغلُ(١)
كبيضةِ أُدحىٍّ بميثٍ خميلةٍ　　يحفّفها جَوْنٌ بجؤجؤه صَعْلُ(٢)

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة ، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى ، عن ابن المكى .

(١) ولا المنى سواها : لا متمنى لك إلا هى .
(٢) الأدحى : مبيض النعام . وميث خميلة : خميلة ممطورة ، والجون : الأسود أو الأبيض (ضد). والجؤجؤ : عظم الصدر ، والصعل : الطويل . يشبه حبيبته ببيضة نعامة تحضنها أمها فى خميلة مخضلة .

أخبار ابن داره ونسبه(*)

نسبه

هو عبد الرحمن بن مُسافِع بن دارة ، وقيل : بل هو عبد الرحمن بن رِبْعِىّ بن مسافع ابن دارة ، وأخوه مسافع بن دارة ، وكلاهما شاعر ، وفى شعريهما جميعا غناء يُذكرها هنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضا وفى بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين . فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام . وأما هذان فمن شعراء الإسلام ، ودارة لقب غلب على جدّهم ، ومسافع أبوهم ، وهو ابن شُرَيْح بن يربوع الملقب بدارةَ بنِ كعب بن عدىّ بن جُشَمَ بن عوف بن بُهْثَةَ بن عبد الله بن غطفان ابن سعد بن قيس عيلان بن مضر . وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن فى حبس السّمهرىّ العكلىّ اللص وقتلِه وكان نديما له وأخًا .

يستعدى قومه عكلا على بنى أسد

أخبرنى بخبره هاشمُ بن محمد الخزاعىّ ، قال : حدثنا أبو غسان دماذٌ ، عن أبى عبيدة قال: (١ لما أُخِذ السمهرىّ العكلىّ وحُبِس وقُتِل ، — وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديما لعبد الرحمن بن مسافع ابن دارة ، فقتِل بعد طول حبس — فقال ١) عبد الرحمن بن مسافع يهجو بنى أسد ويُحرّض عليهم عُكلاً .

صــــوت

إن يُمْسِ بالعينين سُقْمٌ فقد أتى لعينيكَ من طول البكاء على جُمْلِ(٢)
تهيمُ بها لا الدّهرُ فانٍ ولا المنى سواها ولا تُسْلِى بنأىٍ ولا شُغُلِ(٣)

(*) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق ، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة .
(١–١) كذا بالأصول ، ولعل من الخير حذف لما ، أو حذف الفاء من قوله : فقال عبد الرحمن .
(٢) البيت من الطويل دخله الخرم ، وفاعل أتى ضمير سقم .
(٣) تقدم هذا البيت فى « صوت » والعجيب أنه ورد هو وما بعده مرفوعين ، ووردا هنا مجرورين كسائر أبيات القصيدة .

كبيضــة أُدحىٍّ بميْثٍ خميــلةٍ ... يُحَفِّفُها جَوْن بجُؤجُؤه الصَّعلِ (١)
وما الشمسُ تبدو يومَ غيمٍ فأشرقَتْ ... على الشّامة العنقاء فالنِّير فالذبْلِ (٢)
بها حاجبٌ منهَا وضنَّتْ بحاجب ... بأحسن منها يوم زالت على الحمْلِ (٣)
يقولون : إزْلْ حُبَّ جُمْلٍ وقُرْبَها ... وقد كذبوا مافى المودة من إزلِ (٤)
إذا شحَطتْ عنّى وجدتُ حرارة ... على كبِدى كادت بها كَمَداً تغلى (٥)
ولم أرَ محزونَين أجمـلَ لوعـةً ... على نائبات الدهر مِنِّى ومن جُمل
كلانا يذود النفسَ وهْى حزينـة ... ويُضمِرُ وجداً كالنوافذ بالنبـلِ (٦)
وإنى لمبْلِى اليأسِ من حُبّ غيرها ... فأمّاً على جُمْـلٍ فإنِّىَ لا أُبلى (٧)
وإنَّ شـفاء النفس لو تُسْعِفُ المنى ... ذواتُ الثنايا الغُرِّ والحدَقِ النُّجلِ
أُولئك إن يَمْنَعْنَ فالمنعُ شِـيمةٌ ... لهنَّ وإنْ يُعْطِينَ يُحْمدن بالبذلِ
سأمسِك بالوصل الذى كان بيننـا ... وهل تركَ الواشون والنأىُ من وصل (٨)
ألا سَـقِّيَانِى قهـوةً فارسـيةً ... من الأوّل المختوم ليست من الفضل (٩)

---

(١) انظر شرحه فى « صوت » .

(٢ ، ٣) الشامة : أرض بها علامة سوداء ، عنقاء : طويلة العنق ، أى مرتفعة ، النير والذَّبْل : من جبال ضرِيّة . وخبر ما قوله : بأحسن منها ، زالت : رحلت ، يقول : ما الشمس تطلع يوم غيم بحاجب ، وتختفى بحاجب بأجمل من محبوبته جمل ، وقد حملت على محمل ناقتها .

(٤) ف : «يقولون إزل حب جمل وتربها» .

(٥) ف ، هد : «كادت بها كبدى تغلى» .

(٦) كالنوافذ : كالسهام النوافذ .

(٧) إبلاء اليأس من الحب معناه الرجاء ، فكأنه يقول : لا أمل فى وصل جمل ، أما وصل غيرها فمدرك سهل المنال .

(٨) سأمسك بالوصل : سأذكر أيام الوصل ، وأعيش على ذكراها ، وإن كان الواشون والنأى عفيا على هذه الأيام .

(٩) من الأول المختوم : يعنى الدن الأول المعتق .

تُنتَى ذوى الأحلامِ واللبِّ حلمَهم … إذا أزبدت فى دَمِّهَا زَبدَ الفحـلِ (١)

ويا راكبًا إمّا عرضـت فبلِّغَـنْ … عَلَى نأْيهم منّى القبائلَ من عُـكل

بأنّ الذى أمست تجمجم قَعَسٌ … إسارٌ بلا أسْرٍ وَقتلٌ بلا قتل (٢)

وكيف تنام الليلَ عُـكلٌ ولم تنَل … رِضَى قوَدٍ بالسَّمهرىّ ولا عقـل ؟ (٣)

فلا صلحَ حتى تَنْحِط الخيلُ فى القنا … وتوقدَ نارُ الحرب بالحطب الجزل (٤)

وَجُرْدٍ تَعادَى بالـكماة كأنهـا … تُلاحِظ من غيظٍ بأعينهَا القُبْـل (٥)

عليها رجال جالدوا يوم مَنْعِـجٍ … ذوى التاج ضربًا بو الملوكِ على الوَهل (٦)

بضربٍ يُزيل الهامَ عن مستقرِّه … وطعنٍ كأفواه المفرَّجة الْهُدْل (٧)

علامَ تُمشَّى فقعسٌ بدمائـكم … وما هى بالفرْع المُنيفِ ولا الأصل ؟ (٨)

وكنّا حسِبنا فقعسًا قبل هـذه … أذلَّ على وقع الهوان من النّعْل

فقد نظرتْ نحو السماء وسلّمت … على الناس واعتاضت بخِصْبٍ من المحلِ

---

(١) زبد الفحل : يريد ما يخرج من فم الفحل من الإبل من اللغام .

(٢) الجمجمة : إخفاء ما فى النفس ، أو الإهلاك ، يريد أن فعل قبيلة فقعس بالسمهرى حليفه إسار بلا موجب للإسار ، وقتل بلا موجب للقتل ، أى اعتداء صارخ .

(٣) عكل : قبيلته التى يستصرخها ، والعقل : الدية .

(٤) نحطت الخيل : زفرت وصاتت من الإعياء .

(٥) وجرد : وخيل جرد بالعطف على حطب ، والحصان الأجرد : القصير الشعر ، تعادى : أصله تتعادى بمعنى تعدو ، بأعينها القبل : التى فيها قبل ، والقبل — بفتح القاف والباء — هو الحول .

(٦) يوم منعج : يوم من أيامهم ، وفى ف : « يوم شفَّج » . الوهل : الفزع ، يريد أن ركاب هذه الخيل مجربون خاضوا حرب منعج ضد الملوك فأفزعوهم .

(٧) المفرجة الهدل : القرب المخرقة التى تهدلت شفاهها ، أى استرخت ، وذلك كناية عن سعة مواضع الطعن .

(٨) تمشى بدمائكم : تذهب بها بلا قود ، المنيف : العالى المرتفع .

رمى الله فى أكبادكم أن نجت بها … شِعابُ القنان من ضعيفٍ ومن وَغْل(١)
وإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكم … فكونوا نِساءً للخَلوق وللكُحْلِ(٢)
وبيعوا الرّدينيات بالحَلْى واقْعدُوا … على الذلّ وابتاعوا المغازل بالنّبل(٣)
ألا حبّذا من عندَهُ القلبُ فى كَبْلٍ … ومَنْ حُبّه داءٌ وخَبْلٌ من الخبل(٤)
ومَن هو لا يُنسَى ومَنْ كلُّ قولِه … لدينا كطعم الراح أو كجَنَى النّحل
ومن إن نأى لم يحدث النأىُ بُغضَه … ومن إن دنا فى الدار أَرْصَدَ بالبَذْلِ(٥)

وأمّا خبر السمرىّ ومقتلُه فإن علىَّ بنَ سليمانَ الأخفشَ أخبرنى به قال: حدثنا أبوسعيد السّكّرىُّ قال: حدثنا محمدُ بن حبيبٍ، عن أبى عمْرٍو الشيبانىِّ قال:

خبر السمهرى مع نديمه ومصرعه

لقِى السّمهرىُّ بن بشر بن أُقَيْشَ(٦) بن مالك بن الحارث بن أُقيشَ العكلى ويكنى أبا الديل هو وبهدلٌ ومروَانُ بن قرفة الطائيان عونَ بن جعدةَ بن هبيرة بن أبى وَهْبِ ابن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ومعه خالُه: أحدُ بنى حارثةَ بن لأم من طيءٍ بالثعلبية، وهو يريد الحج من الكوفة، أو يريد المدينة، وزعم آخرون أنهم لقُوه بين نخل والمدينة، فقالوا له: العُراضة، أى مر لنا بشىء فقال: يا غلامُ(٧)، جفِّنْ لهم، فقالوا: لا والله، ما الطعام

(١) القنان: جمع قنة، وهى ما ارتفع من الجبل ونحوه، والوغل: النذل الساقط، يدعو على قومه بأن يصابوا فى أكبادهم إن تركوا هؤلاء القوم الضعاف الساقطين يتحصنون منهم فى شعاب الجبال.
(٢) الخلوق: نوع من الطيب.
(٣) الردينات: الرماح المنسوبة إلى ردينة، وهى امرأة كانت صناعا فى إعدادها.
(٤) البيت مصرع، ولذلك جاء بعروضة غير مقبوضة، والكبل: الأسر، وهنا يعود الشاعر إلى الغزل بحبيبته، فيختم به قصيدته، كما بدأها به.
(٥) أرصد بالبذل: كوفئ ببذل الود ونحوه.
(٦) فى ف، هد «بشر بن أويس».
(٧) جفن لهم: املأ الجفنة لهم طعاما.

نريد ، فقال : عرِّضْهم[1] ، فقالوا : ولا ذلك نريد ، فارتاب بهم ، فأخذ السيف فشدَّ عليهم ، وهو صائم ، وكان بَهْدَل لا يسقط له سهم ، فرمى عونًا فأقصده ، فلما قتلوه ندموا ، فهربوا ، ولم يأخذوا إبلَه ، فتفرقت إبلُهُ ، ونجا خالُه الطائى ، إما عرفوه فكفوا عن قتله ، وإما هرب ولم يعرف القَتَلة ، فوجد بعضَ إبله فى يدى شافع بن واتر الأسدىّ .

وبلغ عبدَ الملك بن مروان الخبرُ فكتب إلى الحجاج بن يوسف ، وهو عاملُه على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل ، وهو عامله على المدينة ، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عَوْن ، ويبالغوا فى ذلك ، وأن يأخذوا السُّعاة به أشد أخذ ، ويجعلوا لمن دَلّ عليهم جُعلَه[2] ، وانْشَام[3] السمهرىّ فى بلاد غطفان ما شاء الله .

ثم مرّ بنخل ، فقالت عجوز من بنى فزارة : أظن والله هذا العكلىّ الذى قتل عونًا ، فوثبوا عليه ، فأخذوه ، ومر أيوب بن سلمة المخزومىّ بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العُكلىّ قاتل عون ابن عمك ، فأخذه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومى عاملَ عبد الملك على المدينة ، فجحد وأبى أن يقرّ ، فرفعه إلى السجن فحبسه .

وزعم آخرون أن بنى عُذرة أخذوه فلما عُرِفت إبلُ عون فى يدى شافع بن وَاتِر اتهموه بقتله ، فأخذوه ، وقالوا : أنت قِرفتُنا[4] ، قتلتَ عونا ، وحبسوه بصلّ : ماء لبنى أسد ، وجَحَد ، وقد كان عرف مَنْ قتله ، إما أن يكون كان معهم ، فورّى عنهم ، وبرأ نفسه ، وإما أن يكون أودعوها إياه ، أو باعوها منه ، فقال شافعٌ :

(١) عرضهم : من العراضة بمعنى الهدية .
(٢) الجعل : المكافأة ونحوها .
(٣) انشام فى بلاد غطفان : دخل فيها .
(٤) القرفة : من تتهمه بشىء .

فإن سرّكم أن تعلموا أين ثأركم فسلمى معانٌ وابن قرفة ظالم[1]
وفى السجن عُكلىٌّ شريك لبهدل فولوا ذُباب السّيف من هو حازم[2]
فوالله ما كنا جُناةً ولا بنا تأوّب عونا حتفُه وهو صائم[3]

فعرفوا مَن قتلَه ، فألحوا على بهدل فى الطلب ، وضيقوا على السمهرى فى القيود والسجن ، وجَحَد ، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهرىّ أيقنت نفسُه أنه غير ناج ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب ، وقد شُغِل الناس بالصلاة فكّ إحدى حلقتىْ قيده ، ورمى بنفسه من فوق السجن ، والناس فى صلاتهم ، فقصد نحو الحرة ، فولج غاراً من الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة علمتهم أتباعه ، وغلقوا أبوابهم ، وقال لهم الأمير : اتّبعوه فقالوا : وكيف نتبعه وَحْدَنا ، فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟ فقالوا : أرسل معنا الأُبلّيِّين ؛ وهم حرس وأعوان من أهل الأُبُلّة ، فأعجزهم الطلبُ ، فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى ، ثم همَس[4] ليلته طَلَقا ، فأصبح وقد قطع أرضا بعيدة ، فبينا هو يمضى إذ نَعَب غراب عن شماله ، فتطيّر ، فإذا الغراب على شجرة بانٍ يُنَشْنِش[5] ريشَه ، ويلقيه ، فاعتاف[6] شيئا فى نفسه ، فمضى ، وفيها ما فيها ، فاذا هو قد لقِى راعياً فى وجهه ذلك ، فسأله : من أنتَ ؟ قال: رجل من لِهْب من أزْد شنوءة أنتجع أهلى ، فقال له : هلْ عندكَ شىءٌ من زَجْر قومِك ؟ فقال : إنى لآنس من ذلك شيئاً أى

(١) فى ف ، هد « فسلمى معاد » .
(٢) «حازم» كذا فى س ، وفى ف « حارم » والذى نرجحه أن هذا وذاك من قبيل التصحيف ، والصواب « جارم » بمعنى مذنب .
(٣) تأوبه حتفه : أصابته منيته .
(٤) همس : سار بالليل بلا فتور .
(٥) نشنش الطائر ريشه : نتفه نتفا خفيفا بمنقاره ، وطيره فى الهواء .
(٦) اعتاف : من الاعتياف ، وهو زجر الطير للتفاؤل أو التطير ، والمراد هنا التطير .

لأبصر ، فقص عليه حاله غير أنه وَرَّى(١) الذَّنْبَ على غيره والعيافة ، وخَبَّرَهُ عن الغراب والشجرة ، فقال اللّهبيّ : هذا الذى فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يَطرحُ ريشه سَيُصْلَب ، فقال السهمىّ : بفيك(٢) الحجر ، فقال اللهبى : بل بفيك الحجر ، استخبرتنى فأخبرتك ثم تغضب . ثم مضى حتى اغترز فى بلاد قضاعة ، وترك بلاد غطفان (٣) وذكر بعض الرواة أنه توقف يومه وليلته فيما يعمله ؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار(٣) . حتى أتى أرض عُذرةَ بنِ سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلب الرعيان اللبنَ ، فيحلبون له ، ولقيَه عبدُ الله الأحدب السعدىّ : أحدُ بنى مخزوم من بنى عبد شمس ، وكان أشدَّ منه وألصَّ ، فجنى جناية ، فَطُلِبَ ، فترك بلادَ تميم ، ولحق ببلاد قضاعة ، وهو على نجيبة لا تُسايَرُ ، فبينا السهمى يماشى راعيا لبنى عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ، ويسأله السهمىُّ عن ذلك — وإنما يسأله عن أنجاهُنَّ ليركبها ، فيهربَ بها ، لئلا يفارق الأحدب — أشار له إلى ناقة ، فقال السهمى : هذه(٤) خير من التى تفضلها ، هذه لا تجارى ، فتحيَّن الغفلة ، فلما غفل وثب عليها ، ثم صاح بها فخرجت تطير به ، وذلك فى آخر الليل ، فلما أصبحوا فقدُوها ، وفقدوه ، فطلبوه فى الأثر . وخرجا(٥) حتى إذا كان حَجْرٌ عن يسارهما ، وهو واد فى جبل ، أو شِبه الثقب فيه استقبلتهما سَعَةٌ هى أوسع من الطريق ، فظنا أن الطريق فيها ، فسارا مليا فيها ، ولا نجم يأتمان به ، فلما عرفا أنهما حائِدان ، والتفت عليهما الجبال أمامهما ، وجدّ الطلبُ إثر بعيريهما ، ورواه وقد سلك الثقب فى غير طريق عرفوا أنه سيرجع ، فقعدوا له(٦) بفم الثقب ثم كرا راجعين ،

---

(١) ورى : يعنى أنه كان ينسب أفعاله إلى غيره بقصد التعمية عن المخاطب .

(٢) بفيك الحجر : جملة دعائية يسب بها مخاطبه .

(٣-٣) تكملة من هد ، هج .

(٤) هذه : إشارة إلى ناقة أخرى غير التى اختارها الراعى .

(٥) ضمير « خرجا » يعود على السهمى والأحدب .

(٦) له : السهمى ، وإنما أفرد الضمير هنا مع أن الحديث عن اثنين — السهمى والأحدب — لأن الأول هو المطلوب للقوم .

وجاءت الناقة ، وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامها ، فلما أبصر القومَ همَّ أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ماهذا جزاؤها. فنزل ، ونزل الأحدب ، فقاتلهما القومُ ، حتى كادوا[1] يغشَوْن السّمهريَّ فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم ، حتى توقلا فى الجبل ، وفى ذلك يقول السّمهرىّ يعتذر من ضلاله :

وما كنتُ مِحْيَارًا ولا فزِعَ السُّرَى ولكن حِذَا حِجْرٍ بغيرِ دليل[2]

وقال الأحدب فى ذلك :

لمّا دعانى السمهرىُّ أجبتُه بأبيضَ من ماء الحديد صقيلِ
وما كنتُ ما اشتدّتْ على السّيفِ قبضتى لأُسْلِمَ من حُبِّ الحياة زميلى

وقال السّمهرىّ أيضا :

نجوتُ ونفسى عند ليلى رهينةٌ وقد غمّنى داجٍ من الليل دامسُ[3]
وغامسْتُ عن نفسى بأخلقَ مِقصلٍ ولا خيرَ فى نفس امرىء لا تُغَامِسُ[4]
ولو أنّ ليلَى أبصرتنِىَ غدوة ومَطْوَاىَ والصفَّ الذين أُمارس[5]
إذاً لبكت ليلَى علىّ وأعولت وما نالت الثوبَ الذى أنا لابس[6]

فرجع إلى صحراء مَنعج ، وهى إلى جنب أُضاخَ ، والحلّة قريب منها ، وفيها منازل عُكل ، فكان يتردد ولا يقرب الحلة ، وقد كان أُكْثِر الجُعْلُ فيه ، فمرّ بابنى فائد

(١) يغشونه : يريد يغشونه بسيوفهم ، أى يضربونه بها .
(٢) ولكن حذا حجر : ولكن حذوت حذا حجر بغير دليل ، أى مشيت بحذائه ، فأضلنى ، وحجر : الوادى الذى لم يستطيعا النفاذ منه ، وإسناد الفزع إلى السرى مجاز .
(٣) غمنى : غطى على ، دامس : مظلم .
(٤) غامست : خضت الحرب ، بأخلق مقصل : بسيف قاطع .
(٥) مطوىّ : اسم مكان من طوى ، يعنى المكان الذى أقطعه ، والصف : الجمع ، الذين أمارس : الذين أعانى حربهم .
(٦) هذا البيت جواب « لو » فى البيت السابق .

ابن حبيب من بنى أسد ، ثم من بنى فَقْعس فقال : أجيرًا متنكرا ، فَحلبا له ، فشرب ومضى لا يعرفانه ، وذهبا ، ثم لبث السمهرى ساعة ، وكرّ راجعاً فتحدث إلى أخت ابنى فائد ، فوجداه منبطحا على بطنه يحدثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدَّحة[(١)] ، وإذا كدوحٌ طريَّةٌ ، فأخبر أخاه بذلك ، فنظر ، فرأى ما أخبره أخوه ، فارتابا به ، فقال أحدهما : هذا والله السمهرىّ الذى جُعِل فيه ما جعل ، فاتفقا على مضابرته[(٢)] ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهرى ، فألقى الذى على ظهره ، وقال : أتلعبان ؟ وقد ضبطَ رأسَ الذى كان على ظهره تحت إبطه ؛ وعالجه الآخر ، فجعل[(٣)] رأسَه تحت إبطه أيضاً ، وجعلا يعالجانه ، فناديا أُختهما أن تعينهما ، فقالت : أَلِيَ الشِّرْكُ فى جُعْلكما ؟ قالا : نعم ، فجاءت بجرير[(٤)] فجعلته فى عنقه بأنشوطه ثم جذبته ، وهو مشغول بالرَّجُلين يمنعهما ، فلما استحكمت العقدة ، وراحت من عَلاَبيِّه[(٥)] خلى عنهما ، وشد أحدُهما ، فجاء بِصِرار[(٦)] ، فألقاه فى رجله ، وهو يداور الآخر ، والأخرى تخنقه ، فخرّ لوجهه ، فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المُرِّىّ ، وهو فى إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذِه ، فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخى عون : عدى ، فدُفِعَ إليه ، فقال السمهرىّ : أتقتلنى وأنت لا تدرى أقاتل عمك أنا أم لا ؟ ادنُ أُخبرْك ، فأراد الدّنوّ منه ، فنودى : إياكَ والكلبَ ، وإنما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله بعمه . ولما حبسه ابن حيّان فى السجن تذكر زَجْر اللِّهبىّ وصدقَه ، فقال :

أَلا أيها البيتُ الذى أنا هاجِرُه   فلا البيتُ منسىٌّ ولا أنا زائِرُهْ

---

(١) مكدحة : ذات خدوش وسحجات .
(٢) مضابرته : من ضبر الشىء ضبرا بمعنى جمعه وشده ، أى اتفقا على شد وثاقه .
(٣) فاعل جعل ضمير السمهرى ، والهاء من رأسه تعود على ابن فائد الثانى .
(٤) بجرير : بحبل .
(٥) العلابى : أعصاب العنق .
(٦) الصرار : ما يشد به خلف الناقة .

ألا طرقت ليلَى وساق رهينــةٌ … بأشهبَ مشدودٍ علىّ مَسامرُه(١)
فإن أنجُ يا ليلى فربّ فتًى نجا … وإن تَـكنِ الأخرى فشىءٌ أحاذره
وما أصْدَقَ الطيْرَ التى بَرِحت لنا … وما أعيفَ اللّهِبىّ لا عزَّ ناصرُه(٢)
رأيتُ غُرابا ساقطا فوق بانة … ينشنشُ أعـلى ريشه ويُطـايره(٣)
فقال غرابٌ باغترابٍ من النوى … وبانٌ ببَيْنٍ من حبيبٍ تُحاذره(٤)
فــكان اغترابٌ بالغراب ونِيــةٌ … وبالبان بَيْنٌ بَيّنٌ لك طائرُه(٥)

وقال السّمهرى فى الحبس يُحرض أخاه مالـكا على ابنى فائد :

فمن مُبلغٌ عنّى خليلىَ مالـكاً … رسالة مشــدود الوَثاق غريبِ
ومن مبلغٌ حَزْما وتيْماً ومالـكاً … وأربابَ حامِى الحفر رهطِ شبيبِ
ليُبْـكوا التى قالت بصحراء مَنْعِج … لِىَ الشِّركُ يا بنى فائدِ بن حبيب(٦)
أتضرب فى لحيى بسهم ولم يكن … لها فى سهـام المسلمين نَصيبُ(٧)

(١) بأشهب ... الخ : يعنى القيد ، ومسامره نائب فاعل مشدود ، والمراد بليلى هنا طيفها .

(٢) برحت : مرت شمالا ، ما أعيف اللهبى : ما أمهره فى زجر الطير ، لا عز ناصره : جملة دعائية .

(٣) ينشنش أعلى ريشه : ينتفه بمنقاره نتفا خفيفا .

(٤) يريد أن الغراب الذى رآه نذير الغربة ، وأن البان نذير البين .

(٥) نية : من نوى بمعنى بعد وانتقل .

(٦) ليبكوا : من أبكى الرباعى ، يريد من أشياعه أن يثكلوا هذه المرأة التى شدت وثاقه ، وشاركت أخويها فى جمله .

(٧) يقصد التعجب من أن تسهم هذه المرأة فى جمله ، مع أن المرأة ليست بذات نصيب فى الجهاد وغيره من الحروب .

وقال السمهرىّ يرقّق بنى أسد :

تمنّتْ سُليمَى أن أَقِيلَ بأرضها وأنّى لسَلْمَى وِيْبَهَا ما تمنّتِ[١]
ألا ليتَ شعرى هل أزورَنّ ساجِراً وقد رَوِيَت ماءَ الغوادى وعلّت[٢]
بنى أسد هل فيكمُ من هَوادةٍ فتَغْفِرَ إن كانتْ بى النعل زَلّتِ[٣]

وبنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن مَحْكان السعدىّ .

وقال السمهرىّ فى الحبس يذم قومه :

لقد جمع الحدّادُ بين عِصابة تسائل فى الأقياد ماذا ذُنوبُها ؟[٤]
بمنزلة أمّا اللئيمُ فشَامِتٌ بها وكِرامُ القوم بادٍ شحوبُها[٥]
إذا حَرَسِىٌّ قعقعَ البابَ أُرْعِدَتْ فرائصُ أقوامٍ وطارت قلوبُها[٦]
ألا ليتنى من غير عُكلٍ قبيلتى ولم أدرِ ما شُبّانُ عُكلٍ وشِيبُها ؟
قبيلة « مَنْ » لا يقرع البابَ وفدُها لخير ولا يَهْدِى الصوابَ خطيبُها[٧]

---

(١) ويبها : ويحها .

(٢) ساجر : مكان باليمامة يحن إليه .

(٣) فاعل تغفر ضمير الهوادة ، أو ضمير القبيلة — بنى أسد — على أن فى الكلام التفاتا .

(٤) جمع الحداد ... الخ : يعنى القيود التى صنعها لهؤلاء المساجين .

(٥) كنى بالشحوب البادى عن الشفقة والرثاء لهؤلاء المساجين .

(٦) الحرسى : من يطلق عليه الآن رجل الشرطة ، الفرائص : جمع فريصة ، وهى عضلة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع ، والبيت فى وصف حال السجين .

(٧) « قبيلة لا يقرع لها الباب ... الخ » كذا بالأصول ، وقد زدنا كلمة من بعد قبيلة ، وهى زيادة لازمة لإقامة الوزن والمعنى معا ، وربما كانت « قبيلتنا » وعلى تصويبنا يكون المعنى : قبيلة رجال لا يأتى وفدها بخير ، ولا يهدى خطيبها إلى صواب .

نرى الباب لا نَسطيع شيئا وراءه كأنّا قُنِيٌّ أسلَمتْها كُعوبُها[١]
وإن تكُ عُـكلٌ سرّها ما أصابنى فقد كنتُ مصبوباً على ما يَرِيبها[٢]

وقال السمهرىُّ أيضا فى الحبس :

ألا حىِّ ليلَى إذ ألَمَّ لِمامُها وكان مع القوم الأعادِى كلامُها[٣]
تعلَّلْ بليلَى إنما أنتَ هامَةٌ من الغد يدنو كلَّ يوم حِمامُها[٤]
وبادِرْ بليلَى أوجهَ الركب إنهم متى يرجِعوا يَحْرُمْ عليك كلامها[٥]
وكيف ترجِّيها وقد حِيلَ دونْها وأقسم أقوامٌ مَخوفٌ قِسَامُها[٦]
* لأجْتَنِبنْهَا أو لَيَبْتَدِرُنَّنى ببيضٍ عليها الأثْرُ فَعْمٌ كِلامُها[٧]
لقد طرقتْ ليلَى ورِجْلِى رهينةٌ فما راعنى فى السجن إلا لِمامها[٨]
فلمّا انتبهتُ للخيال الذى سرى إذا الأرضُ قَفْرٌ قد علاها قَتامُها

(١) نرى الباب ... الخ : نحن سجناء لا نستطيع تجاوز باب السجن ، وفى هد : « كأنا قنا قد أسلمتها كعوبها » ، والوزن والمعنى على كلا الروايتين سليمان ، وقنى : جمع قناه ، وقناة الرمح : أعلاه ، وكعبه : أسفله .

(٢) يريبها : يؤذيها ، يريد أنها جزته على حمايته لها جزاء سنمار .

(٣) لعله يريد أن طيف محبوبته حين ألم شفع له عند آسريه .

(٤) يقال : فلان هامة الغد بمعنى قصير العمر .

(٥) يقول : استقبلها الاستقبال الأخير ، وودعها الوداع الأخير ، واستقبالها ووداعها كلاهما فى عالم الخيال بدليل البيت التالى .

(٦) قسامها : مصدر قاسمه قساما ، والمراد أن هؤلاء الأقوام قاسم بعضهم بعضا على هلاكه .

(٧) لأجتنبنها : جواب القسم فى البيت السابق ، ليبتدرننى : مضارع ابتدر اتصل بواو الجماعة ، وأكد بنون التوكيد الثقيلة ، البيض : السيوف ، الأثر : بريق السيف ورونقه ، فعم : ممتلىء ، يقال : فعم الأناء ، فهو فعم : امتلأ ، الكلام – بكسر الكاف – الجراح ، يقول : وكيف أرجى قرب ليلى ، ودونها أقوام حلفوا أن يبادرونى بسيوف تفيض جراحها دما غزيرا ؟

(٨) ف ، هد : « سلامها » بدل « لمامها » .

فإلّا تكن ليلَى طَوتْك فإنه شبيهٌ بليلى حُسنُها وقوامُها[١]
ألا ليتنا نَحْيا جميعا بغِبْطَةٍ وتَبلَى عظامِى حين تبلَى عِظامُها

وقال أيضاً :

ألا طرقتْ ليلَى وساقِى رَهينةٌ بأسمَر مشدودٍ علىّ ثقيلُ[٢]
فما البينُ يا سلْمى بأن تَشْحَطَ النّوى ولكنّ بيناً ما يُريد عقيلُ[٣]
فإن أنجُ منها أنجُ من ذى عظيمةٍ وإن تكن الأخرى فتلك سبيلُ[٤]

وقال أيضاً وهو طريد :

فلا تيأسَا من رحمةِ الله وانظُرا بوادى جَبُونَا أن تَهُبَّ شَمالُ[٥]
ولا تيأسا أن تُرْزَقا أريحيّةً كعينِ المها أعناقُهنّ طِوالُ[٦]
من الحارثيِّينَ الذين دِماؤهم حَرامٌ وأما ما لَهم فحَلالُ

وقال أيضاً :

ألم ترَ أنّى وابنَ أبيضَ قد جفت بنا الأرضُ إلا أنْ نَؤمَّ الفَيافيا[٧]

---

(١) طونك : يريد طوت الأرض إليك ، وضمير إنه يعود على طيف ليلى ، حسنها مبتدأ محذوف الخبر ، أى له حسنها وقوامها ، أو هو بدل من شبيه ، لا فاعل له ، يقول : إن لم تكن ليلى زارتك بشخصها فإن خيالها شبيه بها فى الحسن والقوام وهذا التخريج خير من أن نجعل حسنها بدلا من ليلى ، فيجر ، ويدخل القافية الإقواء .

(٢) يريد بالأسمر ، القيد .

(٣) تشحط : تبعد ، عقيل : لعله أحد آسريه ، يقول : ليس البين ما بينى وبينك من بعد ، ولكن البين هو هلاكى الذى يريده عقيل .

(٤) من ذى عظيمة : من حادثة ذى عقبة عظيمة ، وإن تكن الأخرى : يريد الموت ، فتلك سبيل : مسلوكة يسلكها الجميع

(٥) بوادى جبونا : مكان ، تهب شمال : تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج .

(٦) أريحية : خيلا أريحية ، أى كريمة الخلق ، كعين المها : كبقر الوحش ذوات الأعين النجلاء ، يريد أن هذه الخيل ربما جاءت لنجدته .

(٧) ابن أبيض : كناية عن زميل له فى التشرد .

طَريدَيْن من حَيَّيْنِ شتى أَشَدَّنا ... مخافَتُنا حتى نخلْنا التَّصافيا[١]

وما لُمتُه فى أمرِ حَزمٍ ونجدةٍ ... ولا لامنى فى مِرَّتى واحتياليا

وقلتُ له إذْ حلَّ يسقى ويَستقى ... وقد كان ضوءُ الصبح لِلَّيلِ حاديا :

لعمرى لقد لاقت رِكابُك مشرَبًا ... لئنْ هىَ لم تَصْبَحْ عليهنَّ عاليا[٢]

بعض أخباره

وأُخِذت طَيِّئٌ ببهدلٍ ومروانَ أخيه أشدَّ الأخْذ ، وحُبِسوا ، فقالوا : إن حُبِسْنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون ، ولكن خلُّوا هنا ، حتى نتجسَّسَ عنهما ، فنأتيَكمْ بهما ، وكانا تأبدا مع الوحش يَرْمِيان الصَّيْدَ فهو رزقهما . ولما طال ذلك على مروانَ هبط إلى راعٍ ، فتحدث إليه فسقاه ، وبسطه ، حتى اطمأن إليه ، ولم يُشْعِرهُ أنه يعرفه ، فجعل يأتيه بين الأيام ، فلا ينكره ، فانطلق الراعى ، فأخبره باختلافه إليه ، فجاء معه الطلب ، وأَكْمَنَهُم ، حتى إذا جاء مروان إلى الراعى كما كان يفعل سقاه ، وحدثه فلم يشعُر حتى أطافوا به ، فأخذوه ، وأَتوْا به عثمانَ بنَ حيانَ أَيضا عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ، فأَعْطَى الذى دلَّ عليه جُعْلَه ، وقتله .

نهاية بهدل

وأما بهدل فكان يأوى إلى هضبة سلمى ، فبلغَ ذلك سَيِّدًا من سلْمَى[٣] ، من طيىء ، فقال : قد أُخِيفت طيِّئ ، وشُرِّدَتْ من السهل من أجل هذا الفاسق المارب ، فجاء حتى حَلَّ بأهله أسفل تلك الهضبة ومعه أَهْلاَتٌ[٤] من قومه ، فقال لهم : إنكم بعَينى الخبيث ، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت ،

---

(١) شتى : جمع شتيت بمعنى متفرقة ، وأراد بالجمع ما فوق الواحد ، نخلنا التصافيا : من نخل الشيء بمعنى خلصه من كل ما يشوبه ، أى : أخلص كلانا لأخيه ، والمعنى أننى أنا وابن أبيض من حيين مختلفين شتتنا الخوف ، وألف بيننا ألفة وثيقة .

(٢) البيت مقول القول فى البيت السابق ، عليهن : على الآبار المفهومة من المقام ، والمعنى : لاقت ركابك مشربا سائغا ، إذا لم تصبح ، أى تصهل ، فيسمع الأعداء صهيلها عاليا .

(٣) فى ف : « فبلغ ذلك ستد بن سلمى » .

(٤) أهلات : جمع أهل ، وفى بعض المخطوطات : أهلاب – بالباء – وهو تصحيف .

وليُخلوا النساء ، فإنه إذا رأى ذلك انحدرَ إلى القِباب ، وطلب الحاجة والعَلَّ[١] فكانوا يخلون الرجال نهارا فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياماً ، فظَنَّ بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم ، فانحدر إلى قُبة السِّيد ، وقد أمر النساء : إن انحدَرَ إليكن رجل فإنه ابنُ عمكن ، فأطعمنه وادهِنَّ رَأسَهَ .

وفى قبة السيد ابنتان له ، فسألهما : من أنتما ؟ فأخبرتاه ، وأطعمتاه ، ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه ، فقال : أحسنتما إلى ابن عمكما ، فجعل ينحدرُ إليهما ، حتى اطمأنَّ ، وغسلتا رأسه ، وفَلَّتَاهُ ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : أفلياه ، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة ، واعقدا خُصَلَ لِمَّتِه إذا نَعِس رويداً بحَمْل القطيفة .

ثم إذا شدَدْنا عليه فاقلبا القطيفة على وجهه ، وخذا أنتما بشَعره من ورائه فَمُدَّا به إليكما ، ففعلتا ، واجتمع له أصحابه ، فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذى كانوا يأتونها ، وَشدّوا عليه ، فربطوه ، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان ، فقتله ، فقالت بنت بَهْدَل ترثيه :

فياضَيْـــعةَ الفِتيانِ إذ يَعتِـــلونه ببطن الشَّرى مثـل الفنيق المسدَّم[٢]
دعا دعـوة لمـا أتى أرضَ مالك ومن لا يُجَبْ عند الحفيظة يُسلِم[٣]

---

(١) العل : الشراب ، وفى بعض النسخ «التقل» بدل «العل» ، وربما كان ذلك تحريف «الحل» بكسر الحاء .

(٢) يعتلونه : من عتله يعتله — بمعنى قاده بعنف وغلظة ، الفنيق : فحل الإبل ، المسدم : الهائج الممتنع ركوبه .

(٣) الحفيظة : الحرب ، ويسلم — بالبناء للمجهول — بمعنى يسلم نفسه لأعدائه .

أَما كان فى قيسٍ من ابن حفيظةٍ ... من القوم طَلَّابِ التِّرات غَشَمْشَمِ [١]
فيقتُل جَبراً بامرىءٍ لم يكن به ... بواءً ولكنْ لا تَكايُلَ بالدم [٢]

وكان دعا : يالَمالك لِيَنْتَزِعُوه ، فلم يجبه أحد .

مساجلة بينه وبين الكميت

قال : ولما قال عبدُ الرحمن بنُ دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة [٣] يَحُضُّ عُكلاً على بنِي فَقْعَس اعترض الكميت بن معروف الفقعسىّ ، فعيره بقتل سالم حين قتله زُميل الفزارىّ ، فقال قوله :

فلا تُكثِروا فيه الضَّجاج فإنه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

فقال عبد الرحمن بن دارة :

فيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ ... مُغَلْغَلَةً عنّى القبائلَ من عُكلِ
جلت حمماً عنها القِصافُ وماجلتْ ... قُشيرٌ وفى الشّدّاتِ والحربِ ما يُجلى [٤]
فإن يكُ باع الفَقعسِيُّ دماءهم ... بوَكسٍ فقد كانت دماؤكم تَغلِى [٥]

---

(١) الغشمشم : المقدام الذى يقتحم الحروب غير هياب ، وفى ف « كريمة » بدل « حفيظة » .

(٢) جبر المشار إليه فى البيت هو جبر بن عبيد الذى دفع بهدلا إلى السلطان فقتله ، بواء : كفء ، لا تكايل فى الدم : لا تقدر الدماء بالكيل ، والمعنى : أما كان فى قيس رجل شجاع يقتل جبرا قاتل أبى ، وإن لم يكن كفئا له ، ولو كانت الدماء تكال ما أجزأت دماء جبر فى دماء أبى ، والمراد بتقدير الدم الكيف لا الكم .

(٣) يعنى القصيدة اللامية التى تقدم ذكرها فى أول الترجمة ، ويلاحظ أنه هنا يقول : « يحض بها عكلا على بنى فقعس ، وهناك قال : « يحض بها عكلا على بنى أسد » .

(٤) فى البيت اضطراب وخلاف كبير فى رواية ألفاظه ، والذى نرجحه فى معناه هو ما يلى : القصاف : فرس مشهورة لبنى قشير ، الحمم : ما خمد من النيران ، يقول : إن القصاف أوقدت النيران بأرضكم ، وما جلا قومها قشير عنكم ، ولو أنكم شددتم فى الحرب عليهم لأجليتموهم ، والكلام على سبيل التمثيل ، فهو لا يريد « قشيرا » ولكن يريد « فقعسا » أو « أسدا » على الخلاف الذى تقدم ذكره .

(٥) يقول : إن يكن الفقعسى الذى أسلم ندمائى باع دماءهم رخيصة فقد كانت دماؤكم تغلى حمية لأخذ الثأر ، فما بالكم لا تفعلون !

وكيف تنام الليلَ عُكلٌ ولم يكن لها قَوَدٌ بالسَّمهرىّ ولا عَقْلُ[(١)]
رمى اللهُ فى أكبادِهم إن نجتْ بها حروفُ القنانِ من ذليلٍ ومن وغلِ
وكنا حسبْنا فَقْعساً قبل هذه أذلّ على طول الهوان من النعلِ
فإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونوا بغايا للخَلُوق وللكُحل
وبيعوا الردينيّاتِ بالحَلْيِ واقعدوا على الوِتْرِ وابتاعوا المغازلَ بالنَّبل
فإنّ الذى كانت تُجمجمُ فقعسٌ قتيلٌ بلا قتْلَى وَتَبلٌ بلا تَبْلِ
فلا سِلْمَ حتى تنحطَ الخيلُ بالقنا وتُوقدَ نارُ الحرْب بالحطَب الجَزْلِ

يقتلون ابن مسعدة وأمه

فلما بلغ قولُه مالكاً أخا السمهرىِّ بخراسان، انحطَّ من خراسان، حتى قدم بلاد عُكل فاستجاش نفراً من قومه، فعلقوا[(٢)] فى أرض بنى أسد يطلبون الغِرّة فوجدوا بثادقٍ[(٣)] رجلا معه امرأة من فقعَس، فقتلوه، وحزُّوا رأسه، وذهبوا بالرأس، وتركوا جسده، كما قتلوها أيضا، وذُكِرَ لى: أن الرجلَ ابنُ سِعْدَةَ والمرأة التى كانت معه هى سعدة أمُّه، فقال عبد الرحمن فى ذلك:

مَا لقتيلِ فَقْعَسٍ لا رَأْسَ لَهْ هلّا سألتَ فقعَساً من جدَّلَهْ[(٤)]
لا يتْبعَنّ فَقْعَسِىٌّ جملَهْ فرداً إذا ما الفقعسىُّ أعملَهْ[(٥)]
لا يلقَيَنّ قاتلاً فيقتلَهْ بسيفه قد سَمَّهُ وصقلَهْ[(٦)]

(١) ورد هذا البيت هنا وفيه إقواء، مع أنه تقدم سالما من هذا الإقواء، فارجع إليه وإلى بقية الأبيات فى القصيدة اللامية التى تقدمت فى مبدأ الترجمة.
(٢) علقوا: طفقوا، أى أخذوا يطلبون الغرة.
(٣) ثادق: اسم واد فى ديار عقيل.
(٤) يقصد بقتيل فقعس ابن سعدة، جدَّله: صرعه، وفى ف، هج، هد: «هلا سألت بارقا من جدله».
(٥) أعمل جمله: جعله يعمل، أى سرح به، يريد أن يقول: لا يأمن فقعسى على نفسه منا.
(٦) فى ف، هج «بصارم» بدل «بسيفه».

وقال عبد الرحمن أيضا :

لمَّا تمالَى القومُ فى رَأْدِ الضُّحَى نَظراً وقد لَمَعَ السّرابُ فجالا[١]
نظر ابنُ سعْدَةَ نظرةً ويلاً لها كانت لصحبك والمطىِّ خَبالا[٢]
لَمْحاً رَأَى من فوقِ طودٍ يافعٍ بعضَ العُداة وجُنَّةً وظِلالا[٣]
عيَّرتَنِى طَلبَ الحُمُول وقد أَرَى لم آتِهنَّ مكفِّفا بَطَّالا[٤]
فانظر لنفسِكَ يابن سَعْدَةَ هل ترى ضبُعًا تجـرُّ بشادِقٍ أَوْصالا
أوصالَ سَعْدَةَ والكميتِ وإنما كان الكُميتُ علىالكُميتِ عِيالا[٥]

وقال عبد الرحمن فى ذلك :

أصبحتُمُ تَكْلَى لِئاما وأصبحتْ شياطينُ عُكْلٍ قد عَراهُنَّ فقْعَسُ[٦]

---

(١) تمالى القوم، من ملا يملو بمعنى سار سيرا حثيثا . نظرا : مفعول مطلق لفعل محذوف ، أى وهم ينظرون نظرا .

(٢) البيت جواب لما فى البيت السابق ، وابن سعدة هو القتيل الذى قتلوه ، وفى ف ، هد « وتلابها » وفى ب « وبلابها » ونرجح أن كليهما تحريف « ويلالها » أى كانت هذه النظرة ويلا على صاحبها ، والخطاب — فيما نرجح — الكميت الذى كانت بينه وبينه ملاحاة .

(٣) فاعل رأى ابن سعدة ، الجنة : السلاح ونحوه .

(٤) الخطاب الكميت ، الحمول : الديات ، مكففا : من كف بمعنى ترك ، بطالا : من بطل الدم بمعنى ذهب هدرا ، والمعنى : عيرتنى بطلب ديات سالم وعدم الأخذ بثأره ، مع أننى لم أطلب هذه الديات متناسيا دمه مبطلا له كافا عن الأخذ بثأره . وقد كثر اضطراب الأصول فى رواية ألفاظ هذا البيت ، والمثبت بعضه من ف وهج .

(٥) سعدة هى أم الكميت التى قتلوها مع ابنها ، الكميت : يعنى من عيره — كما سبق — ولم يرد ذكر لموته ، حتى تجر الضبع أوصاله ، كما يشير البيت ، فلعله يريد الإنذار بذلك ، يعنى أنه سيحصل غدا ، وقوله : «كان الكميت على الكميت عيالا» ، يقصد أن الكميت جبان لا شأن له بالحرب، فهو عالة على الكميت الذى يركبه ، والكميت لقب من ألقاب الفرس .

(٦) الخطاب لغرمائه من فقعس ، عراهن : بدت لهن ، أى هؤلاء شياطين فنكلوا بهم .

قَضَى مالكٌ ما قد قَضَى ثم قلّصت ... به فى سواد الليل وجناءُ عِرْمِسُ(١)
فأضحتْ بأعلى ثادقٍ وكأنها ... مَحَالَةُ غَرْبٍ تستمِرُّ وتمرُسُ(٢)

مصرعه وحدثنى على بن سليمان الأخفش أنّ بنى أسد ظفِرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبِّهم وهجائهم وتآمروا فى قتله، فقال بعضهم: لاتقتلوه، ولتأخذوا عليه أن يمدَحنا ونُحْسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلَف من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلا منهم كان قد عضّه بهِجائه، اغتفله فضَرَبَهُ بسيفه، فقتله وقال فى ذلك:

قُتِلَ ابنُ دارةَ بالجزيرةِ سَبَّنَا ... وزعمتَ أن سِبابَنَا لا يَقتُلُ

قال على بن سليمان: وقد رُوى أن البيت المتقدم:

فلا تكثِروا فيه الضّجَاج فإنه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

لهذا الشاعر الذى قَتَلَ ابنَ دارة، وهو من بنى أسد، وهكذا ذكر السكّرىّ.

(١) مالك: فقضى هرب — على ما يبدو — من المعركة، الوجناء: الناقة البارزة الوجنتين، العرمس: الصلبة، وقلصت به: نجت به.

(٢) المحالة: البكرة تعلق على البئر يتصل بها الدلو، والغرب: الكبيرة من الدلاء، وتمرس: من أمرس الحبل: أعاده إلى مكانه، والمراد أن ناقة مالك حين هرب كانت تروح وتجيء على غير هدى فى أعلى ثادق، كأنها دلو معلقة فى حبل تصعد وتهبط.

صــــوت

[(١] كلانا يرى الجوزاء ياجُملُ إذ بدت ... ونَجْمَ الثريا والمزارُ بعيـــدُ
فــكيف بكم يا جملُ أهلاً ودونـــكم ... بحـورٌ يُقمِّصْن السّفينَ وبيدُ
إذا قلتُ: قد حان القفول يَصُدُّنا ... سليمانُ عن أهوائنــا وسعيد

الشعر لمسعود بن خَرَشَة المازنىّ ، والغناء لبحر ، خفيف ثقيل بالوسطى عن المشامى[١)] .

(١-١) هذا الصوت ما سقط من مطبعة بولاق وموضعه هنا بحسب المخطوطات المعتمدة .

أخبار مسعود بن خرشة *

يهوى جارية من قومه

مسعودُ بنُ خَرَشَةَ(١) أحدُ بنى حُرْقُوصِ بن مازن بنِ مالك بن عمرِو بنِ تميم ، شاعرٌ إسلامى بدوىٌّ من لصوص بنى تَميم ، قال أبو عمرو : وكان مسعودُ بن خرشة يهوَى امرأة من قَوْمه من بنى مازن يقال لها : جُمْلُ بنتُ شَراحيل ، أُختُ تَمّامِ بنِ شراحيلَ المازِنىّ الشاعر ، فانتجع قَومُها ونأوْا عن بِلادِهم ، فقال مسعود :

كلانا يرى الجوزاء يا جُمْلُ إذ بدتْ ... ونجْمَ الثّريّا والمزَارُ بعيـــدُ(٢)
فــكيف بكم يا جُمْلُ أهلاً ودونَــكم ... بُحـــورٌ يُقَمِّصْن السّفينَ وبيـــدُ(٣)
إذا قلت : قد حان القُفولُ يصدُّنا ... سليمانُ عن أهـــوائنا وسعيــــدُ(٤)

قال أبو عمرو : ثم خطبها رجل من قومها ، وبلغ ذلك مسعودا فقال :

أيا جملُ لا تشقَىْ بأقْعَسَ حَنْكَلٍ ... قليلِ النَّدى يسعى بـكِيرٍ ومِحْلَبِ(٥)
له أعنزٌ حُوٌّ ثمـــــانٍ كأنما ... يراهنّ غُرّ الخيل أوهُنّ أنجب(٦)

يسرق إبلا

وقال أبو عمرو : وسرق مسعودُ بن خرشَةَ إبلا من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسىّ ، هو ورفقاء له ، وكان معه رجلان من قومه ، فأتوْا بها اليمامة ليبيعوها ،

---

* هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق ، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة .

(١) خرشة : ورد هذا الاسم فى المعاجم بفتح الخاء والراء والشين .

(٢) يريد أن يقول : كيف تقع عينى وعينك على مرئيات واحدة ، وكلانا بعيد عن صاحبه .

(٣) قمص البحر السفينة : جعلها تضطرب فى أمواجه ، بيد : جمع بيداء .

(٤) القفول : الرجوع ، سليمان وسعيد : واليان .

(٥) الأقعس : من برز صدره ودخل ظهره فى جسمه ، الحنكل : القصير القامة ، أو اللئيم النذل .

(٦) حو : جمع حواء ، وهى ما اختلطت خضرة لونها بسواد ، أو حمرته بسواد . غر الخيل : مبتدأ بعد استفهام محذوف الأداة ، يقول : إنه مغرور بأعنزه يعدها فى نجابة الخيول الفارهة

فاعترض عليهم أميرٌ كان بها من بنى أسد ، ثم عُزِلَ ووُلِّى مكانَه رجلٌ من بنى عُقَيْل فقال مسعود فى ذلك :

يقول المرجفون: أجاء عهدٌ ... كفى عهداً بتنفيـذ القِلاصِ (١)
أتى عهدُ الإمارة من عُقَيلٍ ... أغرُّ الوجه رُكّب فى النواصى (٢)
حُصونُ بنى عُقَيلٍ كلُّ عَضْبٍ ... إذا فَزِعوا وسـابغةٍ دِلاصِ (٣)
وما الجارات عند المَحْل فيهم ... ولو كثر الروازحُ بالخِماصِ (٤)

قال : وقال مسعود « وقد »(٥) طلبه والى اليمامة ، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً ... بوعثاء فيها للظباء مكانسُ (٦)
وهل أَنجُوَنْ من ذى لَبيدِ بن جابرٍ ... كأنّ بناتِ الماء فيه المُجالس (٧)
وهل أسمعَنْ صوتَ القَطَا تندب القطا ... إلى الماء منه رابع وخوامس (٨)

---

(١) يستبشر بالعهد الجديد لأنه سينقذ نوقه التى سرقها ، وفى ف ، هد « بتقييد » بدل تنفيذ .

(٢) أغر ، حال من عقيل لا نعت ، ويريد بقوله : « ركب فى النواصى » أنه من علية القوم .

(٣) العضب : السيف القاطع . والسابغة الدلاص : الدرع الصافية اللينة ، يريد أنهم لا يتحصنون بحصون من أحجار ، بل تحميهم سيوفهم ودروعهم .

(٤) الروازح : جمع رازحة ، وهى الناقة المزيلة ونحوها . الخماص : الجياع يريد أن خيرهم يفيض على جاراتهم أيام المحل .

(٥) زيادة يقتضيها المقام .

(٦) الوعثاء : الأرض ذات الصخور . المكانس : مأوى الظباء .

(٧) لعله يعنى بذى لبيد ماء لبيد اللى تجالسه فيه بنات الماء ، أى الضفادع ونحوها .

(٨) منه رابع وخوامس ، لعله يقصد مجرد التعدد .

أخبار بحر ونسبه *

هو بحرُ بن العَلاء ، مولى بنى أُمَيَّةَ ، حجازىٌّ ، أدركَ دولةَ بنى هاشم [1] ، وعُمِّرَ إلى أيام الرشيد ، وقد هرِمَ ، وكان له أخٌ يقال له عباس ، وأخوه بحر أصغر منه ، مات فى أيام المعتصم ، وكان يلقَّب حامضَ الرأس ، وله صنعة ، وأقدمَهُ الرشيدُ عليه ، ثم كرهه ، فصرفه .

حدثنى جحظةُ قال : حدثنى ميمونُ بن هارونَ قال : حدثنى أحمد بن أبى خالد الأحول ، عن على بن صالح صاحب المصلَّى :

أن الرشيد سمع من عَلُّويَةَ ومخارقٍ وهما يومئذ مِنْ صِغار المغنِّينَ فى الطبقة الثالثة [2] أصواتًا استحسنها ، ولم يكن سمعها ، فقال لهما : ممنْ أخذتما هذه الأصواتَ ، فقالا : من بَحْرٍ ، فاستعادها ، وشرب عليها ، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتا لبَحْر ، فأمر بإحضاره ، وأمره أن يغنى ذلك الصوت ، فغناه ، فسمع الرشيدُ صوتا حائلا مرتعشا فلم يُعْجِبه ، واستثقله لولائِه لبنى أمية ، فوصله ، وصرفه ، ولم يصل إليه بعد ذلك .

* هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق ، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة .

(١) فى هد : « أدرك دولة بنى أمية » بدل « أدرك دولة بنى هاشم » .

(٢) ف : « الثانية » .

صـــوت (١)

ألا يا لَقومِي لِلنوائب والدّهر ... ولِلمرءِ يُردِي نفسه وَهْو لا يَدرى

وللأرض كم من صالحٍ قد تودّأت ... عليـه فوارتْهُ بلمّاعـــةٍ قَفْرِ

عروضه من الطويل ، قال الأصمعى : يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم : يالَ كذا « بفتح اللام » وإذا دعوت للشىء . قلت بالكسرة ، تقول : يالَلرجال ويالَلقوم . وتقول : يا لِلغنيمة ويا لِلحادثة ، أى اعجلوا للغنيمة وللحادثة ، فكأنه قال : يا قوم اعجلوا للغنيمة . وروى الأصمعى وغيره مكان قد تودّأت : قد تلمّأت عليه ، وتلاءمت ، أى وارته ، ويروى : تأكّت أى صارت أكمة .

الشعر لهدبة بن خشرم ، والغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

---

(١) هذا الصوت مما سقط من طبعة بولاق ، وموضعه هنا .

أخبار هدبة بن خشرم ونسبه *

وقصته فى قوله هذا الشعر وخبر مقتله

نسبه وأدبه

هو هُدْبَةُ بنُ خَشْرَمِ[١] بن كُرْزِ بن أبى حيَّة بن الكاهن - وهو سلمة - بن أسحم[٢] ابن عامرِ بن ثعلبةَ بن عبد الله بن ذبيان بنِ الحارثِ بن سعد بن هُذَيم ؛ وسعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة ؛ ويقال: بل هو سعد بن أسلم ، وهذيم عبدٌ لأبيه رباه ، فقيل: سعد بن هذيم ، يعنى سعداً هذا .

وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، كان يروى للحُطيئة ، والحطيئة يروى لكعب بن زهير ، وكعب بن زهير يروى لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هدبة ، وكثيِّر راوية جميل ؛ فلذلك قيل : إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير .

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر : حَوطٌ وسَيْحانُ والواسع ، أمهم حيَّةُ بنتُ أبى بكر بن أبى حيَّة من رهطهم الأَدْنَيْن ، وكانت شاعرة أيضاً .

وهذا الشعر يقوله هُدْبة فى قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّةَ بن حنش ابن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيم .

أخبرنى بالخبر فى ذلك جماعةٌ من شيوخنا ، فجمعتُ بعضَ رواياتهم إلى بعض ، واقتصرتُ على ما لا بدّ منه من الأشعار ، وأتيتُ بخبرهما على شرح ، وألحقتُ ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه فى موضع النقصان .

---

* هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة .

(١) خشرم - بفتح الخاء والراء وسكون الشين - فى الأصل : جماعة النحل والزنابير .

(٢) فى ف ، هد : « ابن إسحاق » بدل « ابن أسحم » .

فممّن حدثنى به محمد بن العباس اليَزيدىّ قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكىّ : تِينةُ قال : حدثنا خلف بن المثنى الحُدانىّ[1] ، عن أبى عمرو المدينىّ .

وأخبرنى الحسن بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبى الأزهر البُوشَنْجِىّ ، عن حماد ابن إسحاق الموصلى عن أبيه .

وأخبرنى إبراهيم بن أيوبَ الصائغ ، عن ابن قتيبة .

الحرب بين رهطه ورهط زيادة بن زيد

وأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار ، عن على بن محمد بن سليمان النوفلىّ ، عن أبيه عن عمه . وقد نسبتُ إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية ، وجمعت ما اتفقوا عليه ، قال عيسى بن إسماعيل فى خبره خاصة :

كان أول ما هاج الحرب بين بنى عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بنى رَقاش ، وهم بنو قُرَّة بن حفش[2] بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان ، وهم رهط زيادة بن زيد ، وبنو عامر رهط هدبة ، أن حَوْطَ بن خشرم أخا هدبةَ راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما ، وكان مُطْلَقَهُما[3] من الغاية عَلَى يوم وليلة ، وذلك فى القيظ ، فتزودوا الماء فى الروايا والقِرَب ، وكانت أختُ حوطٍ سلمى بنتُ خشرم تحت زيادة بن زيد ، فمالت مع أخيها على زوجها ، فوهَّنت أوعية زيادة ، ففنى ماؤه قبل ماء صاحبه ، فقال زيادة :

قــد جعلت نَفْسِيَ فى أديمِ ... مُحَرَّمِ الدِّباغ ذِى هُــزُومِ
ثمّ رَمَت بِى عُـرُضَ الدَّيْمـومِ ... فى بارحٍ من وَهَجِ السَّـمومِ[4]
* عند اطّلاع وعرة النجوم[5] *

(١) فى هج « الحلانى » ، وفى ف « الجدانى » .
(٢) فى ف « ابن حوم » بدل « ابن حفش » .
(٣) مطلقهما : موضع إطلاقهما .
(٤) العرض : الجانب ، الديموم : الصحراء المترامية الأطراف ، البارح : الريح الحارة صيفا ، السموم : الحر الشديد .
(٥) النجوم : جمع نجم ، وهو ما لا ساق له من النبات ، فلعله يريد عند طلوع الأرض الوعرة ذات النبات الذى لا ساق له .

— قال اليزيدىّ فى خبره : المُحَرَّم : الذى لم يُدبغ ، والمَزُوم : الشقوق .

— قال : —

وَقال زِيادَةُ أيضاً :

قـد عِلمَتْ سلمةُ بالعَميسِ ليـلَةَ مَرْمارٍ وَمَرْمَرِيـس (١)

أنّ أبا المِسْور ذو شَرِيس يَشفى صُداعَ الأبلَجِ الدَّلْعِيس (٢)

العَميسُ : موضع ، والمرمار وَالمرمريس : الشّدة والاختلاط ، وأبا المسور يعنى زيادة نفسه ، وكانت كنيته أبا المسور .

هدبة وزيادة كل منهما يشبب بأخت الآخر

قال : فكان ذلك أولَ ما أثبت الضغائن بينهما . ثم إن هدبة بن خَشْرَم وزيادة بن زيد اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام ، فى رَكْبٍ من قومهما ، فكانا يتعاقبان السَّوْق بالإبل ، وكان مع هدبة أُخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال :

عُوجى علينا واربَعِى يا فاطماَ ما دون أن يُرَى البَعيرُ قائماً

— أى ما بين مُناخ البعير إلى قيامه —

ألا تَرين الدمعَ منّى ساجماً حِـذارَ دارٍ منك لن تُلائما (٣)

فعَرَّجَتْ مطّـرداً عُـراهِمَا فعَمْـا يبذّ القُطُفَ الرَّوَاسِما (٤)

— مُطَّرد: متتابع السير ، وعُراهم : شديد ، وفَعْم :ضخم ، والرسيم: سير فوق العَنَق ، والرّواسم : الإبل التى تسير هذا السيرَ الذى ذكرناه —

(١) فى رواية : بالعميس .

(٢) الشريس : الشراسة ، وهى سوء الخلق ، الدلعيس : الضخمة المترهلة من الإبل ، فلعله يريد أنه فى زمان الشدة والاختلاط عندما تظلم الليالى يشفى صداع الأبيض الضخم من النوق بنحره ، وذلك كناية عن كرمه .

(٣) يريد : حذار أن تنزلى دارا بعيدة غير ملائمة .

(٤) فى المختار : «فأطردت مطردا» .

كأنّ فى المثناة منه عائمًا إنّكَ والله لأَنْ تُبـاغِمـا[١]

— المثناة : الزمام ، وعائم : سائح ، تباغم : تـكلّم — .

خَوْداً كأنّ البُوْصَ والمـآ كما منهـا نقًا مُخالطٌ صَرائمـا[٢]

— البُوْص : العجز ، والمـآ كتان : ما عن يمين العجز وشماله ، والنقَا : ماعظم من الرمل . والصرائم : دونه — .

خيرٌ من استقبالك السّمائمَا ومن مُنادٍ يبتغى مُعَا كِما[٣]

ويروى : ومن نداء ، أى رجل[٤] تنـاديه تبتغى أن يعينك على عَـكمك حتى تشـده .

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأُخت زيادة ، وكانت تُدعَى — فيما روى اليزيدىّ — أمّ حازم ، وقال الآخرون : أمّ القاسم ، فقال هُدْبة :

لقـد أرانى والـغُلامَ الحـازمَا نُزجِى المَطىّ ضُـمّراً سَواهِما[٥]

متى تَظُنّ القُـلُصَ الرّوَاسـما والجِلّةَ النّـاجيةَ العَـيَاهِما[٦]

العَياهم : الشِّداد .

---

(١) تباغم : من بغمت الغزالة إذا نادت ولدها بصوت لين .

(٢) البوص بفتح الباء وسكون الواو ، أو بضم الباء .

(٣) السمائم : جمع سموم ، الحر الشديد ، وقوله : « خير » فى صدر البيت خبر المصدر المؤول « أن تباغم » فى البيت الأول ، يقول : إن مناجاتك الحسناء الثقيلة الردفين خير من الشد والترحال فى الهواجر ، ومن مناد يستعينك على شد رحاله .

(٤) فى ب « رجلا تناديته » « بدل رجل تناديه » ، وهو تحريف ، فلا وجه لنصب « رجلا » كما أن الخطاب للمذكر .

(٥) لضمر السواهم : النياق الصلبة لا ترهل فى أجسامها .

(٦) القلص : جمع قلوص : الفتية من الإبل ، الرواسم : التى تمشى الرسيم ، وهو نوع خفيف من السير ، الجلة : جمع جليل وهى الناجية : السريعة ، العياهم : جمع عيهم ، وهى الناقة السريعة أيضا .

يُبلِغن أمَّ حازم وحازما ... إذا هَبَطن مُسْتَحيرا قاتِمَا[١]

ورجِّع الحادى لها المَهَاهِمَا ... ألا تَرَيْنَ الحُزنَ منى دائمَا[٢]

حِذارَ دارٍ منك لن تُلائما ... والله لا يَشفى الفؤادَ الهائمَا[٣]

تَمساحُكَ اللَّبَّاتِ والمآكِمَا ... ولا اللِّمامُ دون أن تُلازِمَا[٤]

ولا اللِّثام دون أن تُفاقِمَا ... ولا الفِقامُ دون أن تفاغمَا[٥]

* وتَعْلُوَ القوائمُ القوائمَا *

قال: فشتمه زيادة، وشتمه هُدبة، وتسابّا طويلا، فصاح بهما القوم: اركبا، لاحملكما الله. فإنا قوم حُجّاج، وخَشُوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما، حتى أمسك كل واحد منهما على ما فى نفسه، وهدبة أشدهما حنقا، لأنه رأى أن زيادة قد ضامَه، إذ رجز بأُخته وهى تسمع قولَه، ورجز هو بأُخته، وهى غائبة لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة، حتى قضيا حجّهما، ورجعا إلى عشيرتيهما.

قال اليزيديّ خاصة فى خبره:

يرتجزون بعمه زفر

ثم التقى نفر من بنى عامر، من رهط هدبة، فيهم أبو جَبْر، وهو رئيسهم الذى لا يعصونه، وخَشْرَمٌ أبو هدبة، وزُفَر عم هدبة، وهو الذى بعث الشّر، وحجّاج بن

---

(١) يبلغن ... الخ مفعول تظن الثانى، ضمير هبطن النياق، المستحير: الطريق فى المفازة لا يعرف أين ينتهى.

(٢) فى المختار: «ورقع الحادى». والمهمهة: الصوت تنوم المرأة به طفلها استعاره هنا لحداء الإبل، والخطاب فى «ألا ترين» لأم خازم.

(٣) يريد بعدم ملاءمة الدار أن تصد عنه.

(٤، ٥) تمساحك فاعل يشفى، والمآكم: رءوس الأفخاذ، وهى معطوفة على اللبات الواقعة مفعولا للمصدر، اللثام: اللثم، الفقام: المباضعة، الفغام: التقبيل، يقول: ليس يشفى فؤادى أن أمسح باللبات والمآكم، أو أن تلمى دون أن تلازمى، وليس يشفيه التقبيل دون الجماع، ولا الجماع دون التقبيل، وأن تقع السيقان على السيقان.

سلامة ، وهو أبو ناشِب ، ونفر من بنى رَقاش رهط زيادة ، وفيهم زيادة بن زيد ، وإخوته : عبد الرحمن ونفّاع وأدرعُ بواد من أودية حرّتهم ، فكان بينهم كلام ، فغضب ابن الغسّانية ، وهو أدرع ، وكان زفر عم هدبة يُعزَى إلى رجل من بنى رقاش ، فقام له أدرع فرجز به فقال :

أدُّوا إلينا زُفَرَا نعرفُ منـــه النظّرَا
وعينَه والأثرَا (١)

قال : فغضب رَهْط هُدبة ، وادَّعوا حَدًّا على بنى رقاش ، فتداعَوْا إلى السلطان ، ثم اصطلحوا على أن يُدْفَع إليهم أدرعُ ، فيخلو به نفرٌ منهم ، فما رأوه عليه أمضَوْه ، فلما خَلَوا به ضربوه الحدّ ضربا مبرِّحا ، فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغَضِبوا ، فقال عبد الرحمن بن زيد :

ألا أبلغ أبا جَبْرٍ رسولاً فما بينى وبينكُم عِتابُ
ألم تعلم بأن القوم راحوا عشيةَ فارقوك وهم غِضابُ

فأجابه الحجاج بن سلامة فقال :

إن كان ما لاقى ابنُ كنعاء مُرغِمًا رقاشَ فزاد اللهُ رَغْمًا سِبالَها (٢)
منعنا أخانا إذ ضربنا أخاكمُ وتلك من الأعداء لا مِثْلَ مالَها (٣)

هو وزيادة يتهاديان الأشعار

قال اليزيدى فى خبره : وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار ، ويتفاخران ، ويطلب

---

(١) الشعر من مجزوء الرجز ، وهو من قبيل التعريض .

(٢) البيت من الطويل دخله الخرم ، وابن كنعاء هو أدرع ، السبال : طرف الشارب ، أو مقدم اللحية ، يقول : إذا كان مالا قاه أدرع أذل رقاش فزادها الله ذلا .

(٣) لا مثل مالها : لا مثل الذل الذى تنطوى عليه .

كلٌّ واحد منهما الغُلُوَّ على صاحبه فى شعره ، وذكر أشعاراً كثيرة ، فذكرتُ بعضها ، وأتيتُ بمختار ما فيه ، فمن ذلك قولُ زيادة فى قصيدة أولها :

أراكَ خليلا قد عزمت التّجنبا وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤاد فأصحبا(١)

اخترت منها قوله :

وأنتَ للناس الخليلُ إذا دنتْ به الدارُ ، والباكى إذا ما تغيَّبا(٢)
وقد أعذَرَتْ صرفُ الليالى بأهلها وشَحْطُ النَّوَى بينى وبينكَ مَطلبا(٣)
فلا هى تألو ما نأتْ وتباعدَتْ ولا هو يألو ما دنــا وتقرَّبا(٤)
أطعتُ بها قول الوشاة فلا أرى الـ وشاةَ انتهوا عنه ولا الدهرَ أعتبا(٥)
فهلاَّ صَرمْتِ والحبالُ متينةٌ أميمةُ إن واشٍ وشى وتكذَّبا(٦)
إذا خفتَ شكَّ الأمرِ فارمِ بعزمة غَيَابَتَه يركب بكَ الدهرُ مركبا
وإن وِجهةٌ سُدَّتْ عليكَ فُرُوجُها فإنّكَ لاقٍ لا محالة مذهبــا
يُلامُ رجالٌ قبل تجريبِ غَيْبِهم وكيف يُلام المرء حتى يُجرَّبا
وإنّى لمِعراضٌ قليلٌ تعرُّضى لوجه امرئٍ يوما إذا ما تجنَّبا(٧)
قليلٌ عِثَارى حين أُذعَرُ ، ساكنٌ جَنانى إذا ما الحرب هرَّت لتكلَّبا(٨)

---

(١) أصحب الفؤاد : أصابه خبل .
(٢) فى ب كالناس ، وهو تحريف ، يريد أنه لا ينسى الخليل إذا نسيه ، يذكره قريبا ، ويبكيه بعيداً .
(٣) أنث صرف الليالى لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه ، يقول : إن صروف الليالى توجب التماس العذر للناس ، وإن بعد الشقة بينى وبينك عذرى فى طلابك .
(٤) يريد أنها لا تقصر فى حفظ عهده إن بعدت ، كما أنه يزيد حبًّا لها إن قربت .
(٥) يريد أنه تظاهر بطاعة الوشاة ليكفوا عنهما فلم يكفوا ، ولا الدهر أعتبه ، أى قبل عتابه .
(٦) يقول : هلا تظاهرت يا أميمة أنت أيضا بصرم حبال الود ، وان كانت فى الباطن متينة وثيقة العرى لتقطع ألسنة الوشاة .
(٧) معراض : كثير الإعراض عن الشئ الذى لا يهمنى .
(٨) هرت : كشرت عن أنيابها ، لتكلب : لتشتد .

بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل   قِراهُ ونَوِّبْه إذا ما تنــــوّبا(١)
ولا تنتجِــع شَرًّا إذا حيل دونه   بِســـــتْرٍ وهَبْ أسبابَه ما تهيّبا
أنا ابن رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذى   بنى هاديا يعـلو الهواديَ أغلبـا(٢)
بنَى العِزُّ بنيانًا لقومى فما صَـعُوا   بأسـيافهم عنه فأصبح مُصـعَبا(٣)
فما إنْ ترى فى الناس أما كأمِّنا   ولا كأبينـا حين ننسـبُهُ أبا
أتمَّ وأنمى بالبنين إلى العـلا   وأكرمَ منا فى المناصب مَنصِبا(٤)
مَلَـكنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ   كأنَّ لنا حقا على الناس تُرتَبا

— قال اليزيدىّ: تُرتَب: ثابت لازم —

بآيةِ أنَّا لا نرى مُتَتَوِّجًـا   من الناسِ يعلونا إذا ما تعصّبا(٥)
ولا مِلـكًا إلا اتّقانا بمُلـكه   ولا سُوقةً إلا على الخَرْج أُتعِبا(٦)
ملـكنا ملوكًا واسـتبحنا حِمامُ   وكنّا لهم فى الجاهلية موكِبـا(٧)
نَدامَى وأردافًا فلم ترَ سُـوقةً   توازننا فاسـأل إيادًا وتغلِبـا(٨)

---

(١) نوبه: احفظ حقه فى النوبة عند الركوب ونحوه، وربما كانت محرفة عن «ثوبه» بمعنى كافئه، وأحسن اليه.
(٢) الهادى: العنق، الأغلب: الغليظ العنق.
(٣) ماصع: جالد. وفى المختار: «فأصبحوا» بدل «فما صعوا».
(٤) فى المختار: «... ... باليمين إلى العلا».
(٥) الآية: الدليل، تعصب: لبس العصابة: عصابة الملك.
(٦) السوقة: من عدا الملك، الخرج: الضريبة ونحوها، يعنى أن الناس كانوا يتعبون فى تأدية الخراج، وهم معفون.
(٧) موكبا: يريد كنا جنودهم عند الحرب.
(٨) أرداف: جمع ردف، وهو خليفة الملك فى الجاهلية، يجلس عن يمينه، ويشرب بعده، وينوب عنه فى الحكم إذا غزا.

فأجابه هدبة ، وهذا مختار ما فيها فقال :

تَذَكَّرَ شَجوًا من أُميمةَ مُنصِبا تليداً ومُنتابًا من الشوق مُجْلِبا(١)
تَذَكَّرَ حبًّا كان فى مَيْعة الصِّبا ووجداً بها بعد المشيب مُعتَّبا(٢)
إذا كادَ ينساها الفؤادُ ذكرتُها فيالكِ ما عَنَّى الفؤادَ وعذَّبا(٣)
غَدَا فى هواها مستكينا كأنه خليعُ قِداحٍ لم يجِد مُتنشَّبا(٤)
وقد طال ما عُلِّقْتَ ليلى مُغَمَّرا وليدا إلى أن صار رأسُكَ أشْيَبا

— المغمَّر : للغمر أى غير حدث —

رأيتك فى لَيلَى كذى الدَّاء لم يجد طبيبا يداوِى ما به فَتَطَبَّبا
فلما اشتفى مما به كرَّ طِبُّه على نفسه من طول ما كان جرَّبا(٥)

يقتل زيادة فيسجن

فلم يزل هدبة يطلبُ غِرَّةَ زيادة حتى أصابها فبيَّته فقتله ، وتنحى مخافة السلطان ، وعلى المدينة يومئذ سعيدُ بن العاص ، فأرسل إلى عم هدبة وأهلِه فحبسهم بالمدينة ، فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نَفْسه وتخلّص عمَّه وأهلَه ، فلم يزل محبوسا حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية ، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يُقيد منه إذا قامت البينة ، فأقامها ، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن ، فسألوه قبول الدية فامتنع ، وقال :

(١) منصب : متعب ، مجلب : من أجلب الجرح : علته القشرة .
(٢) معتب : مستوجب للعتاب واللوم .
(٣) مفعول عنى وعذب محذوف ، أى ما عنانى الفؤاد وعذبنى .
(٤) الخليع : من غلب فى القمار ، المتنشب : من النشب ، وهو النبل .
(٥) يريد أنه كما شفى من داء الحب عاوده الحنين إلى الداء والدواء من جديد .

صـــوت

أنختُم علينا كَلْـكَلَ الحرب مُرّةً فنحن مُنيخُوها عليكم بكلـكَلِ
فلا يدْعُنى قومى لزيدِ بن مالك لئن لم أُعجِّل ضربةً أو أُعجَّلِ [(١)]
أبعدالذى بالنَّعْف نعفِ كُوَيْكِبٍ رهينةِ رمسٍ ذى تراب وجندلِ [(٢)]
كريمٌ أصابتــه دياتٌ كثيرة فلم يدر حتى حين من كل مدخل [(٣)]
أُذَكَّر بالبُقْيا على من أصــابنى وبُقياىَ أنى جاهدٌ غيرُ مؤتلى [(٤)]

غناه ابن سُرَيْج رملا بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق، وقيل: إنه لمالك بن أبى السمح وله فيه لحن آخر.

رجع الخبر إلى سياقته

وأما على بن محمد النوفلىّ، فذكر عن أبيه: أنّ سعيدَ بن العاص كره الحكم بينهما، فحملهما إلى معاويةَ، فنظر فى القصة، ثم ردها إلى سعيد. وأما غيره فذكر أن سعيدا هو الذى حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية.

قال على بن محمد عن أبيه:

فلما صاروا بين يدَىْ معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو

(١) لا يدعنى قومى ... الخ: لا ينسبنى قومى إلى أبى إن لم أعجل بثأر أخى أو يعاجلنى الموت.
(٢) النعف: المكان المرتفع فيه صعود وهبوط وكويكب: موضع فى دبار سعد بن هذيم.
(٣) أصابته ديات كثيرة، يريد أنه كان يدفع الديات نيابة عن القاتلين كرماً منه، أو أنه كان مطالباً بكثير من الديات لكثرة من قتل، وقوله: «حتّى حين» لم نجد لها تخريجاً، فلعلها «خين» بالخاء المعجمة من الخيانة، أو لعلها «خان» بمعنى هلك والبيت ساقط من س.
(٤) أذكر: متعلق الجار والمجرور بالبيت الثالث، يعنى أأذكر بالبقيا على من أصابنى بفقد أخى بعد الذى بالنعف، غير مؤتلى: غير مقصر فى طلب الوتر، وفى هج، هد: «على ما أصابنى» بدل «من أصابنى».

إليك مظلمتى (١ وما دُفِعتُ إليه ، وجرى علىَّ وعلى أهلى وقُرباىَ ١) وقتلَ أخى زيادة ، وترويعَ نسوتى ، فقال له (٢) معاوية : يا هُدبة قل . فقال : إن هذا رجل سَجَّاعة (٣) ، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاما أو شعراً فعلتُ ، قال : لا بل شعراً ، فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالا :

ألا يالقَومى لِلنَّوائب والدّهر ... ولِلمرء يُردِى نفسه وهْو لايدرِى (٤)
ولِلأرض كم من صالحٍ قد تأَكَّمت ... عليه فوارتْهُ بلمّـــــــاعةٍ قَفْر
فلا تتّقِى ذا هَيْبَـــة لجلاله ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يتركْن للفقر (٥)

حتى قال :

رُمِينا فَرامَينا فصادف رَمْيُنـا ... مَنايا رجالٍ فى كتابٍ وفى قَدْر
وأنت أميرُ المؤمنين فما لنا ... وراءك من مَعدًى ولا عنك من قَصْر
فإن تك فى أموالنا لم نَضِق بها ... ذِراعاً ، وإن صبرٌ فنصبرُ للصّبر

فقال له معاوية : أراك قد أقررت (٦) بقتل صاحبهم ، ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولَدٌ ؟ قال : نعم ، المِسوَر ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمه وولىُّ دم أبيه ، فقال : إنك لا تؤمَن على أخذ الدية أوقتلِ الرجل بغير حق ، والمِسور أحق بدم أبيه فَرَدَّه إلى المدينة فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المِسوَر .

(١ — ١) تكملة من ف .
(٢) كلمة «له» هنا نرجح أنها زائدة فإن ضميرها يجب أن يعود على هدبة ، ولم يتقدم له مرجع فى الكلام .
(٣) سجاعة : صيغة مبالغة من سجع فى كلامه .
(٤) ارجع إلى هذا البيت ومابعده فى أول الترجمة .
(٥) فاعل تتقى ضمير الأيام ، وذا مفعول مقدم ليتركن .
(٦) الإقرار يتضمنه البيت : رمينا فرمينا ... الخ .

بينه وبين جميل ابن معمر

أخبرنى الحَرَمىّ بن العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : نسخت من كتاب عامر ابن صالح قال :

دخل جميلُ بن مَعْمَرِ العُذْرىُّ على هدبة بن خَشْرمٍ السّجنَ وهو محبوس بدم زيادةَ ابن زيد ، وأهدى له بُردين من ثياب كساه إياها سعيدُ بن العاص ، وجاءه بنفقة ، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه ، وسأله أن يقبله منه ، فقال له هدبة : أأنت يا بن مَعْمرٍ الذى تقول :

بنى عامرٍ أنّى انتجعتُم وكنتمُ ... إذا عُدِّد الأقوامُ كالُخصْية الفرد ؟

أما والله لئن خلّص الله لى ساقى لأمدنّ لك مضمارك[1] ، خذ بُرديك ونفقتَك ، فخرج جميلٌ ، فلما بلغ باب السجن خارجا قال : اللهم أغْنِ[2] عنى أجدعَ بنى عامر ، قال : وكانت بنو عامر قد قلّت ، فخالفت لإياد .

من شعر أمه فيه

قال أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنى :

فقالت أم هُدبة فيه لما شَخَص إلى المدينة فحُبِس بها :

أيا إخوتى أهلَ المدينة أكرموا ... أسيرَكُمُ إن الأسيرَ كريمُ

فَرُبَّ كريمٍ قد قَرَاه وضافَه ... ورُبَّ أمورٍ كلُّهن عظيمُ

عَصَى جلُّها يومًا عليه فراضَه ... من القوم عَيّافٌ أشمُّ حليمُ[3]

يتوسطون له فترفض وساطتهم

فأرسل هدبةُ العشيرةَ[4] إلى عبد الرحمن فى أول سنة فكلموه ، فاستمع منهم ثم قال :

---

(١) لأمدن لك مضمارك : لأوسعن الميدان الذى ألاقيك فيه ، وربما كانت لأعدن لك مضمارك» وعلى كل فهى تهديد .

(٢) أغنه عنى : اكفنى شره ، ويعنى بأجدع بنى عامر هدبة نفسه .

(٣) عصى جلها ... الخ ،خبر أمور فى البيت السابق ، والهاء من راضه يعود على«جل» والمراد « بعياف أشم حليم » هدبة نفسه .

(٤) يريد عشيرته من بنى عامر .

أبعدَ الذى بالنَّعف نعف كُويْكِبٍ رهينةِ رمس ذى تُراب وجندَل(١)
أُذكَّر بالبُقْيا على مَنْ أصابنى وبُقْيَاىَ أنى جاهدٌ غيرُ مُؤْتلى

فرجعوا إلى هدبةَ بالأبيات فقال : لم يُؤيِسْنِى بعدُ ، فلما كانت السنة الثالثة بلغ المِسور ، فأرسل هدبةُ إلى عبد الرحمن مَنْ كلَّمه فأنصت حتى فرغوا ، ثم قام عنه مغضباً وأنشأ يقول :

سأُكذِب أقواماً يقولون : إنّنى سآخذُ مالاً من دم أنا ثائرُه(٢)
فباسْتِ امرئ واسْتِ التى زَحَرت به يسوق سَواماً من أخٍ هو واترُه(٣)

ونهض ، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال : الآن أَيِستُ منه ، وذهب عبد الرحمن بالمِسور ، وقد بلغ إلى والى المدينة ، وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فأخرج هدبة .

لقاؤه الأخير بزوجته

قالوا : فلما كان فى الليلة التى قُتل فى صباحها أرسَل إلى امرأته ، وكان يحبها : إيتينى الليلة أستمتعْ بك وأودِّعك ، فأتته فى اللِّباس والطِّيب ، فصارت إلى رجل(٤) ، قد طال حبسُه ، وأنتنت فى الحديد رائحتُه ، فحادثها ، وبكى ، وبكت ، ثم راودها عن نفسها ، وطاوعته ، فلما علاها سمعَتْ قعقعةَ الحديد فاضطربت تحته ، فتنحّى عنها وأنشأ يقول :

(١) تقدم هذا البيت وما قبله ، وهما رفض لطلب العشيرة وإباء لعرض الدية .
(٢) أنا ثائره : أنا طالب ثأره .
(٣) يريد بقوله : « واست اللى زحرت به » : ولدته .
(٤) الرجل المقصود هنا هو هدبة نفسه .

وأدْنَيْتِنِى حتى إذا ما جعلتِنِى ... لَدَى الخصْر أو أدْنَى استقَلَّكِ راجفُ (١)

فإنْ شئتُ واللهِ انتهيتُ وَإِنَّنى ... لئلا ترَيْنى آخرَ الدهرِ خائفُ

رأت ساعدَىْ غُولٍ وتحت ثيابه ... جآجىءُ يدْمَى حدُّها وَالحراقفُ (٢)

ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويلٌ جداً وفيه يقول :

صوت

فلم تَرَ عينى مثلَ سربٍ رأيتُه ... خرجْنَ علينا من زقاق ابنِ وَاقفِ (٣)

تضمَّخْن فى الجادىِّ حتى كأنَّما الأ ... نوفُ إذا استعْرَضْتَهُنَّ رَوَاعِف (٤)

خرجن بأعناق الظباء وأعيُن الـ ... جآذرِ وَارتجَّتْ لهن السَّوالف (٥)

فلو أنَّ شيْئاً صاد شيئاً بطَرفه ... لصِدْن ظباءً فوقهنَّ المطارفُ (٦)

غنى فيه الغريض رملا بالبنصر من رواية حَبَش ، وفيه لحن خفيف ثقيل ، وذكر إسحاق أن فيه لحنًا ليونس ، ولم يذكر طريقته فى مجرده .

---

(١) استقلك راجف : أصابك ما أفزعك .

(٢) جآجىء : جمع جؤجؤ ، وهو عظم الصدر ، الحراقف : جمع حرقفة ، وهى أعلى الورك

(٣) فى البيت إقواء ، وفى بعض النسخ : « خرجن علينا حين اذ أنا واقف » وعليه فلا إقواء ، ويرجح الرواية الأولى حديث السمكات الذى سيأتى بعد ، ويرجح الرواية الثانية قول المؤلف فيما يلى : ليس هناك زقاق يحمل هذا الاسم .

(٤) الجادى : الزعفران .

(٥) السوالف : جمع سالفة ، وهى جانب العنق .

(٦) ظباء : فاعل صدن — على لغة أكلونى البراغيث — المطارف : جمع مطرف ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام ، والمعنى : لو أن اللحظ يصيد لصادت هذه الظباء التى تلبس المطارف — يقصد الغوانى — بألحاظها الرجال ، وفى رواية : « لصدن بألحاظ ذوات المطارف » وعليه فى البيت إقواء ، والمعنى لا يتغير .

أيهما أحسن : سربه أم السمكات الثلاث ؟

أخبرنا الحرمىّ قال : حدثنا الزبير عن عمه قال :

مرّ أبو الحارث جُمَّيْن يوماً بسوق المدينة ، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاثُ سمكات قد شقّ أجوافَها : وقد خرج شحمُها ، فبكى أبو الحارث ، ثم قال . تَعِس الذى يقول :

فلم تَرَ عينى مثلَ سِربٍ رأيته ... خرجن علينا من زُقاقِ بنِ وَاقفِ

وَانتكس وَلا انجبر ، والله لهذه السمكات الثلاث أحسَنُ من السرب الذى وصف .

وَأحسب أن هذا الخبر مصنوع لأنه ليس بالمدينة زُقاقٌ يعرف بزقاق ابن واقف ، ولا بها سَمَك ، ولكن رويت ما رُوِى .

حبّى ترثى لحاله

وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أنّ ابن كُناسةَ قال :

مرَّ بهُدْبةَ على حُبِّى[1] ؛ فقالت : فى سبيل الله شبابُك وجلَدُك وَشِعْرُك وكرمُك ؛ فقال هدبة :

تَعَجَّبُ حُبىٌّ من أسير مُكبَّلٍ ... صَلِيبِ العَصَا باقٍ على الرَّسَفَانِ[2]

فلا تَعْجَبى مِنِّى حَليلَة مالكٍ ... كذلك يأتى الدهرُ بالحدَثانِ

يبين لزوجته أوصاف من يخلفه عليها

وقال النوفلىُّ عن أبيه :

فلما مُضِىَ بهِ من السجن للقتل ، التفت فرأى امرأته ؛ وكانت من أجمل النساء فقال :

---

(١) حبى : اسم امرأة كانت تحت رجل اسمه مالك .

(٢) الرسفان : المشى الوئيد يمشيه المقيد فى قيده .

أَقِلِّى علىَّ اللَّومَ يا أُمّ بَوزَعا ... ولا تَجْـزَعى ممّـا أصابَ فأَوجعا
ولا تنْـكَحى إن فرّق الدهرُ بيننا ... أَغَمّ القفا والوجهِ ليس بأَنْزَعا[1]
كَليلاً سوى ما كان من حَدّ ضِرْسه ... أُكَيْبِدَ مِبْطانَ العَشيّاتِ أرْوَعا[2]
ضَروباً بلَحييْهِ على عَظْــم زَوره ... إذا الناس هَشُّوا للفَعال تَقَنَّعا[3]
وحُلِّى بذى أُكرومة وحَمِيّـةٍ ... وَصبْرٍ إذا ما الدهر عَضّ فأسَرَعا

زوجته تشوه جمالها بسكين

وقال حَمّاد عن أبيه عن مُصْعَب بن عبد الله قال :

لما أُخرِج هُدبةُ من السجن ليُقتل ، جعل الناسُ يتعرّضون له ويَخْبُرُون صَبْرَه ، ويَستَنْشِدونه ، فأدركَه عبدُ الرحمن بنُ حسّانَ[4] ، فقال له : يا هدبةُ ، أتأمُرنى أن أتزوج هذه بَعْدَك ، يَعْنِي زوجتَه ، وهى تمشى خلفَه فقال : نعم ، إن كنتَ من شَرْطها ، قال : وما شَرْطُها ؟ قال : قد قُلتُ فى ذلك :

فلاَ تنـكَحِى إنْ فَرّق الدهرُ بيننـا ... أَغَمّ القفا والوجهِ ليس بأنْزعا[5]
وكُونى حَبِيساً أو لأروعَ ماجِـدٍ ... إذا ضَنَّ أعشاشُ الرّجال تَـبرّعا[6]

فمالت زوجتُه إلى جزّار وأخذت شَفْرته ، فجَدَعت بها أنفَها ، وجاءته تَدْمَى

(١) الأنزع : من انحسر شعره عن جبينه وقفاه .

(٢) يريد بالمصراع الأول أنه كليل العزم والسيف غير كليل الناب والضرس . الأكيبد : تصغير أكبد بمعنى مصاب فى كبده ، مبطان العشيات : كثير الأكل ليلا ، أروع : من الروع ، وهو الخوف ، أى جبان .

(٣) اللحيان : العظمان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية والسفلية ، والمصراع الأول كناية أيضاً من البطنة ، هشوا : سروا وانشرحت صدورهم ، الفعال — بفتح الفاء — الكرم والفعل الحميد ، تقنع : أخفى وجهه وغطاه بغشاء .

(٤) ضبطنا حسان بالفتح على أنه مأخوذ من الحس ، فهو ممنوع من الصرف .

(٥) فى هد «أغم القفا والرأس» .

(٦) أعشاش الرجال : من عش معروفه بمعنى قلله ، يقول لها : كونى حبيس خدرك أو تزوجى ما جدا .

مجدوعة فقالت: أتخاف أن يكون بَعْدَ هذا نِكاح ؟ قال: فرسَف فى قُيودِه وقال: الآن طَابَ الموت.

وقال النوفلىُّ عن أبيه:

إنها فعلت ذلك بحضْرة مَرْوان وقالت له: إن لهُدْبة عندى وَدِيعة، فأمهِلْه حتى آتيَه بها، قال: أسرِعى، فإن الناس قد كَثُروا، وكان جلس لهم بارِزاً عن دَارِه[1]، فمضت إلى السُّوق، فانتهت إلى قصّاب وقالت: أعطنى شَفْرتَك، وخُذ هذين الدرهمين وأنا أردُّها عليك، ففَعل، فقَربت من حائط، وأرسلت مِلْحفتَها على وَجهها، ثم جدعت أنفها من أصْله، وقطعت شَفَتَيْها، ثم رَدّت الشفرَة، وأقبلت حتى دَخَلت بين الناس وقالت: يا هُدْبة، أتُرانى متزوجةً بعد ما تَرَى؟ قال: لا، الآن طابت نَفْسى بَعْدُ بالمُوت، ثم خرَج يرسُف فى قيودِه، فإذا هو بأبوَيْه يتوقعان الثّكل، فهما بسُوء حال، فأقبل عليهما وقال:

أبلِيانى اليومَ صبرًا منكما إنّ حُزْناً إن بدا بادِىءُ شرّْ
لا أرانى اليومَ إلا ميِّتاً إنّ بعدَ الموت دارَ المستقَرّ[2]
اصبِرَا اليوم فإنى صابرٌ كلُّ حَىٍّ لقَضاء وقَدرْ

قال النوفلىّ: فحدثنى أبى قال:

زوجته تنكث بعهدها

حدثنى رجلٌ من عُذرةَ عن أبيه قال: إنى لببلادنا يوما فى بعض المِياه، فإذا أنا بامرأة تَمشى أمامى وهى مدبرة، ولها خَلْق عجيب من عَجُز وهَيْئة، وتمام جسم، وكمال قامَة، فإذا صَبيَّان قد اكْتنفَاها يَمْشِيان، قد تَرَعْرعا، فتقدّمتُها، والتفتُّ إليها، فإذا هى أقبحُ مَنْظر، وإذا هى مجدوعةُ الأنف، مقطوعةُ الشفتين، فسألتُ عنها فقيل لى: هذه امرأة هُدْبة، تزوّجت[3] بعده رَجُلا، فأولدَها هذين الصَّبيَّيْن.

(١) ب: «بإزاء داره». (٢) فى المختار: «لا أرى ذا اليوم إلا هينا».
(٣) وهكذا صدق الشاعر حين يقول:
وإن حلفت لا تنقض الدهر عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

أخو زيادة يرفض كل شفاعة ودية

قال ابنُ قُتيبة فى حديثه :

فسأل سعيدُ بن العاص أخا زيادَة أن يَقْبَل الدّية عنه ، قال : أُعطيك مالم يُعطه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جَدّاء[1] ولا ذاتُ داء ، فقال له : والله لو نَقَبْت لى قُبّتك هذه ، ثم ملأتَها لى ذهباً ، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع ، فلم يزل سعيد يسألُه ، ويعرض عليه فيأبى ، ثم قال له : والله لو أردتُ قبول الدية لمنعنى قوله :

لنَجدَعَنّ بأيدينا أنوفَكم ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا

فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه .

قال حَمّاد : وقرأتُ على أبى عن مصعب بن عبد الله الزبيرىّ قال :

يعرض بحبى وهو فى طريقه إلى الموت

ومَرّ هُدبةُ بحُبّى ، فقالت له : كنتُ أعدّك فى الفتيان ، وقد زَهِدتُ فيك اليوم ، لأنى لا أنكر أن يَصْبر الرّجال على الموت ، لكن كيف تَصْبر عن هذه[2] ؟ فقال : أما والله إنّ حُبّى لها لشديد ، وإن شِئْتِ لأصفَنّ لك ذلك ، ووقف الناس معه ، فقال :

وَجدت بها ما لم تَجِد أمّ واحدٍ ولا وجدُ حُبّى بابن أمّ كِلابِ[3]
رأته طويل السّاعدين شَمَرْدَلا كما تَشْتَهِى من قوة وشباب[4]

فانقمعت[5] داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه . قالوا : فدُفِع إلى أخى زيادة ليقْتُلَه ، قال : فاستأذن فى أن يُصَلّى ركعتين ، فأذِن له ، فصلاهما وخَفّف ، ثم التفَتَ إلى مَنْ حضر فقال : لولا أن يُظَنّ بى الجزعُ لأطَلْتُهما ، فقد كنت محتاجا إلى إطالتهما ، ثم قال

(١) الجداء : القليلة اللبن من مرض أصابها .
(٢) هذه : إشارة إلى زوجته .
(٣) يعرض بحبى وبحبها لرجل افتتنت به .
(٤) الشمردل : الجميل الخلق ، وفى ف ، هج : «كما اشترطت» بدل «كما تشتهى» .
(٥) فانقمعت : ولت هاربة .

من الغد خرجت من منزلى إلى المسجد الذى كنتُ فيه بالأمس ، فأتى كثيِّر ، فجلس معى ، وإنَّا لنتذاكر الفرزدق ، ونقول : ليت شعرى ما صنع ؟ إذ طلع علينا فى حُلَّة أفوافٍ (١) ، قد أرخى غديرته ، حتى جلس فى مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصارى ؟ فنلنا منه ، وشتمناه ، فقال : قاتله الله : ما مُنيت بمثله ، ولا سمعت بمثل شعره ، فارقته ، وأتيت منزلى ، فأقبلت أُصعِّدُ وأُصوِّب فى كل فن من الشعر ، فكأنى مفحَم لم أقل شعرا قط ، حتى إذا نادى المنادى بالفجر رحَلتُ ناقتى ، وأخذت بزمامها حتى أتيت ريَّانا (٢) ، وهو جبل بالمدينة ، ثم ناديت بأعلى صوتى : أخاكم أخاكم ، يعنى شيطانه ، فجاش صدرى كما يجيش المرجل ، فعقلت ناقتى وتوسدت ذراعها ، فما عتمت (٣) حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتا ، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصارى ، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا ، ثم قال : إنى لم آتِك لأُعجلَك عن الأجل الذى وقَّتُّه لك ، ولكنى أحببت ألا أراك إلا سألتك : إيش (٤) صنعت ؟ فقال : اجلس ، وأنشده قوله :

* عزفتَ بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ وأنكرتَ من حدراء ما كنت تعرف

* ولجّ بك الهجرانُ حتى كأنما ترى الموت فى البيت الذى كنت تألف

فى رواية ابن حبيب : تَيْلَفُ (٥) حتى بلغ إلى قوله :

ترَى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقَّفوا

---

(١) أفوافٍ : ثياب رقاق موشاة مخططة .

(٢) هكذا فى ب « ريانا » والصواب « ريان » بالمنع من الصرف ، لأنه من الرى وربما كان من الرين ، فتكون نونه أصلية ، وحينئذ فلا مانع من صرفه ، وفى المختار : « ذبابا » بدل « ريانا » .

(٣) ماعتمت : ماأبطأت .

(٤) إيش : لفظ منحوت من « أى شىء » وهو عربى فصيح .

(٥) وكذا فى الديوان : ٥٥١ والنقائض وهى لهجة تميمية فى تألف

وأنشدها الفرزدق، حتى بلغ إلى آخرها، فقام الأنصارى كئيبا، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم فى مشيخة من الأنصار، فسلموا عليه، وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلَغنا أن سفيها من سفهائنا ربما تعرض لك، فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفِظت فينا وصيةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووهبتنا له، ولم تفضحنا.

قال محمد بن ابراهيم: فأقبلتُ عليه أكلمه، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا، فقد وهبتكم لهذا القرشى.

(1) قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدِنى أجود شعر عملته، فأنشده:

* عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزف[2] *

فقال: زدنى: فأنشده:

ثلاثٌ واثنتان فتلك خمس ... وواحدة تميل إلى الشِّمام[3]
فبتْنَ بجانبىّ مصرَّعاتٍ ... وبتُّ أفضُّ أغلاق الخِتام[4]

فقال له سليمان: ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة، أقررتَ بالزنى عندى، وأنا إمام، ولا تريد منى إقامة الحد عليك، فقال: إن أخذت فىّ بقول الله عز وجل لم تفعل. قال: وما قال؟. قال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿والشّعراء يتّبعهم الغاوون، ألم تَرَ أنَّهم فى كلّ وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾، فضحك سليمان وقال: تلافيتها ودرأت عنك الحدّ وخلع عليه وأجازه(1).

(١–١) تكملة من المختار.
(٢) تقدمت الأبيات التى تبتدئ بهذا المصراع.
(٣) يريد بهذا العدد: من عبث بهن من النساء، والشام: القبل والترشف وما إليهما
(٤) كنى بفض أغلاق الختام عن المضاجعة والمواقعة..

عائشة أم المؤمنين تدعو له بعد موته

حدثنى أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال : حدثنى أبو مُصْعَب الزّبيرىّ قال : حَدّثنى المُنْكَدِرُ بنُ محمد بنِ المُنْكَدِر ، عن أبيه قال :

بعث هُدبةُ بنَ خَشْرَم إلى عائشةَ زوج النبى صلى الله عليه وسلم يقول لها : أستغفرى لى ، فقالت : إن قُتِلْتَ استغفَرْتُ لك .

صــوت

أَلم تَرَ أنّى يومَ جوِّ سُوَيْقَةٍ   بكيتُ فنادتنى هُنيدةُ ماليَـا ؟
فقلتُ لها : إنّ البكاء لراحةٌ   به يشتفى مَنْ ظنّ أن لا تلاقيا
قِفِى ودّعينـا يا هُنَيْـدَ فإنّنى   أرى القومَ قدشاموا العَقِيقَ اليمانيا[١]
— ويروى : أرى الركبَ قد شاموا — .
إذا اغرورقت عيناىَ أَسبَلَ منهما   إلى أن تغيب الشِّعْريان بكائيا[٢]

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ، وهى فيما قيل أولُ قصيدة هجاه بها ، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامى ، قال الهشامى : وفيه لمالك ثقيل أول ، وابتداء اللحنين جميعا .

* ألم تر أنى يوم جوّ سُوَيْقَة *

ولعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه :

* قفى ودعينا يا هنيدَ فإننى : *

(١) شام السحاب والبرق ونحوهما : نظر إليه ليتحقق أفيه مطر أم لا ، والمراد هنا النجعة والرحيل.
(٢) الشعريان : نجمان معروفان ، فلعله يريد أن يقول : إنه يبكى طول الليل ، أو طول الصيف ، لأن الشعريين كانا رمز الصيف عند العرب ، واسم إحداهما العبور ، واسم الأخرى الغميصاء .

نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته

نسبه

الفرزدق لقب غَلَب عليه ، وتفسيره الرغيف الضخم الذى يجففه النساءُ للفَتوت ، وقيل : بل هو القطعة من العجين التى تبسط ، فيُخبَز منها الرغيف ، شُبِّه وجهه بذلك ؛ لأنه كان غليظاً جهما . واسمه همّام بن غالبِ بنِ صَعصعةَ بنِ ناجيةَ بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مُجاشع بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناةَ بن تميم .

قال أبو عبيدة : اسم دارم بحر ، واسم أبيه مالكٍ عُوف ويقال عرف . وسُمّى دارمٌ دارما لأن قوما أتوا أباه مالـكا فى حَمالة⁽١⁾ فقال له : قم يا بحر فأْتنى بالخريطة — يعنى خريطة كان له فيها مال — فحملها يدرِم عنها ثِقلا ، والدَّرمان : تقارب الخطو ، فقال لهم : جاءكم يَدْرِم بها ، فسمى دارما ، وسُمى أبوه مالكٌ عُرفا لجوده .

وأم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيانَ بن مجاشع .

وكان للفرزدق أخ يقال له هُمَيم ، ويلقب الأخطل ، ليست له نباهة ، فأعقب ابنا يقال له محمد ، فمات والفرزدق حىٌّ فرثاه ، وخبرهُ يأتى بعد . وكان للفرزدق من الولد خَبطةٌ ولَبطةٌ وسَبطة ، هؤلاء المعروفون ، وكان له غيرهم فماتوا ، ولم يُعرفوا . وكان له بنات خمس أو ست .

جده محيى الموءودات

وأم الفرزدق — فيما ذكر أبو عبيدة — لينة بنت قرظة الضبية .

وكان يقال لصعصعة محيى الموءودات ؛ وذلك أنه كان مر برجل من قومه ، وهو يحفر بئراً ، وامرأته تبكى ، فقال لها صعصعة: مايبكيك ؟ قالت : يريد أن يئد ابنتى هذه ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الفقر . قال : فإنى أشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما ، تعيشون بألبانهما ، ولا تئد الصبية ، قال : قد فعلت ، فأعطاه الناقتين وجملا كان تحته فحلا ، وقال فى نفسه : إن هذه لمكرُمةٌ ما سبقنى إليها أحد من العرب ، فجعل على

(١) الحمالة : الغرامة يحملها قوم عن قوم أو الدية .

نفسه ألاّ يسمع بموءودة إلا فداها ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة، وقيل : أربعمائة .

أخبرنى بذلك هاشم بن محمد الخزاعى ، عن دَماذ ، عن أبى عبيدة .

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدىّ وعلىّ بن سليمان الأخفش قالا : حدثنا أبو سعيد السكرىّ ، عن محمد بن حبيب ، عن أبى عبيدة عن عقال بن شبة قال : قال صعصعة :

خرجت باغيا ناقتين لى فارقتين — والفارق : التى تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها ، حتى تُنْتَج — فرُفعت لى نار فسرت نحوها ، وهممت بالنزول ، فجعلت النار تضىء مرة ، وتخبو أخرى ، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت : اللهمّ لك علىّ إن بلّغتنى هذه النار ألّا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرّجها إلا فرّجتها عنهم ، قال : فلم أسر إلا قليلا حتى أتيتها ، فإذا حىٌّ من بنى أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم، وإذا أنا بشيخ حادر أشعر[1] يوقدها فى مقدم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض[2] ، قد حبستهنّ ثلاث ليال . فسلّمت فقال الشيخ : من أنت ؟ فقلت : أنا صعصعة بن ناجية بن عقال ، قال : مرحبا بسيدنا ، ففيم أنت يا بن أخى ؟ فقلت : فى بغاء ناقتين لى فارقتين عُمِّىَ علىّ أثرهما ، فقال : قد وجدتَهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك ، وقد نتجناهما ، وعطفت إحداهما على الأخرى ، وهما تانك فى أدنى الإبل .

قال : قلت: ففيم توقد نارك منذ الليلة ؟ قال : أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال ، وتكلّمت النساء فقلن : قد جاء الولد، فقال الشيخ : إن كان غلامًا فوالله ما أدرى ما أصنع به ، وإن كانت جارية فلا أسمعنّ صوتها — أى اقتلنها — فقلت : ياهذا ذرها فإنها ابنتك، ورزقها على الله ، فقال : اقتُلنها ، فقلت: أنْشُدك الله ، فقال : إنى أراك بها حفيًّا ، فاشترها منى، فقلت : إنى أشتريها منك ، فقال : ما تعطينى ؟ قلت : أعطيك إحدى ناقتىّ قال : لا ، قلت : فأزيدك الأخرى ، فنظر إلى جملى الذى تحتى ، فقال : لا، إلا أن تزيدنى

(١) حادر : سمين الجسم غليظ .

(٢) ماخض : أدركها المخاض .

جملَك هذا ، فإنى أراه حسن اللون شابَّ السّن ، فقلت : هو لك والناقتان على أن تبلغنى أهلى عليه ، قال : قد فعلت ، فابتعتها منه بلقوحين[1] وجمل ، وأخذت عليه عهدَ الله وميثاقَهُ ليُحسنَنَّ برّها وصلتَها ما عاشت ، حتى تبين منه ، أو يدركها الموت ، فلما برزتُ من عنده حدّثتنى نفسى وقلت : إن هذه لمكرمة ما سبقنى إليها أحد من العرب ، فآليت ألاَّ يئد أحد بنتاً له إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمل ، فبعث الله عزَّ وجل محمداً عليه السلام ، وقد أحييتُ مائة موءودة إلا أربعًا ، ولم يشاركنى فى ذلك أحد ، حتى أنزل الله تحريمَه فى القرآن ، وقد فخر بذلك الفرزدق فى عدّة قصائد من شعره ، ومنها قصيدتُه التى أوّلُها :

أبى أحدُ الغَيثَيْن صعصعةُ الذى　　متى تُخْلفِ الجوزاء والدّلْوُ يُمْطِرِ[2]
أجارَ بناتِ الوائدِينَ ومن يُجِرْ　　على الفقر يُعْلَمْ أنه غيرُ مُخْفِر[3]
على حينَ لا تحيا البناتُ وإذ هُمُ　　عكوف على الأصنام حول المدَوَّرِ[4]

—[5] المدَوّر : يعنى الدّوّار الذى حول الصنم ، وهو طوافهم[5]—

أنا ابن الذى ردّ المنيةَ فضلُهُ　　فما حسبٌ دافعتُ عنه بمعْوِرِ[6]
وفارقِ ليلٍ من نساء أتتْ أبى　　تُمارس ريحًا ليلُهـا غير مُقْمِرِ[7]
فقالت : أجِرْ لى ماولدتُ فإننى　　أتيتك من هزلَى الحَمولةِ مُقْتِرِ[8]

---

(١) بلقوحين : بناقتين حاملتين .

(٢) يقصد أن هناك غيثا فى السماء وغيثا فى الأرض ، فغيث السماء المطر ، وغيث الأرض أبوه ، وأن أباه خير الغيثين ، فانه لا يخلف إذا أخلفت بروج السماء .

(٣) غير مخفر : غير ناقض للعهد .

(٤) حين بفتح النون وكسرها ، وهم : القوم لا البنات .

(٥ — ٥) التكملة من هد ، هج .

(٦) معور : معيب .

(٧) وفارق : الواو واو رب ، والفارق : الناقة أخذها المخاض فندت فى الأرض ، والمراد هنا المرأة لا الناقة ، تمارس ريحا ... الخ : تعانى ليلة مظلمة عاصفة الرياح .

(٨) هزلى الحمولة : من هزل الرجل إذا ماتت ماشيته ، مقتر : فقير مقل .

هِجفٌّ من العُثْو الرءوس إذا بدت ... له ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكر(١)

رأى الأرضَ منها راحةً فرمى بها ... إلى خُدَدٍ منها إلى شرِّ مَحفر(٢)

فقال لها : فِيئى فإنى بذمتى ... لبنتك جارٌ من أبيها القَنَوَّر(٣)

إسلام أبيه على يد الرسول

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم(٤) فأسلم وقد كان وَفَدهُ أبوه صعصعةُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم(٤) فأخبره بفعله فى الموءودات ، فاستحسنه وسأله : هل له فى ذلك من أجر ؟ قال : نعم فأسلم وعمَّر غالبٌ ، حتى لحق أمير المؤمنين عليًّا صلوات الله عليه بالبصرة ، وأدخل إليه الفرزدق ، وأظنه مات فى إمارة زياد ومُلك معاوية .

أخبرنى محمد بن الحسين الكندىّ وهاشم بن محمد الخزاعىّ ، وعبد العزيز بن أحمد عم أبى قالوا : حدثنا الرّياشىّ قال : حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى سوية ، قال : حدثنى عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبرىّ ، قال : حدثنى الطفيل بن عمرو الربعىّ ، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، عن صعصعة بن ناجيةَ المجاشعىِّ جدِّ الفرزدق قال :

قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم ، فعرض علىّ الإسلام ، فأسلمت ، وعلّمنى آياتٍ من القرآن ، فقلت : يا رسول الله إنى عملت أعمالا فى الجاهلية هل لى فيها من أجر؟ فقال : وما عمِلت ؟ فقلت : إنى أضللتُ ناقتين لى عُشرَاوين ، فخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لى بيتان فى فضاء من الأرض ، فقصدت قصدها ، فوجدت فى أحدهما شيخا كبيرا ، فقلت له : هل أحسست من ناقتين عُشراوين ؟ قال : وما نارهما ؟ — يعنى السّمة — فقلت : ميسم بنى دارم ، فقال : قد أصبت ناقتيك ونتجناهما ، وظأرتا(٥) على أولادهما

---

(١) هذا البيت من هج ، هد ، ساقط من ب ، الهجف : الجافى الثقيل ، العثو : جمع أعثى ، وهو الأشعر ، منكر : صفة لهجف .

(٢) منها : من الطفلة ، خدد : شقوق .

(٣) فيئى : ارجعى واطمئنى : القنور : الشرس الخلق ، وفى هج :

فقال لها فيئى إليك فاننى ... لبنتك جار من أبيها القنور

(٤-٤) التكملة من هد .

(٥) ظأرتا : عطفتا .

ونَعَش الله بهما أهلَ بيت من قومك من العرب من مضر ، فبينا هو يخاطبنى إذ نادَته امرأة من البيت الآخر : قد ولدت ، فقال : وما ولدتِ ؟ إن كان غلاماً فقد شرِكنا فى قُوتنا ، وإن كانت جارية فادفنوها ، فقالت : هى جارية : أفأئدها ؟ فقلت : وماهذا المولود ؟ قالت : بنت لى ، فقلت : إنى أشتريها منك ، فقال : ياأخا بنى تميم ، أتقول لى : أتبيعنى ابنتك وقد أخبرتك أنى من العرب من مضر ؟ فقلت : إنى لا أشترى منك رقبتها ، إنما أشترى دَمَها لئلا تقتلها ، فقال : وبِمَ تشتريها ؟ فقلت : بناقتَىّ هاتين وولديهما . قال : لا حتى تزيدنى هذا البعير الذى تركبه ؛ قلت : نعم ، على أن ترسل معى رسولا فإذا بلغتُ أهلى ردَدْتُ إليك البعير[(١] ففعل ، فلما بلغت أهلى رددتُ إليه البعير [١)] ، فلما كان فى بعض الليل فكرت فى نفسى فقلت : إن هذه مكرمة ما سبقنى إليها أحدٌ من العرب ، فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين موءودة ، أشترى كُلَّ واحدة منهن بناقتين عُشَراوين وجمل ، فهل لى فى ذلك من أجر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام : هذا باب من البر ، ولك أجره إذ مَنَّ الله عليك بالإسلام ، قال عباد : ومِصداقُ ذلك قولُ الفرزدق :

وجدِّى الذى منع الوائداتِ وأحيا الوئيد فلم يُوأَدِ[(٢)]

أخبرنى محمد بن يحيى ، عن الغلاَبِيّ ، عن العباس بن بكار ، عن أبى بكرا الهذلىّ قال :

وفد صعصعة بن ناجية جَدّ الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد من تميم ، وكان صعصعةُ قد منع الوَئيد فى الجاهلية ، فلم يدع تميما تَئِد ، وهو يقدر على ذلك ، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصِنى ، فقال : أُوصيك بأمك وأبيك وأخيك وأختك وإمائك ، قال : زدنى ، قال : احفظ مابين لَحْيَيْك[(٣)] ، وما بين رجليك .

(١ — ١) التكملة من هد ، هج .

(٢) فى هج والمختار : « الوائدين » بدل الوائدات ، والمعنى والوزن لا يتغير .

(٣) يعنى لسانك .

ثم قال له عليه السلام : ماشىء بلغنى عنك فعلته ؟ قال : يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ، ولم أدرِ أين الوجه ، غير أنى علمت أنهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يئدون بناتهم ، فعلمتُ أنّ ربّهم لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم يئدون ، وفديت من قدرت عليه .

وروى أبو عبيدة أنه قال للنّبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : إنى حملتُ حَمالاتٍ فى الجاهلية والإسلام ، وعلىّ منها ألفُ بعير ، فأدّيتُ من ذلك سبعمائة ، فقال له : إن الإسلام أمر بالوفاء ، ونهى عن الغدر ، فقال : حسبى حسبى ، ووفّى بها .

ورُوِى أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب ، وقد وفد إليه فى خلافته .

وكان صعصعةُ شاعراً وهو الذى يقول : أنشدنيه محمد بن يحيى له :

إذا المرء عادى من يودُّك صدرُه   وكان لمن عاداك خِدْناً مُصافيا
فلا تسألنْ عمّا لديه فإنّه   هو الداء لا يخفى بذلك خافيا[1]

أبوه يعطى دون أن يسأل

أخبرنى محمد بن يحيى ، عن محمد بن زكريا ، عن عبد الله بن الضحاك ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن عوانة قال :

تراهن نفرٌ من كلب ثلاثةٌ على أن يختاروا من تميم وبكر نفراً ليسألوهم ، فأيّهم أعطى ، ولم يسألهم عن نسبهم من هم ؟ فهو أفضلهم ، فاختار كل رجل منهم رجلا ؛ والذين اختيروا عميرُ بنُ السليك[2] ، بن قيس بن مسعود الشيبانىّ ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقرىّ ، وغالب بن صعصعة المجاشعىّ أبو الفرزدق ، فأتوا ابن السّليك فسألوه مائة ناقة ، فقال : من أنتم ؟ فانصرفوا عنه

ثم أتوا طلبة بن قيس ، فقال لهم مثل قول الشيبانىّ ، فأتوا غالباً ، فسألوه ،

(١) يريد أن يقول : إن صديق عدوك وعدو صديقك عدو لك .
(٢) فى هج : « عمر بن السلوك » وفى هد : « عمر بن السليل » .

فأعطاهم مائةَ ناقة وراعيها ، ولم يسألهم من هم فساروا بها ليلة ، ثم ردّوها ، وأخذ صاحبُ غالب الرّهنَ ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

وإذا ناحبَت[1] كلبٌ على الناس أيُّهم أحقُّ بتاج الماجد المتكرِّم[1]
على نفرٍ هُم من نزار ذوى العلا وأهل الجراثيم التى لم تهدَّم[2]
فلم يُجْزِ عن أحسابهم غيرُ غالبٍ جرَى بعنانَىْ كلِّ أبيضَ خِضرم[3]

سحيم يعجز عن مباراة أبيه فى كرمه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبى عبيدة ، عن جهم السليطىّ ، عن إياس بن شبة ، عن عقال بن صَعصعة ، قال :

أجدبت بلاد تميم ، وأصابت بنى حنظلة سنةٌ[4] فى خلافة عثمان ، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة ، فانتجعتها بنو حنظلة ، فنزلوا أقصى الوادى ، وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بنى مالك[5] بن حنظلة ، ولم يكن مع بنى يربوع من بنى مالك غير غالب[5] ، فنحر ناقته فأطعمهم إيّاها ، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرِّياحىّ حبس منها ناقة ، فنحرها من غد ، فقيل لغالب : إنما نحر سُحيم مواءمةً لك — أى مساواة لك — فضحك غالب ، وقال : كلا ، ولكنه امرؤ كريم ، وسوف أنظر فى ذلك ، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين ، فنحرهما ، فأطعمها بنى يربوع ، فعقر سُحَيم ناقتين ، فقال غالب : الآن علمت أنه يوائمنى ، فعقر غالب عشراً ، فأطعمها بنى يربوع ، فعقر سحيم عشراً ، فلما بلغ غالبًا فعلُه ضحك ، وكانت إبله ترد لخمس ، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها ، فالمكثر يقول : كانت أربعمائة ، والمُقِلّ يقول : كانت مائة ، فأمسك سحيم حينئذ ؛ ثم إنه عقر فى خلافة علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه بكُناسة الكوفة مائتى ناقة وبعير ، فخرج الناس بالزنابيل

(١) فى ب « ناديت » بدل « ناحبت » وناحبت : راهنت .
(٢) الجراثيم : جمع جرثومة ، وهى الأصل .
(٣) الخضرم : الكريم المعطاء .
(٤) سنة : جدب .
(٥—٥) التكملة من هد ، هج .

والأطباق والجبال لأخذ اللحم ، ورآهم علىٌّ عليه السلام ، فقال : أيّها الناس لا يحل لكم ، إنّما أُهِلّ [1] بها لغير الله عز وجل. قال : فحدثنى من حضر ذلك قال : كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام ، فجعل غالب يقول : يا بنىّ ، اردُدْ علىّ ، والفرزدق يردُّها عليه ، ويقول له : يا أبت اعقِر ، قال جهم : فلم يُغنِ عن سحيم فعله ، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطِق فعلَه .

يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن

حدثنى محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم — يعنى أبا العيناء — عن أبى زيد النحوىّ ، عن أبى عمرو قال :

جاء غالب أبو الفرزدق إلى علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة ، فقال : إن ابنى هذا من شعراء مضر [2] فاسمع منه ، قال : علمه القرآن ، فكان ذلك فى نفس الفرزدق ، فقيّد نفسه فى وقت ، وآلى : لا يحُلُّ قيدَه حتى يحفظ القرآن .

عريق فى قرض الشعر

قال محمد بن يحيى : فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعرا موصوفا أربعا وسبعين سنة ، وندع ماقبل ذلك ، لأن مجيئه به بعد الجمل — على الاستظهار — كان فى سنة ست وثلاثين ، وتوفى الفرزدق فى سنة عشر ومائة فى أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصرىّ وابن سيرين فى ستة أشهر ، وحُكى ذلك عن جماعة ، منهم الغلابىّ عن ابن عائشة عن أبيه .

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ عن الغلابى ، عن ابن عائشة أيضا ، عن أبيه قال : قال الفرزدق أيضا :

كنت أجيد الهجاء فى أيام عثمان ، قال : ومات غالب أبو الفرزدق فى أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه :

لقد ضمّت الأكفانُ من آل دارمٍ ... فتًى فائضَ الكفّين محضَ الضرائب [3]

---

(١) يقال : أهل الذابح : رفع صوته عند ذبح الضحية باسم من قدمها قربانا له .

(٢) فى هج ، هد : «أن ابنى هذا من أشعر مضر ، أو شاعر مضر» .

(٣) محض : خالص ، الضرائب : جمع ضريبة بمعنى الطبيعة والسجية ، يقول : إن سجايا أبيه وطبائعه خالصة مما يشينها .

أيهما أشعر، هو أو جرير؟

أخبرنى حبيب المهلبىّ قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدثنى محمد بن عمران الضبىّ، قال: حدثنى جعفر بن محمد العنبرىّ، عن خالد بن أم كلثوم، قال:

قيل للمفضل الضبى: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال الفرزدق: قال: قلت: ولم؟ قال: لأنه قال بيتا هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين (١وأحسن فى ذلك١) فقال:

عجبتُ لِعجلٍ إذ تهاجِي عَبِيدَها ... كما آلُ يربوع هَجَوْا آلَ دارِمِ(٢)

فقيل له: قد قال جرير:

إنّ الفرزدقَ والبَعِيثَ وأمّه ... وأبَا البَعِيث لشرّ ما إستارِ(٣)

فقال: وأىّ شىء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة!

أخبرنى عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنى موسى ابن طلحة، قال: قال أبو عبيدة مَعمرُ بنُ المثنّى:

كان الشعراء فى الجاهلية من قيس، وليس فى الإسلام مثلُ حظٍّ تميم فى الشعر، وأشعر تميمٍ جريرٌ والفرزدق(٤، ومن بنى تغلب الأخطلُ٤).

قال يونس بن حبيب: ما ذُكِر جرير والفرزدق فى مجلس شهدته قط فاتّفق المجلسُ على أحدهما، قال: وكان يونس فرزدقيًّا.

يفتصب بيتين لابن ميادة

أخبرنى عمى، عن محمد بن رستم الطبرىّ، عن أبى عثمان المازنىّ قال:

مر الفرزدق بابن مَيّادة(٥ الرمّاح والناسُ حوله٥) وهو ينشد:

(١-١) التكملة من هد، هج.

(٢) القبيلتان الممدوحتان: عجل ودارم، والقبيلتان المهجوتان: يربوع والقبيلة التى عبر عنها بقوله: عبيدها.

(٣) إستار: لفظ معرب بمعنى أربعة.

(٤-٤) التكملة من هد.

(٥-٥) التكملة من هد، هج.

لو أنّ جميعَ الناس كانوا بربوة ... وجئتُ بجدّى ظالمٍ وابنِ ظالم
لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا ... سُجوداً على أقدامنا بالجماجم

فسمعه الفرزدق ، فقال : أما والله يا بنَ الفارسية لَتدعنّه لى أولأنبِشَنّ أمّك من قبرها ، فقال له ابن ميادة : خذه لا بارك الله لك فيه ، فقال الفرزدق :

لو آنّ جميعَ النّاس كانوا بربوة ... وجئت بجدّى دارمٍ وابنِ دارم
لظلّت رقاب الناس خاضعةً لنا ... سجودا على أقدامنا بالجماجم

أخبرنى عمى ، عن الكرانىّ ، عن أبى فراس الهيثم بن فراس ، قال : حدثنى ورقة ابن معروف ، عن حماد الرواية قال :

دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بنَيّةٌ له يَشمّها فقال جرير : ماهذه يا أميرالمؤمنين عندك ؟ قال : بُنَيّةٌ لى ، قال : بارك الله لأمير المؤمنين فيها . فقال الفرزدق : إن يكن دارم يضرب[1] فيها فهى أكرم العرب ، ثم أقبل يزيد على جرير فقال : مالك والفرزدق ؟ قال : إنه يظلمنى ويبغى علىّ ، فقال الفرزدق . وجدت آبائى يظلمون آباءه فسرتُ فيه بسيرتهم ، قال جرير : وأما والله[2] لتردّنّ الكبائرُ على أسافلها سائر اليوم ، فقال الفرزدق : أمّا بك يا حمار بنى كليب فلا ، ولكن إن شاء صاحب السرير ، فلا والله ما لى كفءٌ غيرهُ ، فجعل يزيد يضحك .

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابىّ ، عن حماد الراوية قال :

أنشدنى الفرزدق يوماشعراً له ثم قال لى : أتيتَ الكلبَ — يعنى جريراً — قلت : نعم ، قال : أفأنا أشعر أم هو ؟ قلت : أنتَ فى بعض وهو فى بعض ، قال : لم تناصحنى ،

---

(١) يريد أنها أكرم العرب ان كان ثمة نسب يصلها بدارم .

(٢) فى هج : «أما والله لئن شئت لترون . الخ » . ولعل المعنى : لوأردت رددت كبائر أسلافك على أسافلها ، أى عليك . وفى العبارة غموض .

قال : قلت : هو أشعر منك إذا أُرخِيَ من خناقه[١]، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت، قال[٢]: قضيت لى والله عليه[٢] وهل الشعر إلا فى الخير والشّر .

قال : وروى عن أبى الزناد عن أبيه قال :

قال لى جرير : يا أبا عبد الرحمن : أنا أشعر أم هذا الخبيث — يعنى الفرزدق — وناشدنى لأخبرنّه ، فقلت : لا والله مايشاركك ولايتعلق بك فى النسيب قال : أوْه[٣] قضيت والله له علىّ ، أنا والله أخبرك : ما دهانى ، إلّا أنّى هاجيتُ كذا وكذا شاعرا، فسمّى عددا كثيراً ، وأنه تفرّد لى وحدى[٤] .

خبره مع النوار

أخبرنى عبد الله قال : قال المازنىّ : قال أبو على الحرمازىّ :

كان من خبر الفرزدق والنّوار ابنة أعيَن بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعىّ — وكانت ابنة عمه — أنه خطبها رجل من بنى عبد الله بن دارم فرضِيَته ، وكان الفرزدق وليّها ، فأرسلت إليه أن زَوّجْنِي من هذا الرجل ، فقال : لا أفعل أو تُشهِدِينى أنك قد رضيت بمن زوّجتك ، ففعلت ، فلما توثّق منها ، قال : أرسلى إلى القوم فليأتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بنى مجاشع وجاء الفرزدق ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أن النوار قد وَلّتنى أمرها ، وأشهدكم أنى قد زَوجتُها نفسى على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة . فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعياها أهلُ البصرة[٥] ألاّ يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود ، وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق ، وابنُ الزبير يومئذ أمير[٦] الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة

(١) لعله يريد بقوله : « إذا أرخى من خناقه » أنه أشعر إذا أمن ، أو انطلق ، والعبارة أيضاً يكتنفها غموض .

(٢-٢) التكملة من هد ، هج .

(٣) أوه — بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء — : كلمة توجع .

(٤) فى ب : « وحده » ، والصواب « وحدى » كما فى هج .

(٥) فى هج وهد : « حين أعياها أمراء البصرة » .

(٦) فى هج : « وابن الزبير يومئذ أمير المؤمنين بالحجاز والعراق » .

— فلم تجد من يحملها ، وأتت فتيةً من بنى عدىّ بن عبد مناة بن أدّ ، يقال لهم بنو أمّ النُّسَيْر ، فسألتهم برحم تجمعهم وإياها — وكانت بينها وبينهم قرابة — فأقسمت عليهم أمها : ليحملنها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنهض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه ، وأوقروا له عدة من الإبل ، وأُعين بنفقة ، فتبع النّوار ، وقال :

أطاعت بنى أم النُّسَيْر فأصبحت على شارفٍ ورقاء صعبٍ ذلولُها[1]
وإنّ الذى أمسى يخبّب زوجتى كماشٍ إلى أسْد الشّرى يستبيلها[2]

فأدركها وقد قدمت مكة ، فاستجارت بَخْوْلَةَ بنتِ منظورِ بنِ زبّان بن سيار الفزارى ، وكانت عند عبد الله بن الزبير ، فلما قدم الفرزدق مكة اشرأبّ الناس إليه ، ونزل على بنى عبد الله بن الزبير ، فاستنشدوه ، واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم ، فجعل يشفعهم فى الظاهر ، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه ، فمال إلى النّوار ، فقال الفرزدق فى ذلك :

صـــوت

أمّا بنوه فلم تُقبَل شفاعتُهم وشُفّعت بنتُ منظورِ بن زبّانا[3]
ليس الشّفيع الذى يأتيك مُؤْتزراً مثلَ الشفيع الذى يأتيكَ عُرْيانا

لِعَرِيب فى هذا البيت خفيف رمل .

قال: وسَفَر بينهما رجالٌ من بنى تميم كانوا بمكة ، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ، ولا يجمعهما ظل ولا كِنٌّ حتى يجتمعا فى أمرهما ذلك بنى تميم ، ويصيرا على حكمهم . ففعلا ، فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها .

(١) الشارف : الناقة المسنة ، والورقاء : ما فى لونها بياض إلى سواد .

(٢) يخبب زوجتى : يخدعها ويفسدها ، يستبيلها : يطلب بولها ، وفى هد : « يستنيلها » أى يطلب نوالها .

(٣) ضمير « بنوه » يعود على عبد الله بن الزبير .

قال : وقال غير الحرمازىّ : إن ابن الزبير قال للفرزدق : جئنى بصداقها وإلا فرّقت بينكما ، فقال الفرزدق : أنا فى بلاد غربة فكيف أصنع ؟ قالوا له : عليك بسلم بن زياد ، فإنه محبوس فى السجن يطالبه ابن الزبير بمال ، فأتاه فقصّ عليه قصته قال : كم صداقها ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها وبألفين للنفقة ، فقال الفرزدق :

دعِى مُغلِقِى الأبواب دون فَعالهم ... ولكن تمشَّىْ بى ـ هُبِلْتِ ـ إلى سَلْمِ[1]
إلى مَن يرى المعروفَ سهلاً سَبِيلُه ... ويفعلُ أفعال الرجال التى تَنمِى[2]

قال : فدفعها إليه ابن الزبير ، فقال الفرزدق :

هلمّى لابن عمك لا تكونى ... كمختارٍ على الفرس الحمارا

قال: فجاء بها إلى البصرة — وقد أحبلها — فقال جرير فى ذلك :

ألا تِلكمُ عِرسُ الفرزدق جامحًا ... ولو رضِيَتْ رُمح استِهِ لاستقرّت[3]

فأجابه الفرزدق ، وقال :

وأُمُّك لو لاقيتُها بطِمِرّةٍ ... وجاءت بها جوف استِها لاستقرّت[4]

وقال الفرزدق وهو يخاصم النوار :

تُخاصمنى وقد أولجتُ فيها ... كرأس الضبّ يلتمس الجرادا[5]

---

(١) الخطاب لناقته ونحوها ، مغلقِى الأبواب : يجوز فيها فتح لام مغلق وكسرها ، وعلى الأول ، تكون من قبيل إضافة اسم المفعول إلى نائب فاعله ، وعلى الثانى تكون من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله والفعال : الكرم وحسن الصنيع ، هبلت : جملة معترضة بمعنى ثكلتك أمك أن لم تطعنى .

(٢) تنمى : من نما الشىء الشىء بمعنى رفع قدره ، والمفعول محذوف ، أى تنمى أحسابها بمعنى تزيدها شرفا .

(٣) إضافة الرمح إلى الاست من باب التهكم والسخرية ، ومن أسماء الذكر « رميح » كزبير .

(٤) الطمرة : الفرس السريعة العدو . يقول : لو ألقينا بالفرس فى جوف است امك لا تسع لها

(٥) رأس الضب ، يضرب بها المثل فى الصلابة ، يقال : حر يذيب دماغ الضب ، لأن الضب لا يعيش إلا فى الصحاري ، ومن أمثالهم : « حتى يؤلف بين الضب والنوق » .

قال الحِرمازىّ : ومكثت النّوار عنده زمانا ، ترضى عنه أحيانا ، وتخاصمه أحيانا ، وكانت النَّوار إمرأة صالحة ، فلم تزل تشمئزُّ منه ، وتقول له : ويحك ! أنت تعلم أنك إنما تزوجت بى ضُغطة(١) وعلى خُدعة ، ثم لا تزال فى كلٍّ ذلك ، حتى حلفت بيمين مُوثَّقة ، ثم حِنثتَ . وتجنّبَتْ فراشَه ، فتزوج عليها امرأة يقال لها جُهيمة(٢) من بنى النمر بن قاسط حلفاء لبنى الحارث بن عباد بن ضبيعة(٣ وأمُّها الحميصة من بنى الحارث ابن عباد ، فنافرته الحميصة ، واستعدت عليه فأنـكرها الفرزدق ، وقال : إنها منى برىء طالق وطلق ابنتَها ، وقال :

إن الحميصةَ كانت لى ولابنتها مثل الهَراسةِ بين النّعل والقدَم(٤)
إذا أتت أهلَها منى مُطلَّقةً فلن أردَّ عليها زَفرَةَ النّدم(٥)٣)

جعل يأتى النوارَ وبه رَدْع الخَلوق(٦) وعليه الأثر فقالت له النّوار : هل تزوجتها إلا هُداديّة — تعنى حيًّا من أزد عُمان — فقال الفرزدق فى ذلك :

تُريك نجومَ الليل والشّمسُ حَيّةٌ كرامُ بنات الحارث بن عُبادِ(٧)
أبوها الذى قاد النّعامة بعد ما أبت وائلٌ فى الحرب غير تمادِ(٨)

---

(١) ضغطة : اضطرارا .
(٢) فى مج : « رهيمة » .
(٣ — ٣) تكملة من المختار .
(٤) الهراسة : نوع من الشوك ، يقول النابغة :
فبت كأن العائدات فرشن لى هراسا به يعلى فراشى ويقشب
(٥) فى النقائض : أورد البيت على هذا النحو وهو أنسب :
إن تأت بنتك من بيتى مطلقة فلن تردى عليها زفرة الندم
(٦) ردع الخلوق : ريح الطيب .
(٧) كرام : فاعل تريك . يقـ . ل : إنهن كالنجوم يبدون مع الشمس مع أن النجوم لا تظهر معها .
(٨) الحارث بن عباد : فارس النعامة « فرسه » من بنى بكر . ارجع إلى خبره فى الأغانى عند الكلام عن حرب تغلب وبكر ابنى وائل .

نسلا أبوهنّ الأعزُّ ولم تكن   من الأزد فى جاراتها وهَدادِ
ولم يكُ فى الحىِّ الغموضِ محلُّها   ولا فى العُمانيِّين رهطِ زيادِ[١]
عَدلتُ بها مَيلَ النّوار فأصبحتْ   وقد رَضيت بالنّصف بعد بعادِ[٢]

قال: فلم تزل النوار ترققه، وتستعطفه، حتّى أجابها إلى طلاقها، وأخذ عليها ألّا تفارقَه ولا تبرح من منزله، ولا تتزوجَ رجلا بعده، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له، وأخذت عليه أن يُشهد الحسنَ البصرىَّ على طلاقها، ففعل ذلك.

قال المازنىّ: وحدثنى محمد بن روح العدوى عن أبى شَفْقَلٍ راوية الفرزدق قال: ما استصحبَ الفرزدقُ أحدا غيرى وغير راوية آخر، وقد صحِب النّوارَ رجالٌ كثيرة، إلا أنهم كانوا يلوذون بالسّوارى خوفا من أن يراهم الفرزدق، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق: يا أباسعيد، قال له الحسن: ما تشاء؟ قال: اشهد أن النّوار طالق ثلاثا، فقال الحسن: قد شهِدنا، فلما انصرفنا قال: يا أبا شفقل، قد ندمتُ، فقلت له: والله إنى لأظن أن دمك يترقرق، أتدرى مَنْ أشهدت؟ والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك، فمضى وهو يقول:

ندمتُ ندامةَ الكُسَعِىِّ لمّا   غدت منّى مُطلَّقةً نوارُ[٣]
ولو أنّى ملكتُ يدى وقلبى   لكان علىَّ للقدَر الخيارُ
وكانت جَنّتى فخرجتُ منها   كآدم حين أخرجه الضّرارُ[٤]
وكنتُ كفاقىء عينيه عمدًا   فأصبح ما يضىء له النّهارُ

---

(١) الحى الغموض: القبيلة التى تخفى مكانتها.

(٢) يريد أنه أدب نوار بزواجه هذا. فرضيت بالنصف (بفتح النون) أى الإنصاف، أو رضيت بالنصف (بكسر النون)، أى بالقسمة بينها وبين الزوجة الجديدة.

(٣) الكسعى: رجل يضرب به المثل فى الندامة على كسره قوسه، وكان جربها فى عدة ظباء، فظن أنها لم تصبهن، ثم اتضح أنها أقصدتهن جميعا.

(٤) الضرار، من ضاره، يريد أن مخالفة آدم لأمر ربه أخرجته من الجنة.

يخاصم كل من يمد يده لمساعدة النوار

وأخبرنى بخبره مع النّوار أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنى محمد بن يحيى ، عن أبيه يحيى بن على بن حميد :

أنّ النّوار لمّا كرهت الفرزدق حين زوّجها نفسَه لجأت إلى بنى قيس بن عاصم [١] المنقرى ليمنعوها [١] فقال الفرزدق فيهم :

بنى عاصم لا تجنبوها فإنكم ملاجِئُ للسوآت دُسْم العَمائم [٢]
بَنى عاصمٍ لو كان حَيًّا أبوكم للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ [٣]

فبلغهم ذلك الشعر ، فقالوا له : والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة ، [٤] وخلّوه والنوار [٤] وأرادت منافرتَه [٥] إلى ابن الزبير ، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكرِيَها [٦] [٧] خوفا منه [٧] . ثم إن قوما من بنى عدىّ يقال لهم بنو أم النُّسَير أكروها ، فقال الفرزدق : ١٠/١٩

ولولا أن يقول بنو عَدِىٍّ ألم تَكُ أمَّ حَنظلة النَّوارُ
أتتكم يا بنى مِلْكان عنّى قوافٍ لا تُقَسّمها التِّجارُ

وقال فيهم أيضا :

لعمرى لقد أردى النّوارَ وساقها إلى البور أحلامٌ خِفافٌ عقولُها [٨]

(١-١) التكملة من هد ، هج .

(٢) فى هد ، هج : لا تلجئوها . دسم العمائم : من الدسم بمعنى الدنس ، أو من دسم البعير : طلاه بالقار ، جمع أدسم .

(٣) قيس بن عاصم المشار إليه كان مضرب المثل فى الحلم ، ومنه تعلم الحلم أحنف بن قيس ، وفى قيس بن عاصم يقول الشاعر :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

(٤ - ٤) الزيادة من هد .

(٥) منافرته : مخاصمته .

(٦) يكريها : يعطيها دابة بالكراء .

(٧ - ٧) التكملة من هد .

(٨) فى هد « إلى الغور » بدل « إلى البور » .

أطاعت بنى أمّ النُّسَير فأصبحت   على قَتَبٍ يعلو الفلاة دَليلُها[١]

وقد سَخِطَت مِنّى النّوارُ الذى ارتضى   به قبلَها الأزواجُ خاب رحيلُها[٢]

وإن امرأً أمسى يُخَبِّب زوجتى   كساعٍ إلى أُسْدِ الشرى يستبيلها[٣]

ومن دون أبواب الأسود بَسالةٌ   وبَسْطَةَ أيد يمنع الضّيمَ طُولُها[٤]

وإنّ أميرَ المؤمنين لعالِمٌ   بتأويل ماوَصَّى العِبَادَ رسولُها[٥]

فَدُونَكَهَا يا بنَ الزبير فإنّها   مُوَلَّعَةٌ يُوهِى الحجارةَ قِيلُها[٦]

وما جادل الأقوامَ من ذى خصومة   كورهاء مَشْنوء إليها حليلُها[٧]

فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنتِ منظور بن زَبّان زوجة عبد الله بن الزبير ، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير ، ومدحه بقوله :

أمسيتُ قد نزلتْ بحمزة حاجَتِى   إنّ المنوّه باسمِهِ الموثوقُ

بأبى عمارةَ خيرِ من وَطِىء الحصا   وجرت له فى الصالحين عُروقُ

بين الحَوارىِّ الأعزّ وهاشمٍ   ثم الخليفةُ بعدُ والصِّدّيقِ[٨]

---

(١) القتب : الرحل الصغير على قدر سنام البعير .

(٢) فى ب « شحطت » وهو تصحيف .

(٣) مضى هذا البيت .

(٤) فى المختار : « ومن دون أبوال الأسود » .

(٥) يشير بذلك إلى وجوب طاعة الزوجة لبعلها كما ورد فى الشريعة الإسلامية .

(٦) فدونكها : فخذها ، والضمير يعود إلى الأبيات ، قيلها : قولها .

(٧) الورهاء : الحمقاء ، مشنوء : مبغض ، يقول : إنها تخاصمنى إليك ، وماذا عسى أن تسمع من حمقاء تكره بعلها ؟

(٨) يقصد أن حمزة سبط الزبير بن العوام حوارى الرسول ، وأنه حفيد هاشم بن عبد مناف ، لأن جدته أم الزبير بنت عبد المطلب بن هاشم ، وأن جدته زوجة الزبير ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وأن أباه الخليفة وفى البيت إقواء .

غنّى فى هذه الأبيات ابنُ سريج رملا بالبنصر

قال : فجعل أمرُ النّوار يقوَى ، وأمرُ الفرزدق يضعفُ ، فقال :

أمّا بنوه فلم تُقبل شفاعتُهم ... وَشُفِّعَتْ بنتُ منظورِ بنِ زبّانا

ملاحاة بينه وبين ابن الزبير

وقال ابن الزبير للنّوار : إن شئت فرّقت بينكما ، وقتلته ، فلايهْجُونا أبداً ، وإن شئت سيّرته إلى بلاد العدو ، فقالت : ما أريد واحدة منهما ، فقال لها : فإنه ابن عمك وهو فيك راغب ، فأزوِّجُك إياه ، قالت : نعم ، فزوجها منه ، فكان الفرزدق يقول : خرجنا ونحن متباغضان ، فعدنا متحابين .

قال : وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير — وقد توجه الحكم عليه — إنما تريد أن أفارقها فتَثِب عليها ، وكان ابن الزبير حديداً[1] ، فقال له : هل أنت وقومك إلا جالية[2] العرب ؟ .

ثم أمر به فأقيم ، وأقبل على مَن حضر ، فقال : إن بنى تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة ، فاستلبوه ، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه مالم ينتهكه أحد قط ، فأجلتها من أرض تِهامة ، قال : فلقى الفرزدق بعضَ الناس ، فقال : إيه يعيرنا ابن الزبير بالجلاء ! اسمع ، ثم قال :

فإن تغضَبْ قريشٌ أو تَغَضَّبْ ... فإنّ الأرضَ تُوعبُها تميم[3]

همُ عَددُ النجوم وكلُّ حىٍّ ... سواهمْ لا تُعَدُّ له نجوم

ولولا بيت مكةَ ما ثويتم ... بها صحَّ المنابتُ والأروم[4]

١١
――
١٩

(١) حديد : سريع الغضب .

(٢) الجالية : الذين أجلوا ، أى أبعدوا عن أوطانهم .

(٣) تغضب الثانية مضارع محذوف إحدى التائين ، معناه تتظاهر بالغضب ، توعبها : تأخذها أجمع ، ولا تترك منها شيئاً .

(٤) ثويتم : أقمتم . الأروم : جمع أرومة وهى الأصل .

بها كثُرَ العديدُ وطاب منكم ... وغيرُكم أخيذُ الريش هِيمُ (1)

فهلاّ عن تعلّل مَن غدرتم ... بخونته وعــــذّبه الحَميمُ (2)

أعبدَ الله مهلّا عن أذاتى ... فإنى لا الضعيفُ ولا السئومُ

ولكنى صفاةٌ لم تُدَنّس ... تَزِلُّ الطيرُ عنها والعُصومُ (3)

أنا ابن العاقِر الخُورَ الصّفايا ... بضوّى حين فُتِّحت العُكومُ (4)

قال : فبلغ هذا الشعرُ ابنَ الزبير ، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق فى طريقه ، فغمز عنقَه ، فكاد يدقها ، ثم قال :

لقد أصبحت عِرسُ الفرزدق ناشزاً ... ولو رَضِيت رُمحَ استِه لاستقرّت

وقال : هذا الشعر لجعفر بن الزبير .

(5)وقيل: إن الذى كان تقرّر عليه عشرةُ آلاف درهم ، وإنّ سَلْمَ بنَ زيادٍ أمر له بعشرين ألف درهم مهْراً ونفقة ، فقبضها ، فقالت له زوجته أمّ عثمان بنتُ عبد الله

---

(١) أخيذ الريش : مهيض الجناح ، الهيم : النوق العطاش .

(٢) تعلل : من تعلل ، بمعنى . أبدى الحجة وتمسك بها ، كأنه يقول : كفوا يابنى قريش عن ادعائكم الشرف على بنى تميم الذين غدرتموهم بخيانتكم إياهم ، وكان عذابهم على أيدى محالفيهم وأصدقائهم وفى بعض النسخ :

فمهلا عن تذلل من عززتم ... بجولته وعزّبه الحميم

والمعنى : كفوا عن إذلال من كان سبباً فى عزتكم ، ولعل هذه الرواية أنسب .

(٣) الصفاة : الصخرة ، والعصوم: الأوساخ ، يقول : أنا صفاة عالية نقية لا يعف عليها طير ، ولا تعلق بها الأوساخ .

(٤) الخور : النوق الغزر ، جمع خوارة . الصفايا : المنتقاة ، جمع صفية ، العكوم: جمع عكم — بكسر العين — وهو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام ، كأنه يقول : أنا ابن من عقر النوق بضوى حين حطت الرحال وحان وقت الطعام ولعله يشير إلى ما نحره أبوه من إبل فى خلافة عثمان لبنى حنظلة على نحو ما سبق .

(من هنا إلى رقم ٦ فى الصفحة التالية) تكملة من المختار .

ابن عمرو بن أبي العاص الثقفيّة : أتعطى عشرين ألف درهم وأنت محبوس[1] ؟ فقــال :

أَلا بَــكَرَتْ عِرسِي تلومُ سفاهةً ... على ما مضى منى وتأمرُ بالبُخْلِ
فقلتُ لها — والجودُ منِّي سجيّةٌ —: ... وهــل يمنع المعروفَ سُؤّالَه مِثلي ؟[2]
ذَرِيني فإنّي غيرُ تارك شِيمتي ... ولا مُقصرٍ طول الحياة عن البذْلِ
ولا طاردٍ ضيفي إذا جاء طارقا ... وقد طرق الأضيافُ شيخيَ من قبلي[3]
أأبخَلُ ؟ إنّ البُخْل ليس بمُخْلِدِي ... ولا الجودُ يدنيني إلى الموت والقتل
أبيــعُ بني حرب بآلِ خويلدٍ ! ... وما ذاك عند الله في البيع بالعدل ؟[4]
وليس ابنُ مروان الخليفةُ مشبهًا ... لفحل بَني العوّام ، قُبِّح من فحل
فإن تُظهرُوا ليَ البخلَ آلَ خُوَيْلد ... فما دأبكم دأبي ولا شــكلُــكم شكلِي
وإن تَقهروني حين غابت عشيرتي ... فمن عجبِ الأيام أن تقهروا مِثلي

فلما اصطلحا ، ورضيت به[5] ، ساق إليها مهرها ، ودخل بها ، وأحبلها قبل أن يخرج من مكة .

ثم خرجا وهما عديلان في محمل .

يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزبير

وأخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلّام ، عن إبراهيم بن حبيب بن الشّهيد بنحو من هذه القصة .

---

(١) يبدو أنه كان في حبس ابن الزبير كما هو واضح من الأبيات التالية .

(٢) المعروف : مفعول ثان مقدم ليمنع ، وسواله : مفعول أول مؤخر .

(٣) لعله يعني بشيخه أباه ، أو أحد أجداده .

(٤) خويلد : أبو العوام جد عبد الله بن الزبير .

(٥) ضمير رضيت : يعود على النوار .

قال عمر بن شبّة : قال الفرزدق فى خبره :

يا حمزَ هل لك فى ذى حاجة عَرضت أنضاؤه بمكان غيرِ ممطور(١)
فأنت أحرى قريش أن تكون لها وأنت بين أبى بكرٍ ومنظورِ(٢)
بين الحوارىّ والصدّيق فى شُعَبٍ ثَبَتْنَ فى طُنُب الإسلام والخيرِ(٣)

يتقون لسانه

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلّام قال: حدثنا عبد القاهر بن السّرىّ السلمى، قال: كان فتى من بنى حرام(٤) شويعر هجا الفرزدق، قال: فأخذناه، فأتينا به الفرزدق وقلنا : هذا بين يديك فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، فلا عَدْوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه ، قال : فخلّى سبيله وقال :

فمن يك خائفا لأذاة شعرى فقد أمِنَ الهجاء بَنُو حرامِ
هم قادوا سَفيهَهم وخافوا قلائدَ مثل أطواق الحمام

ليس طريقه إلى جهنم

قال ابن سلّام : وحدثنى عبد القاهر قال :

مرّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بنى حرام ومعنا عنبسة مولى عثمان بن عفان، فقال: يا أبا فِراس، متى تذهب إلى الآخرة ؟ قال: وما حاجتك إلى ذاك يا أخى ؟ قال : أكتب معك إلى أبى ، قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك ، أبوك فى النار ، اكتب إليه مع ريالويه واصطقانوس .

يغضب على ابن الكلبى لعدم روايته شعره

أخبرنى الحسن بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه قال : أخبرنى مخبر ، عن خالد ابن كلثوم الكلبىّ ، قال :

مررتُ بالفرزدق ، وقد كنت دوّنت شيئا من شعره وشعر جرير ، وبلغه ذلك ، فاستجلسنى ، فجلست إليه ، وعذت بالله من شره ، وجعلت أحدثه

---

(١) أنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول من الإبل ، وذلك كناية عن الجدب والحاجة ، وفى بعض النسخ : «أنضاره» بدل «أنضاؤه» .
(٢) يعنى منظور بن زبّان جده لأمه .
(٣) الخير — بكسر الخاء — : الكرم والشرف ، وفى المختار : «نبتن فى طيب الإسلام» .
(٤) فى هد : «حزام» بدل «حرام» .

حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إنى لأذكر يوم لقَبَّك بالفرزدق، قال: وأى يوم؟ قلت: مررت به وأنت صبىّ، فقال له بعضُ من كان يجالسه: كأنّ ابنَك هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة فى تيهه وأُبّهته، فسمّاك بذلك، فأعجبه هذا القول، وجعل يستعيد، ثم قال: أنشدنى بعضَ أشعار ابن المراغة فىّ، فجعلت أنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التى أجبته بها، فقلت: ما أحفظها. فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله فىّ ولا تحفظ نقائضَه؟ والله لأهجوَنّ كلبا هجاء يتصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها، فقلت: أفعل فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إياها خوفاً من شره. ١٢/١٩

يكايد النوار بحدراء فتستعلى عليه جريرا

أخبرنى عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنى الأصمعى قال: تزوج الفرزدق حَدْراء بنت زيقِ بنِ بِسْطام بن قيس الشيبانى، وخاصمته النوّار وأخذت بلحيته، فجاذبها وخرج عنها مُغضباً وهو يقول:

قامَتْ نوارُ إلىَّ تَنتِفُ لِحيتى ... تَنْتافَ جعدةَ لحيـةَ الخشخاشِ
كلتـاهما أسـدٌ إذا ما أُغْضِبت ... وإذا رَضينَ فهنّ خير معاشِ

قال: والخشخاش: رجل من عَنَزة، وجعدةُ امرأته، فجاءت جعدةُ إلى النوّار، فقالت: ما يريد منى الفرزدق؟ أما وجد لامرأته أسوة غيرى.

وقال الفرزدق للنوار يفضّل عليها حدراء.

لعمرِى لَأعرابيَّـــةٌ فى مظَلّةٍ ... تظلُّ برَوقَىْ بيتِها الريحُ تخفُقُ(١)
أحبُّ إلينا من ضِنَاكٍ ضِفَنَّةٍ ... إذا وُضعت عنها المراويحُ تَعْرَقُ(٢)
كريمِ غزالٍ أو كُدرّةِ غائصٍ ... تكاد – إذا مرت – لها الأرض تُشرقُ

(١) روق: تثنية روق، ومن معانيه رواق البيت.

(٢) الضناك: الموثق الخلق الشديد (يستوى فيه المذكر والمؤنث). الضفنة: الحمقاء الكثيرة اللحم، يقول: إن أعرابية – يقصد حدراء – تخفق فى بيتها الريح أحب من النوار الشديدة الخلق الحمقاء المترهلة التى يتفصد جسمها عرقا إذا لم تسفها المراوح..

فلما سمعت النوّار ذلك أرسلت إلى جرير ، وقالت للفرزدق : والله لأخزينَّك يا فاسق فجاء جرير ، فقالت له : أما ترى ما قال الفاسق ، وشكته إليه ، وأنشدته شعرَه ، فقال جرير : أنا أكفيك ، وأنشأ يقول :

ولَسْتَ بمعطى الحكمِ عن شَفِّ منصبٍ ... ولا عن بنات الحنظليّين راغبُ(١)
وهنّ كماء المزنِ يُشْفَى به الصَّدى ... وكانت مِلاحًا غيرَهُنَّ المشاربُ(٢)
لقد كنتَ أهلا أن يسوق دياتكم ... إلى آل زِيق أن يعيبَك عائب(٣)
وما عدلتْ ذاتُ الصليبِ ظعينةً ... عُتَيْبةُ والرِّدفان منها وحاجبُ(٤)
أأهْديتَ يازِيقُ بن بَسطامَ ظَبيةً ... إلى شرٍّ من تُهْدى إليه القرائب(٥)
ألا رُبَّما لم نُعْطِ زِيقًا بحُكمِهِ ... وأدّى إلينا الحكمَ والغُلُّ لازبُ(٦)

---

(١) الشف : الفضل ، يقول : إنك لم تعط الحكم على النساء والمفاضلة بينهن ، فليس لك منصب فاضل يؤهلك لذلك ، وليس ثمة من يرغب عن بنات الحنظليين اللاتى منهن نوار .

(٢) ملاحا : من الملوحة لا الملاحة ، يقول : إن بنات الحنظليين يروين غلة الظمآن كما ترويه مياه المطر ، وغيرهن يروون الظمآن ظمأ للملوحة مائهن .

(٣) عائب فاعل يسوق ويعيب (تنازع) يقول : قد كنت حريا أن يسوق ديتك إلى آل زيق عائب على زواجك منهم بدل أن تسوق إليهم أنت المهر ، أن يعيبك : خشية أن يعيبك ، وفى الأصل «لئن» بدل «لقد» وهو تحريف فليس فى الكلام جواب لشرط أو قسم .

(٤) ذات الصليب : حدراء ، فانها كانت نصرانية ، الظعينة : الزوجة ، وجملة المصراع الثانى صفة ظعينة ، عتيبة : هو ابن الحارث بن شهاب ، الردفان هما عتاب بن هرمى ، وعوف بن عتاب بن هرمى ، وحاجب : هو ابن زرارة ، والردف هو خليفة الملك يشرب بعده وينوب عنه إذا غاب ، وإنما أراد بتعداد هؤلاء بيان فضل النوار .

(٥) الاستفهام فى البيت إنكارى ، يريد أنه لا يؤمن على القرائب من النساء ، فما بالك بغيرهن ، ومنع بسطاما من الصرف للضرورة ، وفى بعض النسخ :

أأهديت يا زيق بن زيق غريبة ... إلى شر من تهدى إليه الغرائب ؟

(٦) زيق : أبو حدراء ، ضرة النوار ، والغلّ : القيد ، ولازب : لازم ، يريد أن زيقا — وقد كان نصرانيا — شرب كأس المهانة والذل من أيدينا والبيت من المختار وساقط من نسخ الأغانى .

حَوَيْنَا أُبَازِيقٍ وزِيقـاً وعمَّه   وجَـدَّةُ زِيق قد حَوَتْها المقانبُ (١)

فأجابه الفرزدق فقال :

تقول كليبٌ حين مثَّت سِبالُها   وأعشَبَ من مرُوتِها كلُّ جانب (٢)

لسوّاقِ أغنـام رعتهنّ أمّه   إلى أن علاها الشيبُ فوق الذوائب (٣)

ألستَ إذا القعساءُ مرت براكب   إلى آل بِسطامِ بن قيس بخاطب (٤)

وقالوا: سمعنا أنّ حدراءَ زُوِّجَتْ   على مائةٍ شُمِّ الذُّرى والغوارب (٥)

فلو كنتَ من أكفاءِ حدْراءَ لم تَلُمْ   على دَارِمىٍّ بين ليلى وغالبِ

فنل مثلَها من مثلهم ثُم أمَّهم   بِملكك من مال مُراح وعازب (٦)

وإنى لأخشى إن خطبتَ إليهمُ   عليك الذى لاقَى يسارُ الكواعبِ (٧)

ولو تنكِحُ الشمسُ النجومَ بناتِها   نكحنا بناتِ الشمس قبل الكواكبِ

---

(١) المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل والبيت من المختار ساقط من الأغانى .

(٢) مثت : أخصبت ، سبالها : سنابل زرعها ، مروت : جمع مرت ، وهو القفر لا نبات به ، وقد تضاربت الأصول فى ألفاظ هذا البيت كل تضارب ، وهذا ما اخترناه منها .

(٣) هذا البيت من هد ويقصد بسائق الأغنام جريراً نفسه .

(٤) القعساء : من قعس الفرس إذا اطمأنت صهوته ، وارتفعت قطاته ، والأبيات الثلاثة مسوقة مساق التهكم ، يقول : تقول كليب قبيلة جرير الراعى ابن الراعية إذا رأته سائقاً فرسه : هل تريد أن تخطب من آل بسطام ؟

(٥) شم الذرى والغوارب : عالية الأسنمة والظهور .

(٦) تكملة من المختار ، هد .

(٧) يشير بقوله : يسار الكواعب إلى قصة رجل يحمل هذا الاسم ، كان عبداً لسيدة من بنى غدانة ، فطمع فيها ، وطلب يدها ، فردته مرارا ، فجعل يلح عليها ، فتظاهرت بالقبول ، وقالت : حتى أجمرك ، ثم استحضرت مجمرة وأخفت فى ثيابها مدية حادة ، وجعلت تجمره ، ثم مدت يدها إلى قضيبه ، فظن أنها تداعبه ، ولكنها أخرجت المدية من ثيابها ، واستأصلته فجعل يصيح : « مرحبا بمجامر الكرام » فذهبت مثلا .

(١) وفى المناقضات التى دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق، قال جرير أبياته التى أولها :

يا زيقُ أنكحتَ قَيناً فى استه حَمَمٌ ... يا زيقُ ويحَكَ من أنكحتَ يا زيق (٢)
أين الألى أنزلوا النعمان ضاحيةً ... أم أين أبناء شيبانَ الغرانيق ؟ (٣)
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البناء بها : ... لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ
غاب المثنّى فلم يشهد نَجِيَّكُما ... والحوفزَانُ ولم يشهدْك مفروق (٤)

والفرزدق يقول لجرير :

إن كانَ أنفُك قد أعياكَ مَحمِلُه ... فاركب أتانك ثم اخطُب إلى زِيق (١)

خبران عن ولديه

أخبرنى الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عدى، عن زكريا بن ثباة الثقفى (٥) قال :

أنشدنى الفرزدق قصيدته التى رثى فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله :

بِفِى الشَّامِتِين الصَّخْرُ إن كان مسَّنى ... رزيَّةُ شِبْلٍ مُخْدِرٍ فى الضَّراغم (٦)

(١-١) ساقط من الأغانى وأثبتناه من المختار .

(٢) القين : الحداد، ويطلق على كل صانع، وكانت العرب تعتبر ذلك مهانة، والحمم : الفحم وكل مابقى من آثار الاحتراق، كأنه يرمى الفرزدق بسواد استه، ورواية ابن سلام تفيد أن البيت ملفق من بيتين هما :

يازيق قد كنت من شيبان فى حسب ... يازيق ويحك من أنكحت يازيق !
أنكحت ويحك قينا باسته حمم ... يازيق ويحك هل بارت بك السوق !

(٣) يريد أن قومه من شيبان قهروا النعمان بن المنذر، والغرانيق جمع غرنوق : الشاب الممتلىء الناعم وفى رواية : « استنزلوا النعمان مقتسرا » بدل « أنزلوا النعمان ضاحية »، ويلاحظ أن الفرزدق هنا يشيد بزيق وقومه، بعد ماهبط بهم إلى الحضيض فى قوله : « حوينا أبا زيق وزيقا وأمه . . . الخ ماتقدم » .

(٤) يعدد فى هذا البيت أقطاب شيبان — والمثنى : هو المثنى بن حارثة بطل الحروب الفارسية فى عهد أبى بكر، والحوفزان، هو الحارث بن شريك بن الصلب، ومفروق : هو النعمان بن عمرو الأصم .

(٥) فى هد : « زكريا بن هشام الثقفى » .

(٦) بفى : بفم، وهو خبر مقدم عن الصخر، والجملة دعائية، مخدر : ملازم خدره، والخدر من معانيه مقر الأسد، يعنى أنه لم يتأثر بموت ابنه هذا، ففيم يشمت الشامتون، ملأت الصخور أفواههم .

١٣/١٩

قال : يا أبا يحيى[1] ، أرأيت ابنى ؟ قلت : لا ، قال : والله ما كان يساوى عباءته .

بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة

قال إسحاق : حدثنى أبو محمد العبدىّ ، عن اليربوعىّ ، عن أبى نصر قال : قدم لبطةُ بن الفرزدق الحيرة ، فمر بقوم من بنى تغلب فاستقراهم فقرَوْه ، ثم قالوا له : من أنت ؟ قال : ابن شاعركم ومادِحكم ، وأنا والله ابن الذى يقول فيكم :

أضحى لتغلبَ من تميمٍ شاعرٌ   يرمى الأعادىَ بالقريض الأثقل
إن غاب كعبُ بنى جُعَيلٍ عنهم   وتنمَّرَ الشعراء بعد الأخطل[2]
يتباشرون بموته ووراءهم   مِنّى لهم قِطَعُ العذاب المُرْسلِ

فقالوا له : فأنت ابن الفرزدق إذًا ، قال : أنا هو ، فتنادَوا : يا آل تغلب ، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم فى ابنه ، فجعلوا له مائة ناقة ، وساقوها إليه ، فانصرف بها .

عمرو بن عفراء يتحداه

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلّام قال : أتى الفرزدق عبدَ الله بن مُسلِم الباهلىّ فسأله فثقَّل عليه الكثير ، وخشِيه فى القليل ، وعنده عمرو بن عِفْراء الضّبىّ راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق فى قوله :

وُنُبِّئْتُ جوَّابا وسَلْمًا يسبّنى   وعمرو بن عِفرى ، لاسلامٌ على عمرو[3]

فقال ابنُ عفراء للباهلىّ : لا يهولنّك أمره ، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان همّ له به ، فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقبلها الفرزدق ورضى عنه ، فبلغه بعد ذلك صنيعُ عمرو فقال :

---

(١) فى الأصل بعد البيت : « فلما فرغ » ولم نجد لها موضعاً .

(٢) كعب بنى جعيل والأخطل : شاعران تغلبيان ، يقصد أنه المنافح عنهم بعد موت هذين الشاعرين .

(٣) فى الديوان : « وسكنا يسبنى » وفى المختار « وشيكاً يسبنى » .

ستعلم يا عمرو بن عفْرى مَن الذى ... يُلام إذا ما الأمر غَبَّتْ عواقبُه(١)
نهيتُ ابنَ عِفرى أن يعفّر أمّه ... كعفر السَّلا إذ جرَّرته ثعالبُه(٢)
فلو كنتَ ضَبِّيا صفحتُ ولو سَرتْ ... على قَدَمِى حيّـاتُه وعقـاربه(٣)
* ولـكنْ دِيافِىٌّ أبوه وأمّه ... بحوْران يعصِرْن السليط أقاربه(٤)
ولـما رأى الدّهنا رمته جبالُهـا ... وقالت دِيافىٌّ مع الشام جانبه(٥)
فإن تغضب الدهنا عليك فما بها ... طريقٌ لمرتاد تُقـاد رَكائبُه(٦)
تضِنُّ بمال البـــاهلىِّ كأنما ... تضِنُّ على المال الذى أنت كاسِبُه
وإنّ امرأً يَغتـابُنى لم أطأْ لَه ... حَرِيمًا ولا يَنْهـاه عنِّى أقارِبُه(٧)
كمحتَطبٍ يوما أساودَ هَضْبة ... أتاه بها فى ظلمة الليـل حاطبُه(٨)
أحينَ التقى ناباى وابيضَّ مِسْحَلى ... وأطرق إطراق الكرى من يُجانِبه(٩)

فقال ابن عفراء ، وأتاه فى نادى قومه : اجهَد جهدك ، هل هو إلا أن تسبنى ، والله لا أدع لك مساءة إلا أتيتُها ، ولا تأمرنى بشىء إلا اجتنبتهُ ولا تنهانى عن شىء إلا ركبتهُ ، قال : فاشهدوا أنى أنهاه أن ينيك أمه ، فضحك القوم وخجل ابن عِفرى .

يتطفل فيجاز

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثنا شعيب بن صخر قال :

(١) غبت عواقبه : بلغ مداه .
(٢) تكملة من هد ، والسلا : غشاء يحيط بالجنين عند ولادته .
(٣) يريد أنه لو كان ضَبِّيًّا لاغتفر له الإساءة مهما تعظم .
(٤) دياف : بلد بالشام ، السليط : مايستخرج من الحبوب من الزيوت ، وقد جرى فى قوله « يعصرن » على لغة أكلونى البراغيث .
(٥) الدهنا : مقصور الدهناء : موضع لبنى تميم .
(٦) فى هد ، هج «لزيات» بدل «لمرتاد» .
(٧) فى المختار « يعتابنى » أى يعيبنى . وفى ف : « تجاربه » بدل : « أقاربه » .
(٨) الأساود : جمع أسود ، وهو الحية العظيمة .
(٩) المسحل : جانب اللحية ، يقول : أيسيئنى حين التقى ناباى ، وشابت لحيتى ، ونام عدوى بعد أن كان يجفوه النوم ، وفى هد هج « من أحاربه » بدل من « يجانبه » .

تزوج ذبيان بن أبى ذبيان العَدَوى من بَلعُدَوية ، فدعا الناس فى وليمته ، فدعا ابن أبى شيخ الفُقَيمىّ ، فألفى الفرزدق عنده ، فقال له : يا أبا فراس ، انهض ، قال : إنه لم يدعنى ، قال : إن ابن ذبيان يُؤْتَى وإن لم يَدْعُ ، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتياه، فقال الفرزدق حين دخل :

كم قال لى ابنُ أبى شيخ وقلت له: كيف السَّبيلُ إلى معروف ذُبيان
إنّ القلوصَ إذا ألقت جآجئها قُدامٌ بابك لم نرحل بحِرْمان(١)

١٤ / ١٩

قال : أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده ، وأعطاه ثلثمائة دِرْهم .

يريد أن يتحامى الناس الموت

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : حدثنى أبو بكر المدنىّ قال :

دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موتَ طلحةَ بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهرىّ — وكان سيداً سَخيًّا شريفاً — فقال : يا أهل المدينة ، أنتم أذل قوم لله ، قالوا : وما ذاك يا أبا فراس ؟ قال : غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه(٢) منكم .

يعطى عروضا بدل النقد

وأتى مكة ، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحىّ — وهو سيد أهل مكة يومئذ — وليس عنده نقد حاضر ، وهو يتوقع أعطيته وأعطية ولده وأهله ، فقال : والله يا أبا فراس ، ما وافقت عندنا نقداً ، ولكن عُروضا(٣) إن شئت ، فعندنا رقيق فُرْهَةٌ(٤) ، فإن شئت أخذتهم ، قال : نعم ، فأرسل له بوُصَفاء من بنيه وبنى أخيه ، فقال : هم لك عندنا حتى تشخص ، وجاءه العطاء ، فأخبره الخبر وفداهم ، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر :

(١) الجاجىء : جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر ، وإلقاء جآجىء الناقة كناية عن بروكها .
(٢) كأنه كان يريد من أهل المدينة أن يقاوموا الموت، وهذا من أبلغ الرثاء لطلحة بن عبد الرحمن .
(٣) العروض : جمع عرض — بفتح وسكون — وهو ماسوى النقد من المتاع .
(٤) يريد عبيداً وجوارى حساناً .

تمشى تَبَخْتُرَ حولَ البيتِ منتخَبًا لو كنتَ عمرَو بنَ عبد الله لم تزدِ[١]

يحتج بشعره — أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثنا عامر بن أبى عامر — وهو صالح بن رستم الخراز — قال : أخبرنى أبو بكر الهذلى قال :

إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه ، فجاء رجل ، فقال : يا أبا سعيد : الرجل يقول : لا والله ، وبلى والله فى كلامه ، قال : لا يريد اليمين ، فقال الفرزدق : أو ما سمعتَ ما قلت فى ذلك ؟ قال الحسن : ما كُلُّ ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت :

ولستَ بمأخوذٍ بلغوٍ تقوله إذا لم تعمَّدْ عاقداتِ العزائم[٢]

قال : فلم ينشب أن جاء رجل آخر ، فقال : يا أبا سعيد . نكون فى هذه المغازى فنُصيبُ المرأة لها زوج ، أفيحِلّ غِشيانُها وإن لَمْ يُطَلِّقْها زوجها ؟ فقال الفرزدق : أو ما سمعت ما قلتُ فى ذلك ؟ قال الحسن : ما كُلُّ ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت :

وذات حَليلٍ أنكحتْنا رِماحُنا حلالاً لمن يَبْنِى بها لم تُطَلَّقِ[٣]

قال أبو خليفة : أخبرنى محمد بن سلام ، وأخبرنى محمد بن جعفر قالا :

يهجو إبليس — أتى الفرزدقُ الحسنَ[٤] ، فقال : إنى هجوتُ إبليس فاسمع ؟ قال لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لَتسمعنَّ أو لأخرجنّ ، فأقول للناس : إن الحسن يَنْهَى عن هجاء إبليس ، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق .

---

(١) تبختر : مضارع محذوف أحد التاءين ، والمقصود بالبيت أن عمرا هذا هو وحده الجدير بالتيه والخيلاء .

(٢) يريد أن بيته يتطابق مع قوله تعالى : « لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » .

(٣) ذات : مفعول مقدم لأنكحتنا ، ويريد أن سبايا الحرب إماء يحل الاستمتاع بهن .

(٤) يريد الحسن البصرى .

الحسن يتمثل بالشعر

قال محمد بن سلام : أخبرنى سلام أبو المنذر ، عن على بن زيد قال : ما سمعت الحسن متمثلاً شِعراً قط إلا بَيْتًا واحداً وهو قوله :

المَوتُ بابٌ وكُلُّ الناسِ داخلُه فليتَ شعرىَ بعد الباب ما الدّار ؟

قال : وقال لى يوما : ما تقول فى قول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتْ بَجيلهْ نِعْمَ الفتى وبِئْسَتِ القبيلهْ

أهجاه أم مدحه ؟ قلت : مدحه وهجا قومه ، قال : ما مُدِحَ مَنْ هُجِىَ قومُه .

وقال جرير بن حازم : ولم أسمعه ذكر شِعراً قط إلا :

١٥ / ١٩

ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأحيــاء

هل ينقض الشعر الوضوء

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبّر : أيُتَوَضّأُ[1] من الشعر؟ فانصرف بوجهه إليه فقال :

ألا أَصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزًا ولو رضِيتْ رُمحَ استه لاستَقرّت

ثم كبر .

من أبياته السيارة

قال ابنُ سلّام : وكان الفرزدق أكثرهم بيتا مُقَلَّدا — والمُقَلَّدُ : المُغْنِى[2] المشهورُ الذى يضرب به المثل — من ذلك قوله :

فيا عجبًا حتى كليبٌ تسبنى كأنّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجاشِعُ[3]

[4]وقوله : ليس الكرام بناحِليك أباهمُ حتى يُرَدَّ إلى عطية نَهْشَلُ[4]

---

(١) يقصد : هل يعتبر الشعر من نواقض الوضوء ؟ وقد أجابه ابن سيرين عملا لا قولا ، إذ نطق ببيت الفرزدق الفاحش ، ثم كبر .

(٢) فى هد ، هج ، والمقلد : « البيت المستغنى » بدل « المغنى »

(٣) كليب : قبيلة جرير ، نهشل ومجاشع : من أجداد الفرزدق .

(٤—٤) تكملة من هد ، هج . وعطية : أبو جرير ، يقول : لن تعد من الكرام إلا إذا ثبت أن جدى نهشلا من صلب عطية أبيك ، وفى بعض النسخ « تعتل » بمعنى تجرجر أعنيفاً بدل « نهشل » وهو تحريف .

وقوله : وكنّا إذا الجبّار صَعّر خَدّه ... ضربناه حتّى تستقيم الأَخادع(١)

وقوله : وكنتَ كذئب السوء لما رأى دَمًا ... بصاحبه يوما أحال على الدّم(٢)

وقوله : تُرجِّى رُبيعٌ أن تجىء صغارُها ... بخير وقد أعيا رُبيعاً كبارُها

وقوله : أكلتْ دوابرَها الإكامُ فمشيها ... مما وَجِئْن كمشية الإعياء .(٣)

وقوله : قوارص تأتينى وتحتقرونها ... وقد يملأُ القطرُ الإناء فَيفْعَمُ

وقوله : أحلامُنا تزن الجبالَ رَزانةً ... وتخالنا جِنا إذا ما نجهل .(٤)

وقوله :(٥وإنك إذ تسعى لتدرك دارما ... لأنت المُعنَّى ياجرير المُكلَّف٥)

وقوله : فإن تنجُ منى تنج من ذى عَظيمة ... وإلا فإنّى لا إخالك ناجيا

وقوله : ترى كل مظلوم إلينا فِرارُه ... ويهرَبُ منا جهدَه كُلُّ ظالمِ

وقوله :

ترى الناس ماسِرْنا يسيرون حولَنا ... وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا

وقوله : فسَيف بنى عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبا بيدَىْ وَرْقاء عن رأسِ خالد(٦)

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... ويَقطعن أحيانا مَناط القَلائِد

---

(١) صعر خده : أماله تكبراً ، الأخادع : جمع أخدع ، وهو أحد عرقين فى جانب العنق .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه ، ويضرب هذا البيت مثلا لمن إذانزلت بصاحبه مصيبة استغلها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه .

(٣) دوابر : جمع دابرة ، وهى العرقوب ، والآكام : جمع أكة ، وجئن ، من الوجا ، وهو رقة الحافر أوالخف من كثرة المشى ، والبيت وصف للناقة يضمرها السير وفى هد ، هج ، «كمشية الأطفال »

(٤) فى هج والمختار بدل المصراع الثانى : « ويزيد جاهلنا على الجهال » والمثبت فى الديوان ٧١٧ وما جاء فى هج والمختار من قصيدة أخرى فى الديوان : ٧٣٠

(٥-٥) التكملة من هج ، هد . ف

(٦) يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حين أمسك به خالد غريمه فحاول ورقة بن زهير إنقاذ أبيه ، فضرب خالداً ، فنبا سيفه ، وضرب أحد أنصار خالد زهيراً ففلق رأسه .

وكان يُداخل الكلام ، وكان ذلك يُعجب[١] أصحابَ النحو ، من ذلك قولُه يمدح هِشامَ بنَ إسماعيل المخزوميّ خالَ هشام بن عبد الملك :

وأصبَح ما فى الناس إلا مُمَلَّكاً ... أبو أمه حَىٌّ أبوه يُقاربه[٢]

وقوله : تالله قد سَفِهَتْ أميّةُ رأيَها ... فاستجهلت سُفهاؤها حلماءَها[٣]

وقوله : . ألستم عائجين بنا لعنَّا ... نرى العَرَصاتِ أو أثَرَ الخيام[٤]

فقالوا : إنْ فعلتَ فأغنِ عنا ... دُموعاً غيْرَ راقئة السّجام .[٥]

وقوله : فهل أنتَ إن ماتت أتانُكَ راحِلٌ ... إلى آل بِسطام بن قيس نخاطبُ[٦]

وقوله : فنَلْ مثلَهامن مثلِهم ثم دُلَّهم ... على دارميّ بين ليلى وغالبِ[٧]

وقوله : تعالَ فإن عاهدتنى لا تخونُنى ... نكنْ مثلَ مَنْ ــ ياذئبُ ــ يَصْطحبان[٨]

---

(١) لانعتقد أن هذا التداخل كان يعجب النحاة وإنما كانوا يستشهدون به ، أما علماء البلاغة فيستشهدون بهذا التداخل على التعقيد اللفظى الذى ينافى الفصاحة .

(٢) أصل تركيب البيت « وأصبح ما فى الناس حى يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه » هاء يقاربه تعود على خال هشام بن عبد الملك وهاء أمه تعود على هشام بن عبد الملك ، وهاء « أبوه » تعود على خال هشام ، أى لا حى يشابه خال الملك إلا الملك الذى جده أبو خاله. وفى رواية : « وما مثله » بدل « وأصبح » والبيت على تعقيده تافه المعنى ، ولو قال :

وأصبح ما فى الناس إلا ممـلكا ... أبو أمـه أبوه حى يقاربـه

لكان أقل تعقيداً مع استقامة الوزن .

(٣) سفه رأيه : حمله على السفه .

(٤) لعنا ، أصلها « لعلنا » وهذا هوموضع الشاهد .

(٥) غير راقئة السجام : دائمة الهملان .

(٦) وفى رواية « فاتت » بدل « ماتت والبيت متعلق بالمساجلة التى دارت بينه وبين جرير بشأن حدراء ، وقد تقدم ذكرها ، وإن لم يرد فيها هذا البيت .

(٧) تقدم هذا البيت فى المساجلة المشار إليها برواية أخرى ، والأولى أصح .

(٨) الخطاب للذئب ، والمداخلة هنا هى فصله بين الموصول « من » وصلته « يصطحبان » بالنداء .

وقوله : إنا وإياكَ إن بلَغْنَ أرحُلَنا كَمَنْ بِواديه بعد المَحْلِ مَمْطورُ(١)

وقوله : بنى الفاروق أمّكَ وابن أروى به عثمان مروان المصابا .(٢)

وقوله : إلى مَلِكٍ ما أمُّه من مُحاربٌ أبوه ولا كانت كليبٍ تصاهِرُه(٣) ١٦/١٩

وقوله : إليك أميرَ المؤمنين رمَتْ بنا هموم المنا والهَوْجَل المتعسّف(٤)

وعضّ زمانٌ يا بن مروان لم يدعْ من المال إلا مُسحتاً أو مُجلّف(٥)

وقوله : ولقد دنت لك بالتخلّف إذ دنَت منها بلا بَخَلٍ ولا مبذولِ(٦)

وكأنّ لونَ رُضابٍ فيها إذ بدا بَرَدٌ بفرع بَشامةٍ مصقولُ(٧)

وقوله فيها لمالك بن المنذر :

إنّ ابن ضبّارى ربيعةَ مالِـكاً لله سيف صنيعةٍ مَسْلولُ(٨)

ما نال من آل المُعلّى قبلَه سيفٌ لـكل خليفة ورسُولُ(٩)

---

(١) ضمير « إياك » للمدوح ، « ونون بلغن » للرواحل ، ممطور : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره هو ، يعنى إذا بلغناك كنا كمن أمطر واديه بعد الجدب .

(٢) فى بعض النسخ « نما » بدل « بنى » وفى بعضها «فما» والذى نختاره على ما فيه من معاظلة هو رواية الديوان :

هو السيف الذى نصر ابن أروى به عثمان مــــروان المصابـــا

على أن يكون « مروان » بدلا من ابن أروى ، و « عثمان » مفعولا به ، و « المصابا » صفته .

(٣) لعل تركيب البيت السليم إلى ملك أبوه محارب، ما أمه من كليب ولا كانت تصاهره ، وليس بعد ذلك تعسف .

(٤ و ٥) الهوجل المتعسف : الدليل المتعسف ، المسحت : الكسب الخبيث ، المجلف : الموقع صاحبه فى الجدب ، وفى البيتين اقواء .

(٦و٧) دنت ، أى حبيبتة ، البشام : نوع من الشجر ، والبيتان شاهد أيضاً على الإقواء .

(٨و٩) فى هج « جبارى » وفى أخرى « حبارى » ، وفى هد ، هج ، «مازال» بدل « ما نال » « مالكا » بدل من ابن ، رسول فى البيت الثانى عطف على سيف ، فإن عطف على خليفة كان فى البيت إقواء .

ما من يَدَىْ رَجُلٍ أحقُّ بما أتى ... من مكرمات عطاية الأخطار(١)
من راحتين يزيدُ يقدح زندَه ... كفّاهما ويشدّ عقد جوار(٢)

وقوله : إذا جئته أعطاك عفوا ولم يكن ... على ماله حال الندى منك سائله(٣)
لدى ملك لا تنصف النعلُ ساقَه ... أجل لا ، وإن كانت طُوالا حمائله(٤)

وقوله : والشيب يَنْهَضُ فى الشباب كأنه ... ليل يسير بجانبيه نهار

لا يكذب فى مدحه

قال أبو خليفة : أخبرنا محمد بن سلام قال : حدثنى شعيب بن صخر ، عن محمد ابن زياد ، وأخبرنى به الجوهرى وجَحْظة عن ابن شبّة ، عن محمد بن سلام ، وكان محمد فى زمام الحجاج زمانا قال :

انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالرَّدَم (٥وهو قائم والناس حوله٥) ينشد مديح سليمان بن عبد الملك :

وكم أطلقتْ كفاك من غلّ بائس ... ومن عُقدةٍ ما كان يُرجَى انحلالُها
كثيراً من الأيدى التى قد تكتّفتْ ... فككْتَ وأعناقا عليها غِلالها(٦)

قال : قلت : أنا والله أحدهم ، فأخذ بيدى وقال : أيها الناس سلوه عما أقول والله ما كذبت قط .

(١و٢) يمدح رجلا فيقول : لا يدين أحق بالمكرمات من يديه اللتين يستعين بها يزيد ويشد بها عقد جواره .

(٣) ف : «الردى» تحريف لكلمة «الندى» والمعنى إذا جئته أعطاك عفواً ، ولم يكن منك سائل له عند العطاء .

(٤) لا تنصف النعل ساقه : لا تبلغ نصفها ، كناية عن قصر النعل ، وإن كانت طوالا حمائله : كناية من طول القامة ، يريد أنه قصير النعل ، لكيلا تعوقه عن الحركة ، وإن كان طويل القامة ، وقوله : «أجل» تأكيد لمضمون الجملة ، وقوله : لا « تأكيد «للا» فى المصراع الأول ، وهذان البيتان وما قبلهما تكملة من هج ، هد .

(٥-٥) التكملة من هد .

(٦) كثيراً مفعول مقدم لفككت ، والغلال : جمع غل ، وهو الطوق وجاء فى اللسان : جمع الغل أغلال لا يكسر على غير ذلك .

يأبى حين يريد

أخبرنى جحظة قال : حدثنى ابن شبة ، عن محمد بن سلّام فذكر مثلَه وقال فيه : والله ما كذبت قط ولا أكذب أبدا .

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول :

كتب يزيدُ بن المهلب لما فتح جُرْجان إلى أخيه مدركةَ أو مروان : احمل إلىّ الفرزدق ، فإذا شخص فأعط أهلَه كذا وكذا ؛ ذكر عشرة آلاف درهم ، فقال له الفرزدق : ادفعها إلىّ ، قال : اشخص وأدْفَعُها إلى أهلك ، فأبَى ، وخرج وهو يقول :

دعانى إلى جُرجانَ والرّىُّ دونه لآتيهُ إنّى إذاً لزءورُ[1]
لآبَى من آل المهلّب ثائرًا بأعراضهم والدّائرات تدُورُ[2]
سآبَى وتأبَى لى تميمٌ وربما أبَيْتُ فلم يقدر علىّ أمير

قال أبو خليفة : قال ابن سلّام :

لم يستطع أهله منعه

وسمعت سلمة بنَ عَيَّاش قال : حُبِسْت فى السجن ، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالكُ بن المنذر بن الجارود ، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية ، ويجىء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر ، فقال لى : مِمّن أنت ؟ قلت : من قريش قال : كُلُّ أيرِ حِمارٍ من قريش ؛ من أيِّهم أنت ؟ قلت : من بنى عامر بن لؤى ، قال : لئام والله أذلة ، جاورتُهم فكانوا شرّ جيران ، قلت : ألا أخبرك بأذلّ منهم وألأم ؟ قال : من ؟ قلت: بنو مُجاشع ، قال : ولم ويلك ! قلت : أنت سيدهم وشاعرهم وابنُ سيدهم ، جاءك شرطى مالك ، حتى أدخلك السجن ، لم يمنعوك . قال : قاتلك الله .

١٧/١٩

قال أبو خليفه : قال ابن سلّام:

يهجو عمر بن هبيرة

وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غيرَ كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساء عَزْل مسلمة ، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس :

(١) فاعل دعانى ضمير يزيد بن المهلب ، الرى : بلد معروف ، ويكنى بذلك عن بعد الشقة ، زءور : مبالغة من الزيارة .

(٢) فى بعض النسخ «زائرا» ، والمعنى دعونى لأمدحهم وأثأر لأعراضهم ، وقد يعرضنى ذلك للخطر مستقبلا .

ولت بمسلمةَ الركابُ مُودَّعاً فارعَىْ فزارةُ لا هَناكِ المَرْتَع[١]
فسد الزمانُ وبُدِّلت أعلامُه حتى أميّةُ عن فزارةَ تِنزِع[٢]
ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرت أن سوف تطمع فى الإمارة أشجع[٣]
وبحقّ ربك ما لهم ولمثلهم فى مثل ما نالت فَزارةُ مطمع[٤]
عُزِل ابنُ بشر وابنُ عَمْرو قبلَه وأخو هَراةَ لمثلها يتــوقّع

ابن بشر : عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمَّرَه عليها مسلمة .
وابن عمرو : سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط ، وأخو هراة : عبد العزيز بن الحكم بن أبى العاصى .

ويروى للفرزدق فى ابن هبيرة .

أمِير المؤمنين وأنت عفٌّ كريمٌ لستَ بالطَّبِــع الحريصِ[٥]
أولَّيتَ العِراقَ ورافِدَيْه فزاريًّا أحـذَّ يدِ القَميص[٦]
ولم يكُ قبلها راعى مخاضٍ لتأمنَـه على وَرِكَىْ قَلُوصِ[٧]
تفنَّن بالعراق أبو المُثَنَّى وعَلَّم أهلَه أ كْلَ الخَبِيص[٨]

---

(١) يشير إلى أن عمر بن هبيرة من بنى فزارة .
(٢) تنزع : تكف أذاها عنها وتجاملها .
(٣) أشجع : قبيلة خاملة لا شأن لها يقول : مادامت فزارة وليت الإمارة فسوف تليها أحقر القبائل .
(٤) يعنى أنه ما كان لأشجع ومثلها مطمع فى الإمارة فأصبحوا الآن يطمعون فيها ، وفى بعض النسخ « ولخلق مثلك » .
(٥) الطبع كحذر : الدنىء اللئيم .
(٦) أحذ : مقطوع ، يد القميص : كمه ، يكنى بقطع الكم عن قطع اليد أو قصرها .
(٧) يريد أنه لم يكن يملك إبلا ، فكيف يؤتمن الآن على ورك ناقة .
(٨) أبو المثنى هو عمر بن هبيرة وفى رواية « تعتق » بدل « تفنن » ، والمعنى ترفه وتنعم بعد جوع وشظف .

وأنشدنى له يُونُس :

جَهّز فإنك ممتارٌ ومُبتعثٌ إلى فزارة عِيْراً تحمِل الكَمَرَا(١)
إنّ الفزاريّ لو يعمى فأطعَمَه أيرَ الحمارِ طبيبٌ أبرأ البَصَرَا
إن الفزاريّ لا يشفيه من قَرَمٍ أطايبُ العَيْر حتى ينهش الذّكرا
يقول لمّا رأى ما فى إنائهم : لله ضيف الفزاريين ما انْتَظَرَا(٢)

فلما قدم خالد بن عبد الله القسريّ والياً على ابن هبيرة حبسه فى السجن، فنُقِب له سَرَبٌ ، فخرج منه ، فهرب إلى الشام ، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه :

ولما رأيتَ الأرض قد سُدَّ ظهرُها ولم تر إلا بطنَها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونُسُ بعد ما ثوى فى ثلاث مظلمات ففرّجا(٣)
فأصبحتَ تحتَ الأرض قد سِرْتَ ليلةً وما سار سَارٍ مثلها حين أدلجا
خرجتَ ولم تَمْنُنْ عليك شفاعةٌ سوى رَبذِ التقريب من آل أعوجا(٤)
أغرّ من الحُوِّ اللهاميم إذ جرى جرى بكَ محبوكُ القرى غير أفحجا(٥)
جرى بك عُريان الحماتين ليلَهُ به عنك أرخى الله ما كان أشرجا(٦)
وما احتال مُحتالٌ كحيلته التى بها نفسه تحت الصّريمة أولجا(٧)

(١) ممتار : طالب ميرة ، عيراً : مفعول جهز ، الكمر : جمع كرة ، وهى رأس القضيب .
(٢) فاعل يقول ضمير الطبيب ، وقد يكون ضمير العير .
(٣) يشير إلى دعاء يونس ربه وهو فى بطن الحوت .
(٤) ربذ التقريب : خفيف الجرى ، أعوج : حصان عتيق تنسب العرب إليه جياد الخيل ، يقول له خرجت بلا شفاعة ، ولم ينجدك إلا جواد كريم .
(٥) من الحو : من الجياد السمر الألوان ، اللهاميم : جمع لهموم ، وهو السريع العدو ، القرى : الظهر ، أفحج : من الفحج ، وهو تدانى صدور قدمى الفرس وتباعد عقبيه .
(٦) الحماتان : لحمتان فى ساق الفرس ، أشرج ، من أشرج العيبة : أحكم شدها .
(٧) الصريمة : القطعة من الليل أو القطعة من الرمل ، يريد أنه أدخل نفسه فى الليل ، أو فى منفذ رملى نقب له .

وظَلماءَ تحت الأرض قد خُضتُ هولَها ... وليلٍ كلون الطيلسانىّ أدْعجا[١]

هما ظُلْمتا ليل وأرض تلاقتا ... على جامع من هَمّه ما تعوّجا[٢]

١٨/١٩

يهجو خالد بن عبد الله القسرى أيضا

فحدثنى جابر بن جندل قال : فقيل لابن هبيرة : من سيد العراق ؟ قال : الفرزدق هجانى أميراً ومدحنى سوقة . وقال الفرزدق لخالد القسرى حين قدم العراق أميرًا لهشام :

ألا قطع الرحمن ظهرَ مطيّةٍ ... أتتنا تمطَّى من دمشقٍ بخالد[٣]

وكيف يؤمّ المسلمين وأمّه ... تدين بأنّ الله ليس بواحد

بَنَى بَيْعَةً فيها الصّليبُ لأمّه ... وهَدّم من كُفرٍ مَنارَ المساجدِ

وقال أيضا :

نزلت بجيلَةُ واسطًا فتمكّنت ... ونفتْ فزارةَ عن قرار المنزل[٤]

وقال أيضا :

لعمرى لئن كانت بجيلةُ زانَها ... جَريرٌ لقد أخزى بجيلةَ خالدُ

فلما قدم العِراقَ خالدٌ أميراً أمّر على شرطة البصرة مالكَ بن المنذر بن الجارود ، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بنُ عامر يَدّعِى على مالك قَرْية[٥] ، فأبطلها خالد ، وحفر النهر الذى سماه المباركَ ، فاعترض عليه الفرزدق ، فقال :

أهلكتَ مالَ الله فى غير حقّه ... على النّهَر المشئُوم غيرِ المباركِ

وتَضربُ أقواما صِحاحاً ظهورهم ... وتتركُ حقّ الله فى ظَهْرِ مالكِ[٦]!

(١) الطيلسانى : فيه طلسة ، وهى السواد ، أدعج : شديد الظلمة .
(٢) يقول : إنه برغم ظلمتى السجن والليل عرف طريق الهرب ولم يتعوج أو يضل. وفى ب : «تمر جا» بالراء.
(٣) تمطى أصله تتمطى . وفى المختار : « أتتنا تخطّى » .
(٤) بجيلة : قبيلة خالد ، وفى الأصل « فزار » وهو تصحيف « قرار » .
(٥) قرية : اسم يطلق على عدة أماكن فى العراق ، والمراد أحدها .
(٦) يريد أنك تحدّ قوماً برآء ، وتترك مالكا الذى وليته أميراً الشرطة ، وهو أحق بأن يُحَدّ .

أَإنفاقَ مالِ الله فى غير كُنْهِهِ ومَنْعاً لحقِّ المرمِلات الضرائكِ؟(١)

مهر حدراء ومصرعها

أخبرنى عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعىّ قال : قال أعْيَن بن لبطة :

دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها ، فقال له : تزوّجتُ أعرابيةً على مائة بعير ، فقال له عنبسة بن سعيد : إنما هى فرائض قيمتُها ألفا درهم ، — الفريضة عشرون درهما — فقال له الحجاج : ليس غيرَها ، يا كعب، أعط الفرزدق ألفى درهم.

قال : وقدم الفُضيل العَنَزِىّ بصدقات بكر بن وائل،(٢) فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له فى الديوان ، قال الفرزدق: فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلّم ، خرجت فوقفت فى الدار فرآنى ، فقال مَهْيَمْ (٣)، فقلت : إن الفضيل العنزى قدم بصدقات بكر بن وائل (٢) ، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له فى الديوان ، فإن رأى الأمير أن يأمر لى بإثباتها له فعل ، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ، ونسى ما كان أمر له به(٤)، قال : فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار : خسرت صفقتك ، أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة حَمْشاء(٥) الساقين على مائة من الإبل ؟ فقال يُعرِّض بالنّوار وكانت أمها وليدة :

لجاريةٌ بين السّليل عروقُها وبين أبى الصّهباء من آل خالدِ(٦)
أحقُّ بإغلاء المهور من التى رَبَتْ تتردّى فى حجور الولائدِ

---

(١) الاستفهام فى البيت إنكارى . المرملات : من أرملت المرأة إذا فقدت زوجها ، الضرائك: جمع ضريكة ، وهى الفقيرة .
(٢-٢) التكملة من هج .
(٣) مهيم : كلمة استفهام بمعنى ما شأنك . ؟
(٤) يعنى الدراهم الألفين التى أمر عنبسة بإعطائه إياها .
(٥) حمشاء الساقين : مجرحتهما مشوهتهما
(٦) السليل وأبو الصهباء : من أجداد حدراء .

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها ، فحبس بعضها ، وامتار[١] عليه ما يحتاج إليه أهلُ البادية ، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير ، قال أعين : فلما كان فى أدنى الحى رأوا كبشاً مذبوحاً ، فقال الفرزدق : يا أوفى ، هلكت والله حدراء ، قال : وما عِلمُك بذلك ؟ قال : ويقال : إن أوفى قال للفرزدق : يا أبا فراس لن ترى حدراء ، فمضوا حتى وقفوا على نادى زيق ، وهو جالس ، فرحب به ، وقال له : انزل فإن حدراء قد ماتت ، وكان زيق نصرانيا فقال : قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها فى دينكم النصف ، وهو لك عندنا ، فقال له الفرزدق : والله لا أرزؤك منه قطميراً ، فقال زيق : يا بنى دارم ، ما صاهرنا أكرمَ منكم فى الحياة ولا أكرم منكم شركة فى الممات ، فقال الفرزدق:

عَجِبت لحادينا المقحِّم سيرَه ... بنا مُوجعاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعا[٢]
ليُدنينا ممن إلينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أردنا لتجمعا
ولو نعلمُ الغيبَ الذى من أمامنا ... لكرَّ بنا الحادى المطىَّ فأَسرعا[٣]
يقولون: زُرْ حدراء والتُّربُ دونها ... وكيف بشىء وصلُه قد تقطَّعا
[٤]يقول ابن خِنزير: بكيت ولم تكن ... على امرأة عينى إخال لتدمعا
وأهونُ رزء لامرىء غير جازعٍ ... رزيئةُ مرتج الروادف أفرعا[٤]
ولست ــ وإن عزّت ــ علىّ بزائرٍ ... تُرابا على مرموسةٍ قد تضعضعا[٥]

(١) امتار : طلب الميرة ، وهى الطعام يجمع للسفر ونحوه

(٢) المقحم من قحم – بالتشديد – الفرس الراكب ، دخل به فى أرض مخوفة ، موجعات : مفعول مقحم ، ظلعا : معطوف على موجعات، جمع ظالع بمعنى أعرج ، والمعنى عجبت لحادينا الذى يسوق إبلنا الكليلة فى أرض مخوفة وفى بعض النسخ « المقسم سيره » بدل « المقحم سيره » وفى بعضها والمختار : « مزحفات » بدل « موجعات » من أزحف البعير : أعيا وكل .

(٣) يريد لو نعلم بوفاة حدراء لعدنا أدراجنا مسرعين .

(٤–٤) تكملة من المختار .

(٥) مرموسة : ساكنة الرمس تضعضع : قل، يريد أن الريح سفت ما فوق قبرها من التراب فقل .

(١ وقيل إن النَّوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتُماضر، وأم هاشم أخت تُماضرَ؛ لأن تُماضرَ ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خُبَيْبًا وثابتًا ابنى عبد الله بن الزبير، وتزوّج بعدها أختها أم هاشم، فولدت له هاشمًا وحمزة وعبّادا، وفى أم هاشم يقول الفرزدق:

تروّحتِ الرّكبانُ يا أمَّ هاشم ... وهنّ مُنَاخاتٌ لهن حنين

وحُبِّسْن حتى ليس فيهن نافقٌ ... لبيعٍ ولا مركوبهن سمين ١)

زوجة أخرى تنشز منه

أخبرنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: حدثنى الأصمعىّ قال: نشزت رُهَيمة بنت غنىّ بن درهم النمريّة بالفرزدق فطلّقها، وقال يهجوها بقوله:

لا ينكحنْ بعدى فتًى نَمَرِيَّةً ... مُرَمَّلةً من بعلها لبعادِ(٢)

وبيضاء زَعراء المفارق شَخْتَةً ... مولّعةً فى خُضرة وسوادِ(٣)

لها بَشَرٌ شَثْنٌ كأن مَضَمَّه ... إذا عانقت بَعْلاً مَضَمُّ قتادِ(٤)

قرنتُ بنفسى الشؤمَ فى وِرد حوضها ... فجُرِّعتُه مِلحًا بماء رمادِ

وما زلتُ — حتى فرّق الله بيننا ... له الحمدُ — منها فى أذًى وجهاد

تُجدِّد لى ذكرى عذابِ جهنّمٍ ... ثلاثًا تُمسِّينى بها وتغادى(٥)

(١-١) تكملة من المختار. وضمير «هن» فى البيت الأول يعود على الإبل المفهوم من المقام. والبيتان فى شكوى الزمان وسوء الحال.

(٢) فتى: فاعل ينكحن، مرملة لبعاد: لم يمت عنها زوجها، ولكنه فارقها.

(٣) بيضاء: يريد بياض البرص لا بياض الجمال، زعراء المفارق: قليلة الشعر، شختة: نحيفة، وفى الأصل «شجنه» وهو تصحيف، مولعة فى خضرة وسواد: تعالج برصها بمختلف الألوان.

(٤) لها بشر شثن: لها جلد خشن غليظ.

(٥) ثلاثا: لعله يعنى ثلاث سنوات.

يبكي ولدا له من سلاح

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني الحسين[1] بن موسى قال : قال المدائني : لقي الفرزدق جارية لبني نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً ، فقالت له : مالك تنظر ؟ فوالله لو كان لي ألف حِرٍ ما طمعتَ في واحد منها ، قال : ولم ياخناء[2] ؟ قالت : لأنك قبيح المنظر سيء المخبر فيما أرى ، فقال : أما والله لو جربتني لعَفَّى خُبرى على منظرى ، قال : ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر ، فتضيّعت[3] له عن مثل سنام البكر[4] فعالجها ، فقالت : أنكاح بنسيئة ؟ هذا شر القضية ، قال : ويحك ، ما معي إلا جبتي ، أفتسلبينني إياها ثم تسنّمها ، فقال :

أولجتُ فيها كذِراع البَكرِ ... مُدملكَ الرأس شديدَ الأسْرِ[5]
زاد على شِبْرٍ ونصفِ شِبْرِ ... كأنني أولجتُه في جَمْرِ
يُطير عنه نَفَيانَ الشَّعْرِ ... نفى شُعورِ الناس يومَ النحرِ[6]

قال : فحملتْ منه ، ثم ماتت ، فبكاها وبكى ولده منها .

وغمدِ سلاحٍ قد رزِئتُ فلم أنُح ... عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جَوفه من دارمٍ ذو حفيظةٍ ... لو أنّ المنايا أنسأته لياليا
ولكنّ ريب الدهر يعثُر بالفتى ... فلم يستطع رَدًّا لما كان جائيا[7]
وكم مثلِهِ في مثلِها قد وضعته ... وما زلت وثّاباً أجرُّ المخازيا[8]

(١) في هد ، ف : «محمد بن موسى» بدل الحسين بن موسى .
(٢) الخناء : القبيحة الكلام .
(٣) تضيعت : تكشفت .
(٤) في هد : عن مثل سنام « الناب » بدل « البكر » .
(٥) مدملك الرأس : رأسه كالثدى الناهد ، شديد الأسر : قوى محكم .
(٦) نفيان الشعر : ما طار منه : يريد أنه يطير شعر العانة كما يطير الشعر من رءوس الحجاج ، أو من جلود الأضاحى .
(٧) في هد والمختار « ولا يستطيع رد ما كان جائيا » .
(٨) ضمير مثله يعود على ولده ، وضمير مثلها يعود على جارية بني نهشل .

فقال جرير يعيره :

وكم لكَ يا بنَ القَيْنِ إنْ جاء سائلٌ ... من ابنٍ قصير الباع مثلُك حاملُه(١)
وآخر لم تشعُر به قد أضعتَه ... وأوردته رِحما كثيراً غوائلُه(٢)

يتزوج ظبية فيعجز عن إتيانها

أخبرنى الحسن بن على الخفاف قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال : حدثنى محمد ابن سليمان الكوفى(٣) عن أبيه قال :

تزوج الفرزدقُ ظبية ابنة حالم من بنى مُجاشِع بعد أن أسنّ ، فضعف ، وتركها عند أمها بالبادية سنة ، ولم يكن صداقها عنده ، فكتب إلى أبان بن الوليد البَجلىّ — وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسْرىّ — فأعطاه ما سأل وأرضاه ، فقال يمدحه :

فلو جمعوا من الخِلّانِ ألفا ... فقالوا : أعطِنا بهمُ أبانا
لقلتُ لهم : إذًا لغبنتمونى ... وكيف أبيع من شرَط الزمانا(٤)
خليلٌ لا يرى المائةَ الصّفايا ... ولا الخيلَ الجيادَ ولا القيانَا
عَطاء دون أضعاف عليها ... ويُطعِمُ ضَيفَهَ العُبُطَ السِّمانا

العُبط : الإبل التى لا وجع بها .

فما أرجو لظبيةَ غيرَ ربِّى ... وغيرَ أبى الوليد بما أعانا(٥)

(١) إن جاء سائل : إن جاء من يسأل عن ذريتك ، حامله : كذا بالأصل ، ونرجح أنها خاملة : من الخمول ، أى خامل الباع وعليه يكون لفظ خامله صفة لابن تبعا ، للأصل لا لحركة حرف الجر الزائد .

(٢) فى الأصل « جيا » والصواب « رحما » وهو موضع تكون الجنين .

(٣) فى هد : « على بن سليمان المكىّ » .

(٤) فى بعض النسخ : « ما تغبنونى » بدل « لغبنتمونى » وفى بعضها « الضمانا » بدل « الزمانا » ، وشرط الضمان : التزم به ، والمراد المهر .

(٥) أبو الوليد كنية أبان وفى المختار : « وغير ابن الوليد » .

أعان بهجمة أرضَتْ أباها ... وكانت عنــده غَلَقًا رِهانا[١]

وقال أيضا فى ذلك :

لقد طال ما استودعتُ ظبيةَ أمَّها ... وهذا زمان رُدَّ فيــه الودائعُ

وقال حين أراد أن يبنى بها :

أبادر سُــؤَّالا بظبيــة أننى ... أتتنى بها الأهوالُ من كل جانب[٢]

بمالِـئـةِ الحِجْلَين لو أنَّ مَيِّتاً ... ولو كان فى الأموات تحت النصائب[٣]

دعته لألقى التُّربَ عنه انتفاضه ... ـولو كان تحت الراسيات الرواسبـ[٤]

فلما ابتنى منها عجز عنها فقال :

يا لهفَ نفسى على نَعْظٍ فُجِعْتُ به ... حين التقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكَبُ[٥]

وقال جرير :

وتقول ظبيةُ إذ رأتك محوقلاً ... ـحَوْقَ الحمارـ من الخبال الخابلِ[٦]

إنَّ البليَّـة وهْى كلُّ بليـةٍ ... شيخٌ يُعَلِّل عِرْسَه بالبـاطل

لو قد عَلقتِ من المهـاجر سُلَّما ... لنجوتِ منه بالقضـاء الفاصِلِ[٧]

---

(١) الهجمة : عدد كبير من الإبل ، يقال : غلق الرهن : استحق لمن هو عنده بعد مضى ميعاده ، وهذا هو المراد بقوله : « وكانت عنده غلقاً رهانا » يعنى أنها كادت تكون من حق أبيها لا من حقه لعجزه عن مهرها .

(٢) لعله يريد بالأهوال ما كان فيه من العسر والعجز عن سداد المهر .

(٣) الحجل : الخلخال ، ومالئة الحجلين : كناية عن امتلاء الساقين ، النصائب : الأحجار تنصب حول الحوض .

(٤) المراد بالراسيات الرواسب الجبال .

(٥) الركب : العانة أو منبتها ، أوأصل الفرج .

(٦) محوقلا : من حوقل بمعنى ضعف وأعيا ، حوق الحمار : منادى ، وهو لقب للفرزدق .

(٧) المهاجر كان اذ ذاك – على ما يبدو – قاضياً أو والياً .

قال : فنشزت منه ، ونافرته إلى المهاجر ، وبلغه قولُ جرير فقال المهاجر : لو أتتنى بالملائكة معها لقضيتُ للفرزدق عليها .

يشيد بابنته مكية وأمها الزنجية

قال : وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية ، وكانت زنجية ، وكان إذا حَمِى الوطيسُ ، وبلغ منه الهجاء يكتنى بها ، ويقول :

ذا كمْ إذاً ما كنتُ ذا محميَّهْ بدارِمِىٍّ أُمُّــه ضَبِّيَّـــــــه(١)

* صمحمح يُكنَى أبا مكِّية *

وقال فى أمها :

يا ربَّ خوْدٍ من بنات الزَّنْجِ تحمل تنُّورًا شــديدَ الوهْجِ(٢)

أقعبَ مثْــلَ القدَحِ الخلَنج يزداد طيباً عند طول الهرجِ(٣)

* نَخَجْتُها بالأير أىَّ نخجِ(٤) *

فقالت له النوار : ريحُها مثل ريحك .

وقال فى أم مكية يخاطب النَّوارَ :

فإن يكُ خالها من آل كسرى فكِسرى كان خيراً من عِقالِ

وأكثرَ جزيةً تُهدَى إليــه وأصبرَ عنــد مختلِف العوالى

(١) الأبيات من مشطور الرجز ، وربما كان فى البيت الأول منها لحن أو تحريف ، والذى نراه فيها على وضعها هذا هو ما يلى ، ذا كم : أذاك يحدث لى ، إذا ما كنت ذا أعراض محمية بدارمى ... الخ ، والصمحمح : القوى الشديد المجتمع الألواح ، ويعنى بالدارمى الذى أمه ضبيه نفسه .

(٢) الخود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق ، تنورا شديد الوهج ، كناية عن حرها .

(٣) أقعب : شبيه بالقعب ، وهو القدح الكبير ، الخلنج : نوع من الشجر ، الهرج : كثرة النكاح .

(٤) نخجتها : أتيتها .

قال: وكانت أم النّوار[1] خُراسانية، فقال لها فى أم مكية :

أغرك منها أُدْمَةٌ عربيّـةٌ   علت لونَها إن البِجَادِىَّ أحمرُ[2]

يمدح سعيدا فيغضب مروان

حدثنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبى قال :

دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والى المدينة لمعاوية فأنشده :

ترى الغرّ الجحاجِحَ من قريش   إذا ما الخطب فى الحدثان غالا[3]

وُقوفًا ينظرون إلى سـعيد   كأنهمُ يرون به هلالا

وعنده كعب بن جُعيل، فلما فرغ من إنشاده قال كعب: هذه والله رؤياى البارحة، رأيت كأنّ ابن مُرّة فى نواحى المدينة وأنا أضم ذلاذلى[4] خوفًا منه، فلما خرج الفرزدق خرج مروان فى أثره فقال : لم ترض أن نكون قعودًا حتى جعلتنا قيامًا فى قولك :

قِيامًا ينظرون إلى سـعيد   كأنهمُ يرون به هِلالا

فقال له : يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن[5]، فحقد عليه مروان ذلك، ولم تطل الأيام حتى عُزِل سعيد، ووُلّى مروان فلم يجد على الفرزدق متقدّما[6] حتى قال قصيدته التى قال فيها :

---

(١) لعل الصواب أن يقول : وكانت أم مكية خراسانية ، حتى يستقيم الكلام مع البيتين السابقين ، إلا إذا كان يعنى أن كلتيهما من أم فارسية ، أو أن أم النوار عربية من خراسان .

(٢) الأدمة : من الأديم ، وهو الجلد الأحمر ، البجادى : نوع مخطط من الأكسية العربية .

(٣) الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم .

(٤) اللاذل : أسافل القميص الطويل . وفى ب ، ف : كأن ابن قترة

(٥) صفن الرجل : صف قدميه ، كأنه يريد أن يقول له : إنك من بينهم لست واقفاً فحسب ، بل حسن الوقوف منتصب القامة ، بدليل غضبه عليه .

(٦) لم يجد على الفرزدق متقدماً ، أى سبباً يستقدم من أجله ليحاكم ، وفى بعض الأصول « مقدما » بدل متقدما .

هما دَلّتاني من ثمانين قامةً ... كما انقضّ بازٌ أقتمُ الريش كاسِرُهْ

فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا ... أحَىٌّ يُرَجّى أم قتيلٌ نُحاذره

فقلت: ارفعا الأمراسَ لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ فى أعقاب ليل أبادره[1]

أبادر بوّابين لم يشعروا بنا ... وأحمرَ من ساجٍ تلوح مسامره[2]

فقال له مروان: أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، اخرج عن المدينة فذلك قول جرير:

تدلّيتَ تزنى من ثمانينَ قامةً ... وقَصّرت عن باع الندى والمكارم[3]

أخبرنا[4] ابن دُرَيد، قال: أخبرنا الرياشى، عن محمد بن سلّام، قال:

رواية أخرى للخبر السابق

دخل الفرزدق المدينة هاربا من زياد، وعليها سعيدُ بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية، فدخل على سعيد، ومَثَل بين يديه، وهو معتمّ[5]، وفى مجلس سعيد الحُطيئةُ وكعب بن جُعَيل التغلبى، وصاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائذ بالله وبك، أنا رجل من تميم، ثم أحَد بنى دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال: فأطرق سعيدٌ مليّا، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دمًا حرامًا، ولا مالاً حرامًا، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده:

---

(١) الأمراس: الحبال، وقد جاء فى ب بدل هذا البيت وما بعده.

فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا ... وأحمر من ساج تلوح مسامره

والتصويب من هد والمختار.

(٢) وأحمر من ساج: يريد الباب.

(٣) فى هد: «وقصرت عن باع العلا والمكارم».

(٤) هذا الخبر – على طوله – ساقط من الأصول، ولكنه مثبت عند ابن سلام، والمختار ٨ ص ١١٥ وما بعدها.

(٥) كذا فى المختار، وعند ابن سلام: «وهو معهم».

إليك فررتُ منك ومن زيادٍ ... ولم أحسب دمى لكما حَلَالا[١]
ولكنّى هجوتُ وقد هجانى ... معاشرُ قد رضخْتُ لهم سِجالا[٢]
فإن يكن الهجاء أحلّ قتلى ... فقد قلنا لشاعرهم وقالا
أرِقتُ فلم أنم ليلاً طويلا ... أراقب هل أرى النّسرينِ زالا[٣]
عليك بنى أمية فاستجرهم ... وخذ منهم لما تخشى حِبالا
فإنّ بنى أميــة فى قريش ... بَنَوْا لبيوتهم عَمَداً طوالا
ترى الغرّ الجحاجح من قريشٍ ... إذا ما الأمر فى الحدثان غالا
قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنهمُ يرون به هلالا

قال : فلما قال هذا البيت ، قال الحطيئة لسعيد : هذا والله الشعر ، لا ما كنت تَعَلَّلُ به منذ اليوم ، فقال كعب بن جعيل : فضلته على نفسك[٤] ، فلا تفضله على غيرك ، قال : بلى والله إنه ليفضلنى وغيرى ، يا غلام ، أدركت مَنْ قَبلك ، وسبقت مَنْ بعدك ، ولئن طال عمرك لتبرُزَنّ .

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق ، فقال : يا غلام ، أَنْجَدَتْ أُمُّك ؟ قال : لا بل أبى ، أراد الحطيئة : إن كانت أمك أنجدت فقد أصبتُها فولدتك إذ شابهتنى فى الشعر ، فقال الفرزدق : لا بل أبى[٥] ، فوجده لَقِنا .

بينه وبين مخنث

أخبرنى ابن دريد قال : قال لنا أبو حاتم : قال الأصمعى :

---

(١) كذا فى المختار ، وفى الأصول : ضلالا .
(٢) رضخت لهم ، من قولهم : رضخت التيوس إذا أخذت فى النطاح ، أى أخذت أساجلهم النطاح .
(٣) النسرين : كوكبان .
(٤) إنما فضله الحطيئة على نفسه لقوله لسعيد : هذا هو الشعر ، لا ما كنت تعلل به منذ اليوم ، أى لا ما كنت تتساقاه فى هذا اليوم ، وكان بين ما روى فى هذا اليوم من الشعر شعر الحطيئة نفسه ، ومن هنا جاء التفضيل .
(٥) يريد الفرزدق أن أباه هو الذى أنجد ، فوقع على أم الحطيئة فجاء به شبيهاً له فى الشعر .

ومن عبثات الفرزدق أنه لقى مُخَنَّثا فقال له : من أين راحت عمتنا ؟ فقال له المخنث : نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير :

نفاكَ الأغرّ ابن عبد العزيز وحقُّك تُنْفَى من المسجدِ

جرير يعترف له بالغلبة

أخبرنا ابن دريد عن الرياشىّ ، عن النضر بن شميل قال : قال جرير : ماقال لى ابن القين بيتا إلا وقد اكتفأته ، أى قلبته إلا قوله :

ليس الكِرامُ بناحليك أباهم حتى يرد إلى عطية تعتل[(١)]

فإنى لا أدرى كيف أقول فيها .

جرير يلقبه بالعزيز

وأخبرنى ابن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبىّ ، عن عَوانة بن الحكم ، قال :

بينما جرير واقف فى المِرْبد وقد ركبه الناس وعمر بن لجأ مواقفه[(٢)] فأنشده عمر جواب قوله :

يا تَيْمُ تَيْمَ عدىٍّ لا أبا لكم لا يقذفنَّكمُ فى سَوأةٍ عمرُ

أحين صرْتُ سِماما يا بنى لجأٍ وخاطرَتْ بىَ عن أحسابها مُضرُ[(٣)]

فقال عمر جواب هذا :

لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ماخاطرَتْ بكَ عن أحسابها مُضَر

ألَسْتَ نَزْوَة خوّارٍ على أمة ؟ لا يسبق الحلباتِ اللؤمُ والخورُ[(٤)]

---

(١) وهذا البيت فى خبر سابق فى الترجمة نفسها .

(٢) ب : « مواقفه » .

(٣) خاطرت : راهنت ، ولعل متعلق الظرف « حين » فى أبيات تالية لم تذكر .

(٤) الحلبات جمع حلبة بمعنى الميدان ، وفى هج :

ألست نزوة خوار على أمة لا تسبق الحلبتان اللؤم والخور ؟

وكأنه يعنى بالخوار أباه وبالأمة أمه .

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين فى هذه القصيدة، فقال جرير لما سمعها : قبحاً لك يا بن لجأ ، أهذا شعرك ، كذبت والله ولوميت[1] ، هذا شعر حنظلى ، هذا شعر العزيز[2] يعنى الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جوابا .

يلقب جريرا أبا القرم

وخرج غنيم بن أبى الرقراق حتى أتى الفرزدقَ ، فضحك ، وقال : إيه يا بن أبى الرقراق ، وإن عندك لخبرًا ، قلت : خُزِىَ أخوك ابن قتب ، فحدثته ، فضحك ، حتى فحص برجليه ، ثم قال فى ساعته :

وما أنت إن قَرْمَا تَمِيم تساميا أخا التّيم إلا كالوشِيظة فى العَظم[3]
فلو كنت مولى الظلم أو فى ثيابِه ظلمتَ ولكن لا يَدَىْ لك بالظُّلْم[4]

فلما بلغ هذان البيتان جريرًا قال : ما أنصفنى فى شعر قط قبل هذا يعنى قوله :

* . . إنْ قرْمَا تميم تساميا *

ينتصب شعر الشعراء

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا الرياشىّ قال :

كان الفرزدق مَهِيبا تخافه الشعراء ، فمر يوما بالشمردل ، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

وما بين مَنْ لم يُعطِ سمعًا وطاعةً وبين تميمٍ غيرُ حزّ الغَلاصِم[5]

---

(١) « ولومت » كذا بالأصل ، ونرجح أنها تحريف « ولؤمت » من اللؤم .

(٢) فى رواية أخرى « هذا شعر الفريد » بالفاء ، وفى رواية ثالثة : « هذا شعر القريد » بالقاف ، وكأنه تصغير قرد .

(٣) فى الأصل « العزم » بدل « العظم » ولا معنى له ، والتصويب من هد ، هج ، الوشيظة : شظية زائدة فى أصل العظم .

(٤) لا يدى لك بالظلم : لا قدرة لك عليه ، وإنما حذف النون من يدين لتقدير إضافتها إلى كاف لك ، كما قالوا فى « لا أبالك » وفى « يا أخا من لا أخا له » .

(٥) الغلاصم : جمع غلصمه ، وهى رأس الحلقوم ، أو اللحم بين الرأس والعنق .

قال : والله لتتركنّ هذا البيت أو لتتركَنّ عرضَك ، قال : خذه على كرهٍ منى ، فهو فى قصيدة الفرزدق التى أولُها قوله :

* تحنّ بزوراء المدينة ناقتى *

قال : وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعنى سرقة الشعر .

أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم، عن أبى عبيدة، عن الضحاك بن بهلول الفُقَيْمِىّ قال :

بينما أنا بكاظمة وذو الرُّمة ينشد قصيدته التى يقول فيها :

أحينَ أعاذت بى تميمٌ نساءها ... وجُرِّدْت تجريدَ اليمانِى من الغِمد

إذا راكبان قد تدلّيا من نَعفِ كاظمة متقنعان ، فوقفا ، فلما وفرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه ، وقال : ياعُبَيد ، اضممها إليك — يعنى راويته — وهو عبيد أخو بنى ربيعة ابن حنظلة ، فقال ذو الرمة : نشدتك الله يا أبافراس إن فعلت، قال : دع ذا عنك، فانتحلها فى قصيدته وهى أربعة أبيات :

أحين أعاذت بى تميمٌ نساءها ... وجُرِّدت تجريدَ اليمانِى من الغِمدِ
ومدت بضَبْعَىَّ الرِّبابُ ومالكٌ ... وعمرٌو، وشالت من ورائى بنو سعد(١)
ومن آل يربوعٍ زُهَاءٌ كأنه ... دُجَى الليل محمود النِّكاية والوِرد(٢)
وكنّا إذا الجبّارُ صَعَّرَ خدَّه ... ضربناه فوق الأُنثَيَيْن على الكَرْد(٣)

يجوز السبق فى الفخر

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبى عبيدة قال :

---

(١) بضبعى : تثنية ضبع ، وهو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها، ومدت بضبعى : أعانتنى ، والرباب ومالك وعمرو وبنو سعد : قبائل .
(٢) الزهاء : العدد الكثير ، والمراد بالورد ورد دم الحروب .
(٣) الأنثيان : الأذنان ، الكرد : العنق ، أو أصل العنق ، صعر خده : أماله صلفا وتكبرا. وفى المختار : « ضربناه حتى يستقيم على الكرد » .

اجتمع الفرزدق وجرير وكثير وابن الرّقاع عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً ، فبدرهم الفرزدق ، فقال :

وما قوم إذا العلماء عَدّت ... عروقَ الأكرمين إلى الترابِ(١)
بمختلفين إن فضّلتمونا ... عليهم فى القَديم ولا غِضاب
ولو رَفع السحابُ إليه قوماً ... عَلَوْنا فى السماء إلى السحاب

فقال سليمان : لا تنطقوا ، فوالله ما ترك لكم مقالا .

يتعصب لابنته مكية

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن عمرانَ الضبى ، عن سليمانَ بنِ أبى سليمانَ الجوزجانى قال :

غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية(٢) وكتب إليه أهله يشكون سوء خُلُقها وتبذّيها عليهم فكتب إليهم :

كتبتم عليها أنها ظلمتكم ... كذبتم وبيتِ الله بل تظلمونها
فإلا تعدُّوا أنها من نسائكم ... فإنّ ابنَ ليلى والدٌ لا يشينها(٣)
وإنّ لها أعمامَ صدق وأخوة ... وشيخاً إذا شاءت تَنَمّر دونها(٤)

يعقه ابنه

قال: وكان للفرزدق ثلاثة أولادٍ يقال لواحد منهم لبَطة ، والآخر حَبَطَة ، والثالث ، سبطة ، وكان لبطة من العَقَقَة فقال له الفرزدق :

أإن أرعشتْ كفّا أبيك وأصبحتْ ... يداك يَدَىْ ليثٍ فإنك جاذِبُهْ
إذا غالَبَ ابنٌ بالشباب أباً له ... كبيراً فإن الله لا بدّ غالبُهْ

(١) يريد بقوله : إلى التراب الكرام السالفين الذين أصبحوا عظما رميما .
(٢) مكية : هى ابنة الفرزدق ، كما تقدم .
(٣) فى البيت أقواء .
(٤) يريد بالشيخ نفسه .

رأيتُ تباشيرَ العقوق هى التى من ابن امرئ ما إن يزال يُعاتبُه[(١)]
ولما رآنى قـــد كبِرتُ وأننى أخو الحى واستغنى عن المسح شاربُه[(٢)]
أصاخ لغربان النَّجِىِّ وإنه لأَزورُ عن بعض المقالة جانبُه[(٣)]

قال[(٤)] أبو عبيدة فى كتاب النقائض: قال رؤبة بن العجاج: حج سليمان بن عبد الملك، وحجت معه الشعراء، فمر بالمدينة منصرفا، فأُتِىَ بأسرى من الروم نحو أربعمائة، فقعد سليمان، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن — عليهم السلام — وعليه ثوبان مُمَصَّران[(٥)]، وهو أقربهم منه مجلسا، فأدنَوا إليه بِطرِيقَهم، وهو فى جامعة[(٦)]، فقال لعبد الله بن حسن: قم، فاضرب عنقه فقام، فما أعطاه أحد سيفا، حتى دفع إليه حَرَسىٌّ سيفا كليلا، فضربه، فأبان عنقه وذراعه، وأطنّ[(٧)] ساعده وبعض الغلّ، فقال له سليمان: والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه، فيقتلونهم، حتى دفع إلى جرير رجلا منهم، فدست إليه بنو عبس سيفا قاطعا فى قراب أبيض، فضربه، فأبان رأسه، ودُفع إلى الفرزدق أسير، فدست إليه القيسيّة سيفا كليلا، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئا، فضحك سليمان وضحك الناس معه. وقيل: إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفا، وقال: اقتله به، فقال: لا، بل أقتله

(١) يقول: إن تباشير العقوق بدأت من ابنه له بكثرة العتاب أولا.

(٢) أخو الحى: لعله يقصد أنه هرم فأصبح ملازماً للحى، ويريد بقوله: استغنى عن المسح شاربه أنه استوى وبلغ أشده، كأن الطفل يحتاج إلى من يمسح له شاربه من أثر الطعام وشرب اللبن ونحو ذلك.

(٣) غربان النجى: قرناء السوء، وفى بعض النسخ: «عريان» بالياء المثناة، وقد آثرنا ما أثبتناه على تشبيه قرناء السوء بالغربان، أزور: معرض، يريد أنه يصغى لقرناء السوء، ولا يعير نصائحه هو التفاتاً.

(٤) ورد فى المختار من أول هذا الخبر إلى صفحة ٣٣٠ ولم تشر إليه الأصول التى بأيدينا.

(٥) ممصران: مصبوغان بصبغ أصفر.

(٦) جامعة: قيد يجمع اليدين إلى الرجلين.

(٧) أطن: قطع.

بسيف مجاشع(١)، واخترط سيفه ، فضربه ، فلم يُغن شيئا ، فقال سليمان : أما والله لقد بقى عليك عارُها وشَنارها ، فقال جرير قصيدته التى يهجوه فيها ، وأولها :

ألا حىِّ ربعَ المنزل المُتقادِمِ وما حَلَّ مُذ حلَّت به أمُّ سالمِ

منهـا :

ألم تشهد الجَوْنَيْن والشِّعب ذا الغضَى وكَرّاتِ قيسٍ يومَ دَيْر الجاجم ؟(٢)
تُحرِّضُ يا بنَ القَيْن قيساً ليجعلوا لقومك يوماً مثلَ يومِ الأراقمِ(٣)
بسيفِ أبى رَغْوَانَ سيفِ مُجاشعٍ ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ(٤)
ضربتَ به عند الإمام فأُرْعِشتْ يداك وقالوا : مُحدَثٌ غيرُ صارمِ

فقال الفرزدق يجيب جريرا عن قوله :

وهل ضربةُ الرُّومىِّ جاعلةٌ لكم أبًا عن كُلَيْبٍ أو أبًا مثلَ دارمِ(٥)
كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها وتقطعُ أحيانا مَناطَ التمائمِ(٦)
ولا نقتلُ الأسرَى ولكن نفكُّهُم إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارمِ

وقال يعرِّض بسليمانَ ، ويعيّره نُبُوَّ سيف ورقاء بنِ زهير العبسى عن خالد ابن جعفر ، وبنو عبس هم أخوال سليمان :

---

(١) مجاشع : أحد أجداد الفرزدق .

(٢) الجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون ، ويوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن الأشعث الخارج على بنى أمية وجيوش بنى أمية .

(٣) يوم الأراقم كان بين قيس وبنى تغلب .

(٤) أبو رغوان : كنية مجاشع جد الفرزدق ، وابن ظالم : الحارث بن ظالم من فتاك العرب المشهورين ، وكان له سيف ماض يسمى ذا الحيات .

(٥) كليب : جد جرير ، ودارم : جد الفرزدق .

(٦) ظباتها : جمع ظبة : حد السيف ، مناط التمائم : كناية عن الأعناق .

فإن يكُ سيفٌ خان أو قَدَرٌ أبَى بتعجيلِ نفسٍ حتفُها غُير شاهد(١)
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به نبا بيدَىْ ورَقاء عن رأسِ خالد(٢)
كذاكَ سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها وتقطـــعُ أحيانا مَناط القلائدِ

وأولها :

تباشَرُ يربوعٌ بنبـــوةِ ضربةٍ ضربتُ بهـا بين الطُّلا والحارِد(٣)
ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنقه إلى عَلَق بين الحِجَابَيْن جامدِ(٤)

وقيل : إن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لى هذا الأسير ، فوهبه له ، فأعتقه ، وقال الأبيات التى منها :

ولا نقتُل الأسرى ولـكن نفكُّهم إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارم

ثم أقبل على راويته ، فقال : كأنى بابن المراغة ، وقد بلغه خبرى ، فقال :

بسيفِ أبى رَغوانَ سيفِ مجاشعٍ ضربتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالمِ
ضربتَ به عنـــد الإمام فأُرعِشت يداكَ وقالوا مُحدَثٌ غير صارم

فما لبثنا إلا أياما يسيرة ، حتى جاءتنا القصيدة ، وفيها البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق :

وقال أيضا فى ذلك :

أيعجبُ النّاسُ أن أضحكتُ خيرَهمُ خليفـــةَ الله يُستسقَى به المطرُ

---

(١) حتفها غير شاهد : لم يحن ميعاد أجلها بعد .
(٢) يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حينما اعتنقه خالد بن جعفر ، فحاول ورقاء قتل خالد ، فنبا سيفه .
(٣) تباشر : أصله تتباشر ، ويربوع : قبيلة جرير ، الطلا : الأعناق ، والحارد : مفاصل الأعناق .
(٤) العلق : ماتجمد من الدم .

فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَشٍ عنـد الإمامِ ولـكن أُخِّرَ القدرُ
ولو ضربتُ به عمـدا مُقَلَّدَهُ لخـرَّ جثمانُه ما فوقه شَعَرُ(١)
وما يُقَـدِّم نفسا قبـل مِيتَتِها جمعُ اليدين ولا الصَّمْصَامة الذكَرُ(٢)

وأخبرنى عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن حبيب ، عن أبى عبيدة ، قال : من شعره فى سجنه

هجا الفرزدق خالدا القَسرىّ وذكَرَ المباركَ : النّهرَ الذى حفره بواسط ، فبلَغَه ذلك ، وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احبِس الفرزدقَ فإنه هجا نهرَ أمير المؤمنين بقوله :

وأهلـكتَ مالَ اللهِ فى غير حقِّه على نَهرِكَ المشئومِ غيرِ المُبَارَكِ

الأبيات ، فأرسل مالك إلى أيوبَ بنِ عيسى الضّبّىّ ، فقال : ائتنى بالفرزدق ، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه ، فطلب إليهم أن يمروا به على بنى حنيفة ، فقال الفرزدق : ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بنى حنيفة ، فلما قيل لمالك : هذا الفرزدق انتفخ وريدُ مالك غضباً ، فلما أُدخِل عليه قال :

أقول لنفسى حين غصَّت بريقها ألا ليتَ شعرى مالها عند مالكِ ؟
لهـا عنده أن يَرْجِـعَ اللهُ رُوحَها إليها وتنجو من جميع المهالك(٣)
وأنت ابنُ حبَارَىْ ربيعةَ أُدركت بك الشمس والخضراءَ ذاتَ الحبائك(٤)

(١) مافوقه شعر : كناية عن انفصال الرأس الذى هو موضع الشعر عن الجسد .

(٢) الصمصامة : السيف الذى لايثنيه الضراب ، وهو أيضا اسم سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدى البطل المعروف ، وإلى هنا ينتهى ما فى المختار

(٣) فى هد ، مج « عظيم المهالك » بدل « جميع المهالك » وسكن واو « تنجو » للضرورة .

(٤) الذى نرجحه أن « حبارى » تصحيف « جبارى » بالجيم لا بالحاء ، وأنه يشير إلى جدين بارزين من أجداده ، وفى هد ، مج « أدركا » بدل « أدركت » والخضراء : السماء ، والحبائك : جمع حبيكة ، وهى مسير النجم ، ومنه قوله تعالى : « والسماء ذات الحبك » .

فسكن مالك، وأمر به إلى السجن، فقال يهجو أيوبَ بنَ عيسى الضّبّى:

فلو كنتَ قَيْسيًّا إذا ما حبستني ولكنّ زنجيًّا غليظًا مشافرُه(١)
مَتَتُّ له بالرِّحْم بَيْنى وبينه فألفيتُه منى بَعيدًا أواصِرُه(٢)
وقلت: امرؤٌ من آل ضبةَ فاعتزى لغيرهم لونُ استِه ومَحاجِرُه(٣)
فسوف يرى النوبىّ ما اجترحَت له يدَاه إذا ما الشِّعر عَيَّتْ نَوَافره(٤)
ستُلقِى عليك الخنفساء إذا فست عليك من الشعر الذى أنت حاذِرُه(٥)
وتأتى ابنَ زُبٍّ الخنفساء قصيدةٌ تكون له منى عَذابًا يُباشِره
تعذرتَ يا بن الخنفساء ولم تكن لُتقبَلَ لابْنِ الخنفساء معاذرُه
فإنكما يا بنى يسار نزوتما على ثُفرها ما حنّ للزيت عاصره(٦)
لِزنجيّة بظراء شقّ بظرَها زحيرٌ بأيوبٍ شديدٌ زوافره(٧)

ثم مدح خالدَ بنَ عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحا كثيراً، فأنشدنى يُونُس فى كلمة له طويلة.

---

(١) فى هد وهج: «ضبيا» بدل «قيسيا» وخبر لكن محذوف تقديره أنت، أو الأصل: ولكنك كنت زنجياً ... الخ.

(٢) مت إليه: انتسب، الرحم: الصلة والقرابة، يجوز فيه إسكان الحاء مع تشديد الراء وكسرها أو فتحها.

(٣) يقول: ظننته ضبيا فإذا عيناه ولون بشرته تنم على أنه نوبى لا ضبى.

(٤) إذا ما الشعر عيت نوافره: إذا استعصى على غيرى فإنه لا يستعصى على.

(٥) فى هد، هج: «التى فست» بدل «إذا فست» ويريد بالخنفساء أمه.

(٦) الثفر: مسلك القضيب فى المرأة، يقول: من ثفرها خرجتما وعليه نزوتما، كما يشرب الزيت من يعصره.

(٧) الزنجية خبر ثان لأنكما فى البيت السابق، بظراء: طويلة البظر، الزحير: أنين المرأة عند المخاض، وأيوب هو ابن عيسى الذى يهجوه.

يا مالِ هل هو مُهلكي ما لم أقل   وليُعلَمَنَّ من القصائد قيلي(١)
يا مالِ هل لك في كبير قد أتت   تسعون فوق يديه غير قليل
فتجيرَ ناصيتي وتُفرجَ كُربتي   عني وتطلقَ لي يداك كُبولي
ولقد بنى لكم المُعَلَّ ذِروةً   رَفعتْ بناءك في أشمَّ طويل
والخيلُ تعلم في جَذيمة أنها   تَرْدَى بكل سَميدَعٍ بُهلول(٢)
فاسقُوا فقد ملأ المعلّى حوضَكم   بذَنوبِ مُلتَهِم الرَّباب سجيل(٣)

(٤)وقال يمدح مالكا وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع :

وقرْمٍ بين أولاد المُعلّى   وأولاد المَسامِعةِ الكرامِ
تخمّطَ في ربيعة بين بكر   وعبد القيس في الحسب اللُّهام(٤)

فلما لم تنفعه مديحة مالك ، قال يمدح هشام بن عبد الملك ، ويعتذر إليه :

ألِكْني إلى رَاعِي البريَّةِ والذى   له العَدلُ في الأرض العريضة نوّرا(٥)
فإن تُنكروا شعري إذًا خرجت له   بوادرُ لو يُرمَى بها لتَفَقّرا(٦)
ثبير ولو مست حِراءَ لحرّكت   به الراسيات الصُّمَّ حتى تكوّرا(٧)

---

(١) مال : مرخم مالك ، وهو ضمير الشأن ، أو عائد على « ما » الموصولة بعده ، قيلى : بمعنى قولى نائب فاعل « يعلمن » .

(٢) تردى : تضرب الأرض بحوافرها ، السميدع : السيد الكريم ، البهلول : السيد الجامع لكل خير .

(٣) الذنوب : الدلو ، والرباب : السحاب الأبيض ، السجيل : العظيم من الدلاء ، بذنوب : متعلق بقوله : فاسقوا ، لا بقوله : ملأ .

(٤-٤) من المختار وتخمط ، أصله تتخمط بمعنى تتكبر وتتعالى ، الحسب اللهام : الذى يلتهم كل حسب غيره ، ويغطى عليه .

(٥) ألكنى : احمل عنى ألوكة ؛ رسالة .

(٦ ، ٧) جواب الشرط إذا خرجت له ، نائب فاعل يرمى « ثبير » فى البيت التالى ، تفقر : تقسم فقرا ، تكور : تهدم ، وصار كالكرة ، ثبير وحراء : جبلان معروفان .

إذا قال غاوٍ من مَعَدٍّ قصيدةً بها حَرَبٌ كانت وبالا مُدَ مَرّا(١)
أينطِقُها غيرى وأُرمَى بجُرمها فكيف ألوم الدّهرَ أن يتغيّرا
لئن صَبَرَتْ نفسى لقد أُمرت به وخيرُ عباد الله من كان أصبرا
وكنت ابنَ أحْذارٍ ولو كنتُ خائفاً لكنت من العصماء فى الطود أحذرا(٢)
ولكنْ أتونى آمنا لا أخافهم نهاراً وكان اللهُ ما شاء قدَّراً

أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام قال : حدثنى أبو يحيى قال :

قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس اشخص إلى هشام ، وامدحْه بقصيدة ، وقال : استعن بالقيسية ، ولا يمنعك قولى فيهم فإنهم سيغضبون لك وقال :

بكت عينُ محزونٍ ففاض سجامُها وطالت ليالى ساهر لا ينامُها
فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أتَى بها الدهر والأيام جَمٌّ خِصامُها(٣)
ولكنما تبكى تَهتّكَ خالد محارمَ مِنّا لا يحل حَرامُها
فقُل لبنى مروان : ما بال ذمّة وحرمَةِ حَقٍّ ليس يُرْعى ذمامُها
أنُقْتَل فيكم أن قَتَلْنا عدوّكُمْ على دينكم والحرب باقٍ قتامُها(٤)
أتاك بقتل ابن المُهَلّب خالدٌ وفينا بَقيّاتُ الهدى وإمامها(٥)
فغيرٌ — أمير المؤمنين — فإنها يمانيةٌ حَمْقاء وأنت هشامُها(٦)
أرى مُضَرَ المِصْرين قد ذَلّ نصرُها ولكنْ عسى أن لا يَذِلّ شآمُها(٧)

(١) الحرب : الويل والهلاك ، ويريد بقوله : كانت وبالا أنها وبال عليه هو بدليل البيت التالى .

(٢) وكنت ابن أحذار : ابن حزم وتحرز ، العصماء : التى فى جسمها بياض ، يقصد الطيور العصماء ، يريد أنه خدع ، وأخذ على غرة .

(٣) جواب الشرط « لا تبك » وتتمة معنى البيت فيما يليه ، ومحارم فى البيت التالى مفعول لتتهك .

(٤) على دينكم متعلق بقتلنا ، والمعنى أنقتل إن قتلنا عدوكم سائرين على مذهبكم ؟

(٥) أتاك . فى س : « أثار » وكأنه تخفيف « أثار » بمعنى اطلب الثأر .

(٦) يحض الخليفة على عزل خالد القسرى ، ويشير إلى أنها حركة يمانية ضد المضرية .

(٧) لعله يريد بالمصرين الحجاز والعراق ، ويستعدى المضريين فى الشآم . وفيهم الخلافة — على اليمانيين.

فَمَنْ مُبلِغٌ بالشام قيسًا وخِندِفًا   أحاديثَ ما يُشْفَى ببرءٍ سَقامُها
أحاديثَ منا نشتكيها إليهِمُ   ومظلمةً يغشى الوجوهَ قتامُها
فإن مَنْ بها لم يُنكرِ الضَّيمَ منهمُ   فيغضبَ منها كهلُها وغلامُها(١)
نمَتْ مثلُها من مثلِهم وتُنكِّلوا   فيعلمَ أهلُ الجَوْرِ كيف انتقامُها(٢)
بغلباء من جُمهورِنا مضريَّةٍ   يُزايل فيها أذرعَ القوم هامُها(٣)
وبيْضٍ على هام الرجال كأنّها   كواكب يجلوها لسارٍ ظلامُها
غضِبنا لكم يا آلَ مروان فاغضبوا   عسى أنَّ أرواحا يسوغُ طعامُها
ولا تقطعوا الأرحامَ منا فإنها   ذُنوبٌ من الأعمال يُخشى أثامُها(٤)
ألم تكُ في الأرحام منّا ومنكمُ   حواجزُ أيامٍ عزيزٍ مَرامُها
فترعى قريشٌ من تميمٍ قرابةً   وتَجزِى بأيامٍ كريمٍ مَقامها
لقد علمَتْ أبناءُ خِندفَ أننا   ذُراها وأنا عزُّها وسَنامها
وقد علم الأحياء من كل موطنٍ   إذا عُدَّت الأحياء أنا كرامها
وأنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرَّمت   نَلِيها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامُها
قِوامُ قُوَى الإسلام والأمرِ كلِّه   وهل طاعة إلا تميم قوامها

(١) « من » فاعل لفعل محذوف تقديره « فإن لم ينكر من بها الضيم ، وضمير بها يعود على الشام .

(٢) نمت مثلها من مثلهم : تفاقمت ثورة أخرى منهم ، وفى رواية « تعد مثلها من مثلهم » وعلى كل فالفعل جواب الشرط فى البيت المتقدم ، وتنكلوا : معطف على الشرط فى البيت السابق « لم ينكر الضيم » والمعنى : إن لم تنكروا الضيم ، وتنكلوا بهم شبت لهم ثورة أخرى ، والضمير فى انتقامها يعود على المضرية المفهومة من المقام ، والمراد بأهل الجور : اليمانية ، وفى البيتين التواء ظاهر .

(٣) بغلباء : بكتيبة غلباء ، أو بحرب غلباء : كثيرة العدد ، متعلق بقوله : « تنكلوا » فى البيت السابق ، أى إن لم تؤدبوهم بكتيبة غلباء ... الخ .

(٤) الأثام : جزاء الإثم ، وضمير إنها يعود على القطيعة المفهومة من قوله : « ولا تقطعوا الأرحام » .

تميمُ التى تخشى معـدٌّ وغـيرُها   إذا ما أبى أن يستقيم همامها[1]
إلى الله تشكو عزَّنا الأرضُ فوقَها   وتعلم أنا ثِقْلُها وغَرامها
شكتنا إلى الله العزيز فأسمعتْ   قريبا ، وأعيا مَنْ سِواه كلامُها
نَصولُ بحول الله فى الأمرِ كلِّه   إذا خِيف من مصدوعةٍ ما التآمها[2]

فأعانته القيسية وقالوا : كلما كان نابٌ من مُضَر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد

وقال الفرزدق أبياتا كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاماً :

إلى الأبرشِ الكلبىّ أسندتُ حاجةً   تواكَلَها حيّـا تميمٍ ووائلِ[3]
على حين أن زلت بى النعل زَلّةً   فَأَخلف ظنّى كُلُّ حافٍ وناعل
فدونـكها يا بن الوليـد فإنهـا   مفضَّـلة أصحـابُها فى المحافل[4]
ودونـكهـا يا بن الوليد فقم بها   قيام امرىء فى قومه غيرِ خامل

فكلم هشاماً وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش :

لقـد وثب الـكلبىُّ وَثبةَ حازمٍ   إلى خير خلقِ الله نفسا وعُنصرا
إلى خـير أبناء الخليفة لم يجـد   لحاجته من دونهـا مُتَأَخّرا
أبَى حِلفُ كلبٍ فى تميمٍ وعقدُها   كما سنَّت الآباء أن يتغيّرا

---

(١) فى ألفاظ هذا البيت خلط واضطراب بين مختلف النسخ وقد آثرنا ما أثبتناه منها ، وهو الذى يستقيم معه المعنى ، وعائد الموصول « التى » محذوف تقديره «تميم التى تخشاها معد وغيرها » .

(٢) ما صفة مصدوعة ، التئام : نائب فاعل « خيف » وفى الكلام قلب ، وكان القياس « إذا خيف من ملتئمة تصدعها » فينبغى أن يكون فى العبارة مضاف محذوف والتقدير : إذا خيف من مصدوعة ما عدم التئامها حتى يستقيم المعنى .

(٣) حيا : تثنية حى محذوف النون للإضافة .

(٤) هذه رواية هج «فدونكها » وهى أصح أى فخذها وقم بها ، والضمير للحاجة ويريد بقوله : « مفضلة أصحابها فى المحافل » أن أصحاب هذه الحاجة قوم كرام ، يعنى نفسه .

وكان هذا الحلفُ حلفًا قديما بين تميم وكلب فى الجاهلية ،وذلك قولُ جرير بن الخَطَفَى فى الحِلف :

تميمٌ إلى كلبٍ وكلبٌ إليهمُ أحقُّ وأدنى من صُداء وحِميَرَا

وقال الفرزدق :

أشدُّ حبالٍ بين حيَّين مِرَّةً حبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبِ (١)

وليس قُضاعىٌّ لدينا بخائفٍ ولو أصبحتْ تغلى القدورُ من الحرب

وقال أيضا :

ألم تَرَ قيسًا قَيسَ عَيلانَ شمَّرتْ لنَصرِى وحاطتنى هناك قُرومُها

فقد حالفتْ قيسٌ على النأى كلُّهم تميما فهم منها ومنها تَميمُها (٢)

وعادتْ عَدوِّى إن قيسًا لأسرتى وقومى إذا ما الناس عُدَّ صميمُها

شرطيان يعبثان به

أخبرنى ابن دريد : قال حدثنى أبو حاتم ، عن أبى عبيدة ، قال :

بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد فى سِكَّةٍ ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا فى الشرطة وهما راكبان ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن أفزّعه — وكان جبانا — فحرّكا دابّتَيْهما نحوه فأدبر مُولِّيا فعثر فى طرف برده فشقه ، وانقطع شِسعُ نعلِه ، وانصرفا عنه ، وعرف أنهما هَزِئا منه فقال :

لقد خار إذ يُجرى علىّ حمارَه ضِرارُ الخنا والعنبرىُّ بن أخوقا (٣)

وما كنتُ لو خوَّفتمانى كلاكما بأمَّيكما عُرْيانتَين لأفرقا

(١) المرة : إحكام الفتل .

(٢) المصراع الثانى منقول عن هد ، وفى ب « لأسرى لقومى قيسها وتميمها » ولا معنى له .

(٣) لاموضع للخور هنا ، وترجح أن « خار » تحريف « خاب » وضرار وابن أخوق : الشرطيان اللذان سخرا به .

ولكنما خَوّفتمانى بخادر شَتيمٍ إذا ما صادف القِرن مزّقا(١)

حديثه مع توبة وليلى الأخيلية

أخبرنى عبد الله بنُ مالك ، قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال : حدثنا القحذمى عن بعض ولد قتيبة بنِ مسلم عن ابن زالانَ المازنىّ ، قال : حدثنى الفرزدق ، قال :

لما طردنى زيادٌ أتيت المدينةَ وعليها مرْوانُ بن الحكم ، فبلغه أنّى خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدّجال ، فليس يكلمه أحد ، ولا يجالسه أحد ، ولم أكن عرفتُ خبرَه ، فأرسل إلىّ مروانُ فقال : أتدرى ما مَثَلُك ؟ حديث تحدث به العرب : أن ضَبُعًا مرت بحى قوم ، وقد رحلوا ، فوجدتْ مرآة ، فنظرت وجهها فيها ، فلما نظرت قُبْح وجهها ألقتها ، وقالت : من شرّ ما اطّرحك أهلك ، ولكن من شر ما اطّرحك أميرُك(٢) ، فلا تقيمنّ بالمدينة بعد ثلاثة أيام،قال : فخرجت أريد اليمن ، حتى إذا صرتُ بأعلى ذى قَسِىّ — وهو طريق اليمن من البصرة — فإذا رجل مقبل ، فقلت : من أين أوضع الراكب(٣) ؟ قال : من البصرة ، قلت : فما الخبر وراءك ؟ قال : أتانا أن زيادا مات بالكوفة ، قال : فنزلتُ عن راحلتى ، فسجدت ، وقلت : لو رجعت ، فمدحت عُبيدَ الله بن زياد ، وهجوت مروان بن الحكم ، فقلت :

وقفتُ بأعلى ذى قسِىٍّ مطيّتى أمثّل فى مروانَ وابنِ زيادِ
فقلت : عُبَيْدُ الله خَيرُهما لنا وأدناهما من رأفةٍ وَسَدادِ(٤)

ومضيت لوجهى ، حتى وطئتُ بلاد بنى عُقَيْل فوردت ما بين مياههم(٥) فإذا بيتٌ عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسنها وهيئتها قط ، فدنوت ، فقلت : أتأذنين

(١) الخادر الشتيم : الأسد ، وأراد به حمارها على سبيل التهكم ، وفى بعض النسخ بدل « مزقا » « فرقا » وفى بعضها : « مرقا » .

(٢) « ولكن من شر ما اطرحك أميرك » : كلام جديد ليس من تتمة المثل ، ولعل مروان يعنى أن الفرزدق كالمرآة التى ترى القبيح قبحه ، وذلك لكثرة أحاجيه وذكره معايب الناس .

(٣) يقال : أوضع الراكب الدابة : حملها على المسير .

(٤) فى هد : «خيرهمو أباً وأدناهمو» بدل « خيرهما لنا وأدناهما » .

(٥) فى هد ، هج : « فوردت ماء من مياههم » .

فى الظل ؟ قالت : انزل فلك الظِّل والقِرَى ، فأنختُ ، وجلست إليها ، قال : فدعت جاريةً لها سوداءَ كالراعية ، فقالت : ألطِفيه[1] شيئًا واسعَى إلى الرّاعى ، فرُدِّى علىّ شاة ، فاذبحيها له ، وأخرجت إلىّ تمرا وزبدا ، قال : وحادثتُها فوالله ما رأيت مثلَها قطّ ، ما أنشدتها شعرا إلا أنشدتنى أحسنَ منه ، قال : فأعجبنى المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بُردين ، فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها ، وجلس[2] وأقبلت عليه بوجهها وحديثها ، فدخلنى من ذلك غيظ ، فقلت للحين : هل لكَ فى الصراع ؟ فقال : سوأة لك[3] ، إنّ الرجل لا يصارع ضيفَه ، قال : فألححت عليه ، فقالت له : ما عليك لو لاعَبْتَ ابنَ عمك ؟ فقام ، وقمت ، فلما رمى ببرده ، إذا خلْقٌ عجيب ، فقلت : هلكتُ وربِّ الكعبة ، فقبض على يدى ، ثم اختلجنى[4] إليه ، فصرت فى صدره ، ثم حملنى ، قال : فوالله ما اتّقيت الأرض إلا بظهر كبدى وجلس على صدرى ، فما ملكت نفسى أن ضرطتُ ضَرْطة منكرة ، قال : وثُرت إلى جملى فقال : أنشدك الله[5] ، فقالت المرأة : عافاك الله الظل[6] والقِرى ، فقلت : أخزى الله ظلّكم وقِراكم ، ومضيت ، فبينا أسير إذ لحقنى الفتى على نَجيب يجنب بُخْتِيًّا[7] برحله وزمامه ، وكان رحله من أحسن الرحال ، فقال : يا هذا ، والله ماسرنى ما كان ، وقد أراك أبدعت أى كلّت ركابُك ، فخذ هذا النجيب ، وإيّاك أن تُخَدع عنه ، فقد والله أُعطِيتُ به مائتى دينار قلت : نعم آخذه ، ولكن أخبرنى مَن أنتَ ؟ ومَن هذه المرأة ؟ قال : أنا توبةُ بنُ الْحُمَيِّر ، وتلك ليلى الأخيليّة ،

(١) ألطف فلان فلانا : أتحفه وبره .

(٢) فى بعض النسخ : « وجلست » .

(٣) سوأة لك : أتيت عملا شائنا .

(٤) اختلجه : جذبه ، وانتزعه .

(٥) يقسم عليه ألا يرحل .

(٦) تريد انتظر ما طلبته لك من الظل والقرى .

(٧) فى هج : يجنب نجيبا . البختى : واحد البخت ، وهى الإبل الخراسانية ، والمعنى على كلا الحالين أنه لحقه بجمل قاره إلى جانبه .

رواية أخرى فى الخبر السابق

وقد أخبرنى بهذا الخبر عمى ، قال : حدثنى القاسم بن محمد الأنبارىّ ، قال : حدثنى أحمد ابن عبيد ، عن الأصمعىّ ، قال :

كانت امرأةٌ من عُقَيل يقال لها ليلى ، يتحدث إليها الشباب ، فدخل الفرزدق إليها ، فجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها ، كانت تألفه ، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها ، وتركت الفرزدق ، فغاظه ذلك ، فقال للرّجل : أتصارعنى ؟ قال : ذلك إليك ، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه ، وجلس على صدره ، فضرَط الفرزدقُ ، فوثب عنه الرجل خجلا ، وقال له الرجل : يا أبا فِراس ، هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردت بك ماجرى ، فقال : ويحك ، ما بى أن صرعتنى ، ولكن كأنى بابن الأتان جرير ، وقد بلغه خبرى هذا ، فقال يهجونى :

جلستَ إلى ليلى لتحظَى بقُربها نخانك دُبْرٌ لا يزال يَخُونُ
فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءها كما شدَّ خَرْتًا للدِّلاص قُيونُ[1]

قالوا : فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين .

يقضى يوما كيوم دارة جلجل

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدثنى محمد بن موسى ، قال : حدثنى القحذمىّ ، قال : حدثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن زالان التميمىّ راوية الفرزدق ، أن الفرزدق قال : أصابنا بالبصرة مطر[2] جَوْدٌ ليلا ، فاذا أنا بأثر دوابَّ قد خرجت ناحية البرّية ، فظننت قوما قد خرجوا لنزهة ، فقلت : خليقٌ أن تكون معهم سُفرةٌ وشراب ، فقصصت أثرَهم ، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير ، فأغْذذت[3] السير نحو الغدير ، فإذا نسوة مستنقعَات فى الماء ، فقلت : لم أر كاليوم قط ،

(١) الوكاء : الخيط الذى تربط به الصرة أوالكيس ونحوها ، الخرت : الثقب . الدلاص : الدرع اللينة ، قيون : جمع قين ، وهو الحداد .
(٢) المطر الجود : المطر الغزير .
(٣) أغذ السير : أسرع .

ولا يوم دارة جُلْجُلِ(١) ، وانصرفتُ مستحيياً منهن ، فنادَيْنَنِي : بالله يا صاحب البغلة ، ارجع نسألك عن شيء ، فانصرَفتُ إليهن ، وهن فى الماء إلى حلوقهن ، فقلن : بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل ، فقلت : إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عُنيزة ، فطلبها زمانا ، فلم يصل إليها ، وكان فى طلب غِرَّة من أهلها ؛ ليزورها ، فلم يُقض له ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ، وذلك أن الحى احتملوا(٢) ، فتقدم الرجال ، وتخلف النساء والخدم والثَّقَل(٣) ، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع قومه غَلوة ، فكمن فى غَيابَةٍ من الأرض ، حتى مر به النساء فإذا فتيات ، وفيهن عُنيزة ، فلما وردن الغدير قلن : لو نزلنا فذهب عنا بعض الكَلال ، فنزلن إليه ، ونحيّنَ العبيدَ عنهن ، ثم تجردن فاغتمسن فى الغدير ، كهيئتكن الساعة ، فأتاهن امرؤ القيس محتالا كنحو ما أتيتكن ، وهن غوافل ، فأخذ ثيابهن ، فجمعها — ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعضَ أثوابهن ، فجمعها ، ووضعها على صدره — وقال(٤) لهن كما أقول لكن : والله لا أعطى جارية منكن ثوبها ، ولو أقامت فى الغدير يومَها ، حتى تخرج مجردةً ، قال الفرزدق : فقالت إحداهن ، وكانت أمجنَهن : ذلك كان عاشقًا لابنة عمه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ قال : لا والله ، ما أعشق منكن واحدة ، ولكن أشتهيكن ، قال : فنعرن(٥) ، وصفّقن بأيديهن ، وقلن : خذ فى حديثك ، فلست منصرفًا إلا بما تحب ، قال الفرزدق فى حديث امرئ القيس : فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ، ثم خشين أن يُقصِّرنَ دون المنزل الذى أردنه ، فخرجت إحداهن ، فوضع لها ثوبها ناحية ! فأخذته فلبسته ، ثم تتابعن

(١) دارة جلجل : مكان ، وهو المشار إليه فى معلقة امرئ القيس بقوله :

ألا ربّ يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جلجل

(٢) احتملوا : رحلوا .

(٣) الثقل — بفتح القاف — : المتاع .

(٤) فاعل « قال » ضمير امرىء القيس .

(٥) نعرن : صوتن بخياشيمهن أصواتاً فيها غنة .

على ذلك حتى بقيَتْ عُنيزةُ ، فناشدته الله أن يَطرح إليها ثوبَها ، فقال : دعينا منك ؛ فأنا حرام(١) إن أخذتِ ثوبَكِ إلا بيدك ، فخرجت فنظر إليها مقبلةً ومدبرة ، فوضع لها ثوبها ، فأخذته ، وأقبلن عليه يلُمنه ، ويعذُلنه ، ويقلن : عرَّيْتَنَا ، وحبستنا ، وجوَّعتنا ، قال : فإن نحرتُ لكنّ مطيتى أتأكلن منها ؟ قلن : نعم ، فاخترط(٢) سيفه ، فعقرها ، ونحرها ، وكشطها ، وصاح بالخدم ، فجمعوا له حطباً ، فأجّج ناراً عظيمة ، ثم جعل يقطّع لهنّ من سَنامها وأطايبها وكبدها ، فيُلقيها على الجمر ، فيأكلن ، ويأكل معهن ، ويشرب من رَكوة(٣) كانت معه ويغنيهن ، وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب ، حتى شبعن ، وطربن ، فلما أراد الرّحيل قالت إحداهن : أنا أحمل طنفسته(٤) ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله ، وقالت الأخرى : أنا أحمل حَشِيّتَه وأنساعه(٥) ، فتقسّمن متاع راحلته بينهن ، وبقيت عُنيزة لم يحمّلْها شيئاً ، فقال لها امرؤ القيس : يا بنة الكرام ، لابد لك أن تحمليني معك ؛ فإنى لا أطيق المشى ، وليس من عادتى ، فحملته على غارب بعيرها ، فكان يُدخلُ رأسَه فى خِدرها ، فيقبّلها ، فاذا امتنعت مال حِدْجُها(٦) ، فتقول : يا مرأ القيس ، عقرت بعيرى ، فانزل ، فذلك قوله :

تقول وقد مال الغَبيطُ بنا معاً : عقرتَ بعيرى يا امرأ القيس فانزلِ

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة : قاتلك الله ، ما أحسنَ حديثَك يا فتى وأظرفك ، فَمَنْ أنت ؟ قال : قلتُ : من مُضَر ، قالت : ومن أيها ؟ فقلت : من

(١) العبارة فى معنى القسم ، أو المراد : أنا مرتكب حرام .
(٢) اخترط سيفه : سله من غمده .
(٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، أو الدلو الصغيرة .
(٤) الطنفسة – بضم الطاء والفاء ، أو فتح الطاء مع كسر الفاء وفتحها ، أو كسر الطاء مع فتح الفاء وكسرها – الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرحل .
(٥) الأنساع : سيور طويلة عريضة تشد بها الحقائب والرحال .
(٦) الحدج : مركب من مراكب النساء ، كالهودج والمحفة .

تميم ، قالت : ومن أبيها ؟ قلت : إلى ههنا انتهى الكلام ، قالت : إخالك والله الفرزدق قلت : الفرزدق شاعر وأنا راوية ، قالت : دعنا من توريتك على نسبك(1) ، أسألك بالله ، أنت هو ؟ قال : أنا هو والله ، قالت : فإن كنت أنت هو(2) فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلا عن رِضًا ، قلت : أجل ، قالت : فاصرف وجهك عنا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه ، فغطَطْنَ في الماء ، فتوارين ، وأبدين رءوسهن ، وخرجن ، ومع كل واحدة منهن ملء كفيها طيناً ، وجعلن يتعادين نحوى ، فضربن بذلك الطين والحمأة(3) وجهى ، وملأن عيني وثيابي ، فوقعت على وجهى ، فصرت مشغولا بعيني وما فيها ، وشددن على ثيابهن ، فأخذنها ، وركبت الماجنة بغلتي ، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخزاها وهى تقول : زعم الفتى أنه لابد أن ينيكنا ، فما زلت(4) من ذلك المكان حتى غسلت وجهى وثيابي ، وجففتها ، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلى على قدمى ، وبغلتى قد وجهن بها إلى منزلى مع رسول لهن ، وقلن : قل له تقول لك أخواتك : طلبتَ منّا ما لم يمكننا ، وقد وجهنا إليك بزوجتك ، فنِكها سائرَ ليلتك وهذا كِسْر(5) درهم لحمّامك إذا أصبحت ، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول : ما مُنيت بمثلهن .

يهجو من يرثى زيادا

أخبرني عبد الله بنُ مالك ، قال : حدثنا أبو مسلم الحرّانيّ ، قال : حدثني الأصمعيّ ، قال : حدثنا العَلاء بنُ أسلم ، قال :

---

(1) في هج : « عن نفسك » بدل « على نسبك » .

(2) أنت هنا ليست تأكيداً للتاء ، وإلا لوجب أن يقول : فإن كنت إياه . وإنما جملة « أنت هو » خبر كان .

(3) الحمأة : الطين الأسود الكريه الرائحة .

(4) ما زلت هنا تامة لا خبر لها بمعنى ما انتقلت .

(5) الكسر : القليل .

لما مات زياد رثاه مسكين الدّارمىّ ، فقال الفرزدق :

أمسكينُ أبكى اللهُ عينيك إنما جرى فى ضلال دمعُها إذ تحدّرا
بكيتَ امرأً من آل مَيْسانَ كافراً ككِسرى على عِدّانِه أو كقيصرا(١)
أقول له لمّا أتانى نَعِيُّه به لا بظبىٍ بالصّريمة أعفرا(٢)

يهجو ويمدح آل المهلب

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبى مسلم الحرّانى ، قال : حدثنا الأصمعى ، قال : حدثنا العلاء بن أسلم ، قال :

لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة لقى الفرزدقُ جريرا ، فقال له : يا أبا فراس ، هل لك أن تكلم المهلب ، حتى يضع عنى البحث ، وأعطيك ألف درهم ، فكلم المهلب ، فأجابه فلامه جُذَيع ، رجل من عشيرته ، وشكا ذلك إلى خيرةَ امرأةِ المهلب وقال لها : لا يزال الآن الرجل يجىء فيسأل فى عشيرته وصديقه ، فلامته خيرة بنت ضَمرةَ القُشَيرية ، فقال المهلب : إنما اشتريتُ عِرضى منه ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فقال يهجو جُذَيعاً .

إن تَبْنِ دارك يا جُذَيع فما بنى لك يا جذيع أبوك من بُنْيانِ
وأبوك ملتزم السفينة عاقدٌ خُصيَيْه فوق بنائق التُّبّان(٤)
ويظلّ يدفَع باستِه متقاعِسًا فى البحر معتمداً على السُّكّان(٥)
لا تحسبنّ دارهما جمّعتَها تمحو مَخازِيَك التى بعُمان

(١) ميسان : كورة بين البصرة وواسط ، العدان : العهد والزمان ، وانظر اللسان (عدد) .
(٢) الصريمة : القطعة المنعزلة من الرمل ، الأعفر من الظباء : مايعلو بياضه حمرة ، والمعنى : به الهلاك لا بظبى أعفر ، كأن الظبى خير منه .
(٣) الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق من الخوارج .
(٤) بنائق : جمع بنيقة ، وهى الزيق يخاط فى جيب القميص تثبت فيه الأزرار ، التبان : سراويل يلبسها الملاحون والفلاحون ونحوهم ، يعيره بأن أباه ملاح فى سفينة .
(٥) التقاعس : بروز الصدر ودخول الظهر فى الجسم .

وقال يهجو خيرة .

أَلاَ قَشَرَ الإلهُ بنى قُشَيرٍ كقَشْرِ عصا المنقَّح من مُعَالِ(١)
أرى رهطا لخيرة لم يَؤُوبوا بسهم فى اليمين ولا الشمال(٢)
إذا رُهِزَت رأيت بنى قُشَيْرٍ من الخُيَلاء مُنتفشى السِّبالِ

فغضب بنو المهلب لما هجا جُذَيما وخَيرة ، فنالوا منه ، فهجاهم ، فقال :

وكائِن للمهلَّب من نَسِيبٍ يُرى بلَبانه أثرُ الزِّيار(٣)
بِخَارَكَ لم يقُد فرسا ولكن يقود السّاج بالمَسَد المغار(٤)
عمِىٌّ بالتَّنائف حين يُضحى دَليلَ اللّيل فى اللجج الغِمار(٥)
وما لله يسجُد إذ يصلّى ولكن يسجدون لكل نارِ

فلما ولِىَ يزيدُ بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه — ولاّه سليمان بن عبد الملك — خافَ الفرزدقُ من بنى المُهلّب ، فقال يمدحُهم :

فلأمدحنَّ بنِى المهلّب مِدحةً غَرّاءَ قاهرة على الأشعارِ

---

(١) يقال : نقح العود : قشره ، معال : أعلى ، يقول : قشر الله بنى قشير كقشر عصا العود المقشور من أعلاه .

(٢) فى هد ، هج : « فلولا رهز خيرة لم يتوبوا » ونرجح أن رهز تحريف « رعز » والرعز : الجماع ، يقول : إن بنى قشير يستمدون مجدهم من مصاهرتهم المهلب ومواقعته خيرة ابنتهم .

(٣) نسيب : قريب ينتسب إليه ، اللبان : الصدر ، الزيار : ما يشد به الرحل إلى صدر البعير ، يعيره بأن أهله فلاحون . يرى أثر جر حبال المراكب فى صدورهم .

(٤) فى الأصل « نجارك » وهو تصحيف بخارك ، وخارك : جزيرة فارسية كان أبو المهلب منها ، الساج : شجر تتخذ منه المراكب ، المغار : المحكم الفتل يقول : إن المهلب فى خارك أقارب لا يقودون خيلا ، بل يجرون السفن بالحبال ؛ وفى بعض النسخ « تخاذل » بدل « بخارك » وهو تصحيف أيضاً .

(٥) التنائف : جمع تنوفة ، وهى الفلاة : يقول : إن أهله لا عهد لهم بالصحارى فلا يعرفونها فى النهار ، ويعرفون شواطىء المياه ليلا ، وفى الأصول « ذليل » وهى تصحيف « دليل » .

مثل النجوم أمامها قَمْراؤهـا تجلو العَمَى وتضىء ليلَ السَّارى(١)
ورِثوا الطّعان عن المهلّب والقِرى وخلائقا كتـدفُّقِ الأنهـار
كان المهلّب للعراق وقايةً وحَيَـا الرَّبيـعِ ومَعقِل الفُرَّار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتَهم خضُعَ الرِّقاب نوا كسَ الأبصار
مازال مُذ شَـدَّ الإزار بكفه ودنا فأدرك خمسة الأشبار(٢)
أيزيدُ إنك للمهلب أدركت كفَّاك خيرَ خَلائِق الأخيـار

يخشى بأس يزيد ابن المهلب

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : حدثنى الأصمعى ، قال :

لما قدم يزيدُ بن المهلب واسطا قال لأميةَ بنِ الجعد — وكان صديقَ الفرزدق — : إنّى لأحِب أن تأتيَنى بالفرزدق ، فقال للفرزدق : ماذا فاتك من يزيَد أعظمِ الناس عفوا ، وأسخى الناس كفًّا ، قال : صدقت ، ولـكن أخشى أن آتيه فأجدَ العمانيَّةَ ببابه فيقومَ إلىّ رجل منهم فيقولَ : هذا الفرزدق الذى هجانا ، فيضرَب عنقى ، فيبعث إليه يزيد ، فيضربَ عنقه ، ويبعث إلى أهلى ديتى ، فإذا يزيدُ قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، قال(٣) : لا والله لا أفعل ، فأخبَر يزيدَ بما قال ، فقال : أمّا إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله .

ماجن يريد أن يتزو عليه

قال ابن حبيب : وحدثنا يعقوبُ بن محمد الزهرىّ عن أبيه عن جده قال :

دخل الفرزدق مع فتيانٍ من آل المهلب فى بركة يتبرّدون فيها ، ومعهم ابنُ أبى علقمة الماجن ، فجعل يتفلّت إلى الفرزدق ، فيقولُ : دعونى أنـكحْه ، حتى لا يهجُوَنا

---

(١) القمراء : ضوء القمر .
(٢) خبر « مازال » مفهوم من المقام ، أى ما زال كريماً مهيباً ونحو ذلك .
(٣) فاعل « قال » ضمير الفرزدق ، وفى بعض النسخ « ثم قال » .

أبدا ، وكانَ الفرزدقُ من أجبن الناس ، فجعل يستغيث ، ويقول : ويلكم ! لايمسّ جلدُه جلدِى ، فيبلغَ ذلكَ جريرا ، فيوجِبَ علىّ أنه قد كان منه الذى يقول ، فلم يزل يناشدهم حتى كَفوّه عنه .

يفخر بالمضرية أمام حاكم يمانى

أخبرنى عبيد الله قال : حدثنى محمد بن حبيب قال : حدثنى موسى بن طلحة قال : لمّا ولى خالدُ بن عبد الله العراق ، فقدِمها وكان من أشد خلق الله عَصَبيّة على نزار فقال[1] لبطةُ بن الفرزدق : فلبس أبى من صالح ثيابه ، وخرج يريد السلام عليه ، فقلت له : يا أبت ، إن هذا الرجلَ يمانىٌّ ، وفيه من العصبية ما قد علمت ، فلو[2] دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهلَ اليمن لعل اللهَ أن يأتيَك منه بخير ، فإنك قد كبرت على الرحلة ، فجعل لا يردُّ علىّ شيئًا ؛ حتى دُفعْنا إلى البواب ، فأذِن له ؛ فدخل ؛ وسلم ، فاستجلسه[3] ؛ ثم قال : إيه يا أبا فراس ، أنشدنا مما أحدثت ، فأنشدتُه :

يختلف الناسُ مالم نجتمع لهمُ ... ولا خلاف إذا ما أجمعت مُضرُ
فينا الكواهلُ والأعناقُ تقدمُها ... فيها الرؤوسُ وفيها السّمعُ والبصر[4]
ولا نخالف غيرَ الله من أحد ... إلا السيوفَ إذا ما اغرَوْرَق النظر[5]
ومن يَملْ يُملِ المأثــورُ قُلّتَه ... بحيث يَلقى حِفَافَىْ رأسه الشعر[6]
أما الملوكُ فإنا لا نلين لهم ... حتى يلينَ لضرس الماضِـغ الحجرُ

(١) كذا فى الأصول ، ونرى حذف الفاء من « فقال » أو حذف لما من أول الجملة .

(٢) « لو » هنا ليست شرطية ، بل هى للترجى .

(٣) فاعل « فاستجلسه » ضمير خالد بن عبد الله .

(٤) ضمير فيها يعود على الأعناق ، والكلام على تشبيه علية القوم بالكواهل والأعناق .

(٥) فى الأصول ولا « يخالف » وهو تصحيف ، والصواب « نخالف » من المخالفة لا من الخالفة ، اغرورق النظر : امتلأت العين بالدموع ، يكنى بذلك عن احتدام الحرب فى لفحة الحر .

(٦) المأثور : السيف ، قلته : رأسه ، حفافا الشئ : جانباه ، والمصراع الثانى ، كناية عن الموت ، كأن شعر الحى تتجه أعاليه الهواء ، فإذا صرع التف بجانبى الرأس .

ثم قام ، فخرجنا ، قلت : أهكذا أوصيتك[١]؟ قال : اسكت ، لا أمّ لك فما كنتُ قطُّ أملأَ لقلبه منى الساعة .

يفحم المنذر بن الجارود

أخبرنى عبد الله : قال حدثنى محمد بن حبيب ، عن موسى بن طلحة قال :

كان الفرزدق فى حلقة فى المسجد الجامع ، وفيها المنذرُ بنُ الجارود العبدىّ ، فقال المنذر : من الذى يقول :

وجدنا فى كتاب بنى تميم أحقُّ الخيلِ بالركضِ المعارُ[٢]

فقال الفرزدق : يا أبا الحكم هو الذى يقول :

أشاربُ قهوةٍ وخدينُ زِيرٍ وعَبْــدىٌّ لفَسْوَته بُخَــارُ[٣]
وجَدنا الخيلَ فى أبناء بكرٍ وأفضلُ خيلهم خشبٌ وقار[٤]

قال : فخجل المنذر ، حتى ما قدرَ على الكلام .

خليفة أموى يفضله ويصله

أخبرنى عبد الله بن مالك : قال : حدثنى محمد بن موسى قال : حدثنا الأصمعىّ قال :

دخل الفرزدق على بعض خلفاء بنى مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول :

ما حملَتْ ناقةٌ من معشر رجلاً مثلى إذا الريح لفَّتْنِى على الكُورِ[٥]
أعزَّ قومًا وأوفى عند مكرمةٍ لمعْظَمٍ من دماء القوم مهجورِ[٦]

---

(١) ينكر لبطة على أبيه فخره بالمضرية ، مع أنه أوصاه بمدح اليمانية .

(٢) يريد أن التميميين يحافظون على خيولهم ، ولايبقون على خيول غيرهم إذا استعاروها .

(٣) الزير : أحد أوتار العود ، ويريد بالمصراع الأول أنه رجل خمر ولهو وطرب ، أما المصراع الثانى فقد اختلفت الأصول فيه اختلافاً كبيراً ، والذى أثبتناه هو ما رجحناه. فى بعض الأصول «ولنسوته بخار» بدل «لفسوته بخار» وفى بعضها «وصراء» بدل «وعبدى» .

(٤) يكنى بالخشب والقار عن السفن ، كأنه يعيرهم بالملاحة .

(٥) الكور : الرحل .

(٦) يريد بقوله : «من دماء القوم مهجور» أنه لا يطالب بترة ، كما يقول المتنبى : «وكل دم أراقته جبار» ، وفى هد : «مهجور» وفى هج : «مشهور» .

فقال له : إيه ، فقال :

إلّا قُريشاً فإنّ الله فضّلها على البريّةِ بالإسلام والخيرِ[١]
تلقى وجوهَ بنى مَروانَ تحسبُها عند اللقاء مشُوفاتِ الدّنانيرِ[٢]

ففَضّله عليهم ، ووصله .

عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد

قال ابن حبيب : وكان الفرزدق يهاجي الأشهبَ بن رميلةَ النهشليَّ وبنى فُقَيْم ، فأرفث[٣] بهم ، فاستعدوا عليه زيادا ، فحدثنى جابر بن جندل : قال : فأتى عيسى ابن حُصَيْلةَ بنِ مغيث بن نصر بن خالد السُّلمى ثم من بنى بَهْزٍ ، فقال : يا أبا حُصَيلة ، إن هذا الرجل قد أخافنى ؛ وقد لَفَظَنى جميع من كنت أرجو ، قال : فرحبا بك يا أبا فِراس ، فكان عنده ليالى ، ثم قال : إنى أريد أن ألحقَ بالشام ، قال : إن أقمت ففى الرّحب والسَّعة ، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبيّة[٤] أُمتِّعك بها ، وألف درهم ، فركب الناقة ، وخرج من عنده ليلا ، فأرسل عيسى معه مَنْ أجازه من البيوت ؛ فأصبح وقد جاوز مسيرةَ ثلاث ، فقال يمدحه :

كفانى بها البَهْزِىُّ حُملانَ مَنْ أبى من الناس، والجانى تُخاف جرائمُه[٥]
فتى الجودِ عيسى والمكارمِ والعُلا إذا المال لم ينفع بخيلاً كرائمه
ومن كان يا عيسى يُؤنّب ضَيفَه فَضَيْفُك يا عيسى هنىءٌ مطاعمُه[٦]

---

(١) الخير — بكسر الخاء — الكرم والشرف .
(٢) مشوفات الدنانير : الدنانير المجلوة اللامعة .
(٣) أرفث : أفحش .
(٤) أرحبية : نسبة إلى أرحب ، وهو فحل أو مكان أو قبيلة تنسب إليها الإبل الممتازة .
(٥) ضمير بها يعود على الناقة المهداة إليه ، البهزى : لقب عيسى بن حصيلة ، الحملان — بضم الحاء — الدواب تحمل عليها الهدايا ، يقول : كفانى بهذه الناقة أن أستهدى من يأبى إهدائى ناقة تحملنى ، ومن كان جانياً مثله تحاشاه الناس .
(٦) هنيئاً : مفعول مطلق لفعل محذوف ، وفى هد ، هج : « فضيفك محبور هنىءٌ مطاعمه » .

وقال: تَعَلَّمْ أنهـــا أرحبيةٌ ... وأنَّ لك الليلَ الذى أنت جاشِمُه(١)
فأصْبَحْتُ والمُلْقَى وراثى وحنبَلٌ ... بما صَدَرَتْ حتى علا النجمَ عاتِمه(٢)
تَزاوَرَ فى آل الحَقِيق كأنها ... ظليمٌ تبارى جُنح ليل نعائِمه(٣)
رأت دون عينيها ثويّةً فانجلى ... لها الصبح عن صَعْلٍ أسيلٍ مخاطمه(٤)

وقال:

تداركَنى أسبابُ عيسى من الرَّدَى ... ومن يَكُ مولاه فليس بواحدِ
نمتْهُ النواصى من سُلَيْمٍ إلى العلا ... وأعراقُ صدق بين نَصْر وخالد
سأثنِى بما أوليْتَنى وأرُبُّه ... إذا القوم عدُّوا فضْلَهم فى المشاهد

فلما بلغ زياداً شخوصُه أَتْبعَه علىَّ بن زهدمٍ الفقيمىَّ: أحدَ بنى مؤلة(٥) فلم يلحقه فقال الفرزدق:

فإنك لو لاقيتَنى يا بنَ زهدمٍ ... لأبت شعاعيًّا على غير تمثال(٦)

يلجأ إلى بكر بن وائل

فأتى بكر بن وائل، فجاورهم، فأمن، فقال:

(١) أرحبية: انظر هامش ٤ ص ٣٤٩، جاشمه: متكلف السير فيه، يريد أن هذه الناقة تعينه على السير ليلا.

(٢) الملقى وحنبل: مكانان، عاتمه: مظلمه، وفى بعض النسخ: «تلا الليل» بدل «علا النجم».

(٣) تزاور: أصله تتزاور بمعنى تميل، والحقيق: مكان، وفى بعض النسخ: «الحفير» وهو مكان أيضاً. الظليم: ذكر النعام، تبارى: أصله تتبارى، ولا مانع من اعتباره فعلا ماضياً، والمراد التبارى فى العدو.

(٤) ثوية: مكان، وفى بعض النسخ «روية»، الصعل: ما دق رأسه من النعام، أسيل: ناعم، مخاطم: جمع مخطم، وهو مقدم الأنف. وفى ف: «تخاطمه».

(٥) فى بعض النسخ: «أحد بنى سوأة» وفى بعضها «موألة» وفى بعضها: «سواءة».

(٦) شعاعياً: نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق، يريد: لتطايرت جوارحك أو نفسك، فلم يكن لك تمثال، وفى بعض النسخ «على شر تمثال» وفى بعضها: «على قبر تمثال».

وقد مَثَلَتْ أينَ المسيرُ فلم تجد ... لعَوذَتِها كالحىِّ بكر بن وائل[١]

وسارت إلى الأجفان خمسا فأصبحت ... مكان الثريا من يد المتناول[٢]

وماضرها إذ جاورت فى بلادها ... بنى الحصن ما كان اختلاف القَبائل

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل

يأمن زيادا فى حمى سعيد بن العاص

وهرب الفرزدق من زياد ، فأتى سعيدَ بن العاصى بن سعيد بن العاصى بْن أمية ، وهو على المدينة لمعاوية بن أبى سفيان ، فأمنه سعيد ، فبلغ الفرزدق أن زياداً قال : لو أتانى أمَّنتهُ ، وَأعطيتهُ ، فقال فى كلمة له :

دعانى زياد للعطاء وَلم أكُنْ ... لآتيَهُ ما ساق ذو حسبٍ وَقْرا[٣]

وَعنده زيادٍ لو أراد عطاءهم ... رجالٌ كثيرٌ قد يرى بهمُ فقرا[٤]

قعودٌ لدى الأبواب طلاّبُ حاجة ... عوانٍ من الحاجات أوحاجةً بكرا[٥]

فلما خشيتُ أن يكون عطاؤه ... أداهمَ سوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمرا[٦]

نميْتُ إلى حَرْف أضرَّ بنيِّها ... سُرَى الليل وَاستعراضُها البلدَ القفْرا[٧]

---

(١) مثلت : زالت عن موضعها ، وفاعل مثلت ضمير الناقة ، أين المسير : استفهام ، وهو مقول قول محذوف ، أى ، تنقلت الناقة قائلة : أين المسير ؟ فلم تجد من يحيدها كهذا الحى .

(٢) الأجفان : جمع جفن ، ومن معانيه أصل الكرم ، أو قضبانه ، أو نوع من العنب ، أو شجر طيب الرائحة ، وكل هذه المعانى محتملة .

(٣) الوقر : الحمل ، والمراد أنه لن يذهب إليه البتة .

(٤) ضمير « عطاءهم » يعود على رجال ، وهو متأخر لفظاً لا رتبة ، وذلك جائز .

(٥) العوان : من سبق لها الزواج من النساء ، وأراد هنا الحاجة المتكررة ، وكان القياس « عوانا » بالنصب على التبعية لحاجة باعتبار المعنى ، حتى لا يكون فى البيت إقواء .

(٦) أداهم : جمع أدهم ، يريد القيد ، المحدوجة : السياط .

(٧) نميت إلى حرف : من نمى الصيد إذا غاب وتباعد ، والحرف : الناقة ، والنى : الشحم ، يقول : لما خفت قيود زياد وسياطه لجأت إلى ناقة أكل السير والسرى شحمها .

فلما اطمأن عند سعيد بن العاصى بالمدينة قال :

أَلا مَنْ مبلغٌ عنّى زِياداً ... مُغلغلةً يخُبُّ بها البَرِيدُ(١)

بأنّى قد فررتُ إلى سعيدٍ ... وَلا يُسْطَاعُ ما يَحْمى سعيد

فررتُ إليه من ليثٍ هِزَبْرٍ ... تفادى عن فَريسته الأُسود(٢)

فإن شئتُ انتميت إلى النصارى ... وَنَاسبنى وَنَاسبتِ اليهودُ

وَإن شئت انتسبت إلى فُقَيْمٍ ... وَنَاسبنى وَنَاسبتِ القرود

وَأبغضُهم إلىَّ بَنو فُقيم ... وَلكن سوف آتى ما تُرِيد(٣)

فأقام الفرزدق بالمدينة ؛ فكان يدخل بها على القيان . فقال :

إذا شئتُ غنّانى من العاج قاصفٌ ... على معصم ريّان لم يتخدَّدِ(٤)

لبيضاء من أهل المدينة لم تعِش ... ببؤس ولم تتبعْ حُمولة مُجْحِد(٥)

وقامت تُخشّينى زياداً وأجفلت ... حوالىَّ فى بُردَىْ يمانٍ وَمُجسَد(٦)

فقلتُ : دعينى من زياد فإنَّنى ... أرى الموت وَقَّاعاً على كل مَرْصَدِ

بينه وبين مسكين الدارمى

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدى بن عدس بن عبد الله بن دارم ، فقال :

---

(١) مغلغلة ، أى رسالة مغلغلة : محمولة من بلد إلى بلد .

(٢) من هنا بيانية ، فالمشبه بالأسد سعيد لا زياد اللى فر منه .

(٣) فى هج : « ولكن سوف آتى ما يكيد » ولعل هذه الرواية أنسب .

(٤) قاصف من العاج : مزهر أو نحوه من آلات الغناء متخذ من العاج ، وهو من القصف بمعنى اللهو ، على معصم ريان لم يتخدد : على معصم ممتلىء أملس لا تشقق فيه .

(٥) المجحد : القليل الخير ، يريد أنها جارية ناشئة فى نعمة .

(٦) مجسد : مطلى بالجساد ، وهو الزعفران أو العصفر ونحوهما مما كانوا يطلون به الثياب ، تخشينى زياداً : تخوفنى إياه .

رأيت زيادة الإسلام وَلَّت جهاراً حين فارقها زِيادُ

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

أمسكينُ أبكى الله عينيك إنَّما جرى فى ضلالٍ دَمعُها فتحدَّرا[1]

أتبكى امرأً من آل مَيسانَ كافراً ككِسرى على عِدّاته أو كقيصرا

* أقول له لما أتانى نَعِيُّـه: بِهِ لا بظبيٍ بالصَّريمة أعفرا

فقال مسكين:

ألا أيها المرء الذى لَستُ قائماً ولا قاعداً فى القوم إلّا انبرى لِيا

فجئنى بعَمٍّ مثل عَمّى أو أبٍ كمثلِ أبى أو خالِ صدقٍ كخاليا

بعَمرو بن عمرو أو زرارة َذى النّدى سموتُ به حتى فَرعتُ الرّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه، وكان يقول: نجوتُ من أن يهجونى مسكين، فإن أجبته ذهبتُ بشطر فخرى، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر.

عائذة بقبر أبيه

أخبرنى[2] أبو خليفة، فقال: أخبرنا ابن سلام، قال: حدثنى الحكم بن محمد المازنى، قال: كان تميم بن زيد القضاعى، ثُمّ أحد بنى القين بن جسر غزا الهند فى جيش، فجمّرهم[3]؛ وفى جيشه رجل يقال له حُبَيْش، فلما طالت غيبتهُ على أمه اشتاقته، فسألت عمن يكلم لها تَميمَ بن زيد أن يُقْفِلَ ابنها، فقيل لها: عليك بالفرزدق، فاستجيرى بقبر أبيه، فأتت قبر غالب بكاظمةَ، حتى علم الفرزدق مكانها.

(١) تقدمت هذه الأبيات فى الترجمة نفسها، فارجع إليها.

(٢) هذا الخبر والخبران اللذان بعده ساقطة من الأصل، وقد نقلناها من هد، هج.

(٣) جمرهم: أطال مدة غزوهم.

ثمّ أتته، وطلبت إليه حاجتها، فكتب إلى تَميم بن زيد هذه الأبيات:

هَبْ لى حُبَيْشاً واتخِذْ فيه مِنَّةً لغُصَّةِ أمٍّ ما يَسوغُ شرابُها
أتتنى فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفرة السافى عليها تُرابُها
تَميمُ بن زَيدٍ لا تكونَنَّ حاجتى بظَهرٍ فلا يَخفَى علىَّ جَوابُها

فلما أتاه كتابُه لم يدر ما اسمه حُبَيْشٌ أو حُنَيْشٌ، فأخْرج ديوانه، وأقفل كل حبيْش وحُنيْش فى جَيْشهِ، وهم عدّة، وَأنفذهم إلى الفرزدق.

عائذ بقبر أبيه

قال أبو خليفة: قال ابن سَلَّام: وَحدَّثنى أبو يحيى الضبى، قال:

ضرب مكاتب لبنى مِنْقر بساطاً على قبر غالب أبى الفرزدق؛ فقدم الناس على الفرزدق، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه.

ثم قدم عليه فقال:

بقبر ابن لَيْلَى غالب عُذْتُ بعدما خَشِيت الرَّدَى أو أن أُرَدَّ عَلَى قَسْر
فأخبرنى قبرُ ابنِ لَيْلَىْ فقال لى: فَكاكُكَ أن تأتى الفرزدقَ بالمِصْرِ (١)

فقال الفرزدق: صدق أبى؛ أنِخْ؛ ثمَّ طاف له فى النَّاس؛ حتى جمع له مكاتبتَه وفضلاً.

عائذة أخرى بقبر أبيه

وكان نُفَيْع ذو الأهدام: أحد بنى جعفر بن كلاب يتعصب لجرير بمدحه قيساً؛ فهجاه الفرزدق، فاستجارت أمه بقبر غالب؛ وعاذت من هجاء الفرزدق، فقال:

---

(١) سكن ياء تأتى للضرورة.

ونُبِّئتُ ذا الأهدامِ يعوى ودونه … من الشّامِ زُرّاعاتُها وَقُصُورُها

على حينَ لم أترك عَلَى الأرضِ حيَّةً … ولا نابحًا إلا استقرّ عقورُها

كلابٌ نبحن الحىّ من كل جانبٍ … فعاد عُواءً بعد نَبْحٍ هريرُها[1]

عجوزٌ تصلى الخمس عاذت بغالبٍ … فلا والذى عاذت به لا أضيرُها

لئن نافعٌ لم يرعَ أرحامَ أُمِّهِ … وَكانت كدَلوٍ لا يزال يعيرُها[2]

لبئس دمُ المولود بلَّ ثيابها … عشيَّةَ نادى بالغلام بشيرُها

وَإنّى على إشفاقها من مخافتى … وَإن عَقَّها بى نافعٌ لمجيرها

وَلو أنَّ أمَّ الناس حوّاءَ جاوَرت … تميمَ بن مُرٍّ لم تجد من يجيرها[3]

وهذا البيت يروى لغيره فى غير هذه القصيدة[4]

جرير يبزه

أخبرنى عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أحمد بن حاتم المعروفُ بابن نصر، عن الأصمعىّ، قال:

كان عبد الله بنُ عطيةَ راوية الفرزدق وجرير، قال: فدعانى الفرزدق يوماً، فقال: إنى قلت بيت شعر والنّوار طالق إن نقضَه ابن المراغة[5]، قلت: ماهو؟ قال: قلت:

فإنى أنا الموتُ الذى هو نازلٌ … بنفسك فانظر كيف أنت تُحاوله[6]

ارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل، فقلت: إن الفرزدق قال بيتا، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هيه،

(١) يريد بقوله « عاد عواء بعد نبح » أنها عادت تئن بعد أن كانت تصول.

(٢) عار يعير: عاب أو أتلف؛ يريد أنه يسبب لأمه المتاعب.

(٣) يريد أن حواء لو استجارت ببنى تميم منه لم تجد من يجيرها

(٤) آخر التكملة من هد وهج.

(٥) المراغة: الأتان.

(٦) فى بعض النسخ يروى هذا البيت هكذا:

وإنى أنا الموت الذى هو لاحق … بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

أظنّ واللهِ ذلك؟ ما هو؟ ويلك، فأنشدته إياه، فجعل يتمرغ فى الرمل، ويحثوه على رأسه وصدره، حتى كادت الشمس تغرب، ثم قال: أنا أبو حزرة، طَلَقَت امرأةُ الفاسق، وقال:

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدهر خالدٌ فجئنى بمثل الدهرِ شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق، فأنشدته إياه، وأعلمته بما قال، فقال: أقسمت عليك لَمَا سترتَ هذا الحديث.

هناك من هو أجفى منه

أُخبرنى عبد الله، قال: أخبرنى محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأصمعى وأبو عبيدة، قال:

دخل الفرزدق على بلال بن أبى بردة وعنده ناس من اليمامة، فضحكوا فقال: يا أبا فِراس أتدرى مِمّ ضحكوا؟ قال: لا، قال: من جفائك، قال: أصلح الله الأمير، حججت؛ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبى، وعلى عاتقه الأيسر صبى؛ وإذا امرأة آخذة بمئزرهِ، وهو يقول:

أنت وهبت زائداً ومزْيَدا وكهلةً أُولجُ فيها الأجردا *[1]

والمرأة تقول من خلفه: إذا شئت، فسألت: ممن هو؟ فقيل: من الأشعريين، أفأنا أجفى أم ذلك؟ فقال بلال: لا حيّاك الله، قد علمت أنهم لن يفلتوا منك.

تهزمه امرأة

أخبرنى عبد الله بن مالك، قال: حدثنى محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحة، عن أبى زيد الأنصارىّ، قال:

ركب الفرزدق بغلته، فمر بنسوة؛ فلما حاذاهنّ لم تتمالك البغلة أن ضرَطت، فضحكن منه، فالتفت إليهنّ، فقال: لا تضحكن، فما حملتنى أنثى إلا ضرطت، فقالت له

---

(١) الخطاب فى قوله: «أنت» لله جل جلاله، وزائد ومزيد: ولداه ويريد بالكهلة أمهما.

إحداهن: ما حملتك أنثى أكثر من أمك ، فأراها قاست منك ضُراطًا كثيراً ، فحرك بغلته ، وهرب منهن ، وبهذا الإسناد قال :

يهجو إبليس

أتى الفرزدق الحسنَ البَصرى ، فقال: إنى قد هجوتُ إبليس ، فقال : كيف تهجوه وعن لسانه تنطق ؟

يسأل سائله فيفحمه

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق : يا أبا فراس ، أسألك عن مسألة، قال : سل عما أحببت ، قال : أيما أحبُّ إليك ؟ أتسبق الخير أم يَسْبقُك ؟ قال : إن سبقنى فاتنى ، وإن سبقتهُ فتُّه ، ولكن نكونُ معاً ، لايسبقنى ، ولا أسبقه ، ولكن أسألك عن مسألة . قال ابن بيض : سل ، قال : أيما أحبُّ إليك ؟ أن تنصرف إلى منزلك ، فتجدَ امرأتَك قابضة على أير رجل ، أم تراه قابضاً على هَنِها ، قال : فتحير ، وكان قد نُهِى عنه ، فلم يَقْبَل .

لا صلح بينه وبين جرير

أخبرنى عبد الله قال : حدثنى محمد بن عمران الضبى ، قال: حدثنى الأصمعى ، قال: اجتمع الفرزدقُ وجريرُ عند بشر بن مروانَ فرجا أن يُصْلِح بينهما حتى يتكافَّا ، فقال لهما : ويحكما ! قد بلغتما من السن ما قد بلغتما ، وقربت آجالُكما ؛ فلو اصطلحتما ووهب كلُّ واحد منكما لصاحبه ذنبَه ، فقال جرير : (١ أصلح الله الأمير ، إنه يظلمنى ، ويتعدى علىّ ، فقال الفرزدق : ١) أصلح الله الأمير إنى وجدت آبائى يظلمون آباءه . فسلكتُ طريقَهم فى ظلمه ، فقال بشرٌ : عليكما لعنة الله ، لا تصطلحان والله أبداً .

يهزأ به ويهجانه

وأخبرنى عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا محمد بن عمران الضبىّ ، قال : حدثنا الأصمعىّ : قال الفرزدق :

ما أعيانى جواب أحد ما أعيانى جواب دهقان مرة قال لى : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ؛ قال : أفأموت إن هجوتنى ؟ قلت : لا ، قال :

(١ - ١) تكملة من هد ، هج .

أفتموت عَيْشُونةُ ابنتى ؟ قلت : لا ، قال : فرجلى إلى عنقى فى حِرِ أُمِّكَ ، قال (١) : قلتُ : ويلك ! لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أى شىء تصنع ؟

يأمره مجنون فيطيع

أخبرنى عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعى ، قال :

مرَّ الفرزدقُ بمأجل (٢) فيه ماء ، فأشْرَعَ بغلته فيه ، فقال له مجنون بالبصرة : يقال له حربيش : نحِّ بغلتك ، جذ الله رجليك ، قال : ولِمَ ؟ ويلك ، قال : لأنك كذوب الحنجرة ، زانى الكَمَرة ، فقال الفرزدق لبغلته: عَدَسْ ومضى، وكره أن يسمع قولَه الناسُ.

هو وغيره يؤثرون القصار

أخبرنا عبدالله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال: قيل للفرزدق : ما اختيارك فى شعرك للقِصار ؟ قال : لأنى رأيتها أثبتَ فى الصدور ، وفى المحافل أجْوَلَ ؛ قال : وقيل للحُطيئة : ما بالُ قِصارك أكثرَ من طوالك؟ قال : لأنها فى الآذان أوْلَجُ ، وفى أفواه الناس أعْلَقُ .

أخبرنى عبد الله بن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل لعقيل بن عُلَّفة : مالك تُقَصِّر فى هجائك ؟ قال : حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة .

يتندر باسمه فيلقمه حجرا

أخبرنى عبدالله ، عن محمد بن على بن سعيد الترمذى، عن أحمد بن حاتم: أبى نصر، قال : قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمى للفرزدق : أما وجدت أُمُّك اسماً لك إلا الفرزدق الذى تكسره النساء فى سُوَيقها (٣) ؟ قال : والعرب تسمى خبزَ الفَتُوت الفرزدق فأقبل الفرزدق على قوم معه فى المجلس ، فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسْمِه ، فقال : والله لئن لم تخبرونى لأهجونكم كلكم ، قال : الجهمُ بنُ سويد بنُ المنذر ، فقال الفرزدق :

---

(١) فاعل « قال » ضمير الأصمعى .

(٢) المأجل : كل ماء فى أصل جبل أو واد .

(٣) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير .

أحقُّ الناس ألا يتكلَّمَ فى هذا أنت ؛ لأن اسمك اسمُ متاع المرأة ، واسم أبيك اسمُ الحمار واسمُ جدك اسم الكلب[(١)] .

بيتان يثيرانه

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن الزبير عن عمه عن بعض التروريين ، قال : قدم علينا الفرزدق ، فقلنا له : قدم علينا جرير ، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم ، ومضى يريدهم ، فقال : أنشدونيها ، فأنشدناه قصيدة كثيِّر التى يقول فيها[(٢)] :

وما زالت رُقاك تسُلُّ ضِغْنى ... وتخرج من مكامنها ضِبابى[(٣)]

ويَرقينى لك الحاوون حتى ... أجابك حيةٌ تحت الحِجاب[(٤)]

قال : فجعل وجهه يتغير ، وعندنا كانون ، ونحن فى الشتاء ، فلما رأينا ما به قلنا : هوِّنْ عليك يا أبا فراس ، فإنما هى لابن أبى جمعة[(٥)] ، فانثنى سريعاً ليسجد ، فأصاب ناحية الكانون وجْهه فأدماه .

هو والحسين بن على

أخبرنى عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : أخبرنى القحذمىّ ، قال : لقى الفرزدق الحسين بن على عليهما السلام متوجهاً إلى الكوفة خارجاً من مكة فى اليوم السادسِ من ذى الحجة فقال له الحسين — صلوات الله عليه وآله — : ما وراءك ؟ قال : يا بنَ رسول الله ، أنفُسُ الناسِ معك ،

---

(١) ليس فيما بين أيدينا من المعجمات ما ورد فيه إطلاق هذه الاسماء على تلك المسميات فإن صح ذلك فما أحراها أن تضاف إليها ، لأن اللغة من أمثال هؤلاء استمدت .

(٢) يبدو أنهم أرادوا أن يثيروا الفرزدق بنسبة هذين البيتين إلى جرير وقد أثاروه فعلا ولم يفرخ روعه إلا حينما علم أنهما ليسا لجرير ولا مقولين فيه أما سرثورة الفرزدق فهو ماتضمناه من فحش فى أسلوب بارع ، وانظر التعليق عليهما .

(٣) رقاك: جمع رقية وهى مايرقى به المريض ونحوه . الضباب : جمع ضب وهو الحقد الكامن فى الصدر .

(٤) يريد بالحية تحت الحجاب ذكره ، والمعنى : كنت غاضبا عليك لا آتيك فما زلت تتودد إلى ، ويسعى الساعون فى سل بغضى لك من صدرى ، حتى نشطت إليك ، وعاودت إتيانك .

(٥) يبدو أن ابن أبى جمعة هو كثير نفسه .

وأيديهم عليك؛ قال: ويحك، معى وِقْر بعير من كتبهم يدعوننى، ويناشدوننى الله، قال: فلما قتل الحسين — صلوات الله عليه — قال الفرزدق: انظروا فإن غضبت العرب لابن سيِّدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزُّها، وتبقى هيبتها، وإن صبرت عليه، ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذُلاًّ إلى آخر الدهر، وأنشد فى ذلك:

فإن أنتمُ لم تثأروا لابن خيركم ... فألقوا السلاح واغزِلوا بالمغازِلِ

حافظة الفرزدق

أخبرنا عبدالله بن مالك: قال: أخبرنى أبو مسلم؛ قال: حدثنى الأصمعى، قال: أنشد الراعى الفرزدق أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أعيدُها عليك، لقد أتى على زمان، ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوى فى بئر ما ذهب عنى(١).

يشرب الخمر ممزوجة باللبن

أخبرنى عبد الله بن مالك قال حدثنى أبو مسلم الحرانىّ عن الأصمعىّ، قال:

تغدّى الفرزدق عند صديق له. ثم انصرف فمر ببنى أسد، فحدثهم ساعة ثم استسقى ماء، فقال فتى منهم: أو لبنا، فقال: لبنا، فقام إلى عُسٍّ(٢)، فصب فيه رطلا من خمر، ثم حلب، وناوله إياه، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه(٣)، واحمر وجهه ثم رد العُسّ، وقال: جزاك الله خيراً، فإنى ما علمتك تحب أن تُخْنِى(٤) صديقك، وتُخفِى معروفك ثم مضى.

يزنى بامرأته

وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن القحذمىّ، قال:

كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، وتهددها بالهجاء والفضيحة، فاستغاثت بالنَّوار امرأته، وقصّت عليها القصة، فقالت لها: واعديه ليلة، ثم أعلميني، ففعلت،

(١) فى هد، هج: «وأنا أهوى فى بئر لحفظته وذلك أن الإنسان إذا هوى فى بئر ذهب عقله».
(٢) العس: القدح الكبير.
(٣) الأوداج: جمع ودج، وهو عرق فى العنق يقطعه الذابح، فيذهب بالحياة.
(٤) فى الأصول «تخفى» وهو تصحيف «تخنى» يريد أنه يحتفى بضيفه، ويلهب بلبه، فلا يعرف قيمة ما أسدى إليه من معروف.

وجاءت النوار ، فدخلت الحجلة مع المرأة ، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية ، فأطفأت السراج ، وغادرت[١] المرأة الحجلة ، واتبعها[٢] الفرزدق ، فصار إلى الحجلة ، وقد انسلّت المرأةُ خلف الحجلة ، وبقيت النوار فيها ، فوقع بالنّوار وهو لا يشك أنها صاحبته ، فلما فرغ قالت له : يا عدو الله ، يا فاسق ، فعرف نغمتها ، وأنه خدع ، فقال لها : وأنت هى يا سبحان الله ! ما أطيبك حَراماً ، وأردأك[٣] حلالا .

يضن عليه ابن سبرة بجارية فيهجوه

أخبرنى عبد الله بن مالك . قال : حدثنى محمد بن موسى ، قال : حدثنى القحذمى قال :

استعمل الحجاج الخيارَ بن سبرة المجاشعى على عمان ، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار :

كتبت إلىّ تستهدى الجوارى لقد أنعظتَ من بلدٍ بعيد

فأجابه الفرزدق :

ألا قال الخيارُ وكان جهلا قد استهدى الفرزدقُ من بعيد[٤]
فلولا أن أمك كان عمِّى أباها كنت أخرس بالنشيد[٥]
* وأنّ أبى لَعَمُّ أبيك لحًّا وأنك حين أغضبُ من أسودى[٦]
إذًا لشددتُ شدّةَ أعوجىٍّ يدقّ شكيمَ مجدول الحديد[٧]

(١) فى النسخ « بادرت » ونرجح أنها تحريف « غادرت » .
(٢) واتبعها : اتبع الحجلة ، لا المرأة .
(٣) فى هد : « وأرذلك » بدل « وأردأك »
(٤) اسم كان ضمير القول المفهوم من المقام .
(٥) يريد : لولا أن أمك ابنة عمى لأخرستك عن قول الشعر بهجائى لك ، أوكنت أنت أخرس بالنشيد ، أى لأخرستك عن قول الشعر .
(٦) لحا : من لحت القرابة إذا دنت ، والتصقت ، ولعله يريد بقوله : « من أسودى » أنه من أنصاره الشجعان حين يغضب .
(٧) الأعوجى : الجواد المنسوب إلى أعوج ، وهو جواد أصيل ينسب إليه الخيول الجيدة ، ولعله يريد بتلك الشدة أنه يهجوه .

لايستسيغ خطأ فى القرآن

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعى قال :

سمع الفرزدق رجلا يقرأ : والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله غفورٌ رحيمٌ فقال(١) : لا ينبغى أن يكون هذا هكذا ، قال : فقيل له : إنما هو ﴿ عزيز حكيم ﴾ قال : هكذا ينبغى أن يكون .

يمدح أسماء بن خارجة

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا أبو مسلم ، قال : حدثنا الأصمعى : قال :

مرّ أسماء بن خارجة الفزارىّ على الفرزدق ، وهو يهنأ(٢) بعيراً له بنفسه ، فقال له أسماء : يا فرزدق كسد شعرك ، واطرحتك الملوك ، فصرت إلى مهنة إبلك ، فقد أمرت لك بمائة بعير ، فقال الفرزدق فيه يمدحه :

إنَّ السَّماحَ الذى فى الناس كلِّهمُ قد حازه اللهُ للمفضَال أسماء
يُعطِى الجزيلَ بلا مَنٍّ يكدِّره عفوًا ويُتْبِع آلاءً بنعماءِ(٣)
ما ضَرَّ قوماً إذا أمسى يجاورهم ألاّ يكونوا ذوى إبلٍ ولا شاءِ

هل شاخ شعره بشيخوخته

أخبرنى عبد الله بن مالك(٤) عن محمد بن موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة :

دخل الفرزدق على بلال بن أبى بردة ، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التى يقول فيها :

فإن أبا موسى خليلُ محمدٍ وكفَّاه يُمْنَى للهدى وشِمالُها

فقال ابن أبى بردة : هلكت وَاللهِ يا أبا فراس ، فارتاع الشيخ ، وقال : كيف

(١) فى هج ، هد : فقال الفرزدق : « فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم ؛ لا ينبغى ... الخ والعبارة ساقطة من ب .

(٢) يهنأ بعيرا : يطليه بالهناءة ، وهى القار .

(٣) جر نعماء بالكسرة للضرورة ، ولو قال : « آلاء بآلاء » لسلم منها .

(٤) فى هد ، هج : « أخبرنى عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا أبو مسلم عن محمد ... الخ ، وفى رواية أخرى نسبة هذا الخبر إلى الأصمعى .

ذاك ؟ قال ذهب شعرك ، أين مثلُ شعرك فى سعيد ، وفى العباس بن الوليد ، وسمّى قوماً فقال : جئنى بحَسَبٍ مثل أحسابهم ، حتى أقول فيك كقولى فيهم ، فغضب بلال حتى (١)دَرَّت أوداجُه(١) ودُعِيَ له بطست(٢) فيه ماء بارد ، فوضع يده فيها ، حتى سكن ، فكلمه فيه جلساؤه وقالوا : قد كفاك الشيخ نفسه وقلّ ما يبقى حتى يموت ، فلم يَحُل عليه الحول حتى مات .

قواد له من أصحابه

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن سعيد بن هام اليمامىّ ، قال :

شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق ، فقال لصاحب له : إنّ الغُلمة قد آذتنى(٣) فأ كسِبنى بَغِيًّا ، قال : من أين أصيب لك هاهنا بغيا ؟ قال : فلا بد لك من أن تحتال ، قال : فمضى الرجل إلى القرية ، وترك الفرزدق ناحيــة ؛ فقال : هل من امرأة تُقَبِّل(٤) ، فان معى امرأتى وقد أخذها الطَّلق فبعثوا معه امرأة ، فأدخلها على الفرزدق ، وقد غَطَّاه ، فلما دنت منه واثبها . ثمّ ارتحل مبادراً ، وقال : كأنى بابن الخبيثة(٥) يعنى جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال :

وكنتَ إذا حللتَ بـدار قومٍ رحلتَ بخِزْيةٍ وتركتَ عارا

قال : فبلغ جريراً الخبر ، فهجاه بهذا الشعر .

(١-١) التكملة من هد ، هج ، در العرق : امتلأ دما ، الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق يقطعه الذابح فى العنق ، فيذهب بالحياة .

(٢) فى الأصل : « بطشت » بالشين ، وهى لغة والشائع « طست » بالسين ، معرب عن « تشت » يؤنث ويذكر .

(٣) فى هد : « قتلتنى » بدل « آذتنى » .

(٤) تقبل : تشتغل قابلة ، أى مولدة .

(٥) فى هد : « كأنى بالخبيث » .

يغتصب بيتا

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : قال أبو نهشل: حدثنا بعض أصحابنا : قال :

وقف الفرزدق على الشمردل ، وهو ينشد قصيدة له ، فمر هذا البيت فى بعض قوله :

وما بين مَن لم يعطِ سمعاً وطاعة ... وبين جرير غير حزِّ الحلاقم (1)

فقال الفرزدق : يا شمردل ، لتتركن هذا البيت لى أو لتتركن عرضك ؛ قال : خذه ، لا بارك الله لك فيه فهو فى قصيدته التى ذكر فيها قتيبة بن مسلم ، وهى التى أولها قوله :

تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتى ... حنينَ عجولٍ تبتغى البوَّ رائمِ (2)

تستعيذ بقبر أبيه

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن حبيبَ ، عن الأصمعىّ ، قال :

جاءت امرأة إلى قبر غالب أبى الفرزدق ؛ فضربت عليه فسطاطاً . فأتاها فسألها عن أمرها . فقالت : إنى عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بى ، قال لها : وما هو ، قد ضَمِنت خلاصك منه ، قالت : إن ابناً لى أُغزِى إلى السِّند مع تميم بن زيد(3) ؛ وهو واحدى قال : انصرفى ، فعلىَّ انصرافُه إليك إن شاء الله ، قال : وكتب من وقته إلى تَمِيم بقوله :

تَميمُ بنَ زيد لا تكوننَّ حاجتى ... بظَهرٍ فلا يخفى علىَّ جَوابُها

(١) مر هذا الخبر برواية « الغلاصم » بدل « الحلاقم » .

(٢) فى هد ، هج « تحن بزوراء اليمامة ... الخ » البو : جلد يحشى تبنا على هيئة الحوار يتخذ لتدر الناقة اللبن حين تراه ، رائم : عطوف .

(٣) مر هذا الخبر ، وآثرنا أن نثبته ، كما فى الأصول لقصره .

(٤) فى هد : تميم بن زائدة .

وهب لى حُبَيْشاً واتّخذْ فيه مِنَّةً ... لحرْمة أمٍّ ما يسوغُ شَرَابُهَا

أتتنِي فعاذت يا تَمِيمُ بغَالِبٍ ... وبالحفْرة السّافى عليها ترابُهَا

قال : فعرض تميم جميع من معه من الجند ، فلم يدع أحداً اسمه حُبَيْش ، ولا حُنَيش إلا وصله ، وأذن له فى الانصراف إلى أهله .

ماذا يشتهى

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعى ، قال : مرّ الفرزدق بصديق له ، فقال له : ما تشتهى يا أبا فراس ؟ قال : أشتهى شواء رَشْرَاشاً ، وَنبيذًا سعيراً ، وغناء يفتق السمع .

الرشراش : الرّطْب ، والسّعير : الكثير .

يتبرم بعشاق شعره

أخبرنا عبد الله بن مالك . قال : حدثنا محمد بن حبيب : قال : حدثنى السعدىّ ، عن أبى مالك الزيدى[1] . قال :

أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً ، فجلسنا ببابه ننتظر ، إذ خرج علينا فى مِلْحَفة . فقال لنا : يا أعداء الله ، ما اجتماعُكم ببابى ؟ والله لو أردت أن أزنى ما قدَرت .

يعانى فى قرض الشعر

أخبرنى عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا أبو مسلم ، قال حدثنا الأصمعى عن هشام بن القاسم ، قال :

قال الفرزدق : قد علم الناس أنى فحل الشعراء وربما أتت علىّ الساعة لَقَلْع ضرسٍ من أضراسى أهونُ عَلَىّ من قولِ بيت شعر .

يهجو راويته فلا ينقض كلامه

حدثنا عبد الله بن مالك عن أبى مسلم ، عن الأصمعى ، قال :

كان الفرزدق وأبو شَقْفَل راويته فى المسجد ؛ فدخلت امرأة ، فسألت عن مسألة ، وتوسّمت ؛ فرأت هيئة أبى شَقْفَل ، فسألته عن مسألتها ، فقال الفرزدق :

أبو شَقْفَل شيخ عن الحق جائرٌ ... بباب الهدى والرّشد غيرُ بصير

(١) فى هد ، هج : « عن أبى مالك النهرى »

فقالت المرأة : سبحان الله ؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ ؟ فقال أبو شقفل : دعيه فهو أعلم بى .

سكينة بنت الحسين تجرحه وتأسوه.

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال : حدثنا المدائنىّ ، قال :

خرج الفرزدق حاجا ، فمر بالمدينة ، فأتى سُكَيْنةَ بنت الحسين صلوات الله عليه وآله ، فقالت : يا فرزدق . مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ؛ أشعر منك الذى يقول :

بنفسى مَنْ تجنُّبُـــــه عزيزٌ علىَّ وَمَنْ زيارتُــــه لِمَامُ
وَمن أمسِى وَأصــــبِح لا أراه وَيطرُقنى إذا هجعَ النيامُ(١)

قال : وَالله لو أذنتِ لى لأسمعتك أحسن منه . فقالت : أقيموه ؛ فأخرِج . ثم عاد إليها فى اليوم الثانى . فقالت له : يا فرزدق . من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت : أشعرُ منك الذى يقول :

لولا الحياءُ لهاجنى اســـتعبارُ وَلزُرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ
لايلبث القُرَناء أن يتفرّقوا ليـــــلٌ يكرّ عليهمُ ونهارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها كُتِمَ الحديثُ وعَفّت الأسرار(٢)

قال : أفأسْمِعكِ(٣) أحسن منه ؟ قالت : اخرج .

ثم عاد إليها فى اليوم الثالث وعلى رأسها جاريةٌ كأنها ظبيةٌ ، فاشتد عجبه بها . فقالت : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذى يقول :

---

(١) هذان البيتان لجرير .

(٢) وهذه الأبيات لجرير أيضا ، من قصيدة يرثى فيها زوجته .

(٣) أفأسمعك : الفاء هنا عاطفة على معطوف محذوف ، أى أنشدك ، فأسمعك أو نحو ذلك .

إنَّ العيونَ التى فى طَرفِها مَرَضٌ قتلْننا ثم لم يُحيين قتلانا (١)
يَصرعْن ذا اللُّبّ حتى لا حَراكَ له وهُنَّ أَضعفُ خلقِ الله أركانا (٢)

ثم قالت : قم فاخرج . فقال لها : يا بنت رسول الله ، إن لى عليك لحقًّا . إذ كنتُ إنما جئتُ مسلّمًا عليك ، فكان من تكذيبك إيّاى وصنيعك (٣) بى حين أردتُ أن أسمعك شيئًا من شعرى ما ضاق به صدرى . والمنايا تغدو وتروح ، ولا أدرى ، لعلى لا أفارق المدينةَ حتى أموت . فإن متُّ فمرى مَنْ يدفِننى فى حِرِ هذه الجارية التى على رأسك ، فضحكت سُكَيْنةُ ، حتى كادت تخرج من ثيابها ، وأمرت له بالجارية ، وقالت : أحسِن صحبَتها ؛ فقد آثرتك بها على نفسى ، قال : فخرج وهو آخذ بريْطتها (٤) .

يطالب معاوية بتراث عمه

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال : حدثنا المدائنى قال :

وفد الحُتاتُ عمُّ الفرزدق على معاوية ، فخرجت جوائزهم ، فانصرفوا ، ومرض الحتات ، فأقام عند معاوية حتى مات ، فأمر معاوية بماله ، فأُدخِلَ بيتَ المال ، فخرج الفرزدق إلى معاوية ، وهو غلام ، فلما أُذِنَ للناس دخل بين السماطين (٥) ، ومَثَل بين يدى معاوية ، فقال :

أبوك وعمى يا معاوىَ ورّثا تراثًا فيحتازُ التّراثَ أقاربُهْ (٦)

(١) وهذان البيتان لجرير أيضا ، ويعدها مؤرخو الأدب أبرع ما قيل فى الغزل ، وكثير من الروايات « حور » بدل « مرض » .

(٢) فى كثير من الروايات « إنسانا » بدل « أركانا » .

(٣) فى هد « ومنعك أن أسمعك شيئا من شعرى » .

(٤) الريطة : الملاءة كلها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق .

(٥) السماطين : الصفين .

(٦) يحتاز : يحوز ، أقاربه : أقارب التراث ، أو أقارب الميت المفهوم من المقام .

فما بالُ ميراثِ الحتاتِ أكلتَهُ ... وميراثُ حربٍ جامدٌ لىَ ذائبه ؟ (١)

فلو كان هذا الأمرُ فى جاهليّةٍ ... علمتَ مَنِ المولى القليلُ حلائبهُ (٢)

ولو كان هذا الأمر فى مِلكِ غيركم ... لأدّاه لى أوغصّ بالماء شاربه (٣)

فقال له معاوية : من أنت ؟ قال : أنا الفرزدق قال : ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات، وكان ألف دينار ، فدفع إليه .

امرأة تهجوه فتزوجه

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبى حمزة الأنصارى ، قال : أخبرنا أبو زيد ، قال : قال أبو عبيدة .

انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء فى غداة باردة ، وأمر بجزور . فنُحِرت ثمّ قُسِّمَت ، فأغفل امرأة من بنى فُقَيم ، نسيها ، فرجزت به ، فقالت :

فيْشلةٌ هدْلاء ذات شِقْشِقِ ... مشرفةُ اليافوخ والمحوَّقِ (٤)

مُدمَجةٌ ذاتُ حِفافٍ أخلقِ ... نِطت بحَقْوَىْ قَطِمٍ عشنّقِ (٥)

أولجتَها فى سَبّةِ الفرزدق (٦)

قال أبو عبيدة ؛ فبلغنى أنه هرب منها ، فدخل فى بيَت حمّاد بن الهيثم (٧) ، ثمّ إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك :

---

(١) كأنه يريد أن يقول له : مادمت أكلت عمى فدعنى آكل تراث أبيك حرب بن أمية ..

(٢) المولى : القريب ، حلائب : جمع حلوبة ، يريد أن عمه لومات فى الجاهلية لآل ميراثه إليه ، ولا سيما أنه محتاج إلى قليل من النوق .

(٣) يريد بقوله : « أوغص بالماء شاربه » تهديد من يأكل تراثه .

(٤) هدلاء : طويله ، من قولهم : هدل الجمل : طالت مشافره ، الشقشق : شىء كالرئة يخرجه الجمل من فيه إذا هدر . مشرفة اليافوخ : طويل أعلاها ، المحوق : من الحوق ، وهو ماأحاط بالكمرة من حوافيها ..

(٥) الحفاف : ماأحاط بالشئ ، أخلق : صلب مصمت لايؤثر فيه شئ ، الحقو : الخصر ، قطم : مجيد للنكاح مشته له ، عشنق : طويل .

(٦) السبة : الاست وجملة أولجتها فى سبة الفرزدق « خبر فيشله » فى صدر الأبيات ، ... ومابينهما صفات لها ..

(٧) فى هد : « حماد بن القسم » .

قتلتُ قتيلاً لم ير الناسُ مثلَه   أقلِّبه ذا تَوْمَتين مُسَوَّرا (١)
حملتُ عليه حملتين بطعنةٍ   فغَادرتهُ فوق الحشَايا مكوّرا (٢)
ترى جرحَه من بعد ما قد طعنته   يفوح كمثل المسك خالطَ عنبرا (٣)
وما هو يوم الزحف بارزَ قِرنَه   ولا هو ولّى يوم لاقى فأدبرا
بنى دارم ما تأمرون بشاعرٍ   برود الثّنَايَا ما يزال مزعفرا (٤)
إذا ماهو استلقى رأيت جهَازه   كمقطع عُنق الناب أسود أحمرا (٥)
وكيف أهَاجى شاعراً رمحُه اسْتُه   أعدّ ليوم الروع دِرْعًا وَمِجْمرا (٦)

فقالت المرأة : ألا لا أرى الرجال يذكرون منّى هذا ، وعاهدت الله ألا تقول شعرا .

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم ، عن الأصمعىّ قال : كأنه يريد أن يوثق

مرّ الفرزدق يوما فى الأزد ، فوثب عليه ابن أبى علقمة لينكحه ، وأعانه على ذلك سفهاؤهم ،

---

(١) التومة : لؤلؤة تتحلى بها المرأة ، مسورا : لابسا أساور ، يريد أنه صرع بهجائه محاربا من النساء .

(٢) فى هد :

حملت عليـــه حملة فطعنتـــه   فغادرته فوق الفراش مكـــورا

وفى هج :

حملت إليه طعنتى فطعنتـــه   فغادرته بين الحشايـا مكـورا

والمعانى متقاربة .

(٣) يريد أن المطعون جميل ، يتضوع دمه مسكا وعنبرا .

(٤) فى الأصول « يرود » بالياء المثناة ، وهو تصحيف « برود » بالباء الموحدة ، يصف فريعه بأنه عذب الرضاب بارده ..

(٥) يريد بالجهاز بضع المرأة ، والناب : الناقة المسنة .

(٦) اختلفت الأصول فى رواية هذا البيت اختلافا كثيرا ، وقد اخترنا رواية هد ، هج ، غير أننا نرى أن « درعا » تحريف « ردعا » بمعنى زعفران ، والمعنى : كيف أهاجى امرأة سلاحها مابين أفخاذها ، تعد للحرب طيبا وبخورا ؟

فجاءت مشايخ الأزد وأولو النُّهى منهم ، فصاحوا بابن أبى علقمة وبأولئك السفهاء ، فقال لهم ابن أبى علقمة : ويلكم ! أطيعونى اليوم ، واعصونى الدهر ؛ هذا شاعرُ مضَر ولسانها ، قد شتم أعراضَكم ، وهجا ساداتِكم ، والله لا تنالون من مضر مثلها أبدا ، فحالوا بينه وبينه ، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك : قاتله الله . إى والله ، لقد كان أشار عليهم بالرأى .

أنصارى يتحداه بشعر حسان بن ثابت

أخبرنى عبدالله بن مالك ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال: قال الكلبى: قال إبراهيم ابن محمد بن سعد بن أبى وقاص . وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدىّ والأخفش جميعا ، عن السكرىّ ، عن ابن حبيب ، عن أبى عبيدة والكلبىّ : قال : وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبى عبيدة ، قالوا جميعا :

قدِم الفرزدقُ المدينةَ فى إمارة أبان بن عثمان ، فأتى الفرزدق وكثيّر عَزة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلام شخت[(١)] رقيق الأدمة ، فى ثوبين ممصرين ، فقصد نحونا ، فلم يسلم ، وقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت[(٢)] مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق: من أنت لا أمَّ لك ، قال : رجل من الأنصار ، ثم من بنى النجار ، ثم أنا ابن أبى بكر ابن حزم ، بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعمه مضر ، وقد قال شاعرنا حسان ابن ثابت شعرًا ، فأردتُ أن أعرضه عليك ، وأؤجلك سنة ، فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب ، كما قيل ، وإلا فأنت منتحِلٌ كذّاب ، ثم أنشده :

* ألم تسألِ الرّبع الجديدَ التكلُّما *

حتى بلغ إلى قوله :

وأبقى لنا مَرُّ الحروب ورزؤُها   سيوفا وأدراعًا وجمًّا عرمرما[(٣)]

---

(١) الشخت : الضامر النحيف خلقة ، وفى بعض النسخ : « شخت اللون » وكان الأنسب أن يقال : « شخت الجسم » .

(٢) التاء من قلت : ضمير راوى الخبر ، وفى هذا الخبر بعض الالتواء ، ولكنه هكذا فى الأصول .

(٣) جما عرمرما : جيشا كثير العدد . وفى ف : « جمعا عرمرما » .

متى ما تَرِدْنا من مَعدٍّ عِصابةٌ وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما
لنا حاضر فعمٌ وبادٍ كأنه شماريخُ رَضْوَى عِزةً وتكرُّما[١]
أبى فِعلُنَا المعروفَ أن ننطق الخنا وقائلُنا بالعُرف إلا تَكلُّما[٢]
بكل فتًى عارى الأشاجع لاحَه قِراعُ الكماة يرشح المِسكَ والدّما[٣]
ولدنا بنى العنقاء وابنَىْ محرِّقٍ فأكرم بذا خالا وأكرم بذا ابنْما[٤]
يُسَوِّدُ ذا المالِ القليل إذا بدت مروءتُه فينا وإن كان مُعدِما[٥]
وإنا لنَقْرِى الضيفَ إن جاء طارقا من الشحم ما أمسى صحيحا مُسلَّمًا[٦]
لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعن بالضّحى وأسيافُنا يقْطُرن من نجدة دمَا[٧]

فأنشده القصيدة ، وهى نَيِّفٌ وثلاثون بيتا ، وقال له : قد أجَّلتك فى جوابها حولا ، فانصرف الفرزدق مغضبا ، يسحَب رداءه ، وما يدرى أيَّة طرقه[٨] حتى خرج من المسجد ، فأقبل على كثير ، فقال له : قاتل الله الأنصار[٩] ما أفصحَ لهجتهم ، وأوضحَ حُجّتهم ، وأجودَ شعرهم ، فلم نزل فى حديث الأنصار والفرزدق بقيةَ يومنا ، حتى إذا كان

---

(١) فعم : ممتلئ ، والمراد مفاخر .

(٢) هذا البيت تكملة من المختار .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع ، أو عروق ظاهر الكف ، ويكنى بعريها عن كثرة قبضها على السلاح ، لاحه : أهزله وأضمره ، ويكنى بقوله : « يرشح المسك والدم » عن أنه مترف وقت السلم ، شجاع وقت الحرب .

(٤) ولدنا : ولدت أوائلنا ، أبنما - بفتح النون - تمييز ، وهو أحد أسمين يتبع ماقبل آخره فى الأعراب آخره ، وهما « أمرؤ وأبنم » .

(٥) فى ب : « منا » بدل : « فينا » .

(٦) يريد أنه إذا قرى لايعمد إلى الهزيل أو السقيم من نوقه فيذبحه .

(٧) البيت مشهور ، وله قصة طويلة بين الخنساء وحسان والنابغة ، ارجع إليها فى كتب الأدب .

(٨) كذا فى النسخ والمقام يستدعى زيادة كلمة « يسلك » بعد « أية طرقه » وفى المختار : « يذهب » .

(٩) فى بعض النسخ : « قاتل الله الأنصارى ، ما أفصح لهجته ... الخ ، بضمير الواحد » .

من الغد خرجت من منزلى إلى المسجد الذى كنتُ فيه بالأمس ، فأتى كثيِّر ، فجلس معى ، وإنَّا لنتذاكر الفرزدق ، ونقول : ليت شعرى ما صنع ؟ إذ طلع علينا فى حُلَّة أفوافٍ(١) ، قد أرخى غديرته ، حتى جلس فى مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصارى ؟ فنلنا منه ، وشتمناه ، فقال : قاتله الله : ما مُنيت بمثله ، ولا سمعت بمثل شعره ، فارقته ، وأتيت منزلى ، فأقبلت أُصعِّدُ وأُصوِّب فى كل فن من الشعر ، فكأنى مفحَم لم أقل شعرا قط ، حتى إذا نادى المنادى بالفجر رحَلتُ ناقتى ، وأخذت بزمامها حتى أتيت ريَّانا(٢) ، وهو جبل بالمدينة ، ثم ناديت بأعلى صوتى : أخاكم أخاكم ، يعنى شيطانه ، فجاش صدرى كما يجيش المرجل ، فعقلت ناقتى وتوسدت ذراعها ، فما عتمت(٣) حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتا ، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصارى ، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا ، ثم قال : إنى لم آتك لأعجلك عن الأجل الذى وقَّتُّه لك ، ولكنى أحببت ألا أراك إلا سألتك : إيش(٤) صنعت ؟ فقال : اجلس ، وأنشده قوله :

* عزفتَ بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ وأنكرتَ من حدراء ما كنت تعرف
* ولجّ بك الهجرانُ حتى كأنما ترى الموت فى البيت الذى كنت تألف

فى رواية ابن حبيب : تَيْلَفُ(٥) حتى بلغ إلى قوله :

تَرى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا

(١) أفواف : ثياب رقاق موشاة مخططة .

(٢) هكذا فى ب « ريانا » والصواب « ريان » بالمنع من الصرف ، لأنه من الرى وربما كان من الرين ، فتكون نونه أصلية ، وحينئذ فلا مانع من صرفه ، وفى المختار : « ذبابا » بدل « ريانا » .

(٣) ماعتمت : ماأبطأت .

(٤) إيش : لفظ منحوت من « أى شىء » وهوعربى فصيح .

(٥) وكذا فى الديوان : ٥٥١ والنقائض وهى لهجة تميمية فى تألف

وأنشدها الفرزدق ، حتى بلغ إلى آخرها ، فقام الأنصارى كئيبا ، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم فى مشيخة من الأنصار . فسلموا عليه ، وقالوا : يا أبا فراس ، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلَغنا أن سفيها من سفهائنا ربما تعرض لك ،فنسألُك بحق الله وحق رسوله لما حفِظت فينا وصيةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووهبتنا له ، ولم تفضحنا .

قال محمد بن ابراهيم : فأَقبلتُ عليه أكلمه ، فلما أكثرنا عليه ، قال : اذهبوا ، فقد وهبتكم لهذا القرشى .

(١ قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أنشِدنى أجود شعر عملته ، فأنشده :

* عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزف[٢] *

فقال : زدنى : فأنشده :

ثلاثٌ واثنتان فتلك خمس وواحدة تميل إلى الشِّمام[٣]
فبِتْنَ بجـــانبىَّ مصرَّعاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاق الختَام[٤]

فقال له سليمان : ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة ، أقررتَ بالزنى عندى ، وأنا إمام ، ولا تريد منى إقامة الحد عليك ، فقال : إن أخذت فىّ بقول الله عز وجل لم تفعل .قال : وما قال ؟ . قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والشّعراء يتّبعُهم الغاوون ، ألم تَرَ أنَّهم فى كلّ وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ ، فضحك سليمان وقال : تلافيتها ودرأت عنك الحدّ وخلع عليه وأجازه[١] .

(١-١) تكملة من المختار .
(٢) تقدمت الأبيات التى تبتدئ بهذا المصراع .
(٣) يريد بهذا العدد : من عبث بهن من النساء ، والشمام : القبل والترشف وما إليهما
(٤) كنى بفض أغلاق الختام عن المضاجعة والمواقعة ..

يجتمع هو وجرير بالشام

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعى، قال: قدم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفى، فقال له جرير: ما ظننتك تقدم بلدًا أنا فيه، فقال له الفرزدق: إنى طالما أخلفتُ ظن العاجز.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن طلحة: قال: قال أبو مِخْنف:

الفرزدق لعنة وجرير شهاب

كان الفرزدق(١ لُعَنَة، أى يتلعّن به كأنه لُعَنَة على قوم، وكان جرير شهابا من شهب النار.

يتندر بمحمد ابن وكيع

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا الأزدىّ: قال: حدثنا عمرو بن أبى عمرو عن أبيه، قال: قال أبو عمرو بن العلاء١):

مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبى سُود، وهو على ناقة فقال له: غدّنى، قال: ما يحضرنى غَداء، قال: فاسقنى سَوِيقاً، قال: ما هو عندى، قال: فاسقنى نبيذا، قال: أوصاحبَ نَبيذٍ عهدتَنى، قال: فما يُقعدك فى الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال أطْلِ وجهك بدِبْس(٢)، ثم تحوّل إلى الشمس، واقعد فيها، حتى يشبه لونك لون أبيك الذى تزعمه، قال أبو عمرو: فما زال ولد محمد يُسبُّون بذلك من قول الفرزدق انتهى.

هاشم بن القاسم يتجاهله

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن موسى بن طلحة، عن أبى عبيدة، عن أبى العلاء: قال: أخبرنى هاشم بن القاسم العنزى أنه قال:

جمعنى والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه، فقلت له: من أنت؟ قال: أما تعرفنى؟ قلت: لا، قال: فأنا أبو فراس، قلت: ومن أبو فراس؟ قال: أنا الفرزدق، قلت: ومَنِ الفرزدق؟ قال: أوما تعرف الفرزدق؟ قلت: أعرف الفرزدقَ

(١–١) تكملة من هج ولعل المراد أن الأول لعنة على من يهجوه، والثانى يرجم من يهجوه كما يرجم الشهاب.

(٢) الدبس: الأسود من كل شىء.

أنه شيء يتخذه النساء عندنا ، يتسمّن به وهو الفَتوت ، فضحك وقال : الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائكم .

الكلبيون يعبثون به

أخبرنى عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن النضر بن حديد ، قال :

مر الفرزدق بماء لبنى كليب مجتازا ، فأخذوه ، وكان جبانا ، فقالوا : والله لتلقيَنّ منا ما تكره ، أو لتنكحنّ هذه الأتان ، وأتوه بأتان، فقال : ويلكم! اتقوا الله ، فإنه شيء ما فعلتُه قط ، فقالوا : إنه لا ينجيك والله إلا الفعل قال : أمّا إذا أبيتم فأتونى بالصخرة التى يقوم عليها[1] عطية ، فضحكوا ، وقالوا : اذهب لاصحبك الله .

أسود يستخف به

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن العتبى قال :

دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة ، وفى صدر مجلسهم فتى أسودُ ، وعلى رأسه إكليل ؛ فلم يحفل بالفرزدق ولم يَخِفّ به تهاونا ، فغضب الفرزدق من ذلك وقال :

جلوسُك فى صدر العراش مَذَلّةٌ ورأسك فى الإكليل إحدى الكبائرِ
وما نَطَفَتْ كأسٌ ولا لذّ طعمُها ضربْتَ على حافاتها بالمشافر[2] *

يرثى وكيعا ، فينتهى مشيعيه الاستغفار له

أخبرنى عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى ، عن العتبى قال :

لما مات وكيعُ بن أبى سود أقبل الفرزدق حين أُخرِج ، وعليه قميص أسود ، وقد شقه إلى سرته وهو يقول :

فمات ولم يوتر وما من قبيلة من الناس إلا قد أباءت على وتر[3]
وإنّ الذى لاقى وكيعاً وناله تناول صِدّيق النبىّ أبا بكر[4]

(١) يريد عطية أبا جرير ، ومعروف أنه كان يلقب جريرا بابن المراغة .
(٢) نطفت الكأس : قطرت ، والمصراع الثانى صفة لكأس مع الفصل بين الصفة والموصوف .
(٣) فى ب : «أباءت» وفى نسخة أخرى «أثايت» وكلاهما بمعنى «رجع» المتعدى كأنه يريد رجعت نفسها إلى الأخذ بالثأر .
(٤) ظاهر البيتين يفيد أن وكيعا مات قتيلا ، وأنه كان ذا صلة بالخليفة أبى بكر .

قال : فعَلق الناسُ الشعر ، فجعلوا ينشدونه ، حتى دُفِنَ ، وتركوا الاستغفار له .

ميميته المأثورة فى على بن الحسين

أخبرنا عبد الله بن على بن الحسن الهاشمى، عن حيان بن على العنزى ، عن مجالد ، عن الشعبى قال :

حج الفرزدق بعد ما كبر ، وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشامُ بن عبد الملك قد حج فى ذلك العام فرأى علىَّ بنَ الحسين فى غمار الناس فى الطواف، فقال : من هذا الشاب الذى تَبرُق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحى وجوهَها ؟ فقالوا : هذا علىُّ بنُ الحسين بن علىٍّ بن أبى طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق :

هذا الذى تَعرِف البطحاء وطأَتَه والبَيْتُ يَعرِفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهم هذا التقىُّ النقىُّ الطاهرُ العَلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَه بجدِّه أنبياء الله قد خُتِموا[1]
وليس قولُك : مَن هذا بضائرِه العُرْبُ تعرِف مَنْ أنكرتَ والعجم
* إذا رأته قريشٌ قال قائلها : إلى مكارمِ هذا ينتهى الكرمُ
يُغضِى حياء ويُغضَى من مهابته فما يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمِ *
* بكَفّه خيزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ من كفّ أروعَ فى عِرْنِينه شمم[2]
* يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم[3]
* الله شرّفه قِدْماً وعَظَّمَهُ جَرَى بذاك له فى لوحِه القلم *

(١) نون « فاطمة » للضرورة .

(٢) العرنين : الأنف .

(٣) عرفان : مفعول لأجله ، أى يكاد ركن الحطيم يقبض على راحته عند استلامها إياه ، لأن الركن يعرف هذه الكف .

أَىُّ الخلائق ليست فى رقابهم ... لِأَوَّليَّة هذا أولَهُ نِعَمُ ؟[١]
مَنْ يشكرِ اللهَ يشكرْ أَوَّليَّةَ ذا ... فالدِّين من بيت هذا ناله الأمم
يَنْمِى إلى ذِروة الدين التى قَصُرت ... عنها الأكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ
مَنْ جَدُّه دان فَضْلُ الأنبياء له ... وفَضْلُ أُمَّته دانت له الأمم
مُشتقَّةٌ من رسول الله نبعَتُه ... طابت مغارسُه والخِيمُ والشِّيَمُ[٢]
ينشقُّ ثوبُ الدجى عن نُورِ غُرَّته ... كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُلَم
مِنْ معشرٍ حبُّهم دينٌ ، وبغضهمُ ... كُفْرٌ وقُرْبُهمُ مَنْجًى ومُعْتَصَم
مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذِكرُهمُ ... فى كلِّ بَدْء ومختومٌ به الكَلِم
إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمَّتَهم ... أوقيل مَنْ خيرُ أهل الأرض قيلَ :هم
لا يستطيع جوادٌ كنهَ جودهمُ ... ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرموا
يُسْتَدفَع الشرُّ والبَــلوى بحبِّهمُ ... ويسترَبُّ به الإحْسانُ والنِّعَمُ[٣]

[٤]وقد حدثنى بهذا الخبر أحمدُ بنُ الجعد ، قال : حدثنا أحمد بن القاسم البرتىّ ، قال : حدثنا إسحاق بن محمد النخعىّ ، فذكر أن هشاما حجَّ فى حياة أبيه ، فرأى علىَّ ابن الحسين رضى الله تعالى عنهم يطوف بالبيت والناسُ يُفْرِجون له . فقال : مَنْ هذا ؟ فقال الأبرش الكلبى : ما أعرفه ، فقال الفرزدق : ولكنى أعرفه ، فقال : من هو ؟ فقال :

* هذا الذى تعرِف البطحاء وطأته *

وذكر الأبيات . . . الخ[٤] :

---

(١) نعم اسم ليس ، أى ، مافى الخلائق مخلوق لا يدين بالنعمة له أو لأوليته : جدوده السابقين ، وفى نسخة أخرى : أى الخلائق إلا فى رقابهم ، وعليه تكون « نعم » مبتدأ مؤخرا لقوله : « فى رقابهم » .

(٢) النبعة : شجرة صلبة الألياف تتخذ منها القسى ، وكنى بها عن الأصل والأرومة ، والخيم : الأصل والشرف .

(٣) يسترب : يستزاد وينمى . (٤-٤) تكملة من هد ، هج .

قال : فغضب هِشامٌ فحبَسه بين مكة والمدينة فقال:

أتَحبِسنى بين المدينة والتى إليها قلوب الناس يَهْوِى مُنِيبُها[1]
يقلِّبُ رأسا لم يكن رأس سيِّد وعينا له حولاء بادٍ عيوبُها[2]

فبلغ شعرُه هِشاماً ، فوجّه ، فأطلقه.

بينه وبين مالك ابن المنذر

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن الهيثم بن عدىّ ، قال : أخبرنا أبو روح الراسبىّ ، قال :

لما وَلِىَ خالدُ بن عبد الله العراقَ ولّى مالك بن المنذر شُرطَةَ البصرة ، فقال الفرزدق :

يُبَغِّض فينا شرطةَ المصر أننى رأيتُ عليها مالكاً عَقِبَ الكلبِ

قال ، فقال مالك : عَلَىَّ به ، فمضوا به إليه ، فقال :

أقول لنفسى إذ تَغَصُّ بريقها ألا ليت شعرى مالها عند مالِكِ ؟

قال : فسمع قولَه حائكٌ يطلع من[3] طرازه ، فقال :

لها عنده أن يَرجعَ اللهُ ريقها إليها وتنجُو من عظيم المهالكْ[4]

فقال الفرزدق : هذا أشعرُ الناس ، ولَيعودَنَّ مجنونا ، يصيح الصبيان فى أثره (٥قال : فرأوه بعد ذلك مجنونا يصيح الصبيان فى أثره٥).

(١) كنى بقوله : « والتى ...الخ » عن مكة .
(٢) فاعل يقلب ، ضمير هشام ، وكانت عينه حولاء ، وكان القياس « باديا عيوبها » ، ولا يصح أن يكون « بادٍ» خبرا مقدما عن « عيوب » لأنه مفرد .
(٣) هد : « يطلع من طراز له » : دكان الحائك .
(٤) سكن واو « تنجو » للضرورة .
(٥-٥) تكملة من هد ، هج .

أخبرنا عبدُ الله بنُ مالك قال : حدثنا محمد بن علي بن سعيد ، قال حدثنا القَحْذَميّ : قال : فلما أتَوْا مالك بن المنذر بالفرزدق قال : هيه عَقِب الكلب ، قال : ليس هذا هكذا قلت ، وإنما قلت :

أَلم ترنى ناديتُ بالصوت مالكاً   ليسمع لما غصَّ من ريقه الفمُ
أعوذ بقبر فيه أكفانُ مُنْذِرٍ   فهن لأيدى المستجيرين مَحْرَمُ(١)

قال : قد عذتَ بمعاذ(٢) ، وخلّى سبيلَه .

أخبرنا عبد الله قال : حدثنى محمد بن موسى ، قال :

كتب خالدٌ القسريُّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق ، ويذكر أنه بلغه أنه هجاه ، وهجا نهرَه المبارك(٣) ، وهو النهر الذى بواسط الذى كان خالد حفره ، (٤فاشتد مالك فى طلبه حتى ظفر به فى البراجم٤) فأخذه وحبسه ومرُّوا به على بنى مجاشع ، فقال : يا قوم ، اشهدوا أنه لا خاتم بيدى ، وذلك أنه(٥) أخَذَ عُمَرَ بنَ يزيدَ بن أُسَيْد ، ثم أمرَ به فلُوِيتْ عنقُه ، ثم أخرجوه ليلا إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلب ، والأعوان يقولون له : قوِّمْ رأسك ، فلما أتَوْا به السّجّانَ قال : لا أتسلمه منكم ميتا ، فأخذوا المفاتيح منه ، وأدخلوه الحبس ، وأصبح ميتا ، فسمَّعوا أنه مصّ خاتمه وكان فيه سم ، فمات ، وتكلم الناس فى أمره ، فدخل لبطةُ بن الفرزدق على أبيه ، فقال : يابنى ، هل كان من خبر ؟ قال : نعم ، عُمَرُ بنُ يزيدَ مصَّ خاتمه فى الحبس ، وكان فيه سم ، فمات ، فقال الفرزدق : والله يا بنى لئن لم تلحق بواسط ليمص(٦) أبوك خاتَمَه ، وقال فى ذلك :

(١) منذر : أبو مالك ، وضمير هن يعود على الأكفان .
(٢) بمعاذ : بلدى حرمة ، يعوذ من استعاذ به .
(٣) تقدم هذا الخبر برواية أخرى .
(٤-٤) تكملة من هد ، هج .
(٥) فاعل أخذ : ضمير المنذر .
(٦) «ليمص» كذا فى النسخ ، والقياس « ليمصن » بنون التوكيد ، ومراد الفرزدق أنه سيقتل ، ويدعى عليه أنه مص خاتمه ، لا أنه يمص مصا حقيقيا .

أَلم يكُ قَتلُ عبد الله ظُلما أبا حفص من الحُرَم العظامِ (١)
قتيلُ عداوة لم يجنِ ذنباً يُقَطَّعُ وهو يهتف للإمام

قال : وكان عُمَرُ عارضَ خالدا وهو يصف لهشام طاعةَ أهل اليمن وحسنَ موالاتهم ونصيحتهم ، فصفَّق عَمرُو بنُ يزيد إحدى يديه على الأخرى ، حتى سمع له فى الإيوان دَوىٌّ ، ثم قال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، ما أطاعت اليمانية ، ولا نصحت ، أليس (٢) هم أعداؤك وأصحابُ يزيد بن المهلب وابن الأشعث ؟ والله ما ينعَقُ ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه ، فاحذرهم يا أمير المؤمنين (٣قال : فتبين ذلك فى وجه هشام٣) ووثب رجل من بنى أمية ، فقال لعمرو بن يزيد : وصل الله رحمك وأحسن جزاءك ، فلقد شددتَ من أنفس قومك ، وانتهزْتَ الفرصة فى وقتها ، ولكن أحسَبُ هذا الرجل سيَلِى العراقَ ، وهو منكِرٌ حسود ، وليس (٤) يَخارُ لك إن ولى، فلم يرتدعْ عمر بقوله ، وظن أنه لا يُقدم عليه ، فلما وَلِىَ لم تكن له همة غيرُه ، حتى قتله ، قال :

جرير يشفع له

ثم إن مالكا وجّهَ الفرزدق إلى خالد ، فلما قدِم به عليه وجده قد حج ، واستخلف أخاه أسدَ بنَ عبد الله على العراق ، فحبسه أسد ، ووفَى عنده جريراً ، فوثب يشفع له ، وقال : إن رأى الأمير أن يَهَبه لى ، فقال أسد : أتشفع له يا جرير ؟ فقال : إن ذلك أذلُّ له — أصلحك الله — وكلم أسداً ابنةُ المنذرُ ، فخلّى سبيله ، فقال الفرزدق فى ذلك :

لا فضلَ إلاّ فضلُ أمٍّ على ابنها كفضل أبى الأشبال عند الفرزدق (٥)
تداركنى من هُوَّةٍ دون قعرها ثمانون باعاً للطُّوال العَشَنَّقِ (٦)

(١) أبا حفص : مفعول « قتل » .
(٢) اسم ليس هنا ضمير الشان ، وجملة « هم أعداؤك » خبر ليس .
(٣-٣) فتبين ذلك ، أى أثر ذلك الكلام ، والتكملة من هد .
(٤) وليس يخار لك : ليس يختار لك مايرضيك ، والجملة يراد بها التحذير .
(٥) البيت من الطويل دخله الخرم ، أبو الأشبال : يراد به أسد بن المنذر ، الجار والمجرور « كفضل » خبر لا ، وأصل التركيب : لا فضل كفضل أبى الأشبال إلا فضل أم على ابنها .
(٦) الطوال — بضم الطاء — الطويل ، والعشنق : الطويل أيضاً ، فهو من بـاب التكرار للتأكيد .

وقال جرير يذكر شفاعته له :

وهل لك فى عانٍ وليس بشاكرٍ فتطلقَ عنه عضّ مَسِّ الحدائدِ ؟(١)
يعودُ وكان الخبثُ منه سجيةً وإن قال : إنى مُنتَهٍ غيرُ عائد

يهجو بنى فقيم

أخبرنى عبيد الله ، عن محمد بن موسى ، عن القحذمى ، قال :

كان سببَ هرب الفرزدق من زياد ، وهو على العراق ، أنه كان هجا بنى فقيم ، فقال فيهم أبياتاً منها :

وآب الوفدُ وفدُ بنى فُقَيْمٍ بأخبث ما تئوب به الوفودُ
أتَوْنا بالقرود مُعادليها فصار الجَدُّ للجدِّ السعيدُ(٢)

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيْمى والأشهب بن رميلة بأبيات، منها قوله :

تمنّى ابنُ مسعودٍ لقائى سفاهةً لقد قال مَيْناً يوم ذاك ومنكرا(٣)
غناءٌ قَليلٌ عن فُقَيمٍ ونهْشَلٍ مَقامُ هَجينٍ ساعةً ثم أدْبرا(٤)

يعنى الأشهبَ بنَ رُمَيْلَةَ ، وكان الأشهبُ خطب إلى بنى فُقَيْم ، فردوه ، وقالوا له : اهْجُ الفرزدق حتى نزوّجَك ، فرجز به الأشهب ، فقال :

---

(١) يريد بالحدائد القيود ، ويلاحظ أن جريرا لم ينس النيل من الفرزدق فى بيتيه حتى فى مقام الشفاعة له .

(٢) معادليها : حال من الواو ، أى أتونا بالقرود وهم مشابهون لها ، وفى الأصل : « فصار المجد للجد السعيد » ولا معنى له ، فضلا عما فيه من الإقواء ، وقد اخترنا رواية ف « فصار الجد للجد السعيد » على أن الجد الأولى بمعنى الحظ ، والجد الثانية – بفتح الجيم أو ضمها – بمعنى الرجل المجدود ، والسعيد صفة الجد الأولى ، والمعنى : رجعوا هم بالقرود ، ورجع المحظوظ بالحظ السعيد .

(٣) فى هج : « حينا » بدل « مينا » وفى غيرها « ميتا » وهو تصحيف .

(٤) الهجين : غير صريح النسب ، وفى البيت عطف الفعل على الاسم ، والمعنى : أقام ساعة ثم أدبرا .

يا عجبا هل يركبُ القَيْنُ الفرسْ ... وَعَرَقُ القَيْنِ على الخيل نَجَسْ ؟(١)

وإنما سـلاحُه إذا جَلَسْ ... الكَلْبَتان والعَـلاةُ والقَبَسْ(٢)

يهرب من زياد

فلما بلغ الفرزدق قولُه هجاه ، فأرفث(٣) له ، وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء ، فشكوه إلى زياد ، وكان يزيدُ بنُ مسعود ذا منزلة عند زياد ، فطلبه زياد ، فهرب ، فأتى بكرَ بن وائل ، فأجاروه ، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات :

إنى وإن كانت تميمٌ عِمارتى ... وكنتُ إلى القُرْمُوسِ منها القُماقِمِ(٤)

لَمُثْنٍ على أبناء بكرِ بن وائلٍ ... ثنـاء يوافى ركبهم فى المواسم(٥)

همو يوم ذى قار أناخوا فجالدوا ... برأسٍ به تَدْمَى رءوسُ الصّلادم(٦)

وهرب ، حتى أتى سعيد بن العاصى ، فأقام بالمدينة يشرب ، ويدخل إلى القيان ، وقال :

إذا شئتُ غنّانى من العاج قاصف ... على معصم ريّانَ لم يتخدّدِ(٧)

لبيضاء من أهل المدينة لم تعِشْ ... ببؤس ولم تتبعْ حمولةَ مُجْحَد

وقامت تخشّينى زياداً وأجفلت ... حوالىَّ فى بُرْدٍ يمانٍ ومُجْسَد

فقلتُ : دعينى من زياد فإننى ... أرى الموت وقّافاً على كلّ مَرْصَد

(١) القين : الحداد .

(٢) الكلبتان : آلة من آلات الحداد ، والعلاة : السندان ، والقبس : ما يستعمله الحداد من النيران فى إلانة الحديد .

(٣) أرفث : أفحش .

(٤) البيت من الطويل دخله الخرم ، العمارة : الحى دون القبيلة ، القرموس : السيد الرئيس ، القماقم : الجواد ذو الفضل الغزير .

(٥) لمثن : خبر « إنى » فى البيت السابق .

(٦) يوم ذى قار : يوم مشهور ، كان للعرب على الفرس ، ولعله يعنى بالرأس هانئ بن مسعود بطل ذلك اليوم ، الصلادم : جمع صلدم بمعنى الأسد أو الحجر الصلب ، والمعنى يستقيم على كلا المعنيين .

(٧) تقدمت هذه الأبيات فى الترجمة نفسها ، فارجع إليها .

فبلغ شعرهُ مروانَ ، فدعاه ، وتوعده ، وأجّله ثلاثاً ، وقال : اخرج عنى ، فأنشأ مروان ينفيه ثم يجيزه يقول الفرزدق :

دعانا ثم أجلنـــا ثلاثاً   كما وُعِدَتْ لِمَهْلَكِها ثمودُ[(١)]

قال مروان[(٢)] : قولوا له عنى : إنى أجبته ، فقلت :

قل للفرزدق والسفاهةُ كاسْمِها   إن كنت تاركَ ما أمرتُك فاجلِسِ[(٣)]
ودعِ المدينـةَ إنهـا محظورةٌ   والحقْ بمكةَ أو ببيت المقدسِ

قال : وعزم على الشخوص إلى مكة ، فكتب له مروان إلى بعض عماله ، ما بين مكة والمدينة بمائتى دينار ، فارتاب بكتاب مروان ، فجاء به إليه وقال :

مروانُ إنّ مطيتى معقـــولةٌ   ترجو الحباءَ وربُّهـا لم ييأسِ
آتيتنى بصحيفـــــةٍ مختومةٍ   يُخشَى علىَّ بها حِبـاءُ النّقرسِ[(٤)]
ألقِ الصحيفةَ يا فرزدق لا تكن   نكراءَ مثـلَ صحيفةِ المُتَلَمِّسِ[(٥)]

قال : ورمى بها إلى مروانَ ، فضحك ، وقال : ويحك ! إنك أمىٌّ ، لا تقرأ ، فاذهب بها إلى من يقرؤها ، ثم ردَّها ، حتى أختمها ، فذهب بها ، فلما قُرِئت إذا فيها جائزة ، قال : فردَّها إلى مروان ، فختمها ، وأمر له الحسينُ بنُ علىّ عليهما السلام بمائتى دينار ، قال : ولما بلغ جريراً أنه أخرج عن المدينة قال :

---

(١) فى هج « دعانى ثم أجلنى » .

(٢) ليس فيما قاله الفرزدق ما يستدعى عدول مروان عن عقوبته ، فلعلهنا خرما ، أو لعل بعد البيت السابق أبيات استعطاف لم تذكر .

(٣) الشعر لمروان ، ولم نستطع التوفيق بين قوله : « اجلس » فى البيت الأول وقوله : « ودع المدينة » فى البيت الثانى ، ربما كانت « اجلس » تصحيف « احلس » – بالحاء – بمعنى ضع الحلس على دابتك وارحل ، والحلس : القتب أو السرج ونحوها .

(٤) النقرس : الهلاك ، أو الداهية ، أو وجع فى مفاصل الكعبين .

(٥) صحيفة المتلمس : صحيفة حملها تتضمن هلاكه ، وقصتها مشهورة ، والمتلمس الشاعر المعروف

إذا حلّ المدينةَ فارجُمُوهُ ولاتدْنوهُ من جَدَث الرسول(١)
فما يُحْمَى عليه شرابُ حدٍّ ولا وَرْهاء غائبةُ الحليل(٢)

فأجابه الفرزدق، فقال:

نعتّ لنا من الورْهاء نَعْتًا قعدتُ به لِأُمّك بالسبيلِ.
فلا تبغى إذا ما غاب عنها عطيةُ غيرَ نَعْتك من حَليل(٣)

يموت بذات الجنب

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنى محمدبن موسى، قال: حدثنا أبوعكرمة الضبّىّ عن أبى حاتم السجستانى، عن محمد بن عبد الله الأنصارى، قال أبوعكرمة: وحُكِيَ لنا عن لَبطةَ بنِ الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب، فكانت سبب وفاته.

قال: ووُصِف له أن يشرب النِّفط الأبيض، فجعلناه له فى قدح، وسقيناه إياه، فقال: يا بنى عجّلت لأبيك شراب أهل النار، فقلت له: ياأبت، قل: لا إله إلا الله، فجعلت أكررها عليه مراراً، فنظر إلىّ وجعل يقول:

فَظلّتْ تَعالى باليَفاع كأنها رماح نحاها وِجْهةَ الرّيح راكز(٤)

فكان ذا هجِّيراه حتى مات.

أخبرنى أبوخليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: حدثنى شُعَيب بن صخر، قال:

دخل بلال بن أبى بردة على الفرزدق فى مرضه الذى مات فيه، وهو يقول:

أرونى مَنْ يقومُ لكم مقامى إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

(١) فى هج «إذا حل الفرزدق».
(٢) فى هد «يخنى» بدل «يحمى» والورهاء: الحمقاء، والمراد أنه مدمن زير نساء.
(٣) يريد بالبيتين أن أم جرير هى الورهاء التى لا يخفى مكانها عليه حين يغيب حليلها عطية.
(٤) تعالى: أصله تتعالى، ولعل ضمير «ظلت» يعود على خيل، أو إبل، أو نحو ذلك، وكأن الفرزدق صرف هذا الضمير إلى روحه التى تصاعدت حتى بلغت حلقومه.

البيتين [١] ، فقال بلال : إلى الله ، إلى الله .

يتمرد فى مرض موته

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الأصمعىّ ، قال :

كان الفرزدق قد دَبَّر عبيدا له ، وأوصى بعتقهم بعد موته ، ويُدفع شىء من ماله إليهم ، فلما احتُضِر جمع سائرَ أهل بيته ، وأنشأ يقول :

أرونى مَنْ يقوم لكم مقامى إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطاب
إلى مَن تفزعون إذا حَثَوْتم بأيديكم علىَّ من التّرابِ

فقال له بعض عبيده — الذين أمر بعتقهم — : إلى الله ، فأمر ببيعه قبل وفاته ، وأبطل وصيتَه فيه ، والله أعلم .

أخبرنى الحسنُ بن علىّ ، عن بشر بن مروان ، عن الحميدىّ ، عن سفيان ، عن لَبَطَة ابن الفرزدق قال :

لمّا احتُضِر أبو فراس قال — أىْ لبَطةَ : أبغِنى كتاباً أكتبْ فيه وصيتى ، فأتيته بكتاب فكتب وصيَّته :

* أرونى من يقوم لكم مقامى *

البيتين ، فقالت مولاة له — قد كان أوصى لها بوصية — : إلى الله عز وجلّ ، فقال : يالبطة ، امحها من الوصية .

قال سفيان : نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس .

ينظم وصيته شعرا

وقال عَوانة : قيل للفرزدق فى مرضه الذى مات فيه أوصِ ، فقال :

أوصّى تميماً إن قضاعةَ ساقها ندَى الغيث عن دارٍ بدومةَ أوجدْبِ [٢]

---

(١) لم يتقدم ذكر البيتين ، بل ذكر بيتا واحدا ، على أنه سيعيدهما بعد أسطر .

(٢) قضاعة : مفعول به لفعل محذوف تقديره : « إن ساق ندى الغيث قضاعة » ، دومة : اسم مكان بعينه .

فإنكم الأكفاءُ والغيث دُولةٌ يكون بشرق من بلاد ومن غَرْب (١)
إذا انتجعت كلْبٌ عليكم فوسِّعوا لها الدارَ فى سهل المقَامَة والرّحب
فأعظمُ من أحلام عاد حُلومُهم وأكثرهم عند العديد من التُّرْب
أشدُّ حبالٍ بعد حَيَّيْن مِرَّةً حِبالٌ أُمِرّت من تميم ومن كلب (٢)

يسبقه إلى الآخرة غلام له

قال : وتوفى للفرزدق ابنٌ صغير قبل وفاته بأيام ، وصلّى عليه ، ثم التفت إلى الناس ، فقال :

وما نَحْن إلا مِثلُهم غير أنَّنا أقمنا قليلاً بعدهم وتَقَدَّمُوا

قال : فلم يلبث إلا أياماً حتى مات :

أنشد عند موته

وقال المدائنىّ : قال لبَطَةُ : أُغمِىَ على أبى ، فبكينا ، ففتح عينيه ، وقال : أعلىَّ تبكون ؟ قلنا : نعم ، أفعلى ابن المراغة نبكى ؟ فقال : ويحكم ! أهذا موضع ذكره ؟ وقال :

إذا ما دبَّت الأنقاء فوقى وصاح صدًى علىَّ مع الظلام (٣)
فقد شَمِتتْ أعاديكم وقالت : أدانيكم مِنَ أينَ لنا المحامى ؟

وقع نعيه على جرير

أخبرنى أبو خليفة الفضلُ بنُ الحُباب إجازة ، قال : حدثنا محمد بن سلاّم ، قال : حدثنا أبو العَرّاف ، قال :

نُعِىَ الفرزدق لجرير ، وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة ، فقال :

---

(١) دولة : متداولة ، لا تستقر على حال .
(٢) المرة : إحكام الفتل .
(٣) فى ب : « الأفياء » ، والنقا : الكثيب من الرمل ، والصدى : رجع الصوت من الجبل ونحوه ، أو هو طائر يخرج من رأس القتيل ، ويقول : اسقونى حتى يؤخذ بثأره ، وليس المراد أنه مات قتيلا بل المراد أنه مجاور لهذا الطائر وأمثاله .

مات الفرزدقُ بعد ما جرَّعتهُ ليتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا[١]

فقال له المهاجر : بئس ما قلتَ ، أتهجو ابن عمك بعد ما مات ! ولو رثيته كان أحسن بك . فقال : والله إنى لأعلمُ أنَّ بقائى بعده لقليلٌ ، وأنَّ نجمى لموافق لنجمه ، أفلا أرثيه ؟ قال : أبعد ما قيل لك : لو كنت بكيته ما نسيَتْك العرب .

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : فأنشدنى معاوية بن عمرو ، قال : أنشدنى عمارة ابن عقيل لجرير يرثى الفرزدق بأبيات منها :

فلا ولَدَتْ بعد الفرزدق حاملٌ ولا ذاتُ بعل من نِفاسٍ تعلَّتِ[٢]

هو الوافد المأمونُ والرَّاتِقُ الثَّأْى إذا النعلُ يوماً بالعشيرة زَلَّتِ[٣]

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبة بخبر جرير لَمَّا بلغه وفاة الفرزدق ، وهو عند المهاجر ، فذكر نحوا مما ذكره ابن سلام ، وزاد فيه ، قال :

ثم قام ، وبكى ، وندم ، وقال : ما تقارب رجلان فى أمر قط ، فمات أحدهما إلا أوشك صاحبُه أن يتبعه .

في أى سنة مات

قال أبو زيد : مات الحسنُ وابنُ سيرينَ والفرزدق وجريرٌ فى سنة عشرٍ ومائةٍ ، فقَبْرُ الفرزدق بالبصرة ، وقَبْرُ جرير وأيوب السَّختيانى ومالك بن دينار باليمامة فى موضع واحد .

وهذا غلط من أبى زيد عمر بن شبة ، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة ، وكان ذلك فى سنة اثنتى عشرة ومائة ، وقد قال فيه الفرزدق شعراً ، وذكره فى مواضع من قصائده ، ويُقوِّى ذلك ما أخبرنا به وكيع ، قال :

(١) جرعته : سقيته المر ونحوه ، وفى ، هج : « جدعته » بالدال المشددة بمعنى قطعت أنفه ،
(٢) تعلت المرأة من نفاسها : انقضت عنها مدته .
(٣) الثأى : الفتق .

حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدثنى ابن النطّاح ، عن المدائنىّ ، عن أبى اليقظان وأبى هَمّام المجاشعىّ :

أن الفرزدق مات سنة أربعَ عشرةَ ومائةٍ .

قال أبو عبيدة :

حدثنى أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفى ، وأمه ابنة جرير بن عطية ، قال :

جرير ينعى نفسه ويرثيه

بينا جرير فى مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل ، فقال له جرير : من أين وَضَح الراكب(١) ؟ قال : من البصرة ، فسأل عن الخبر ، فأخبره بموت الفرزدق ، فقال :

مات الفرزدق بعد ما جرّعته   ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة ، فظننّاه يقول شعراً ، فدمعت عيناه ، فقال القوم : سبحان الله ، أتبكى على الفرزدق ! فقال : والله ما أبكى إلا على نفسى ، أما والله إن بقائى خلافَهُ(٢) لقليلٌ ، إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمدُ ما بينهما قريباً ، ثم أنشأ يقول :

فُجِعنا بحَمّالِ الدِّيات ابنِ غالبٍ   وحامى تميم كلِّها والبَراجِمِ
بكينـاكَ حِدْثانَ الفِراقِ وإنما   بكيناكَ شجْواً للأمور العَظائم(٣)
فلا حَمَلت بعدَ ابنِ ليلى مَهيرَةٌ   ولا شُدَّ أنساعُ المطىِّ الرَّواسمِ(٤)

---

(١) من أين وضح الراكب ؟ : من أين طلع ؟ وفى بعض النسخ « أوضح » بدل « وضح » وهما بمعنى واحد .

(٢) خلافه : بعده ، ومنه قوله تعالى : « لا يلبثون خلافك إلا قليلا » .

(٣) حدثان الفراق : أول الفراق وابتداؤه .

(٤) المهيرة : من غولى فى مهرها ، أنساع : جمع نسع ، وهو سير عريض تشد به الحقائب والعيب ونحوها ، الرواسم : الإبل التى تؤثر فى الأرض .

يموت بالدبيلة

وقال البلاذرىّ : حدثنا أبو عدنان(١) ، عن أبى اليقظان ، قال :

أسنّ الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدُّبَيْلة(٢) ، وهو بالبادية فقدم إلى البصرة ؛ فأُتِىَ برجل من بنى قيس متطبب ؛ فأشار بأن يُكوَى ، ويشربَ النفط الأبيض ، فقال : أتعجّلون لى طعام أهل النار فى الدنيا ؟ وجعل يقول :

أرونى مَنْ يقوم لـكم مقامى   إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ

أبو ليلى المجاشعى يرثيه

وقال أبو ليلى المجاشعىّ يرثى الفرزدق :

لعمرى لقد أشجى تميماً وهَدَّها   على نكباتِ الدهر موتُ الفرزدق
عشيَّةَ قُدْنَا للفرزدق نعشَـه   إلى جَدَثٍ فى هُوّة الأرض مُعْمَق
لقد غيّبوا فى اللّحد مَنْ كان ينتمى   إلى كل بدر فى السماء مُحَـلِّقِ
ثَوَى حاملُ الأثقال عن كل مُثقل   ودفَّاعُ سلطانِ الغشومِ السَّمَلَّقِ(٣)
لسانُ تميمٍ كلِّها وعِمَادُها   وناطقُها المعروف عند المُخَنَّقِ(٤)
فمن لتميمٍ بعد موت ابن غالبٍ   إذا حل يومٌ مظلمٌ غيرُ مُشرِقِ
لتبكِ النِّساءُ المعْوِلاتُ ابنَ غالبٍ   لجانٍ وعانٍ فى السلاسل مُوثَق

أعلام ماتوا سنة موته

وقال ابن زكريا الغلابىّ ، عن ابن عائشة ، قال :

مات الفرزدق وجرير فى سنة عشرة ومائة ، ومات جرير بعده بستة أشهر ، ومات فى هذه السنة الحسنُ البصرىّ وابنُ سيرين ، قال :

---

(١) فى هج : « أبو هفان » بدل « أبو عدنان » .

(٢) الدبيلة : داء من الأدواء التى تصيب الجوف .

(٣) فى هج « وحمال » بدل « ودفاع » . السملق : الشرس السيىء الخلق .

(٤) عند المخنّق : عندما يعيا المتكلم عن الكلام كأنه مختنق .

فقالت امرأة من أهل البصرة : كيف يفلح بلدٌ مات فقيهاه وشاعراه فى سنة ؟ ونسبت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة ، وقبر جرير باليمامة ، وبها مات ، وقبر الأعشى أيضاً باليمامة : أعشى بنى قيس بن ثعلبة ، وقبر الفرزدق بالبصرة فى مقابر بنى تميم :

وقال جرير لما بلغه موتُ الفرزدق : قلّما تصاول فحلان ، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به .

ورثاهما جماعة ، فمنهم أبو ليلى الأبيض[1] ، من بنى الأبيض بن مجاشع فقال فيهما :

لعمرى لئنْ قرْماَ تميمٍ تتابعا مُجيبَيْن للدّاعى الذى قد دَعَاهُما
لرُبَّ عَـدُوٍّ فرّق الدهرُ بينه وبينْهما لم تُشْوِهِ ضَغْمتَاهما[2]

يتراءى فى المنام

أخبرنى ابن عمار ، عن يعقوب بن إسرائيل ، عن قعنب بن المحرز الباهلى ، عن الأصمعى ، عن جرير يعنى أبا حازم[3] قال :

رُئِى الفرزدقُ وجرير فى النوم ، فرُئى الفرزدق بخير ، وجرير مُعَلّق[4]

قال قعنب : وأخبرنى الأصمعىّ ، عن روح الطائىّ[5] ، قال :

رُئىَ الفرزدق فى النوم ، فذكر أنه غُفِر له بتكبيرة كبّرها فى المقبرة عند قبر غالب .

---

(١) فى هج : « الأبيضى » بدل « الأبيض » .

(٢) فى الأصل « لم يشوه ضيفاهما » ولا معنى له ، فضلا عن اختلال وزن البيت . وفى هد : «لم تشوه صحفتاهما » وليس بشئ ، وفى هج : «لم تشوه صنعتاهما» وليس بشئ أيضا ، والذى نرجحه « لم تشوه ضغمتاهما » من أشوى الصائد الصيد : أخطأه ، والضغمة : العض العنيف ، والمعنى : إن يموتا فرب عدو عضّاه ، فلم يخطئا مقتله ، وربما كانت « لم تشوه صعدتاهما » والصعدة : الرمح .

(٣) فى هد ، هج : « ابن حازم » بدل « أبا حازم » .

(٤) فى هد ، هج : « محتبس » بدل « معلق » .

(٥) فى هد : « الكلبى » بدل « الطائى » .

قال قَعْنَب : وأخبرنى أبو عبيدة النحوىّ وكيسان بن المعروف النحوى ، عن لَبَطَة بن الفرزدق ، قال :

رأيت أبى فيما يرى النائم ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : نفعتْنِى الكلمةُ التى نازَعنيها[1] الحسنُ على القبر .

هو والحسن فى جنازة النوار

أخبرنى وكيع ، عن محمد بن إسماعيلَ الحسانىّ ، عن علىّ بن عاصم ، عن سفيان بن الحسن ، وأخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلام — والرواية قريب بعضها من بعض — : أنّ النَّوارَ لما حَضَرها الموت أوصت الفَرَزدقَ — وهو ابنُ عمها — أن يُصَلِّىَ عليها الحسنُ البصرىّ ، فأخبره الفرزدقَ ، فقال : إذا فرغتم منها فأعلمنى ، وأُخرِجت ، وجاءها الحسن ، وسبقهما الناس ، فانتظروهما ، فأَقبلا ، والناسُ ينتظرون ، فقال الحسن : ما للناس؟ فقال : ينتظرون خيرَ الناس وشرَّ الناس ، فقال : إنّى لستُ بخيرهم ، ولستَ بشرهم ، وقال له الحسن على قبرها : ما أعددتَ لهذا المضجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة .

هذا لفظ محمد بن سلاَّم . وقال وكيع فى خَبَره : فتشاغل الفرزدق بدفنها ، وجلس الحسنُ يعظ الناس ، فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة[2] الحسن ، وقال :

لقد خاب من أولاد آدمَ مَنْ مَشَى ... إلى النار مغلولَ القِلادةِ أزرقا[3]
أخاف وراء القبر إن لم يُعافِنِى ... أشدَّ من القبر التهابا وأضيقا

---

(١) يعنى بهذه الكلمة « شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين عاما » على نحو ما سيأتى تفصيله فيما بعد .

(٢) ب : « على حلقة الناس » .

(٣) يراد بالقلادة الطوق ، وبغلها إطباقها ، ويراد بقوله : « أزرقا » ما ورد فى التنزيل من أن المجرمين يحشرون إلى جهنم زرقا .

إذا جاءنى يومَ القيامة قائدٌ عَنيفٌ وسَوّاقٌ يَقُود الفرزدقا[١]

رواية أخرى له مع الحسن

أخبرنا أحمد : قال : حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان[٢] بن هلال : قال : حدثنا خالد بن الحر : قال :

رأيت الحسنَ فى جِنازة أبى رجاء العُطَارِدِىّ ، فقال للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين[٣] سنة ، قال إذاً تنجوَ إن صدقت . قال : وقال الفرزدق : فى هذه الجِنازة خيرُ الناس وشر الناس ، فقال الحسن : لستُ بخير الناس ولستَ بشرهم .

يذكر ذنوبه فينشج

أخبرنا ابن عمار ، عن أحمد بن إسرائيل ، عن عبيد الله بن محمد القرشىّ بطُوس ، قال :

حدثنى يزيدُ بنُ هاشم العبدىّ : قال : حدثنا أبى : قال : حدثنا فُضَيْلٌ الرّقاشىّ قال :

خرجت فى ليلة باردة ، فدخلتُ المسجد ، فسمعتُ نشيجًا وبكاء كثيراً ، فلم أعلم مَنْ صاحبُ ذلك ، إلى أن أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق ، فقلت : يا أبا فراس ، تركت[٤] النّوار ، وهى لَيّنة الدِّثار دَفئة الشِّعار ، قال : إنى والله ذكرْتُ ذُنُوبى ، فأقلقتْنى ، ففزعت إلى الله عز وجل .

تنجيه شيبته من النار

أخبرنى وكيعٌ ، عن أبى العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدرىّ قال : حدثنى هلال بن يحيى[٥] الرازىّ : قال : حدثنى شيخ كان ينزل سكة قريش : قال:

---

(١) فى هج : « يسوق » بدل « يقود » .
(٢) فى هج : « حسان » بدل « حيان » .
(٣) فى هج : « وثمانين » بدل «وتسعين » .
(٤) يريد أنه يبكى لفراق النوار .
(٥) فى هج : « هلال بن عيسى » بدل « هلال بن يحيى » .

رأيت الفرزدق فى النوم فقلتُ : يا أبا فراس ، ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بإخلاصى يوم الحسن ، وقال : لولا شيبتك لعذّبتك بالنار .

رواية أخرى فى لقائه مع الحسين

أخبرنى هاشم الخزاعىّ عن دَماذ ، عن أبى عبيدة ، عن لَبَطة بن الفرزدق ، عن أبيه : قال :

لقيت الحسين بن علىّ — صلوات الله عليهما — وأصحابَه بالصِّفَاح ، وقد ركبوا الإبل ، وجَنَّبوا الخيل ، متقلّدين السيوفَ ، متنكّبين القِسِىَّ ، عليهم يلامق[1] من الديباج ، فسلمت عليه ، وقلت : أين تريد ؟ قال : العراق ، فكيف تركت الناس ؟ قال : تركتُ الناسَ قلوبُهم معك ، وسيوفُهم عليك ، والدنيا مطلوبة ، وهى فى أيدى بنى أمية ، والأمر إلى الله عز وجل ، والقضاء ينزل من السماء بما شاء .

أبو هريرة يعظه

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ ، وأحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة قال : حدثنى هارون بن عمر ، عن ضمرة بن شوذب قال :

قيل لأبى هريرة : هذا الفرزدق ، قال : هذا الذى يقذف المحصنات ؛ ثم قال له : إنى أرى عظمَك رَقيقا وعِرْقَك[2] دقيقا ، ولا طاقةَ لك بالنار ، فتُبْ ، فإن التوبةَ مقبولةٌ من ابن آدمَ حتى يَطيرَ غُرابه[3] .

أخبرنى هاشم بن محمد ، عن الرياشىّ ، عن المنهال بن بحر بن أبى سلمة ، عن صالح المرّى ، عن حبيب بن أبى محمد ، قال :

رأيت الفرزدق بالشام ، فقال : قال لى أبو هريرة : إنه سيأتيك قوم يوئِسُونك من رحمة الله ، فلا تيأسْ .

موازنة بينه وبين جرير والأخطل

قال أبو الفرج : والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ،

(١) فى هج : « يلانق » وهو تحريف « يلامق » وواحده « يلمق » وهو القباء : فارسى معرب .
(٢) فى هج : « وجلدك » بدل « وعرقك » .
(٣) طيران الغراب : كناية عن الشيب ، وهى كناية قائمة على تشبيه سواد الشعر بسواد الغراب .

ومَحلُّه فى الشعر أكبر من أن يُنَبَّهَ عليه بقول ، أو يُدلَّ على مكانه بوصف ؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تَقَدُّمَه بالخبر الشائع علما يُستغنَى به عن الإطالة فى الوصف ، وقد تكلم الناس فى هذا قديما وحديثا ، وتعصبوا ، واحتجوا بما لامزيد فيه ، واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة فى أيُّهم أحقُّ بالتقدم على سائرها ، فأمّا قدماء أهل العلم والرواة فلم يسوُّوا بينهما وبين الأخطل ؛ لأنه لم يلحق شأوهما فى الشعر ، ولا له مثلُ ما لهما من فنونه ، ولا تصرّفَ كتصرّفهما فى سائره ، وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه ، حتى ألحقته بهما ، وهم فى ذلك طبقتان ، أما من كان يميل إلى جزالة الشعر ، وفخامته ، وشدّة أسرِه ، فيُقدّم الفرزدق ، وأما مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين ، وإلى الكلام السَّمح السهل الغزِل فيقدِّمُ جريرا .

أخبرنا أبو خليفة : قال حدثنا محمد بن سلاّم ، قال : سمعت يونس بن حبيب يقول :

ما شهدت مشهدا[1] قط ذُكر فيه الفرزدق وجرير ، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما . قال ابن سلام : وكان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط ، وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة .

قال ابن سلام : وقال ابن دأب ، وسئل عنهما ، فقال : الفرزدق أشعر خاصّةً وجرير أشعرُ عامّةً .

أخبرنى الجوهرىّ وحبيب المهلبىّ عن ابن شبة ، عن العَلاء بن الفضل : قال : قال لى أبو البيداء : يا أبا الهُذَيل ، أيّهما أشعر ؟ أجرير أم الفرزدق ؟ قال : قلت : ذاك إليك ، ثم قال : ألم تسمعهُ يقول :

---

(١) فى هج : « ما شهدت مجلسا » .

ما حُمِّلت ناقةٌ من معشرٍ رجلاً … مثلى إذا الريح لفّتنى على الكُورِ(١)

إلا قريشا فإنّ الله فضّلها … مع النبوّة بالإسلام والخيرِ

ويقول جرير :

لا تحسبنّ مِراسَ الحرب إذ لَقِحَتْ … شُرْبَ الكسيس وأَكلَ الخبز بالصِّير؟(٢)

سلح والله أبو حزرة .

ثلث اللغة من شعره

أخبرنى هاشم الخزاعىّ ، عن أبى حاتم السجستانىّ ، عن أبى عبيدة ، قال : سمعت يونس يقول : لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

يقرض الشعر فى خلافة عثمان وعلى

أخبرنى هاشم الخزاعىّ ، عن أبى غسان ، عن أبى عبيدة قال : قال يونس أبو البيداء : قال الفرزدق :

كنت أهاجى شعراء قومى ، وأنا غلام فى خلافة عثمانَ بن عفان ، فكان قومى يخشون مَعَرّة لسانى منذ يومئذ ، ووفد بى أبى إلى علىٍّ بن أبى طالب صلوات الله عليه عامَ الجمل ، فقال له : إن ابنى هذا يقول الشعر ، فقال : علّمه القرآن ، فهو(٣) خير له .

يسلخ خمسا وسبعين سنة من عمره فى الهجاء

قال أبو عبيدة : ومات الفرزدق فى سنة عشر ومائة ، وقد نيّف على التسعين سنة ، كان منها خمسة(٤) وسبعين سنة يبارى الشعراء ، ويهجو الأشراف فيغضّهم ، ماثبت له أحد منهم قط ، إلا جريرا .

---

(١) تقدم هذان البيتان .

(٢) الكسيس : شراب يتخذ من الشعير والذرة ، الصير : السمكات المملوحة ، وفى هد : « الكشيش » بالشين ، وهو تصحيف ، وفى ب : « بالصبر » بالباء الموحدة بدل بالصير ، « باالياء المثناة » وهو تصحيف أيضا .

(٣) تقدم هذا الخبر فى أول الترجمة .

(٤) اسم كان ضمير الفرزدق ، وخمسة منصوب على الظرفية .

يورث الشعر عن خاله

أخبرنى محمدُ بن عِمرانَ الصَّيرفىُّ : قال: حدثنا الحسن بن عليل العنَزىّ ، قال : حدثنى محمد بن معاوية الأسدىّ ، قال : حدثنا ابن الرازى ، عن خالد بن كلثوم قال :

قيل للفرزدق : مالك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعصعةُ شاعراً ، فمن أين لك هذا ؟ قال : من قِبَل خالى ، قيل : أىُّ أخوالك ؟ قال : خالى العَلاء بن قرظة (١) الذى يقول :

إذا ما الدهر جرّ على أُناسٍ بكلكله أناخ بآخرينا (٢)

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

يؤنبه أخواله فيمن عليهم

أخبرنى عمّى قال : حدثنا الكُرانىّ ، عن العمرىّ ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن حمّاد الراوية ، وأخبرنى هاشم الخزاعى : قال : حدثنا دَماذ ، عن أبى عبيدة قال :

دخل قوم من بنى ضَبّة على الفرزدق فقالوا له : قبّحك اللهُ من ابن أُخت ! قد عرّضتنا لهذا الكلب السفيه — يعنون جريرا — حتى يشتم أعراضَنا ، ويذكر نساءنا ، فغضب الفرزدق ، وقال : بل قبّحكم الله من أخوال ! فوالله لقد (٣) شرّفكم من فخرى أكثرُ مما غضّكم من هجاء جرير ، أفأنا ويلكم عرّضتكم لسُوَيد بن أبى كاهل حيث يقول :

لقد زَرِقَتْ عيناك يا بن مُكَعْبَرٍ كما كلُّ ضَبِّىٍّ من اللؤم أزرقُ

ترى اللؤمَ فيهم لائحا فى وجوههم كما لاح فى خيل الحلائب أبلق (٤)

أو أنا عرّضتكم للأغلب العِجلىّ حيث يقول :

لن تجد الضَّبِّىَّ إلاّ فَلاّ عبداً إذانا ولقومٍ ذَلاّ (٥)

---

(١) فى هد ، هج : « قرطة » بالطاء المهملة .

(٢) فى هج : « كلاكله » بدل « بكلكله » ، والكلاكل : عظام الصدر .

(٣) فى هج : « لما شرفكم » بدل « لقد شرفكم »

(٤) الحلائب : خيول السباق ، والأبلق من الخيل ونحوها : ما اجتمع فيه سواد وبياض .

(٥) الفل : المنهزم ، للواحد والجمع ، إذانا : مصدر مفعول لفعل محذوف من آذنه إذا أخذ بأذنه ، لأن العبد كان يأخذه النخاس بأذنه ، وفى الأصل « وأقواما ذلا » وقد رجحنا أنها محرفة عن « ولقوم ذلا » .

مثل قَفا المُدية أو أَ كَلاَّ   حتى يكون الألأمَ الأقلاَّ

أوأنا عرّضتكم له حيث يقول :

إذا رأيتَ رجلاً من ضَبَّهْ   فنِكه عمداً فى سَوَاءِ السَّبَّهْ(١)

* إن اليمانيَّ عِقَاصُ الزَّبَّهْ *(٢)

أوأنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول :

ولو يُذْبَح الضَّبيُّ بالسيف لم تجد   من اللؤم للضَّبيّ لحماً ولا دماً !

والله لمَا ذكرتُ من شَرَفكم ، وأظهرتُ من أيامكم أ كثرُ ، ألستُ القائلَ :

وأنا ابنُ حنظلةَ الأغرُّ وإننى   فى آل ضَبَّــة للمُعِمُّ المُخْوِلُ

فرعان قد بلغ السَّماء ذُرَاهما   وإليهما من كل خوف يُعْقَلُ(٣)

بنو حرام يخشون لسانه

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلام ، عن أبى بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا : كان(٤) فتى فى بنى حرام بن سماك شويعر، قد هجا الفرزدق ، فأخذناه ، فأتينا به الفرزدق ، وقلنا : هو بين يديك ، فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، لا عدوى عليك ولا قصاص ، فخلّى عنه وقال :

فمن يكُ خائفاً لأذاة قولِى   فقد أمِنَ الهجاء بنو حَرامِ

همُ قادوا سفيهَهُمُ وخافوا   قلائدَ مثلَ أطواقِ الحمَامِ

لائذة بقبر أبيه

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثنى الحكم بن محمد ، قال :

---

(١) السواء : الوسط ، السبّة : الدبر .

(٢) العقاص : خيط تربط به الضفيرة ، الزبّة : نرجح أنها إدغام زببه — بالتحريك — جمع زب ، وعلى ذلك يكون المعنى إن دبر اليانى تجمع الأيور كما يجمع الخيط الشعر .

(٣) يعقل : يُلجأ ويُفزع « بالبناء المجهول »

(٤) تقدم هذا الخبر فى الترجمة نفسها .

كان رجل من قضاعة ثم من بنى القَين على السِّند ، وفى حبسه رجل يقال له حُبَيْشٌ — أو خُنَيْسٌ — وطالت غيبته عن أهله ، فأتت أُمُّه قبرَ غالب بكاظمة ، فأقامت عليه ، حتى علم الفرزدق بمكانها ، ثم إنها أتت فطلبت إليه فى[1] أمر ابنها ، فكتب إلى تميم القضاعىّ :

هَب لى خُنَيساً واتّخذْ فيه مِنّةً   لغُصَّة أُمٍّ ما يَسوغ شرابُها
أتتْنى فعاذت يا تميمُ بغالبٍ   وبالحفرة السّافى عليه ترابُها
تميمُ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتى   بظهرٍ فلا يَخفَى علىَّ جوابُها[2]

فلما أتاه الكتابُ لم يدر : أخنيس أم حبيش ! فأطلقهما جميعاً .

لائذ آخر بقبر أبيه

أخبرنى أبو خليفة : قال : حدثنا محمد بن سلام : قال : حدثنى أبو يحيى الضّبىّ قال : ضرب مكاتب لبنى مِنْقَر خيمةً على قبر غالب ، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ، ثم قدم عليه ، وهو بالمِرْبد فقال :

بقبرِ ابن ليلى غالبٍ عُذْتُ بعدما   خشيتُ الرَّدَى أو أن أُرَدَّ على قسْر[3]
فخاطبنى قبرُ ابن ليلى وقال لى :   فَكاكُك أن تَلْقَى الفرزدقَ بالمِصْر

فقال له الفرزدق : صدق أبى ، أنِخْ أنِخْ ، ثم طاف فى الناس ، حتى جمع له كتابته وفضلا .

يعتذر عن مناقضته نفسه

أخبرنى ابنُ خلف وكيع ، عن هارونَ بن الزيات ، عن أحمد بن حماد بن الجميل ، قال : حدثنا التحذمىّ ، عن ابن عيّاش : قال :

(١) بعض الأصول تحذف « فى » .

(٢) تقدمت هذه الأبيات ، كما تقدمت القصة نفسها ، وإنما أثبتناها تمشيا مع الأصول — على ما فى ذلك من تكرار — لما قد يكون فى المكرر من اختلاف فى الأسلوب أو السند أو نحو ذلك .

(٣) شأن هذه الأبيات مع قصتها شأن سابقتها من التكرار .

لقيتُ الفرزدق فقلتُ له : يا أبا فراس ، أنت الذى تقول :

فليتَ الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسفٍ يُقطَّعن إذغيَّبْن تحت السقائفِ(١)

فقال : نعم ، أنا ، فقلتُ له : ثم قلتَ بعد ذلك له :

لئن نفرُ الحجّاج آلُ مُعتِّب لَقُوا دَوْلةً كان العدوُّ يُداِلُها(٢)

لقد أصبح الأحياءُ منهم أذلّةً وفى الناس موتاهم كلوحًا سِبالُها(٣)

قال : فقال الفرزدق : نعم ، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه ، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه .

هل أجاز إياس شهادته ؟

أخبرنا هاشم بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ ، عن عمه ، عن بعض أشياخه قال : شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية ، فقال : أجزنا شهادة الفرزدق أبى فراس ، وزيدونا شهوداً ، فقام الفرزدق فرحًا ، فقيل له : أما(٤) والله ما أجاز شهادتك قال : بلى ، قد سمعته يقول : قد قبلنا شهادة أبى فراس ، قالوا : أفما سمعتَه يستزيد شاهداً آخر ؟ فقال : وما يمنعه(٥) ألا يقبلَ شهادتى ، وقد قذفتُ ألفَ محصنة !

يسترد هبته

أخبرنا ابن دُرَيْد ، عن أبى حاتم ، عن أبى عبيدة ، عن يونس : قال : كان عطيةُ بنُ جُمال الغدانىّ(٦) صديقاً ونَديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أنّ رجلا

---

(١) ابن يوسف هو الحجاج ، وابن مفعول الدافنات ، السقائف : جمع سقيفة ، والمراد بها هنا ما يسقف به القبر من حجر ونحوه ، يدعو على الأيدى التى دفنت الحجاج بالقطع فى معرض رثائه ، وفى هج ، هد « يحثين » بدل « غيبن من حثى التراب يحثيه ، وهى لغة فى حثاه يحثوه .

(٢) نفر : فاعل فعل محذوف ، تقديره لئن لقى نفرالحجاج ، آل معتب بدل من نفر الحجاج ، الدولة : الغلبة ، كان العدو يدالها : كانت تتاح للعدو ، وفى هج : « كان الزمان أزالها » وهو تحريف يغير المعنى فضلا عما فيه من الإقواء

(٣) هذا البيت جواب القسم فى البيت الأول ، وضمير منهم يعود على نفر الحجاج ، كلوحا : جمع كالح ، بمعنى عابس ، السبال : جمع سبلة ، وهى طرف الشارب ، أو طرف اللحية ، والبيتان من قصيدة يمدح بها الخليفة ، ويهجو الحجاج ، وفى بعض النسخ : وفى النار مثواهم بدل « موتاهم » .

(٤) فى الأصل : (أنا) بدل (أما) وهو تحريف .

(٥) كأنه علل رأيه فى إجازة إياس شهادته ، وعلل عدم قبولها .

(٦) فى الأصل : « العدوانى » بدل « الغدانى » وهو تحريف .

من بنى غُدانَة هجاه وعاون جريراً عليه ، وأنه أراد أن يهجو بنى غُدانة ، فأتاه عطية بن جُعَال فسأله أن يصفح له عن قومه ، ويهب له أعراضَهم ، ففعل ، ثم قال :

أبنى غُدانة إننى حَرَّرتكم فوهبتكم لعطيةَ بنِ جُعال
لولاعطيةُ لاجتَدعْتُ أنوفكم من بين ألأم أعين وسبال(١)

فبلغ ذلك عطية ، فقال : ما أسرع ما ارتجع أخى (٢) هبَته ، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة .

مجنون يريد أن ينزو عليه

أخبرنى وكيع ، عن هارون بن محمد : قال : حدثنى قبيصة بن معاوية المهلّبىُّ ، عن المدائنى ، عن محمد بن النضر :

أن الفرزدق (٣) مرَّ بباب المفضَّل بنِ المهلَّب ، فأرسل إليه غِلمة ، فاحتملوه ، حتى أُدخِل إليه بواسط ، وقد خرج من تيّار ماء كان فيه ، فأمرَ به ، فألقى فيه ، بثيابه ، وعنده ابنُ أبى علقمة اليَحمَدىّ المجنونُ ، فسعى إلى الفرزدق ، فقال له المفضل : ما تريد ؟ قال : أريد أن أنيكه وأفضحه ، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد ، فصاح الفرزدق : اللهَ(٤) اللهَ أيها الأمير فىَّ ، أنا فى جوارك وذمتك؛ فمنع عنه ابن أبى علقمة ، فلما خرج قال: قاتل الله مجنونَهم ؛ والله لو مسّ ثوبهُ ثوبى لقام بها جرير وقعد ؛ وفضحنى فى العرب فلم يبق لى فيهم باقية .

وأخبرنى بنحو هذا الخبر حبيب المهلبىُّ ، عن ابن شبة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الحميد ، عن أبيه ، عن جده : قال أبو زيد : وأخبرنى أبو عاصم عن الحسن بن دينار ، قال : قال لى الفرزدق :

(١) ب ، الديوان ، النقائض : « ألأم آنف » وهذه الرواية مرجوحة ؛ لأنه لامعنى لأن يكون الأنف بين الأنف والسبال ، وما أثبتناه من « هج » والمختار .

(٢) يريد أنه هجاهم هجاء مقذعا فى معرض العفو عنهم وذكر هبتهم لصديقه .

(٣) هذا من باب تكرار أخبار أبى الفرج مع تغيير فى الأسلوب أو فى السند ، فقد تقدمت هذه القصة .

(٤) الله : مفعول فعل محذوف تقديره « ارع » أو « اتق » ونحو ذلك .

ما مر بى يوم قط أشدّ علىّ من يوم دخلتُ فيه على أبى عيينة بن المهلب — وكان يوماً شديد الحر — فما منّا أحد إلا جالس فى أبْزَن[١] . فقلنا له: إن أردت أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبى علقمة ، فقال : لا تريدوه ؛ فإنه يكدّر علينا مجلسنا ، فقلنا : لا بد منه ، فأرسل إليه ، فلما دخل فرآنى ؛ قال الفرزدق والله . ووثب إلىّ ، وقد أنعظ أيره ، وجعل يصيح : والله لأنيكنّه ؛ فقلت لأبى عيينة : اللهَ اللهَ فىَّ ، أنا فى جوارك ، فو الله لئن دنا إلىّ لا تبقى لى باقية مع جرير ؛ فلم يتكلم أبو عيينة ؛ ولم تكن لى همة إلا أن عدَوْتُ حتى صعِدتُ إلى السطح ، فاقتحمت الحائط ، فقيل له : ولا يوم زياد[٢] كان مثل يومئذ ، فقال : ولا مثل يوم زياد[٢] .

عمر بن عبد العزيز يجيره ، ثم ينفيه

أخبرنى عمى ، عن ابن أبى سعد ، عن أحمد بن عمر ، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له : كوزا الراوية ؛ قال أحمد بن عمر : وأخبرنى عثمان بن خالد العثمانى[٣] :

أن الفرزدق قدم المدينة فى سنة مُجْدبة حصَّاء[٤] فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيها الأمير ، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه فى هذه السنة الجدبة التى أهلكت عامة الأموال التى لأهل المدينة ، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، فلو أن الأمير بعث إليه ، فأرضاه ، وتقدم إليه[٥] ألا يَعرِض لأحد بمدح ولا هجاء ؛ فبعث إليه عمر : إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه فى هذه السنة الجدبة ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم ؛ فخذها ، ولا تعرِضْ لأحد

---

(١) الأبزن : حوض يشبه « البانيو » عندنا ، كان يتخذ من المعدن ونحوه للاستحمام ، وهو لفظ معرب .

(٢-٢) التكملة من هد ، هج ، وقد تقدم أن زيادا طرده ، وأنه هجا مسكينا الدارمى لرثائه إياه فى الأبيات التى يقول فيها : « به لا بظبى فى الصريمة أعفرا »

(٣) فى هد ، هج : « عمر بن خالد العمانى » .

(٤) الحصاء : السنة الجرداء لا خير فيها

(٥) تقدم إليه : أمره ، أو طلب منه .

بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ، ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس فى سقيفة داره ، وعليه مُطْرَف[1] خزّ أحمر وجُبَّةُ خزّ أحمر ، فوقف عليه ، وقال :

أعبد الله أنت أحقُّ ماشٍ   وساعٍ بالجماهير الكبارِ

نما الفاروقُ أمَّك وابنُ أروَى   أبوك فأنت مُنصَدَعُ النّهارِ[2]

هما قمَرَا السماء وأنتَ نجمٌ   به فى الليل يُدْلِج كُلُّ سارِ

فخلع عليه الجبة والعمامة والمِطْرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدقُ عنده ، ورأى ما أعطاه إياه ، وسمع ما أمره عمر به من ألا يعرض لأحد ، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز ؛ فأخبره ، فبعث إليه عمر : ألم أتقدم إليك يا فرزدقُ ألا تعرضَ لأحد بمدح ولا هجاء ؟ أخرج ، فقد أجلتك ثلاثاً ، فإن وجدتك بعد ثلاث نكّلت بك ؛ فخرج وهو يقول :

فأجّلنى وواعدنى ثلاثاً   كما وُعِدَت لِمَهلكِها ثمودُ[3]

قال : وقال جرير فيه :

نفاكَ الأغرُّ ابنُ عبد العزيزِ   ومثلُكَ يُنفَى من المسجدِ

وَشبّهْتَ نفسَكَ أشقى ثمُودَ   فقالوا : ضللتَ ولم تهتَدِ[4]

يهجو من يستكثر عليه الجائزة

أخبرنى[5] حبيب المهلّبى ، عن ابن أبى سعد ، عن صباح ، عن النوفلىّ بن خاقان ، عن يونس النحوىّ قال :

(١) المطرف — بكسر الميم وضمها مع سكون الطاء وفتح الراء — رداء من خز مربع ذو أعلام .

(٢) يريد أنه ينسب إلى الخليفتين عمر وعثمان ، منصدع : مصدر ميمى ، أو اسم مكان من الصدع ، بمعنى الشق وتبلج ، وأروى : أم عثمان بن عفان .

(٣) مر هذا البيت فى غير هذا الموضع .

(٤) سبق هذان البيتان أيضا فى غير هذا الموضع .

(٥) مرت هذه القصة أيضا وسبق معالجة الأبيات الواردة فيها .

مدح الفرزدقُ عمرَ بن مسلم الباهلي ، فأمر له بثلثمائة درهم ، وكان عمرو بن عَفراء الضّبيّ صديقاً لعمر ، فلامه ، وقال : أتعطى الفرزدق ثلثمائة درهم ، وإنّما كان يكفيه عشرون درهماً ، فبلغه ذلك فقال :

نهيتُ ابنَ عِفرَى أن يعفّرَ أمَّهُ كعَفر السّلا إذ جرّرَتْه ثعالبُه
وإنّ امرأً يغتابنى لم أطأْ له حريماً فلا ينهاهُ عنّى أقاربُه
كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضْبةٍ أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبه
ألمّا استوَى نابای وابيضّ مِسْحلى وأطرقَ إطراقَ الكرى مَنْ أحاربُه؟
فلو كان ضَبِّيًّا صفحتُ ولو سرت على قدمى حيّاتُه وعقاربه
ولكن دِيافيٌّ أبوه وأمه بحَوران يعصرنَ السّليطَ قرائبه

صـــوت

ومقالها بالنَّعف نعف مُحَسِّرٍ لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضا ؟[1]
ذاك الذى أعطى مواثقَ عَهدِهِ ألّا يخونَ وخلتُ أن لن يَنْقُضا
فلئن ظفرتُ بمثلها من مثلِه يوماً ليَعترفَنَّ ما قد أقْرَضا[2]

الشعر لخالد القَسْرىّ ، والناس ينسبونه إلى عمرَ بن أبى ربيعة ، والغناء للغريض ، ثقيل أولُ بالوسطى ، عن الهشامى وابن المكى وحبش . وقبل أن أذكر أخبارَه ونسبَه فإنى أذكر الرواية فى أنّ هذا الشعرَ له .

قصة تتعلق بأبيات هذا الصوت

أخبرنا محمد بن خلف وَكيع : قال : أخبرنى عبد الواحد بن سعيد ، قال : حدثنى أبو بشر[3] ، محمد بن خالد البجلىّ : قال : حدثنى أبو الخطّاب بن يزيد بن عبد الرحمن : قال : سمعت أبى يحدث : قال : حدثنى مسمع بن مالك بن جحوش البجلىّ ، قال :

ركب خالد بن عبد الله ، وهو أمير العراق ، وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التى يقال لها المكْرَخةُ ، وهى من الكوفة على أربعة فراسخ ، وركبت معه فى زورق ، فقال لى : نشدتك الله يابن جحوشٍ ، هل سمعت غريضَ مكةَ يتغنى :

ومقالها بالنّعفِ نعفِ مُحَسِّرٍ لفتاتها : هل تعرفينَ المُعْرِضا

قال : قلت : نعم ، قال : الشعر والله لى ، والغناء لغريض مكة ، وما وجدت هذا الشعر فى شىء من دواوين عمرَ بنِ أبى ربيعة التى رواها المدنيّون والمكيّون ؛ وإنما يوجد فى الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة ، ثم نرجع الآن إلى ذكره .

---

(١) مقالها : معطوف على كلام سابق ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، تقديره : وعجيب مقالها ونحو ذلك ، والنعف : مكان مرتفع يكون فيه صعود وهبوط ، محسر : مكان .

(٢) أقرض : أسلف ، وفى البيت توعد ، أى ليعرفن نتيجة إعراضه ونقضه لعهوده .

(٣) فى هد : « أبو نصر » .

تم الجزء الحادى والعشرون من كتاب الأغانى

ويليه إن شاء الله الجزء الثانى والعشرون وأوله

أخبار خالد بن عبد الله

فهارس

الجزء الواحد والعشرين من كتاب الأغانى

تراجم هذا الجزء

صفحة

فهرس الموضوعات

فهرس الشعراء

فهرس رجال السند

(غ)

(ف)

(ق)

فهرس المغنين

فهرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهرس الأعلام

(خ)

(د)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

فهرس الأماكن

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص
ما لقتيل	لا رأس له	رجز	٢٤٦
لولا جرير	بجيله	»	٣٠٥
ظــل	السّخالا	خفيف	
فأصبحتُ	اهولا	متقارب	١٦٨
وقولى	المَنحــلُ	طــويل	١
وبالشّعب	جامــلُ	»	١٥٩
فَتجَعّ	الأرامــلُ	»	٢١٠
لعمــرى	لقليلُ	»	٢٢٢
تهيم	ولا شُغْلُ	»	٢٢٩
فلاتيأسَا	شمالُ	»	٢٤٢
ألا طرقت	تقيلُ	»	٢٤٢
وكم لك	حاملُهْ	»	٣١٨
إذا جئته	سائلُهْ	»	٣٠٩
أنا الدهر	يطاولُه	»	٣٥٦
أطاعت	ذلولُهــا	»	٢٨٧
لعمــرى	عقُولُهــا	»	٢٩١
ولم أطلقتْ	انحلالا	»	٣٠٩
فإنّ	وشمالها	»	٣٦٢
لئن نفر	بُدّالُهــا	»	٣٩٩
هل حبل	مشغولُ	بسيط	٢٥
لما نزلنا	المراجيلُ	»	٢٦
حذا لىَ	الخليل	الوافــر	٢٠٩
أحلامنا	نجهلُ	»	٣٠٦
ليس	تعتلُ	»	٣٢٤
إذا حلّ	الرسول	»	٣٨٣
يا بيت	موكّلُ	كامل	٩٥،٩٨،١٠٣،١٠٤، ١٠٥

صدر البيت	قافيته	بحره	ص
إن عيني	لينا	خفيف	١٢٥
لعمري	عيون	طـــويل	٩٢
تروحت	حنين	«	٣١٦
جلَسْتُ	يخون	«	٣٤٠
سألونا	يكونُ	خفيف	٦٠
تعجّب	الرسفان	طويل	٢٦٨
تعال	يصطحبان	«	٣٠٧
يابنيّ	فإن	بسيط	١٣
وسابحٍ	خوّانِ	«	٤٨
يا عزّ	فتيانِ	«	٨٤
كم مال	ذبيانِ	«	٣٠٣
ألا مَنْ مُبلغٌ	بطانِ	وافر	١٢٩ ، ١٣٤
لقد أمْسَى	مبينِ	«	٢٢٦
يا للرجال	الوسنانِ	كامل	١٨
ياللرجال	الديان	«	١٩
وبنـــو	الألوانِ	«	٤٣
إن تبن	من بنيانِ	«	٣٤٤
أصبحت	يدفنوني	رجز	٢١٨
		(و)	
إذا	سوّ	الوافر	١٤٤
		(ى)	
عذيري	يديه	طويل	٧٥ ، ٧٦
ألم تر	الفيافيا	«	٢٤٢
ألم تر	ماليا	«	٢٧٥
إذا المرء	مصافيا	«	٢٨١
فإن تنج	ناجيا	«	٣٠٦

فهرس أنصاف الأبيات

(مرتبة بحسب أوائل كلماتها)

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٢٣	٣	يظنُّنى
٢٤	٤	وحلَّتْ
٣١	٧	قد لقيتْ
٣٤	٦	هُبِّى
٤٥	٩	داعى الصِّبا
٤٧	٢	شفاءٌ
٧٢	عنوان جانبى	قبلى ... ريح
٨٩	٦	واخبرْ
٩٥	٨	عمر بن عبد العزيز
١١٠	٧	الأحوص (بإسقاط الهمزة)
١١٠	٩	الشيخَ
١١٣	٣	فلم أسْمَعْ
١٢٨	١٨	بطان
١٢٨	٢٢	رحى بطحان ، وهو خطأ
١٧٥	١٢	اليمينِ
٢٠٣	عنوان جانبى	سوطاً
٢٢٦	عنوان جانبى	يشكو
٢٣٣	٧	السمهرىّ
٢٤٦	عنوان جانبى	ابن سعدة
٢٦٥	عنوان جانبى	ابن معمر
٢٧٨	١٣	أتت أبى (بحذف الواو)
٢٨٢	٣	وإذْ ناحبتْ

الصفحة	السطر	الصواب
٢٩٧	٩	كريم ، (من غير تنوين)
٣٠٤	١	البيتِ ، (بالكسر)
٣٠٥	٨	إنما الميْتُ ميّتُ
٣٠٨	١٠	بعده : وقوله أيضاً
٣٤٤	١٣	دَارَكَ
٣٦٦	١٢	أشعرُ
٣٧٥	١٢	بالمشافرِ (بحذف الهاء)
٣٧٦	١٣	يُغْضِي
٣٨٨	١٦	شُدَّ ... الرّواسِمِ
٣٨٩	١٢	موت ابن

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهرس الكتب الواردة فى المتن

فهرس مراجع التحقيق

أنواع الفهارس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الأيداع بدار الكتب ٢٢٢٣ /٩٣

I.S.B.N.977-01-3268-3